

بمحققين وصريح
جهد السالك محمد طاهر

مكتبة الجاهل
أبي عثمان غنم وبن جبر الجاهل

٢٥٥ - ١٥٠

الكتاب الأول

الكتاب

[نال هذا الكتاب الجائزة الأولى للنشر
والتحقيق العلمي في المسابقات الأدبية التي
نظمها المجمع اللغوي ١٩٤٩ - ١٩٥٠]

المجلد الثالث

الطبعة الثانية

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بصير
عيسى ومحمد محمود الحلبي وشركاهم غلطا.

كتاب الحسين

تأليف

أبي عثمان عمرو بن بكير الجاحظ

الجزء الثالث

بتحقيق وإشراف

عبد السلام محمد هارون

الطبعة الثانية

جميع الحقوق محفوظة

١٣٨٥ هـ = ١٩٦٥ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

باب

ذِكْرُ الْحَمَامِ^(١)

وما أودعها الله عزَّ وجلَّ^(٢) من ضروبِ المعرفة ، ومن الخصال
المحمودة ، ليتعرف^(٣) بذلك حكمة الصَّانِع ، وإتقان صنْعِ المدبِّر^(٤) .

(استنشاط القارئ ببعض الهزل)

وإن كُنَّا قد أملناك بالجدِّ وبالاحتجاجاتِ الصحيحة والمروِّجة^(٥) ؛
لتكثر الخواطر ، وتشحذ العقول - فإننا سننشطك^(٦) ببعض البطالات ،
وبذكر العلل الظَّرفية ، والاحتجاجاتِ الغريبة ؛ فربَّ شعْرٍ يبلغُ بفرطِ
غباوة صاحبه [من السرور والضحك والاستطراف] ، ما لا يبلغه [حشدُ
أحرِّ النوادر ، وأجمع^(٧) المعاني] .

(١) س : « نبدأ وبالله التوفيق بذكر الحمام » ل : « من الله التوفيق بذكر الحمام » .

(٢) ل : « وما أودعه الله جل ذكره » .

(٣) في الأصل : « ولتعرف » .

(٤) كذا في ل . وفي ط : « وإتقانه وصنعه المدبر » . وفي س : « وصنعة المدبر » .

(٥) المروجة : التَّوْجُّه روجها صاحبها ، وجعلها تسيير في الناس . ويقال : روج
الدرهم : جعلها تنفق في السوق . وفي ط ، س : « الممزوجة » . والأشبه
ما أثبت من ل .

(٦) كذا في ل . وفي ط : « فاستنشطتك » . وفي س : « فاستنشطك » .

(٧) ط : « وأجود » . وما كتبت من ل أقرب إلى لغة الجاحظ .

وأنا أستظرفُ أمرين استظرافاً شديداً : أحدهما استماعُ حديثِ الأعراب . والأمرُ الآخرُ احتجاجُ متنازعينِ في الكلام ، وهما لا يحسنانِ منه شيئاً ؛ فإنَّهما يُثيرانِ من غريبِ الطَّيبِ^(١) ما يُضحكُ كلَّ ثكلانٍ وإن تشدَّد ، وكلَّ غضبانٍ وإن أحرَّقه لهيبُ الغضبِ . ولو أنَّ ذلك لا يحلُّ^(٢) لكان في باب اللُّهو والضَّحك والسُّرورِ والبَّطالةِ والتشاغلِ ، ما يجوز في كلِّ فنٍّ^(٣) .

وسنذكر من هذا الشكلِ عللاً ، ونوردُ عليك من احتجاجاتِ الأغبياءِ حُججاً . فإن كنتَ ممن يستعملُ الملاةَ ، وتَعَجَّلُ إليه السَّامةُ ، كان هذا البابُ تنشيطاً لقلبك ، وبهماماً لقوَّتِكَ . ولنبتدئُ النظرَ في باب الحماهم وقد^(٤) ذهب [عنك] الكلالُ وحدثَ النشاطُ .

وإن كنتَ صاحبَ علمٍ وجِدٍّ ، وكنتَ^(٥) ممرَّناً موقَّحاً ، وكنتَ إلفَ تفكيرٍ وتنقييرٍ ، ودراسةٍ كُتِبَ ، وحِلَفَ تَبَيَّنَ^(٦) ، وكان ذلك عادةً لك لم يضرِكَ مكانُهُ من الكتابِ ، ومَحْطَّتُهُ^(٧) إلى ما هو أولى بك .

(١) المراد بكلمة « الطيب » هنا : الهزل والفكاهة ، كما في هذا الجزء ص ٣٩ .

وفي القاموس « وفاكه : طيب النفس ضحك » ، ويقال : طايبه : أى مازحه

وجاء في البيان ٣ : ٣٤٥ : « وكان فتى طيب من ولد يقطين لا يصحو »

وطيب بمعنى فسكه مزاح . وأصل معناه السهل المعاشرة . وانظر الحيوان ٤ : ٥٨ .

(٢) س : « ولولا أن ذلك ليحل » ؟ والإشارة بكلمة « ذلك » إلى احتجاج المتنازعين .

(٣) ط ، ل : « ما يجوز كل فن » .

(٤) كذا في س . وفي ل ، ط : « فقد » .

(٥) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(٦) التبين : التفهم . وفي ط ، س : « تبين » . وما أثبت من ل أشبهه بكلام الجاحظ .

(٧) التخطي : مصدر تخطى بمعنى تجاوز . والتخطية : مصدر خطاه ، بمعنى دفعه =

(ضرورة التنويع في التأليف)

وعلى أني قد عزمتُ - والله الموفق - أني أوشح هذا الكتابَ وأفصلُ أبوابه ، بنوادر من ضروب الشعر ، وضروب الأحاديث ؛ ليخرج قارئ هذا الكتاب من باب إلى باب ، ومن شكل إلى شكل ؛ فإنني رأيتُ ٣ الأصمَاع تملُّ الأصواتَ المطرِبةَ والأغانيَ الحسنةَ والأوتارَ الفصيحةَ ، إذا طال ذلك ^(١) عليها . وما ذلك إلا في طريق الراحة ، التي إذا طالت أورثت الغفلة . وإذا كانت الأوائلُ قد سارتُ في صغارِ الكتبِ هذه السيرةَ ، كان هذا التدبيرُ لما طالَ وكثُرَ أصلحَ ، وما غايتنا من ذلك كله إلا أن تَسْتَفِيدُوا خيراً .

وقال أبو الدرداء : إني لأجُمُّ نفسي ببعضِ الباطل ، كراهةً أن أحملَ عليها من الحق ما يملُّها !

(ادعاء أبي عبد الله الكرخي الفقه)

فمن الاحتجاجات الطيبة ^(٢) ، ومن العِللِ الملهية ، ما حدثني به ابنُ المديني ^(٣) قال : تحوَّل أبو عبد الله الكرخي اللِّحيانيُّ إلى

= وأماطه . وإذا حلت غيرك على أن يخطو قلت أخطيته . وكلمة « تخطيه » - هي في س : « تخطيته » ، وهو تحريف ما أثبت من ل ؛ ط .

(١) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(٢) الطيبة هنا بمعنى الهزلية . وانظر ما سبق في ص ٦ . وهذه الكلمة هي في ط ، ل : « الطيبة » مصحفة .

(٣) هو علي بن عبد الله بن جعفر بن نجيح بن بكر بن سعد أبو الحسن السعدي ، مولا هم =

الْحَرَبِيَّةُ^(١) فَادَّعَى أَنَّهُ فَقِيهٌ ، وَظَنَّ أَنَّ ذَلِكَ يَجُوزُ لَهُ ؛ لِمَكَانِ لِحِيَّتِهِ وَسَمْتِهِ .
 قَالَ : فَأَلْقَى عَلَى بَابِ دَارِهِ الْبَوَارِيَّ^(٢) ، وَجَلَسَ [وَجَلَسَ] إِلَيْهِ [بَعْضُ]
 الْجِيرَانِ ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ! رَجُلٌ أَدْخَلَ إِبْصَعَهُ فِي أَنْفِهِ
 فَخَرَجَ عَلَيْهِ دَمٌ ، أَى شَيْءٍ يَصْنَعُ^(٣) ؟ ! قَالَ : يَحْتَجِمُ . قَالَ : قَعَدْتَ
 طَبِيبًا أَوْ قَعَدْتَ فَقِيهًا ؟

(جواب أبي عبد الله المروزيّ)

وَحَدَّثَنِي شَمُونُ^(٤) الطَّيِّبُ قَالَ : كُنْتُ يَوْمًا عِنْدَ ذِي الْيَمِينِينِ طَاهِرِ
 ابْنِ الْحُسَيْنِ^(٥) فَدَخَلَ عَلَيْهِ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْمَرْوَزِيُّ فَقَالَ [طَاهِرُ] : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ

= ويعرف بابن المديني ، بصرى الدار ، وهو أحد أئمة الحديث في عصره ،
 والمقدم على حفاظ وقته ، أخذ عنه أحمد بن حنبل ، وكان لا يسميه ، إنما يكتبه
 تبجيلا له . اتصل بالقاضي أحمد بن أبي داود ، وله معه أخبار كثيرة . ولد
 سنة إحدى وستين ومائة ، وتوفي سنة أربع وثلاثين ومائتين . انظر تاريخ
 بغداد ٦٣٤٩ .

(١) الحرّية : محلة كبيرة مشهورة ببغداد عند باب حرب ، تنسب إلى حرب بن عبد الله
 البلخي الراوندى ، أحد قواد المنصور . انظر الخبر أيضا في البيان ٢ : ٣٢١ .
 س : « الحرّية » ل : « الحرّية » صوابهما في ط . ونحو هذا الخبر للشعبي
 في العقد ٦ : ١٥٢ .

(٢) البورى ، والبورية : والبارى ، والبارية والبارياء والبورياء : الحصار المنسوج .

(٣) س : « يصنعه » . وانظر قصة شبيهة بهذه في أخبار الظراف ص ٢٦ .

(٤) المعروف في هذا الاسم : « شمون » .

(٥) هو طاهر بن الحسين بن مصعب الخزاعي ، من كبار الوزراء ، كان أديبا حكيما
 شجاعا ، وهو الذى وطد الملك للمأمون العباسى ، وهو الذى قتل الأمين ،
 وعقد البيعة للمأمون ، فولاه شرطة بغداد ثم جعله واليا على خراسان ، فحدثه =

مذْ كَمْ دَخَلْتَ الْعِرَاقَ ؟ قَالَ : مِنْذَ عِشْرِينَ سَنَةً ، وَأَنَا صَاحِبُ مِنْذَ ثَلَاثِينَ سَنَةً ^(١) . قَالَ : يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، سَأَلْنَاكَ عَنْ مَسْأَلَةٍ فَأَجَبْتَنَا عَنْ مَسْأَلَتَيْنِ !

(جواب شيخ كندی)

وَحَدَّثَنِي أَبُو الْجَهْجَهَاءُ ^(٢) قَالَ : ادَّعَى شَيْخٌ عِنْدَنَا أَنَّهُ مِنْ كِنْدَةَ ، قَبْلَ أَنْ يَنْظُرَ فِي شَيْءٍ مِنْ نَسَبِ كِنْدَةَ ، فَقُلْتُ لَهُ يَوْمًا وَهُوَ عِنْدِي : مِمَّنْ أَنْتَ يَا [أَبَا] فُلَانٍ ؟ قَالَ : مِنْ كِنْدَةَ . قُلْتُ : مِنْ أَيِّهِمْ أَنْتَ ؟ قَالَ : لَيْسَ هَذَا مَوْضِعَ [هَذَا] الْكَلَامِ ، عَافَاكَ اللَّهُ !

(جواب خَتَنِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ بَرِيرَةَ)

وَدَخَلْتُ عَلَى خَتَنِ [أَبِي بَكْرٍ بْنِ] ^(٣) بَرِيرَةَ ، وَكَانَ شَيْخًا يَنْتَحِلُ قَوْلَ الْإِبَاضِيَّةِ ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ : الْعَجَبُ مِمَّنْ يَأْخُذُ النَّوْمُ وَهُوَ [لَا] يَزْعُمُ [أَنَّ] الْإِسْطَاعَةَ مَعَ الْفِعْلِ ^(٤) ! قُلْتُ : مَا الدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ ؟ قَالَ : الْأَشْعَارُ الصَّحِيحَةُ . قُلْتُ : مِثْلَ مَاذَا ؟ قَالَ : مِثْلَ قَوْلِهِ :

= نَفْسُهُ بِالِاسْتِقْلَالِ بِهَا ، وَحَالَتْ دُونَ ذَلِكَ مَنِيَّتُهُ . وَسَمِيَ ذَا الْيَمِينِ لِأَنَّهُ ضَرَبَ شَخْصًا فِي وَقْعَتِهِ مَعَ عَلِيِّ بْنِ مَاهَانَ بِالسَّيْفِ فَقَدَهُ نَصْفَيْنِ ، وَكَانَتْ الضَّرْبَةُ يَبْسَارَهُ فَقَالَ فِيهِ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

* كَلْنَا يَدَيْكَ يَمِينٍ حِينَ تَضْرِبُهُ *

فَلَقِبَهُ الْمَأْمُونُ : ذَا الْيَمِينِ . انْظُرْ وَفَيَاتِ الْأَعْيَانِ . وَفِي ثَمَارِ الْقُلُوبِ ٢٣٢ - ٢٣٣ تَعْلِيلَانِ آخَرَانِ . وَانْظُرِ الطَّبْرِي ١٠ : ١٤١ وَ ١٥٥ فِي حَوَادِثِ ١٩٥ وَالْدِّيَارَاتِ لِلشَّابِثِيِّ ٩١ - ٩٢ . وَلَوْ طَاهَرَ سَنَةَ ١٥٩ وَتَوَفَّى سَنَةَ ٢٠٧ .

(١) ل : « وَأَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ مِنْذَ ثَلَاثِينَ سَنَةً » .

(٢) س : « أَبُو الْجَهْجَهَاءِ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَلَأَبَى الْجَهْجَهَاءُ حَدِيثٌ فِي الْبَخْلَاءِ ص ٣٦ .

(٣) الزِّيَادَةُ مِنْ مِثْلِ هَذَا الْمَوْضِعِ ص ٢٢ س : ٣

(٤) مِنْ أَصُولِ الْمُعْتَزِلَةِ أَنَّ اسْتَطَاعَةَ الْفِعْلِ تَسْبِقُ الْفِعْلَ ، وَجُمْهُورُ الْإِبَاضِيِّينَ عَلَى أَنَّ =

* مَا إِنَّ يَقَعَنَّ الْأَرْضَ إِلَّا وَفَقَا ^(١) *

ومثل قوله :

* يَمُوتِينَ شَتَّى وَيَقَعَنَّ وَفَقَا *

ومثل قولهم في المثل : « وَقَعَا كَعِكْمَى عَيْر ^(٢) » [

وكقوله ^(٣) أَيْضاً :

حِكْرٌ مِفَرٌّ مُقْبِلٌ مُدْبِرٌ مَعَا

كَجُلْمُودٍ صَخْرٍ حَطَّه السَّيْلُ مِنْ عَلٍ ^(٤)

وكقوله :

أَكْفُ يَدَى عَنْ ^(٥) أَنْ تَمَسَّ أَكْفَهُمْ

إِذَا نَحْنُ أَهْوَيْنَا وَحَاجَتْنَا ^(٦) مَعَا

ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى فَقَالَ : أَمَا فِي هَذَا مَقْنَعٌ ؟ قُلْتُ : بَلَى ، وَفِي دُونَ هَذَا !

= الاستطاعة مع الفعل ، وشذ منهم الحارثية فإنهم وافقوا المعتزلة . الفرق ٨٤ .

وكلمة « الفعل » هي في ط ، س : « العقل » وتصحيحه من ل ، ومن عيون الأخبار ٢ : ٥٦ حيث يوجد هذا الخبر .

« (١) ط ، س : « فرطا » ، والوجه فيه ما أثبت من ل .

« (٢) العكم ، بالكسر : العدل بكسر العين . والمير : الحمار . ووقعا : أى حصلا ، فهما في التوازن والتعادل سواء . أو بمعنى سقطا ؛ لأن العكين في الأكثر إذا حل أحدهما سقطا معا . والمثل يضرب للمساويين . أمثال الميداني ٢ : ٢٨٩ . ويقال : وقع المصطرعان عكسى عير وكعكى عير : وقعا معا لم يصرع أحدهما صاحبه . لسان العرب . وفي الأصل ، وهو هنال : « كعظمى عير » وهو تحريف .

« (٣) هو امرؤ القيس . والبيت الآتي من معلقته المشهورة .

« (٤) هذا الشطر ليس في ل .

« (٥) ل ، س : « من » .

« (٦) ل : « وحاجاتنا » .

(جواب هشام بن الحكم)

وذكر محمد بن سلام عن أبان بن عثمان قال : قال رجلٌ من أهل الكوفة لهشام بن الحكم ^(١) : أترى الله عز وجل في عدله وفضله كلّفنا ما لا نطيق ثمّ يعذبنا ؟ ! قال : قد والله فعل ، ولكنّا لانستطيع أن نتكلّم به ! ٤

(سؤال ممرور لأبي يوسف القاضي)

وحدثني محمد بن الصباح قال : بينا أبو يوسف القاضي يسيرُ بظهر الكوفة — وذلك بعد أن كتبَ كتابَ الحيل ^(٢) — إذ عرضَ له ممرورٌ عندنا أطيّب الخلق ، فقال له : يا أبا يوسف ، قد أحسنتَ في كتاب الحيل ^(٢) ، وقد بقيتُ عليك مسائلٌ في الفِطن ، فإنْ أذنتَ لي سألتُك عنها . قال : قد أذنتُ لك فسل . قال : أخبرني عن الحرِّ كافرٌ هو أو مؤمن ؟ فقال أبو يوسف : دينُ الحرِّ دينُ المرأةِ ودينُ صاحبِ الحرِّ : إن كانت كافرةً فهو كافر ، وإن كانت مؤمنةً فهو مؤمن . قال : ما صنعت

(١) هشام بن الحكم : صاحب مذهب الهشامية ، وهم فرقة من الغالية عند الشهرستاني ، ومن المشبهة عند الخوارزمي في مفاتيح العلوم ٢٠ ، ومن الإمامية الرافضة عند صاحب الفرق . وكان يقول بالتجسيم والذشبيه ، وآراؤه مفصلة في الفرق ٤٧ - ٥٣ ، والملل والنحل ٢ : ٢١ - ٢٣ .

(٢) هي الحيل الشرعية ، التي يتخلص بها من بعض الأحكام ، أو من بعض المحظورات ، ومن نماذج ذلك ما كتبه ابن دريد في كتابه « الملاحن » المطبوع في مصر سنة ١٣٤٧ . وفي س : « الحيل » وهو تصحيف .

شيئاً . قال : فقل أنت إذن ؛ إذ لم ترض بقولي ^(١) . فقال : الجُرُّ كافر . قال : وكيف علمت ذلك ؟ قال لأنَّ المرأة إذا ركعتْ أو سجّدتْ استدبر الجُرَّ القبلة واستقبلت هي القبلة ، ولو كان دينه دين المرأة لصنع كما تصنع . هذه واحدة يا أبا يوسف . قال : صدقت . [قال : فتأذن ^(٢) لي في أخرى ؟ قال : نعم . قال : أخبرني ^(٣) عنك إذا أتيت صحراء فهجمت على بول وخِراء كيف تعرف أبولُ امرأة هو أم بول رجل ؟ قال : والله ما أدري ! قال : أجل والله ما تدري ! قال : [أ] فتعرف أنت ذلك ؟ قال : نعم ، إذا رأيت البول قد سال على الخِراء وبين يديه فهو بولُ امرأة ، وخِراء امرأة . وإذا رأيت البول بعيداً من الخِراء فهو بول رجل وخِراء رجل . قال : صدقت ! قال : وحكي لي جوابَ مسائلَ فنسيت ^(٤) منها مسألةً ، فعاودته فإذا هو لا يحفظها .

(جواب الحجاج العبسي)

وحدّثني أيُّوبُ الأعورُ ، قال قائل للحجاج العبسي ^(٥) : ما بال شعر الاستِ ^(٦) إذا نبتَ أسرعَ والتفّ ؟ قال : لقربه من السَّما ^(٧) والماء هطلٌ عليه ^(٨) ! !

(١) ط ، ل : « فقل أنت إذا لم ترض بقولي » .

(٢) أراد الاستفهام .

(٣) ل : « خبرني » .

(٤) ل : « نسيت » .

(٥) ل : « لحجاج العبسي » ، ويظهر أنه من المختلئين .

(٦) ل : « است المرأة » .

(٧) السَّما ، بالفتح : أصله مرقين الدواب . وأريد به هنا النجو ، وفي ط :

« السماء » وهو تحريف مافي ل .

(٨) ماء هطل : متتابع الفطر عظيمه . وفي ل : « ويسقى من عل » . وحديث =

(جواب نوفل عريف الكناسين)

وحدثني محمد بن حسان قال : وقفتُ على نوفلٍ عريفِ الكناسين ،
وإذا موسوسٌ قد وقف عليه ، وعنده كلُّ كنَّاسٍ بالكَرْخ ، فقال له
الموسوس : ما بال بنتِ وردان^(١) تدعُ قعرَ البئر وفيه كُرٌّ^(٢) خِراء وهو
لها مُسَلَّمٌ وعليها موفر ، وتجيء تطلب اللطاحه التي في آست أحدنا وهو
قاعدٌ على المقعدة^(٣) ، فتلزم نفسها الكلفة الغليظة ، وتتعرض للقتل ،
ولأنما هذا الذي في أستاذنا قيراطٌ من ذلك الدرهم ، وقد دفعنا إليها الدرهم
[وافيًا]^(٤) وافرأ . قال : فضحك القوم ، فحرك نوفلُ رأسه ثم قال :
أتضحكون ؟ ! قد والله سأل الرجل^(٥) فأجيبوا ! وأما أنا فقد - والله -
فكرت فيها منذ ستينَ [سنة]^(٦) ، ولكنكم لا تنتظرون في شيء من
أمر صناعتكم . لاجرم أنكم لا ترتفعون أبدًا ! [قال له الموسوس : قل -
يرحمك الله - فأنْتَ زعيمُ القوم] ، فقال نوفل : قد علمنا أنَّ الرُّطب

= الحجاج هذا ساقط من س . وتجد في محاضرات الراغب ٢ : ١١٧ - ١١٨
حديثاً مثله يروى عن « مخنث » .

- (١) بنت وردان يقال لها في مصر « خنفس » . معجم المملوك ٣٦ .
- (٢) الكر : بالضم : مكيال للعراق ، أو ستة أوقار حار ، أو سبعون قفيزاً ،
أو أربعون إردباً . وفي ط : ل : « كل » وهي تصحيف . وأثبت ماني س .
- (٣) المقعدة : عنى بها ما وضع له اسم « المرحاض » في عصرنا هذا . وفي ط ، س :
« المقعد » . وأثبت ماني ل . وأصل المقعد والمقعدة مكان القعود .
- (٤) ط : « وقد دفعنا إليها من الدرهم وافرأ » وهو تحريف .
- (٥) ط : « الراجل » ، وتصحيحه من ل ، س .
- (٦) الزيادة من ل ، س وفي ط : « منذ ستين » .

أَطِيبُ من التَّمَر ، والحديثَ أطرف^(١) من العتيق ، والشئ من مَعْدِنِه
أَطِيب ، والفاكهة من أشجارها أطرف^(٢) . قال : فغضب شريكه^(٣)
مَسْبَح^(٤) الكَنَاس ثم قال : والله لقد وَبَّخْتُنَا ، وهَوَّلَتَ عَلَيْنَا ، حتى ظَنَنَّا
أَنَّكَ ستُجِيبُ بِجَوَابٍ لَا يَحْسُنُهُ أَحَدٌ ، مَا الْأَمْرُ عِنْدَنَا وَعِنْدَ أَصْحَابِنَا هَكَذَا .
قال : فقال لَنَا المَوسُوس : مَا الْجَوَابُ عَافَاكُمْ^(٥) الله ؛ فَإِنِّي مَانَمْتُ الْبَارِحَةَ
مِنَ الْفِكْرَةِ^(٦) فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ ؟ قَالَ مَسْبَح^(٧) : لَوْ أَنَّ لِرَجُلٍ أَلْفَ جَارِيَةٍ
حَسَنَاءَ^(٨) ثُمَّ عَتَقَنَ عِنْدَهُ لِبَرْدَتٍ شَهْوَتُهُ عَنْهُنَّ وَفُتِرَتْ ، ثُمَّ إِنْ رَأَى وَاحِدَةً
دُونَ أَحْسَنَ مِنْ فِي الْحَسَنِ صَبَا إِلَيْهَا^(٩) وَمَاتَ مِنْ شَهْوَتِهَا . فَبَيَّنْتَ وَرَدَانِ
تَسْتَظَرَفُ^(١٠) تِلْكَ اللَّطَافَةَ^(١١) وَقَدْ مَلَّتِ الْأَوَّلَى^(١٢) ؛ وَبَعْضُ النَّاسِ

(١) كَذَا فِي ط ، س وَفِي ل : « أَطْرَا » .

(٢) ل : « أَلَد » .

(٣) ط ، س : « شَرِيكَ » ، وَهُوَ تَحْرِيفُ صَوَابِهِ مِنْ ل .

(٤) كَذَا ضَبَطَ الْأِسْمَ فِي ل . وَجَاءَ فِي ط ، س : « مَسِيح » . وَلَمَسِحَ هَذَا
حَدِيثٌ فِي الْجُزْءِ الْأَوَّلِ مِنَ الْخِيَوَانِ ص ٢٤٥ .

(٥) س : « فَقَالَ لَهُ الْمَوْسُوس : مَا الْجَوَابُ عَافَاكَ » .

(٦) ل : « الْفِكْر » .

(٧) انْظُرِ التَّنْبِيْهَ رَقْم ٤ مِنْ هَذِهِ الصَّفْحَةِ .

(٨) ط : « جَوَارِي حَسَنَات » وَهُوَ تَحْرِيفٌ ، إِذْ أَنْ تَمَيِّزَ الْأَلْفَ مَفْرُودَ مَجْرُور .
وَصَوَابُهُ فِي ل ، س .

(٩) ل : « وَائْتَهَا » مَكَانَ : « صَبَا إِلَيْهَا » .

(١٠) كَذَا بِالْأَصْلِ . وَلَعَلَّهَا « تَسْتَظَرَفُ » .

(١١) س : « اللَّطَافَةُ » . وَهُوَ تَحْرِيفٌ مَا أَثْبَتَ مِنْ ط ، ل .

(١٢) ل : « الْأَوَّل » .

الفطيرُ أحبُّ إليه ^(١) من الخمير . وأيضاً إنَّ الكثيرَ يَمْنَعُ الشَّهْوَةَ ، ويورث الصَّدُوفَ ^(٢) . قال : فقال الموسوس - واستحسنَ جوابَ مسَبِّح ، بعد أن كان لا يرى جواباً إلاَّ جوابَ نوفل ^(٣) - : لا تعرفُ مقدارَ العالمِ حتَّى تجلسَ إلى غيره ! أنتم أعلم أهل هذه المدرة ، ولقد ^(٤) سألتُ علماءها عنه منذَ عشرينَ سنةً فما تخلصَ أحدٌ منهم إلى مثلٍ ما تخلصتم إليه . وقد والله - أنتمتم عيني ، وطابَ بكم عيشي ! وقد علمنا أن كلَّ شئٍ يُسْتَلَبُ استلاباً أنه ألدُّ وأطيب . ولذلك صارَ الدَّيِّبُ إلى الغلمانِ ونيكهم على جهةِ القهر ^(٥) ألدُّ [وأطيب] ، وكلُّ شئٍ يصيبه الرَّجلُ فهو أعزُّ عليه من المال الذي يرثه أو يوهب ^(٦) له .

(علة الحجاج بن يوسف)

قال : وحدَّثني أبانُ بن عثمان قال : قال الحجاجُ بنُ يوسفَ : واللهِ لَطَاعِي أَوْجَبُ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾

(١) كذا في ط . وفي ل ، س : « إليهم » وهما وجهان جائزان ؛ إذ أن لفظ « بعض » يصح أن يراعى فيه الأفراد ، ويصح أن يراعى فيه اكتساب الجمعية مما أضيف إليه من جمع . وينشدون لذلك قول جرير :
إذا بعض السنين تعرقتنا كفى الأيتام فقد أبي اليتيم
انظر الكامل ٣١٢ - ٣١٣ ليبسك ، والخزانة (٤ : ١٦٤ سلفية) وسيبويه ١ : ٢٥ بولاق .

(٢) الصدوف : العزوف عن الشيء والانصراف عنه . وفي ط ، س : « الصدود » وهو بمثل معناه .

(٣) ل : « أنه لاجواب إلا جواب نوفل » .

(٤) ل : « وأنتم أعلم أهل هذه المدرة ، لقد » .

(٥) ط ، س : « الضبط » ، وهو تحريف ما أثبت من ل

(٦) ط ، س : « الذي يوجب له » .

فَجَعَلَ فِيهَا مَثْنَوِيَّةً^(١) ؛ وقال : ﴿ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا ﴾ ولم يَجْعَلْ فيها مَثْنَوِيَّةً^(٢) ! ولو قلتُ لرجل : ادخل من هذا الباب ، فلم يدخل ، لحَلَّ لي دمه !

(احتجاج مدني وكوفي)

قال : وأخبرني محمد بن سليمان بن عبد الله النوفلي قال : قال رجلٌ من أهل الكوفة لرجل من أهل المدينة : نحن أشدُّ حبًّا لِرَسُولِ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم وعلى آله - مِنْكُمْ يا أهلَ المدينة ! فقال المدنيُّ : فما بَلَغَ مِنْ^(٣) حُبِّكَ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وعلى آله ؟ قال : ودِدْتُ أَنْ أُقْبِتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم - وأنتَ لم يكنْ وصلَّ إليه يومَ أُحُدٍ ، ولا في غيره من الأيام شيءٌ من المكروه^(٤) يكرهه إلا كان بي دونه ! فقال المدنيُّ : أفَعِنْدَكَ غيرُ هذا ؟ قال : وما يكونُ غيرُ هذا ؟ قال : ودِدْتُ أَنْ أبا طالبٍ كانَ آمَنَ فُسْرًا به النبيُّ صلى الله عليه وسلم وأُنِّي كافرٌ^(٥) !

(١) المثنوية : الاستثناء . وهو قوله تعالى : « ما استطعتم » .

(٢) فهم الحجاج أن المراد طاعة أولى الأمر ، وليس كما ظن ، بل المراد : اسمعوا المواعظ وأطيعوا الأوامر الإلهية ، أو اسمعوا لله ولرسوله ولكتاباه وأطيعوا الله فيما يأمركم . انظر تفسير الزمخشري ، والرازي ، والبيضاوي .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من س .

(٤) س : « شيء يكرهه » . وفي ط : « بشيء يكرهه » ، ولا تصح هذه الأخيرة

إلا ببناء « وصل » للمفعول .

(٥) لفظ « كان » ساقط من ل . وكلمة : « وأنِّي » هي في ل : « وأنا » .

(احتجاج رجل من وجوه أهل الشام)

وحدثني أبان بن عثمان قال : قال ابن أبي ليلى ^(١) : إني لأسأير رجلاً من وجوه أهل الشام ، إذ مرَّ بحمالٍ معه رُمَّان ، فتناول منه رُمَّانةً فجعلها في كُمِّه . فعَجِبْتُ من ذلك ، ثمَّ رجعت إلى نفسي وكذبت بصرى ، حتى مرَّ بسائلٍ فقير ^(٢) ، فأخرجها فناوله إيَّاهَا . قال : فعلمتُ أنَّي رأيتها ، فقلتُ له : رأيتُكَ قد فعلتَ عجباً ^(٣) . قال : وما هو؟ قلت : رأيتُكَ أخذتَ رُمَّانةً من حَمَالٍ وأعطيتها ^(٤) سائلاً؟ قال : وإنَّكَ ممَّن يقولُ هذا القول؟ ٦ أما علمتُ أنَّي أخذتها وكانت سيئةً وأعطيتها فكانت عشرَ حسناتٍ؟ قال : فقال ابن أبي ليلى : أما علمتُ أنَّكَ أخذتها فكانت سيئةً وأعطيتها فلم تُقبَل منك؟ !

(١) ابن أبي ليلى : هو محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، واسم أبي ليلى يسار .
ولى محمد القضاء لبني أمية ، ثم ولىه لبني العباس . وكان فقيهاً مفتياً بالرأى .
انظر أصحاب الرأى فى المعارف ص ٢١٦ .

(٢) ط ، س : « وكذبت عيني حتى مر به سائل » ، والوجه ما أثبت من ل .

(٣) ل : « فقلت رأيت منك عجباً » .

(٤) ل : « فأعطيتها » .

(من جهل الأعراب بالنحو)

وقال الربيع ^(١) : قلت لأعرابي : أَتَهْمِزُ إِسْرَائِيلَ ^(٢) ؟ قال : إِنِّي إِذَا لَرَجُلٌ سَوْءٌ ؟ قلت : أَتَجْرُ ^(٣) ؟ فَلَسْطِينَ ؟ قال : إِنِّي إِذَا لَقَوِيَّ .

(احتجاج رجل من أهل الجاهلية)

قال : وَحَدَّثَنَا حَمَّادُ بْنُ سَلَمَةَ قَالَ : كَانَ رَجُلٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَعَهُ مِخْجَنٌ ^(٤) يَتَنَاوَلُ بِهِ مَتَاعَ الْحَاجِّ ^(٥) سَرَقَهُ ، فَإِذَا قِيلَ لَهُ : سَرَقْتَ ! قَالَ : لَمْ أُسْرِقْ ، إِنَّمَا سَرَقَ مِخْجَنِي ! قَالَ : فَقَالَ حَمَادُ : لَوْ كَانَ هَذَا الْيَوْمَ حَيًّا لَكَانَ مِنْ أَصْحَابِ أَبِي حَنِيفَةَ !

(الأمش وجليسه)

قال : وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْقَاسِمِ قَالَ : قَالَ الْأَمَشُ لْجَلِيسٍ لَهُ : أَمَا تَسْتَهِي بِنَانِيَّ ^(٦) زُرْقَ الْعُيُونِ نَقِيَّةَ الْبَطُونِ ، سُودَ الظُّهُورِ ، وَأَرْغَفَةَ

(١) هو الربيع بن عبد الرحمن السلمى ، كما فى البيان ٢ : ٢٢٠ .

(٢) ط : « أَتَهْمِزُ أَمِ إِسْرَائِيلَ » ، وتصحيحه من س ، ل .

(٣) ط : « فَتَجْرُ » وأثبت ما فى ل . وقد أراد الربيع بالهمز والجر معناها الاصطلاحي وفهم الأعرابي من الهمز الغمز ، أو النخس ، أو الدفع ، أو الضرب ، أو العض ، كما فهم من الجر معناه اللغوى .

(٤) المِخْجَنُ : العصا المعوجة .

(٥) الْحَاجُّ : الحاجاج إلى البيت الحرام . وقد جاء على لفظ المفرد .

(٦) اللَّبْنَى ، بضم الباء : ضرب من السمك . والعامية فى مصر يكسرون باه . وجمعه « بَنَانَى » . وجاء فى ط : « بَنَانَى » وفى ل : « بَنَانِيَا » ، وهو تحريف ما أثبت من س .

حَارَّةً لَيْتَةً ، وَخَلًّا حَازِقًا ؟ قَالَ : بَلَى ! قَالَ : فَانْهَضْ بِنَا . قَالَ الرَّجُلُ :
فَنَهَضْتُ مَعَهُ وَدَخَلَ مَنْزِلَهُ . قَالَ : فَأَوْمَأَ إِلَيَّ : أَنْ خُذْ تِلْكَ السَّلَّةَ . قَالَ :
فَكَشَفَهَا فَإِذَا بَرِغِيضَيْنِ يَابَسَيْنِ ^(١) وَسُكَّرَجَةٍ كَامَخٍ ^(٢) شَبِثٍ ^(٣) . قَالَ : فَجَعَلَ
يَأْكُلُ . قَالَ : فَقَالَ لِي تَعَالَ كُلْ . فَقُلْتُ : وَأَيْنَ السَّمَكُ ؟ قَالَ : مَا عِنْدِي ،
[سَمَك] ، لِمَا قُلْتَ لَكَ : تَشْتَهِي !

(رَأَى حَفْصُ بْنُ غِيَاثٍ فِي فَقْهِ أَبِي حَنِيفَةَ)

قَالَ : وَسُئِلَ حَفْصُ بْنُ غِيَاثٍ ^(٤) عَنْ فَقْهِ أَبِي حَنِيفَةَ ، قَالَ : كَانَ
أَبْجَهَلَ النَّاسِ بِمَا يَكُونُ ^(٥) ، وَأَعْرَفَهُمْ بِمَا لَا يَكُونُ .

(١) ل : « فَإِذَا فِيهَا رَغِيْفَانِ يَا بَسَان » .

(٢) السُّكَّرَجَةُ ، بَفَتْحِ الْمِيمِ : ضَرْبٌ مِنْ مَشْبِيَّاتِ الطَّعَامِ ، قَوَامُهُ الْبَقُولُ وَالْمَلْحُ
وَاللَّبَنُ ، وَقَدْ تَضَافَ إِلَيْهِ بَعْضُ الْأَبَازِيرِ . انْظُرْ كِتَابَ الطَّبِيعِ لِلْبَغْدَادِيِّ ص ٦٨ وَشَفَاءُ
الْغَلِيلِ ١٧٠ .

(٣) الشَّبِثُ ، بِالْكَسْرِ : ضَرْبٌ مِنَ الْبَقُولِ . وَجَاءَ فِي ل : « شَبِثٌ » . وَفِي
الْقَامُوسِ : « الشَّبِثُ كَطَمَرٍ : هَذِهِ الْبَقْلَةُ الْمَعْرُوفَةُ » . وَفِي تَذَكُّرَةِ دَاوُدَ :
« شَبِثٌ بِالْمَثَلَةِ وَيُقَالُ بِالْمَثَلَةِ » ، فَهِيَ لَفْتَانِ .

(٤) هُوَ حَفْصُ بْنُ غِيَاثِ بْنِ طَلْقٍ ، وَكُنْيَتُهُ أَبُو عَمْرٍو . وَلَاهُ هَارُونُ الْقَضَاءُ بِبَغْدَادَ
بِالشَّرْقِيَّةِ ، ثُمَّ وَلَاهُ قَضَاءُ الْكُوفَةِ ، فَاتَّ بِهَا سَنَةَ ١٩٤ . وَكَانَ مِثْلًا فِي الزُّهْدِ
وَالْعِفَّةِ ؛ رَوَوْا أَنَّهُ مَرَضَ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا فَدَفَعَ إِلَى ابْنِهِ مِائَةَ دِرْهَمٍ ، وَقَالَ لَهُ : أَمْضُ
بِهَا إِلَى الْعَامِلِ وَقُلْ لَهُ : هَذِهِ رِزْقُ خَمْسَةِ عَشَرَ يَوْمًا ، لَمْ أَحْكَمْ فِيهَا بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ ،
لَا حَظَّ لِي فِيهَا ! وَقَدْ سَبَقَ الْخَبَرُ فِي ١ : ٣٤٧ . وَانْظُرِ الْبَيَانَ ٢ : ٢٥٣ حَيْثُ
الْمُسْتَوَلُ هُنَاكَ « شَرِيكَ » .

(٥) ل : « كَانَ » .

(علة خشنام بن هند)

وأما علة خُشْنَام^(١) بن هند ، فإنَّ خشنام بن هند كان شيخاً من الغالية^(٢) ، وكان ممن إذا أراد أن يسمي أبا بكر وعمر قال : الجبُّ والطَّاغوت ، ومُسْكر ونكير ، وأفُّ وتُفُّ ، [وكُسَيْر] وعَوِير^(٣) . وكان لا يزال يُدخل داره حماراً كَسَّاح^(٤) ويضربه مائة عصاً^(٥) على أن أبا بكر وعمر في جوفه . ولم أر قطُّ أشدَّ احتِرافاً^(٦) منه . وكان مع ذلك نبيزياً وصاحبَ حَمَام^(٧) . ويُشبهه في القَدِّ والخِرْط شيوخَ الحريَّة^(٨) . وكان من [بني] غُبَر^(٩) [من] صميمهم . وكان له بُنْيٌّ يتبعه ، فكان يزني أمه عند^(١٠) كلِّ حقٍّ وباطل ، وعند كلِّ جدٍّ وهزل . قلت له يوماً - ونحن

-
- (١) في القاموس : « خشنام : علم ، معرب خوش تام ، أى الطيب الاسم » .
 (٢) الغالية : فرقة من فرق الشيعة الخمس ، وهى الزيدية والكيسانية والإمامية والغلاة والإسماعيلية . والغالية ، أو الغلاة : هم الذين غلوا في حق أئمتهم حتى أخرجوهم من حدود الخلقية وحكوا فيهم بأحكام الإلهية ، وربما شهبوا واحداً من الأئمة بالإله ، وربما شهبوا الإله بالخلق . الملل والنحل ١ : ١٩٥ ، ٢ : ١٠ .
 (٣) انظر الاستدراكات في نهاية هذا الجزء .
 (٤) الكساح : الكناس . والمكسحة : المكنتة . والسكاسحة ، بالضم : الكناسة
 (٥) ط ، ل : « عصى » . والوجه كتابته بالألف كما في س .
 (٦) الاحتراف ، من الحرفة بمعنى الفقر . انظر المعارف ١٩٧ . وفي ط . س : « احتراقاً » .
 (٧) أى يلعب بالهام ويقامر به .
 (٨) الحريية : محلة كبيرة ببغداد ، قنسب إلى حرب بن عبد الله البلخي . انظر ص ٠٨ .
 (٩) غبر ، كزفر : قبيلة من يشكر ، كما في تاج العروس . وفي ط ، س « غير »
 وتصحيحه من ل .
 (١٠) ل : « في » . يزنيها : يقدفها بالزنى .

عند بنى رُبْعِيٍّ : وَيَحْكُ ، بِأَيِّ شَيْءٍ تَسْتَحِلُّ أَنْ تَقْذِفَ أُمَّهُ بِالزَّوْنَا ؟ فَقَالَ :
 لَوْ كَانَ عَلَى فِى ذَلِكَ حَرَجٌ لِمَا قَذَفْتَهَا ! قُلْتُ : فَلِمَ تَزَوَّجْتَ امْرَأَةً لَيْسَ
 فِي قَذْفِهَا حَرَجٌ ؟ قَالَ : إِنِّي قَدْ احْتَلْتُ حِيلَةً حَتَّى حَلَّ لِي مِنْ أَجْلِهَا مَا كَانَ
 يَحْرَمُ . قُلْتُ : وَمَا تِلْكَ الْحِيلَةُ ؟ قَالَ : أَنَا رَجُلٌ حَدِيدٌ ، وَهَذَا غُلَامٌ عَارِمٌ ،
 وَقَدْ كُنْتُ ^(١) طَلَّقْتُ أُمَّهُ فَكُنْتُ إِذَا افْتَرَبْتُ عَلَيْهَا ^(٢) أَثَمْتُ ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي :
 إِنْ أُرْغَتْهَا ^(٣) وَخَدَعْتُهَا حَتَّى أَنْيَكَهَا مَرَّةً وَاحِدَةً حَلَّ لِي بَعْدَ ذَلِكَ افْتِرَائِي
 عَلَيْهَا ^(٤) ، بَلْ لَا يَكُونُ قَوْلِي حِينَئِذٍ فِرْيَةً ، وَعَلِمْتُ أَنَّ زَنِيَّةً وَاحِدَةً لَا تَعْدِلُ
 عَشْرَةَ ^(٥) آلَافٍ فِرْيَةٍ . فَأَنَا الْيَوْمَ أَصْدُقُّ وَلَسْتُ أَكْذِبُ . وَالصَّادِقُ مُأْجُورٌ .
 إِنِّي وَاللَّهِ مَا أَشْكُ أَنَّ اللَّهَ إِذَا عَلِمَ أَنِّي لَمْ أَزِنْ بِهَا تِلْكَ الْمَرَّةَ ^(٥) إِلَّا مِنْ خَوْفِ الْإِثْمِ ٧
 إِذَا قَذَفْتُهَا ^(٦) — أَتُهُ سَيَجْعَلُ ^(٧) تِلْكَ الزَّانِيَةَ لَهُ طَاعَةً ^(٨) فَقُلْتُ : أَنْتَ الْآنَ عَلَى
 [يَقِين] أَنَّ زَنَاكَ طَاعَةٌ لِلَّهِ تَعَالَى ؟ قَالَ : نَعَمْ .

(١) ل : « قد » .

(٢) ل : « عليه » ، والمعنى يصح بكلمتا العبارتين .

(٣) أُرْغَتْهَا : أُرْدَتْهَا وَطَلَبَتْهَا أَوْ خَادَعَتْهَا . وَفِي ط : « أَعْبَثَ بِهَا » وَفِي س :
 « أَعْبَتْهَا » ، وَهِيَ تَحْرِيفٌ مَا أَثْبَتَ مِنْ ل .

(٤) فِي الْأَصْلِ : « عَشْر » . وَالْأَلْفُ مَذْكُورٌ .

(٥) س : « الْمَرْأَةُ » ، وَتَصَحُّ بِتَكْلُفٍ .

(٦) ل : « قَذَفْتَهُ » ، وَيَصَحُّ الْمَعْنَى بِالْعِبَارَتَيْنِ .

(٧) ل : « فَتَجْعَلُ لِي » ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٨) ط ، س : « طَاعَةُ اللَّهِ » ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ مَا فِي ل .

(حجة الشيخ الإباضى في كراهية الشيعة)

قال الشيخ الإباضى [وقد ذهب عنى اسمه وكنيته] وهو حنّ أبى بكر ابن بريرة^(١) - وجرى يوماً [شىء من] ذكر النشيع والشيعة ، فأنكر ذلك واشتد غضبه عليهم ، فتوهمت أن ذلك إنما اعتراه للإباضية التى فيه ، [وقلت]^(٢) : وما على إن سألته ؟ فإنه يُقال : إن السائل لا يعدمه أن يسمَعَ فى الجواب حجة أو حيلة [أو ملحة]^(٣) - فقلت : وما أنكرت من التشيع و [من ذكر] الشيعة ؟ قال : أنكرت منه مكان الشين التى فى أول الكلمة ؛ لأننى لم أجد الشين فى أول كلمة قط إلا وهى مسخوطة^(٤) مثل : شوم ، وشر ، وشيطان ، وشغب ، وشح^(٥) ، وشمال ، وشجن^(٦) ، وشيب ، وشين^(٧) ، وشراسة ، وشنج^(٨) ، وشك ، وشوكة ، وشبث ، وشرك ، وشارب^(٩) ، وشطير ، وشطور ، وشيرة^(١٠) وشانى^(١١) ، وشتم ،

(١) ط ، س : « برة » ، وأثبت ما فى ل . انظر ص ٩ س ٩ .

(٢) زيادة يفتقر إليها الكلام .

(٣) الزيادة من ل ، س .

(٤) ل : « إلا مسخوطة » .

(٥) كذا فى س ، ط . وفى ل : « وشين » .

(٦) ط « شجرة » ، وهو تحريف ما أثبت من س . وفى ل : « وشخت » .

(٧) بدل هاتين الكلمتين فى س ، « وشيب وشتيت » وفى ل : « وشتيت وشيب » .

(٨) الشنج ، بالصحريك : تقبض الجلد . وبده فى ل : « وشح » .

(٩) فى ل مكان الكلمات الأربع : « وشوك وشازب وشارد » . وفى ط أعيدت كلمة « شوكة » بين « شبت » و « شرك » . الشبث ، محرّكة : العنكبوت ، أو دويبة كثيرة الأرجل . والشازب ، التى وردت فى ل ، هو الحشن ، أو الضامر اليابس .

(١٠) كذا فى ل . ويراد بها شعر للعانة . وق ط ، س : « شعر » محرّفة .

(١١) للشانى ، مخفف الشانى : المبخض العدو . وفى ط : « شانى » . وفى ل « شابسى » وأثبت ما فى س . وقد جاء اللفظان معا فى عيون الأخبار ٢ : ٥٦ .

وشتيم^(١) ، وشيطرج^(٢) ، وشنعة ، وشناعة ؛ وشامة^(٣) ، وشوصة ، وشتر
وشجوب^(٤) وشجة ، وشطون ، وشاطن^(٥) ، وشن^(٦) ، وشلل ، وشيص^(٧)
وشاطر ، وشاطرة^(٨) ، وشاحب .

قلت [له] : ما سمعتُ منكلمًا قطُّ يقول هذا ولا يبلغه ، ولا يقومُ لهؤلاء
القومُ قائمةٌ بعد هذا^(٩) !

-
- (١) الشتم : الكريه الوجه .
(٢) الشيطرج : نبت يوجد بالقرب من الخراب ، ورائحته ثقيلة حادة ، وطعمه إلى مرارة . وفي س ، ط : « شطرنج » ، وهو تحريف ما في ل .
(٣) زيادة هذه الكلمة من ل ، س . والشامة والمشامة ، من الشؤم ، ضد البينة والميمنة ، من التمين .
(٤) الشوصة ، بالفتح وقد يضم : وجع في البطن ، أو ريح تعقب في الأضلاع ، أو ورم في حجابها . والشتر ، بالفتح : القطع ، أو انقلاب الجفن من أعلى وأسفل وانشقاقه ، أو استرخاء أسنله . وهاتان الكلمتان موضعهما في ل بعد كلمة : « شاطرة » .
(٥) الشطون : البعيدة . والشاطن : الخبيث .
(٦) الشن ، بالفتح : القرية الخلق الصغيرة .
(٧) الشيص ، بالكسر : أردأ التمر ، ووجع الضرس أو البطن .
(٨) الشاطر : الذي أعيا أهله ومؤدبه خبثا ، وقد يراد بها اللص . وفي ل : « وشاطر وشطارة » . والشطارة : مصدر شطر : صار شاطرا .
(٩) هذا الخبر الذي ساقه الجاحظ - حديثا بينه وبين الشيخ الإباضي - تجده في العقد ١ : ٣٥٤ قد ساقه الجاحظ أيضا حديثا بين رجل من رؤساء التجار وشيخ شرس الأخلاق كان راكبا مع التاجر في سفينة . ولست أدري من أى كتب الجاحظ نقل صاحب العقد هذا الخبر على ذلك الوجه . كما أننا نجد هذا الخبر في عيون الأخبار ٢ : ٥٦ مصدرا بعبارة : « قال عمرو بن بحر : ذكر لي ذاكر عن شيخ من الإباضية » .

(حيلة أبي كعب القاص)

قال : وتعشى أبو كعب القاصُّ بطفشيل^(١) كثير اللوبيا ، وأكثر منه ، وشرب نبيذ تمر ، وغلّس إلى بعض المساجد ليقصَّ على أهله ، إذ^(٢) انفتل الإمام من الصلاة فصادف زحاما كثيرا ، ومسجدا مستورا بالبوارى^(٣) من البرد والريح والمطر ، وإذا محراب غائر في الحائط ، وإذا الإمام شيخ ضعيف ؛ فلما صلى استدبر المحراب وجلس في زاوية منه يسبح ، وقام أبو كعب فجعل ظهره إلى وجه الإمام ووجهه إلى وجوه القوم^(٤) ، وطبق وجه المحراب بحسمه وفروته وعمامته وكسائه ، ولم يكن بين فمحه وبين أنف الإمام كبير شيء ، وقصّ وتحرك بطنه ، فأراد أن يتفرج بفسوة وخاف أن يصير ضراطا^(٥) ، فقال في قصصه : قولوا جميعاً : لا إله إلا الله ! وارفَعوا بها أصواتكم : وفَسَا فِسوة في المحراب فدارت فيه وجثمت^(٦) على أنف الشيخ واحتملها ، ثم كدّه بطنه فاحتاج إلى أخرى فقال : قولوا : لا إله إلا الله ! وارفَعوا بها أصواتكم . فأرسل فِسوة أخرى فلم تُخطِ أنف الشيخ ،

(١) الطفشيل ، ضبطه بعضهم بكسر الطاء والشين ، وصاحب القاموس جعله (طفشيل) وزان سميذع ، وقال : إنه نوع من المرق . أما صاحب كتاب الطبخ فقد جعل الطفشيل ضربا من التنويريات ، أى الأطعمة التى تنضج فى التنور . وجاء فى منهاج الدكان ٢٢٠ : « طفشيل : كل طعام يعمل من القطاني ، أعنى الحبوب ، كالعدس والجلبان ، وما أشبه ذلك » . وانظر الحيوان ٥ : ٢٢٦ .

(٢) فى الأصل : « إذا » .

(٣) البوارى : الحصر المنسوجة .

(٤) ل : « الناس » .

(٥) ل : « ضربة » . وفى س : « ينفرج » بدل : « يتفرج » .

(٦) جثمت : لزمت مكانها . وفى ط : « جثمت » ، والوجه ما ل ، س .

وَاخْتَنَقْتُ^(١) فِي الْمَحْرَابِ . فَخَمَّرَ الشَّيْخُ أَنْفَهُ^(٢) ، فَصَارَ لَا يَدْرِي مَا يَصْنَعُ .
 إِنَّهُ هُوَ تَنَفَّسَ قَتَلَتْهُ الرَّائِحَةُ ، وَإِنْ هُوَ لَمْ يَتَنَفَّسْ مَاتَ كَرْبًا . فَمَا زَالَ يُدَارِي
 ذَلِكَ ، وَأَبُو كَعْبٍ يَقْصُ ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَبُو كَعْبٍ أَنْ احتَاجَ إِلَى أُخْرَى . وَكَلِمَا
 طَالَ لُبُّهُ تَوَلَّدَ فِي بَطْنِهِ مِنَ النَّفْخِ عَلَى حَسَبِ ذَلِكَ . فَقَالَ : قُولُوا جَمِيعًا :
 لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ! وَارْفَعُوا بِهَا أَصْوَاتَكُمْ . فَقَالَ الشَّيْخُ مِنَ الْمَحْرَابِ - [وَأُطْلِعَ ٨
 رَأْسَهُ وَقَالَ] - : لَا تَقُولُوا ! لَا تَقُولُوا ! قَدْ قَتَلَنِي ! إِنَّمَا يَرِيدُ أَنْ يَفْسُو !
 ثُمَّ جَذَبَ إِلَيْهِ ثَوْبَ أَبِي كَعْبٍ وَقَالَ : جِئْتُ إِلَى هَاهُنَا لَتَفْسُو^(٣) أَوْ تَقْصُ ؟
 فَقَالَ : جِئْنَا لِنَقْصُ^(٤) ، فَإِذَا نَزَلَتْ بَلِيَّةٌ فَلَا بَدَّ لَنَا وَلَكُمْ مِنَ الصَّبْرِ ! فَضَحِكَ
 النَّاسُ ، وَاخْتَلَطَ الْمَجْلِسُ .

(جواب أبي كعب القاص)

وَأَبُو كَعْبٍ هَذَا هُوَ الَّذِي كَانَ يَقْصُ فِي مَسْجِدِ عَتَابٍ كُلَّ أَرْبَعٍ^(٥)
 فَاحْتَبَسَ عَلَيْهِمْ فِي بَعْضِ الْأَيَّامِ وَطَالَ انْتِظَارُهُمْ لَهُ . فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ جَاءَ
 رَسُولُهُ فَمَالَ : يَقُولُ لَكُمْ أَبُو كَعْبٍ : انْصَرَفُوا ؛ فَإِنِّي قَدْ أَصْبَحْتُ
 [الْيَوْمَ] مَخْمُورًا !

(١) كَذَا فِي ل . وَفِي ط ، س : « اخْتَنَقْتُ » .

(٢) نَهَرَ أَنْفَهُ : غَطَاهُ .

(٣) ل : « تَفْسُو » .

(٤) ل : « نَقْصُ » .

(٥) هُوَ مَقْصُور : « أَرْبَعَاءُ » .

(علة عبد العزيز)

وأما علة عبد العزيز بشكست فإنَّ عبدَ العزيز كان له مالٌ ، وكان إذا جاء وقتُ الزَّكاةِ وجاء القَوَّادُ بـغلامٍ مؤاجر^(١) ، قال : يا غلام ألك أم ؟ ألك^(٢) خالات ؟ فيقول الغلام : نعم . فيقول : خذْ هذه العشرة الدراهم — أو خذْ هذه الدنانير — مِنْ زكاةِ مالى ، فادفعها إليهنَّ ، وإن شئتَ أن تُبركني^(٣) بعد ذلك على جهة المكارمة ، [فافعل] ، وإن شئتَ أن تنصرف فانصرف . فيقول ذلك وهو واثقٌ أنَّ الغلامَ لا يمنعه بعد أخذ الدراهم ، وهو يعلم أنه لن^(٤) يبلغ من صلاحِ طباعِ المؤاجرين أن يؤدوا الأمانات . فغبر^(٥) بذلك ثلاثين سنة وليس له زكاةٌ إلَّا عند أمهاتِ المؤاجرين وأخواتهم وخالاتهم .

(١) لفظة عباسية ، يقصد بها من يستأجره اللاطة . انظر كنيات الجرجاني ص

١٢٠ س ١١ وأخبار أبي نواس لابن منظور ٩ ، ١٧ .

(٢) يقال أبركه : جملة يبرك . وقد كنى بقوله . وفي ط « تلزمنى » وأثبت . مافى س ، ل .

(٣) ل : « لم » .

(٤) ط : « فغبر » وليست من كلام الجاحظ . وأثبت مافى ل ، س ، وغبر .

بمعنى بقى وظل .

(احتجاج طيب كوفي للتسمية بمحمد)

وحدثني محمد بن عباد بن كاسب قال : قال لي الفضل بن مروان^(١)
 شيخ من طيِّاب^(٢) الكوفيِّين وأغبيّائهم^(٣) : إنَّ وُلِدَ لك مائةٌ ذكرٍ فسمهم
 كلَّهم محمداً ، [وكنَّهم بمحمد] ؛ فإنَّك ستري فيهم البركة . أو تدرى
 لأيِّ شئٍ كثر مالى ؟ قلت : لا والله ما أدرى . قال : لئنما كثر مالى لأتَّى
 سميتُ نفسى فيما بينى وبينَ الله محمداً ! وإذا كان اسمى عندَ الله محمداً فما أبالى
 ما قال الناس !

(جواب أحمد بن رباح الجوهري)

وشبه هذا الحديث قول المروزي^(٤) : قلت : لأحمد بن رباح الجوهري
 اشتريت كساءً أبيضَ طبرياً بأربعمائة درهم ، وهو عند الناس - فيما ترى
 عيونهم قومسى^(٥) يساوى مائة درهمٍ ؛ قال : إذا علم الله أنَّه طبرىُّ ففاعلى ممَّا
 قال الناس ؟ !

(١) ل : « مرزوق » .

(٢) الطيِّاب : جمع طيب ، مثل جيد وجياد ، والطيب : الفكه المزاج . انظر البيان
 ٣ : ١١٥ ، ١٥٢ وسيبويه ٢ : ٢١١ . وما سبق في ص ٦ ، ٧ .

(٣) ط ، س : « وأغبيّائهم » واعتمدت ما في ل . انظر ص ٦ س ٧ .

(٤) ل : « المرزوق » .

(٥) قومسى : نسبة إلى قومس ، بضم القاف وفتح الميم : كافى للقاموس . أو بضم القاف
 وكسر الميم كافى المعجم . وهى صتق كبير بين خراسان وبلاد الجبل .

(احتجاجُ حارسٍ يَكْنَى أبا خزيمة)

وكان عندنا حارسٌ يَكْنَى أبا خزيمة ، فقلت يوماً - وقد خطرَ على
بالي - : كيفَ اِكْتَنَى هذا العِلْجُ الأَلَكَنُ بأبي^(١) خزيمة ؟ ثمَّ رأيتُه
فقلت له : خبرني عنك ، أكان أبوك يسمَّى خزيمة ؟ قال : لا . قلت :
فجدُّك أو عمك أو خالك ؟ قال : لا . قلت : فلك ابنٌ يسمَّى خزيمة ؟ قال :
لا . قلت : فكان لك مولى يسمَّى خزيمة ؟ قال : لا . قلت : فكان
في قريتك رجلٌ صالحٌ أو فقيهٌ يسمَّى خزيمة ؟ قال : لا . قلت : فلم اِكْتَنَيْتَ
بأبي^(١) خزيمة ، وأنتَ عِلْجٌ أَلَكَنُ ، وأنتَ فقيرٌ ، وأنتَ حارسٌ ؟ قال :
هكذا اشتبهت . قلت : فلأى شَيْءٍ اِشْتَهَيْتَ هذه الكنيةَ من بينِ جميعِ
الكنى ؟ قال : ما يُدْرِينِي . قلتُ : فَتَبِعُهَا السَّاعَةَ بدينارٍ ، وَتَسَكُنُنِي بِأبَى
كنيةٍ شئتُ ؟ قال : لا وَاللَّهِ ، ولا بالدُّنْيَا^(٢) وما فيها !

(جواب الزیادی)

وحدثني مَسْعُودَةُ بن طارق ، قالت للزِيَادِيَّ - ومررتُ به وهو جالسٌ
في يومِ غَمَقٍ^(٣) حارٌّ ومِدٍ^(٤) ، على باب داره في شروع نهر

(١) ط ، س : « أبا » ، والمعروف في « اِكْتَنَى » أن يتعدى بالباء كما في اللسان . وأما الذي
يتعدى بنفسه أو بالباء فهو « كنيته وكنوته وأكنيته وكنيته » .

(٢) ط : « بالدينار » وتصحيحه من ل ، س .

(٣) يوم غمق ، كفرح ، ذوندى وثقل ، أو لريحه خفة وفساد . وفي ط ، س : « يوم غيم » .
والوجه ما أثبت من ل ، وهو الموافق لكلمة « ومِد » الآتية .

(٤) اليوم الومد : ذو الومد بالتحريك ، وهو الوندى يجيئ في صميم الحر من قبل البحر .

الجُوبار^(١) بأردية^(٢) ، وإذا ذلك البحر يبخر في أنفه^(٣) — قال : فقلت له
بعث دارك وحظك من دار جدك زياد بن أبي سفيان ، وتركت مجلسك
في ساباط غيث^(٤) ، وإشراكك على رحة بنى هاشم ، ومجلسك في الأبواب
التي تلى رحة بنى سليم ، وجلست على هذا النهر في مثل هذا اليوم ،
ورضيت به جارا ؟ قال . نلت أطول آمالي في قرب هؤلاء [البرّازين] . قلت
له : لو كنت بقرب المقابر فقلت نزلت^(٥) هذا الموضع للاتعاط به والاعتبار
كان ذلك وجهاً . ولو كنت بقرب الحسّادين فقلت لأتذكّر بهذه
النيران والكيران^(٦) نار جهنّم ، كان ذلك قولاً . ولو كنت اشترت
داراً بقرب العطّارين فاعتللت بطلب^(٧) رائحة الطيب كان ذلك وجهاً

(١) الجوبار : بضم الجيم : محلة بأصبهان . قال ياقوت : « جو بالفارسية النهر
الصغير ؛ وبار كأنه مسيله . فمعناه على هذا مسيل النهر الصغير » قال صاحب
الألفاظ الفارسية المعربة : « وهو مركب من جوى أى سيل ، ومن بار ، وهى
من الأدوات التى تدل على الكثرة » . وفى ط ، س « الحونان ، وتصحيحه
من ل ومعجم البلدان .

(٢) كذا . وهذه الكلمة ليست فى ل . ولعل الوجه حذفها .

(٣) ط : « ينجر » ، وهو تحريف ما أثبت من ل ، س . وكلمة « البحر » مى
فى ل : « النهر » .

(٤) الساباط : السقيفة بين دارين تحتهما طريق نافذ . ياقوت والقاموس . قال صاحب
الألفاظ الفارسية : « مأخوذة من سايه بوش ، ومعناها المظلة » . وكلمة « غيث »
هى فى ط ، س : « غيث » .

(٥) ل : « تركت » ، وهو تحريف ما أثبت من ط ، س .

(٦) جمع كبير : وهو الزرق ينفخ فيه الحداد .

(٧) كذا فى ط . وفى س ، ل : « بطيب » .

فَأَمَّا قُرْبُ الْبَرَازِينَ^(١) فقط فهذا ما لا أعرفه . أَفَلَكَ فِيهِمْ دَارُ غَلَّةٍ ، أَوْ هَلْ لَكَ عَلَيْهِمْ دُيُونٌ حَالَةٌ ، أَوْ هَلْ لَكَ فِيهِمْ أَوْ عِنْدَهُمْ غِلْمَانٌ يُؤَدُّونَ الصَّرِيبةَ ، أَوْ هَلْ لَكَ مَعَهُمْ شِرْكَةٌ مُضَارَبَةٌ ؟ قَالَ : لَا . قُلْتُ : فَمَا تَرْجُو إِذَا مِنْ قَرَبِهِمْ^(٢) ؟ فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ إِلَّا : نَلْتُ آمَالِي^(٣) بِقُرْبِ الْبَرَازِينَ^(٤) .

(حكاية ثمامة عن مرور)

وحدثني ثمامة بن أشرس قال : كان رجلٌ مرورٌ يقوم كلَّ يومٍ فيأْتِي دَالِيَةً لِقَوْمٍ ، وَلَا يَزَالُ يَمْشِي مَعَ رِجَالِ الدَّالِيَةِ عَلَى ذَلِكَ الْجَذَعِ^(٥) ذَاهِبًا وَجَائِيًا ، فِي شِدَّةِ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ . حَتَّى إِذَا أَمْسَى نَزَلَ إِلَيْهِمْ وَتَوَضَّأَ وَصَلَّى ، وَقَالَ : اللَّهُمَّ اجْعَلْ لَنَا مِنْ هَذَا فَرْجًا وَمَخْرَجًا ! ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى بَيْتِهِ . فَكَانَ كَذَلِكَ حَتَّى مَاتَ .

(بين أعمى وقائده)

وحدثني المكيُّ قال : كان رجلٌ يقود أعمى بِكِرَاءٍ^(٥) ، وَكَانَ الْأَعْمَى رَجُلًا عَثَرَ الْعَثْرَةَ وَنَكِبَ النَّكْبَةَ ، فيقول : اللَّهُمَّ أَبْدِلْ

(١) البراز : بائع البرّ يفتح الباء ، وهو الثياب ، أو متاع البيت من الثياب . والبراز : بيع بزر الكتان ، أى زيته بلغة البغدادية . وفى ط : « البرازين » وأثبت ما فى س ، ل .

(٢) ل : « قرب البرازين » .

(٣) فى الأصل ، وهو هنا ل : « قنت إمالى » ، وجهه ما أثبت .

(٤) ط « الجزع » ، وتصحيحه من ل ، س .

(٥) الكراء : الأجرة .

لى (١) به قائداً خيراً منه ! قال : فقال القائد : اللَّهُمَّ أَبْدِلْ لى (١) به أعمى خيراً لى منه .

(حماقة ممرور)

وحدثنى يزيدُ مولى إسحاقَ بن عيسى قال : كُنَّا فى منزل صاحب لنا ، إذْ خرج واحدٌ من جماعةنا لِيَقِيلَ فى البيت الآخر (٢) ، فلم يلبث إلّا ساعةً حتى سمعناه يصيح : أوّه (٣) أوّه ! قال : فنَهَضْنَا بِأَجْمَعِنَا إِلَيْهِ فَزَعِين ، فقلنا له : مالك ؟ وإذا هو نائمٌ على شِقِّهِ الأيسر ، وهو قابضٌ على خصيته بيده (٤) . فقلت له : لم صحت ؟ قال : إذا غزيتُ خُصَّتِي اشتكيتها ، وإذا اشتكيتها صحت . قال : فقلنا له : لا تَغْمِزْها بعدُ حتى لا تشتكى ! قال : نعم إن شاء الله تعالى .

(حماقة مولاة عيسى بن على)

قال يزيد : وكانت لعيسى بن على مولاةٌ عجوزٌ خُرَّاسانيةٌ تصرُخ بالليل من ضَرْبانِ ضرَس لها ، فكانت قد أَرَقَّتْ الأميرَ إسحاق ، فقلت له : إنَّها مع ذلك لا تَدَعُ أَكْلَ التمر ! قال : فبعث إليها بالغداة فقال لها : أنا أكلين التمر بالنهار وتَصِيحِينَ بالليل ؟ فقالت : إذا اشتبهتُ أَكَلْتُ وإذا أوجعَنى صَحَّت !

(١) فى عيون الأخبار ٢ : ٤٨ حيث يوجد الخبر : « أبدلى » .

(٢) قال يقييل : نام فى القائلة ، وهى منتصف النهار . فى س : « فى بيت الآخر » .

(٣) كلمة تقال عند التوجع والألم . وفيها ثلاث عشرة لغة ذكرها الفيروزبady .

(٤) ل : « بيديه » .

(حكاية ثمامة عن مرور)

١٠ وحدثني ثمامة قال : مررتُ في غبٍّ مطرٍ والأرضُ نديَّةٌ ، والسَّماءُ متغيِّمةٌ ، والريِّحُ شمَالٌ ، وإذا شيخٌ أصفرٌ كأنَّه جَرَادَةٌ ، وقد جلسَ على قارعة الطَّرِيقِ ، وحجَّامٌ زنجيٌّ يَحْجُمُهُ ، وقد وضع على كاهله وأخذَ عينه محاجِمٌ ، كلٌّ مُحْجَمَةٌ كأنَّها قَعْبٌ ، وقد مَصَّ دَمَهُ حَتَّى كَادَ أَنْ يَسْتَفِرَّ غَه . قال : فوقفتُ عليه فقلت : يا شيخُ لِمَ تَحْتَجِّمُ في هذا البردِ ^(١) ؟ قال لمكانِ هذا الصَّفارِ ^(٢) الذي بي .

(صنيع مرور)

وحدثني ثمامة قال : حدَّثني سعيد بن مسلم ^(٣) قال : كُنَّا بِحُجْرَاسَانَ في منزلٍ بعضِ الدَّهَاقِينَ ونحنُ شَبَابٌ ، وفيْنَا شيخٌ . قال : فَأَتَانَا رَبٌّ لِمَنْزِلٍ بَدُوهن طيبٌ فَدَهَنَ بَعْضُنَا رَأْسَهُ ، وَبَعْضُنَا لَحِيَّتَهُ ، وَبَعْضُنَا مَسَحَ

(١) الزيادة من المقد ٤ : ٢٠٣ حيث يوجد الخبر .

(٢) الصفار ، بالضم : الماء الأصفر يجتمع في البطن ، أو دود فيها . كذا في القاموس وقد عبر عنه صاحب مفاتيح العلوم ص ٩٨ بكلمتي « اليرقان والأرقان » وقال : « هما صفار ، وهو أن تصفر عينا الإنسان ولونه بامتلاء مرارته ، واختلاط المرة الصفراء بدمه » . وانظر هذا الخبر في عيون الأخبار ٢ : ٥٢ .

(٣) كذا في ط ، ل . وفي س : « سلم » . وهذا الحديث الآتي تجده أيضا في عيون الأخبار ٢ : ٥٦ مع اختلاف يسير .

شارِبِه ، وَبَعْضُنَا مَسَحَ يَدَيْهِ وَأَمَرَهُمَا عَلَى وَجْهِهِ ، وَبَعْضُنَا أَخَذَ بَطَرَفِ
إِصْبَعِهِ فَأَدْخَلَ فِي أَنْفِهِ وَمَسَحَ بِهِ شَارِبَهُ . فَعَمَدَ ^(١) الشَّيْخُ إِلَى بَقِيَّةِ الدُّهْنِ
فَصَبَّهَا فِي أُذُنِهِ ، فَقُلْنَا لَهُ : وَيْحَكَ ، خَالَفْتَ أَصْحَابَكَ كُلَّهُمْ ! هَلْ رَأَيْتَ
أَحَدًا إِذَا اتَّوَّهُ بِدُهْنٍ طَيِّبٍ صَبَّهَ ^(٢) فِي أُذُنِهِ ؟ قَالَ : فَإِنَّهُ مَعَ هَذَا
يُضْرَتُنِي ^(٣) ؟

(أَمْرُ عَيْصٍ ، سَيِّدِ بْنِ تَمِيمٍ)

وَحَدَّثَنِي مَسْعَدَةُ بْنُ طَارِقٍ [الدَّرَّاعُ] ^(٤) قَالَ : وَاللَّهِ إِنَّا لَوُقُوفٌ
عَلَى حُدُودِ دَارِ فُلَانٍ لِلْقِسْمَةِ ، وَنَحْنُ فِي خَصُومَةٍ ، إِذْ أَقْبَلَ [عَيْصٌ] ^(٥)
سَيِّدُ بَنِي تَمِيمٍ وَمُوسِرُهُمْ ^(٦) وَالَّذِي يَصَلِّي عَلَى جَنَائِزِهِمْ . فَلَمَّا رَأَيْنَاهُ مُقْبِلًا
إِلَيْنَا أَمْسَكْنَا عَنِ الْكَلَامِ ، فَأَقْبَلَ عَلَيْنَا فَقَالَ : حَدِّثُونِي عَنْ هَذِهِ الدَّارِ ،
هَلْ ضَمَّ مِنْهَا بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ أَحَدٌ ^(٧) ؟ ! قَالَ مَسْعَدَةُ : فَأَنَا مُنْذُ سَنِينَ ^(٨)

(١) عمد : قصد . وفي ط ، س : « وتعمد » ، ولا تصح هذه الكلمة مع وجود « إلى » ، وصوابها في ل .

(٢) ل : « فصبه » وهو تحريف مافي ط ، س .

(٣) ط ، س . « فأنها مع ذلك تضرتني » ولها وجه ، أي فإن تلك الفعل ، وقد أثبت مافي ل .

(٤) عني بكلمة : « الدَّرَّاع » من يذرع الأرض ، أي يقيسها .

(٥) الزيادة من العقد (٤ : ٢٠٣)

(٦) موسرهم : غنيهم . وفي ط « مؤسرهم » محرفة .

(٧) كذا في ل ، س . وفي ط : « ألدنا » وبهذه يخف انبهام الكلام ،

مع ان الغاية من الحديث بيان شدة انبهام حديث التميمي . وكلمة « بعضها » هي

في ل : « بعض » . وفي العقد : « هل ضم بعضها إلى بعض أحد » .

(٨) ل : « منذ ستين سنة » . ومثل ذلك في العقد .

أفكّرُ في كلامه ما أدرى ماعَى به . [قال : وقال لى مرة : مامن شر من ذين ! قلت : ولم ذاك ؟ قال : من جرا يتعلقون] .

وحدثنى الخليل بن يحيى السلولي قال : نازع التيمي بعض بني عمه في حائط ، فبعث إلينا لنشهد على شهادته^(١) ، فأتاه جماعة منهم^(٢) الحميري والزهرى ، والزيادى ، والبكراوى . فلما صرنا إليه وقف بنا على الحائط وقال : أشهدكم جميعاً أن نصف هذا الحائط لى !

(جواب ممرور)

قال : وقدم ابن عم له إلى عمر بن حبيب ، وأدعى عليه ألف درهم فقال ابن عمه : ما أعرفُ مما قالَ قليلاً ولا كثيراً ، ولا له على شيء ! قال : أصلحك الله تعالى ! فاكُتُبْ بإنكاره . قال : فقال عمر : الإنكار لا يفوتك^(٣) ، متى أردته فهو بينَ يديك !

(أمنية أبى عتاب الجرّار)

قال : وقلت لأبى عتاب الجرّار^(٤) : ألا ترى عبد العزيز الغزال وما يتكلم به فى قصصه؟ قال : وأى شيء^(٥) قاله؟ [قلت] :^(٦) قال : لبت الله تعالى

(١) ل : « ليشهدنا على شهادة » .

(٢) ل : « فيهم » .

(٣) ل : « ليس يفوتك منه » .

(٤) فى الأصل : « لابن عتاب » ، وكنية الرجل « أبو عتاب » كما فى البيان (٢ :

٣١٨) وعيون الأخبار ٢ : ٤٨ والعقد ٤ : ١٩٧ . و « الجرّار » هى

كذلك فى ط ، س ، وفى ل : « الحزان » وفى البيان : « الجزائر » . واسمه إبراهيم بن جامع

كما فى الحيوان ٥ : ١٦٧ .

(٥) فى الأصل : « قلته » .

(٦) زيادة يحتاج إليها الكلام .

لَمْ يَكُنْ خَلَقْنِي وَأَنَا السَّاعَةَ أَعُورُ ! قَالَ أَبُو عَتَّابٍ ^(١) : [وَقَدْ قَصَّرَ فِي الْقَوْلِ ،
وَأَسَاءَ فِي التَّمْنَى . وَلَسْتُ أَقُولُ] : لَيْتَ اللَّهُ تَعَالَى لَمْ يَكُنْ خَلَقْنِي وَأَنَا السَّاعَةَ
أَعْمَى مَقْطُوعُ الْيَدَيْنِ وَالرَّجْلَيْنِ !

(تعزية طريفة لأبي عَتَّاب الجرار)

وَدَخَلَ أَبُو عَتَّابٍ عَلَى عَمْرٍو ^(٢) بْنِ هَدَّابٍ وَقَدْ كُفَّ بَصَرُهُ ، وَالنَّاسُ
يُعْزُونَهُ ، فَثَلَّ بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَكَانَ كَالْجَمَلِ الْمَحْجُومِ ^(٣) ، [وَ] لَهُ صَوْتُ جَهِيرٍ ،
فَقَالَ : يَا أَبَا أُسَيْدٍ ، لَا يَسُوءُكَ ^(٤) ذَهَابُهُمَا ، فَلَوْ رَأَيْتَ ثَوَابَهُمَا فِي مِيزَانِكَ تَمَنَّيْتَ
أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ قَطَعَ يَدَيْكَ وَرَجْلَيْكَ ، وَدَقَّ ظَهْرَكَ ، وَأَذَى ضِلْعَكَ ! ^(٥) .

(داود بن المعتز وبعض النساء)

وَبَيْنَا دَاوُدُ بْنُ الْمُعْتَمِرِ الصُّبَيْرِيِّ جَالِسٌ مَعِيَ ، إِذْ مَرَّتْ بِهِ امْرَأَةٌ جَمِيلَةٌ
لَهَا قَوَامٌ وَحُسْنٌ ، وَعَيْنَانِ عَجِيبَتَانِ ، وَعَلَيْهَا ثِيَابٌ بَيضٌ ، فَهَضَّ دَاوُدُ ١١

(١) ط : « ابن عقاب » س : « ابن عتاب » وصوابه من ل . وانظر التنبيه ٤ من
الصفحة السابقة .

(٢) ل ، ط : « عمر » ، وأثبت ما في س وعيون الأخبار والبيان ٢ : ١٠٣ وكتاب
البغال ٢٦٣ .

(٣) الجمل المحجوم : الذي وضع على فيه الحجام - ككتاب - لثلا يعض ؟ فصوته
أقوى صوت . وجاء في حديث ابن عمر - وذكر أباه - : « كان يصيح
الصيحة يكاد من سمعها يصعق ، كالبعير المحجوم » . في ط : ل : « المحجوم » .
وتصحيحه من س .

(٤) ط ، س : « يسؤك » وهي صحيحة . وأثبت ما في ل وعيون الأخبار (٢ : ٤٨) .

(٥) ط ، س : « ظلمك » وفي ل : « ظلفك » . والظلف ، أصله للبقرة والشاة والظبي بمنزلة
القدم من الناس ، ولا يصح معه المعنى إلا بعسر . والوجه ما أثبت من الحيوان ٥ : ١٦٨ .

فلم أشك أنه قام ليتبّعها ، فبعثتُ غلامى ليُعرف ذلك ، فلمّا رجع قلت له :
 قد علمت [أنك] ^(١) إنّما قُتلت لتكلمها ؛ فليس ينفعك إلا الصدق ،
 ولا ينجيك منى الجحود ، وإنما غايتى أن أعرف كيف ابتدأت القول ^(٢) ،
 وأى شىء قلت لها - وعلمت أنه سيأتى بآبدة . وكان مليّاً بالأوابد ^(٣) -
 قال : ابتدأت القول ^(٤) بأن قلت [لها] : لولا ما رأيتُ عليك ^(٥) من سياء
 الخير لم أتبعك . قال : فضحكتُ حتى استندتُ إلى الحائط ، ثمّ قالت :
 إنّما يمنع مثلك من اتباعِ مثلى والطّمع فيها ^(٦) ، ما يرى من سياء الخير
 فأمّا إذ قد صار سياء الخير هو الذى يُطمعُ فى النساء فإنّا لله وإنا
 إليه راجعون !

وتبع داودُ بنُ المعتمر امرأة ^(٧) ، فلم يزل يُطربها ^(٨) حتى أجابت ،
 ودلّها على المنزل الذى يمكنها ^(٩) فيه ما يريد ، فتقدمت الفاجرة وعرض له

(١) الزيادة من س فقط .

(٢) ط ، س : « ابتدأت القول » ، وتصحيحه من ل .

(٣) ط ، س : « مليا » وفى ل : « مليثا » . قال ابن منظور : « المليء بالهمز :

الثقة الغنى . وقد أولع فيه الناس بترك الهمز وتشديد الياء » . فالروايتان

صحيحتان . والأوابد : جمع آبدة ، وهى الكلمة أو الفعل الغريبة .

(٤) ط : ، س : « ابتدئت » ، وتصحيحه من ل .

(٥) ط ، س : « لولا ما عليك » ل : « لولا ما رأيت » وفى عيون الأخبار (٢ : ٥١) :

« لولا ما رأيت عليك » وقد أثبت ما فيها جامعا بين الروايتين .

(٦) كذا فى ل . وفى ط ، س : « فيه » . وكلاهما صحيح .

(٧) ل : « واحدة » .

(٨) يطربها : يبالغ فى الثناء عليها ، وهن يغتررن بذلك . وفى ط : « يطربها » . وليس بشىء .

وفى ل : « يطردها » من طرد الصيد . وقد أثبت ما فى س .

(٩) ل : « يمكنه » وهما سيان .

رجلٌ فشغلهُ ، وجاء إلى المنزل وقد قضى القومُ حوائجهم وأخذت حاجتها ، فلم تنتظره^(١) . فلما أتاهم ولم يرَها قال : أين هي ؟ قالوا : والله قد فرغنا وذهبت ! قال : فأى طريق أخذت ؟ قالوا : [لا] والله ما ندرى ؟ قال : فإن عدوتُ في إثرها حتى أقومَ على مجامع الطريق^(٢) أتروني ألحقها ؟ قالوا : [لا] والله ما تلحقها ! قال : فقد فانتِ الآن ؟ قالوا : نعم . قال : فعسى أن يكون خيراً ! فلم أسمع قطُّ بإنسانٍ يشكُّ أن السَّلامة من الذنوب خير [غيره]^(٣) .

(قول أبي لقمان الممرور في الجزء الذي لا يتجزأ)

وسأل بعض أصحابنا أبا لقمان الممرور عن الجزء الذي لا يتجزأ : ماهو ؟ قال : الجزء الذي لا يتجزأ هو على بن أبي طالب عليه السلام . فقال له أبو العيناء محمد^(٤) :

(١) ل : « وأبت أن تنتظره » .

(٢) كذا في ل . وفي ط ، س : « في جامع الطريق » محرفة .

(٣) الزيادة من س . وبدونها يصح القول أيضاً ويجزل كما في ط . وفي ل : « فلم أسمع قطُّ بأن إنساناً مسلماً شك في أن السَّلامة من الذنوب خير من غيرها » .

(٤) أبو العيناء هو محمد بن القاسم بن خلاد بن ياسر بن سليمان الهاشمي بالولاء ، مولى أبي جعفر المنصور . ولد بالأهواز ونشأ بالبصرة ، وسمع من أبي عبيدة والأصمعي وأبي زيد والعتبي . وكان فصيحاً ظريفاً لساناً . دخل على المتوكل في قصره المعروف بالجفري فقال له : ماتقول في دارنا هذه ؟ قال : إن الناس بنوا الدور في الدنيا ، وأنت بنيت الدنيا في دارك ! ولقيه بعض الكتاب في السحر فقال متعجباً منه ومن بكوره : يا أبا عبد الله ، أتبكر في مثل هذا الوقت ؟ فقال له : أنشركني في الفعل وتنفرد بالتعجب ؟ ! . فقد أبو العيناء بصره بعد الأربعين . وسبب تلقيبه بأبي العيناء مذكور في وفيات الأعيان . ولد سنة ١٩١ وتوفي سنة ٢٨٢ . انظر نكت الهميان ٢٦٥ .

أفليس في الأرض جزء لا يتجزأ غيره؟ قال: بلى حمزة جزء لا يتجزأ، وجعفر جزء لا يتجزأ! قال فما تقول في العباس؟ قال: جزء لا يتجزأ. قال: فما تقول في أبي بكر وعمر؟ قال: أبو بكر يتجزأ، وعمر يتجزأ. قال: فما تقول في عثمان؟ قال: يتجزأ مرتين، والزبير يتجزأ مرتين. قال: فأى شيء تقول في معاوية؟ قال: لا يتجزأ [ولا لا يتجزأ].

فقد فكرنا في تأويل أبي لقمان حين جعل الإمام^(١) جزءاً لا يتجزأ^(٢) إلى أى شيء ذهب، فلم نفع عليه إلا أن يكون كان أبو لقمان إذا سمع المتكلمين يذكرون الجزء الذي لا يتجزأ، هاله ذلك وكبر في صدره، وتوهم أنه الباب الأكبر من علم الفلسفة، وأن الشيء إذا عظم خطره سموه بالجزء الذي لا يتجزأ.

وقد تسخفنا في هذه الأحاديث، واستجزنا ذلك بما تقدم من العذر وسندكر قبل ذكرنا [القول] في الحام جملًا من غرر ونوادر وأشعار ونُتف وفقر من قصائد قصار وشوارد وأبيات، لنعطى قارى الكتاب من كل نوع تذهب إليه النفوس نصيباً إن شاء الله.

(١) المراد بالإمام: علي بن أبي طالب. وفي ط، س: «الأنام» بمعنى الخلق، وأثبت ما في ل.

(٢) كذا في س، ل. وفي ط: «أجزاء لا تتجزأ» فيكون صواب ما في ط: «جعل الأنام أجزاء لا تتجزأ» والمراد بالجزء الذي لا يتجزأ، أن الأجسام تنحل إلى أجزاء صغار لا يمكن ألبة أن يكون لها جزء. وهذا هو مذهب جمهور المتكلمين وأما الفلاسفة فيرون أن كل جزء فإنه ينقسم إلى أصغر منه، وهكذا إلى غير نهاية. وقد تبهم في ذلك النظام وبعض المعتزلة، فنفى الجزء الذي لا يتجزأ. انظر الفصل ٥: ٩٢ - ١٠٨ والفرق ص ١٢٣. وقد صنف جعفر ابن حرب المعتزلى كتاباً في تكفير النظام بإبطاله الجزء الذي لا يتجزأ. الفرق ١١٥. (٣) الزيادة من س.

(تناسب الألفاظ مع الأغراض)

ولكل ضربٍ من الحديث ضربٌ من اللفظ ، ولكل نوعٍ من المعاني ١٢
نوعٌ من الأسماء : فالسَّخِيفُ للسَّخِيف ، والخَفِيفُ للخَفِيف^(١) ، والجَزَلُ
للجَزَل ، والإفصاحُ في مَوْضِع الإفصاح ، والكِنَايَةُ في مَوْضِع الكِنَايَةِ ،
والاسترسال في مَوْضِع الاسترسال .
وإذا^(٢) كان مَوْضِعُ الحديثِ على أَنَّهُ مُضْحِكٌ وَمُلْهُ^(٣) ، ودَاخِلٌ
في باب المزاح والطَّيِّب^(٤) ، فاستعملتَ فيه الإعراب ، انقلبتَ عن جِهَتِهِ .
وإن كان في لفظه سُخْفٌ وأَبْدَلْتَ السَّخَافَةَ بِالْجَزَالَةِ ، صارَ الحديثُ الذي
وَضِعَ على أَن يَسُرَّ النُّفُوسَ يُكْرَهُمَا ، وَيَأْخُذُ بِأَكْظَامِهَا^(٥) .

(١) هذه الجملة ساقطة من ل .

(٢) ط ، س : « وإن » . وأثبت ما في ل .

(٣) ط ، س : « وملهى » ، والصواب ما أثبت من ل .

(٤) الطيب بمعنى الهزل والفكاهة . وفي ل : « المزح الطيب » . وأثبت ما في

ط ، س . وانظر التنبيه الأول من ص ٦ .

(٥) الأكظام : جمع كظم ، بالتحريك ، وهو مخرج النفس . والكلام في استعمال
الإعراب عند الفكاهة وسرد النوادر سبق للجاحظ مثله في الجزء الأول

(الوقار المتكلف)

وبعضُ النَّاسِ إذا انتهى إلى ذِكْرِ الْحَرِّ وَالْأَيْرِ وَالنَّيْكِ ارْتَدَعَ وَأَظْهَرَ
التَّقَرُّزَ ^(١) ، وَاسْتَعْمَلَ بَابَ التَّوَرُّعِ . وَأَكْثَرُ مَنْ تَجَدَّه كَذَلِكَ فَلَيْتَمَا هُوَ
رَجُلٌ لَيْسَ مَعَهُ مِنَ الْعَفَافِ وَالْكَرَمِ ، وَالنُّبُلِ وَالْوَقَارِ ، إِلَّا بِقَدَرِ هَذَا
الشَّكْلِ مِنَ التَّصْنَعِ . وَلَمْ يُكْشَفْ قَطُّ صَاحِبُ رِيَاءٍ وَنِفَاقٍ ، إِلَّا عَنِ
لَوْمٍ مُسْتَعْمَلٍ ، وَنَذَالَةٍ مُتَمَكِّنَةٍ .

(تَسْمُحُ بَعْضُ الْأَئِمَّةِ فِي ذِكْرِ الْفَاضِ)

وَقَدْ كَانَ لَهُمْ فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ مَقْنَعٌ ، حِينَ سَمِعَهُ بَعْضُ النَّاسِ ^(٢)
يُنْشِدُ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ^(٣) :

وَهُنَّ يَمْشِينَ بِنَا هَمِيْسَا إِنَّ تَصَدَّقِ الطَّيْرُ نَنِكَ لَمِيْسَا ^(٤)

(١) التقزز : التباعذ من الدنس . وفي ط ، س : « التعزز » بمعنى التكبر
والتشدد ، كما في اللسان ، وأثبت ما في ل .

(٢) هو أبو العالية ، كما في عيون الأخبار ١ : ٣٢١ .

(٣) في العقد ٣ : ١٢٢ أنه كان يرتجز في الطريق بالبيت الآتي في طريقه إلى مكة .
وفي العمدة ١ : ١١ أن ابن عباس سئل : هل الشعر من رفث القول ؟
فأنشد البيت وقال : « إنما الرفث عند النساء » ثم أحرم للصلاة . وليس في الخبر
عنده ذكر المسجد الحرام أو مكة . والبيت ليس لابن عباس بل يمثّل به كما
في اللسان (همس) .

(٤) الهميس : المثنى الخفى الحس . لميس : اسم امرأة .

فقيل له في ذلك ، فقال : إِنَّمَا الرَّفْتُ مَا كَانَ عِنْدَ النِّسَاءِ :
وقال الضَّحَّاكُ : لو كان ذلك القولُ رَفْتًا لكان قطعُ لسانِه أحبَّ إليه
مِنْ أَنْ يَقُولَ هُجْرًا (١) .

قال شَيْبَةُ بْنُ يَزِيدَ الشَّيْبَانِيُّ (٢) ، لَيْلَةَ بَيْتِ (٣) عَتَّابِ بْنِ وَرْقَاءَ (٤) :
* مَنْ يَنْكِحِ الْعِمْرَ يَنْكِحْ نَيْكًا *

وقال عليُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - حِينَ دَخَلَ عَلَى بَعْضِ
الْأَمْرَاءِ فَقَالَ لَهُ : مَنْ فِي هَذِهِ الْبُيُوتِ ؟ فَلَمَّا قِيلَ لَهُ : عَقَائِلُ مِنْ عَقَائِلِ

(١) الكلام من مبدأ « وقال الضحَّاك » : كان في الأصل متأخرا عن مكانه ، بعد
نهاية خبر شبيب الآتي . وقد رددته إلى موضعه الطبيعي . والضحَّاك هذا هو
الضحَّاك بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْهَلَالِيُّ ، وهو أحد من انضم إلى عبد الله بْنِ عَبَّاسٍ في خروجه
على علي بْنِ أَبِي طَالِبٍ . انظر تفصيل هذا في العقد ٣ : ١٢٠ - ١٢٢ .

(٢) هو شبيب بْنُ يَزِيدَ بْنِ نَعِيمٍ الْخَارِجِيُّ ، كان مع صالح بْنِ مَسْرُوحٍ رأس الصَّفَرِيَّةِ .
خرج شبيب بالموصل ، وبعث إليه الحجاجُ خمسة قواد فقتلهم واحدا بعد واحد .
وفي إحدى حروبه نفر به فرسه على نهر دجيل - دجيل الأهواز لادجيل بغداد -
فغرق فيه وكانت تشترك معه زوجته غزالة وكذا أمه جهيزة في مقاومة الحجاج .
ولما دخل هو وزوجه غزالة على الحجاج في الكوفة ، تحصن منها وأغلق عليه
قصره ، فكتب إليه عمران بْنُ حِطَّانٍ - وقد كان الحجاج ليج في طلبه - :

أسد على وفي الحروب نعمة ربدأ تحفل من صفيير الصافر !

هلا برزت إلى غزالة في الوغى بل كان قلبك في جناحي طائر !

ولد شبيب سنة ٢٦ وتوفي سنة ٧٧ . انظر المعارف ١٨٠ ، ووفيات الأعيان ،
والأغاني ١٦ : ١٤٩ ، ٢١ : ٨ .

(٣) ط ، س : « ليلة في بيت » ل : « ليلة بيته » ، والصواب ما أثبت من المعارف ١٨٢ .
وبيت العدو : أوقع به ليلا .

(٤) عتاب بْنُ وَرْقَاءَ ، كان يكنى أبا ورقاء ، وكان من أجواد العرب ، ولى عدة
ولايات ، وقاد عدة جيوش .

(٥) يضرب مثلا لمن يغالب الغلاب . وأصل المثل في أمثال الميداني ٢ : ٢٣٢ -
٢٣٣ . وقد سبق في الجزء الثاني ص ٢٥٦ .

العرب ، قال عليٌّ : « مَنْ يَطْلُ أَيْرُ أَبِيهِ يَنْتَطِقْ بِهِ ^(١) » .

فَعَلَى عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ - يَعُولُ ^(٢) فِي تَنْزِيهِ اللَّفْظِ وَتَشْرِيفِ الْمَعْنَى ^(٣) .

وقال أبو بكر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - حِينَ قَالَ بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ ^(٤) لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : جِئْنَا بِعَجْرَائِكَ وَسُودَانِكَ ، وَلَوْ قَدْ مَسَّ هَؤُلَاءِ وَخَزُ ^(٥) السَّلَاحِ لَقَدْ أَسْلَمُوكَ ! فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : عَضِبْتَ بِيْظَرِ اللَّاتِ !

(١) قال الميبداني في الأمثال ٢ : ٢٢٨ : « يريد من كثير إخوته اشتد ظهوره وعزه بهم » . وانظر رسائل الجاحظ ٢ : ٩٢ بتحقيقنا .

(٢) ط ، س : « يقدم » وتصحيحه من ل .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من ل . وكلمة « تشريف » هي في ط ، س : « شرف » وأثبت ما في ل .

(٤) بديل بن ورقاء : صحابي ، ترجم له ابن حجر في الإصابة ١ : ١٤٦ وكان من الرجال البارزين في يوم الفتح وبعده . انظر سيرة ابن هشام . والمعروف في كتب السيرة نسبة مثل الكلمة الآتية إلى عروة بن مسعود الثقفي . وجاء في سيرة ابن هشام ، عند الكلام في أمر الحديبية : « فخرج - يعني - عروة بن مسعود الثقفي - حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجلس بين يديه ، ثم قال : يا محمد ! أجمعت أوشاب الناس ثم جئت بهم إلى بيضتك لتفضها بهم ؟ ! إنها قریش قد خرجت معها العوذ المطافيل ، قد لبسوا جلود النور ، يماهدون الله لاتدخلها عليهم عنوة أبدا ! وإيم الله لكأنى هؤلاء قد انكشفوا عنك غدا . قال : وأبو بكر الصديق خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد ، فقال : امصص بظفر اللات ! أنحن ننكشف عنه ؟ ! قال : من هذا يا محمد ؟ قال : هذا ابن أبي قحافة . قال : أما والله لولا يد كانت لك عندي لكافأتك بها ، واسكن هذه بها ! » . وقد نقل هذا الكلام عنه ابن سيد الناس ٢ : ١١٦ وكذلك ابن كثير في البداية والنهاية . وانظر رسائل الجاحظ ٢ : ٩٣ .

(٥) . الوخز : الطعن الخفيف الضعيف . وفي ل : « حر » .

وقد روَوْا مرفوعاً قوله : « مَنْ يُعْذِرُنِي مِنْ [ابن] أمّ سباع ^(١) »
مُقَطَّعة البُظُور ؟ » .

(لِكُلِّ مقام مقال)

ولو كان ذلك الموضعُ موضعَ كناية هي المستعملة . وبعد فلو لم يكن
لهذه الألفاظِ مواضعُ استعمالها أهلُ هذه اللغة وكان الرأيُ ألاَّ يُلفَظَ بها ، لم
يَكُنْ لأوَّل كونها معنىً إلا على وجه الخطأ ، ولـكان في الحزم والصَّوْنِ لهذه
اللُّغة أن تُرَفَّعَ هذه الأسماء منها .
وقد أصاب كلَّ الصَّوابِ الذي قال : « لِكُلِّ مَقَامٍ مقال ^(٢) » .

(صورٌ من الوقار المتـكاف)

ولقد دخل علينا فتى حَدَّثُ كان قد وَقَعَ إلى أصحاب عبد الواحد
ابن زيد ^(٣) ونحنُ عند موسى بن عِمْران ، فدارَ الحديثُ إلى أن قال الفتى : ١٣
أفطرتُ البارحة على رغيفٍ وزيتونة [ونصف ، أو زيتونة وثلاث ، أو زيتونة
وثلاثي زيتونة ، أو ما أشبه ذلك . بل أقول : أكلت زيتونة] ، وما علم الله من

(١) يقال : أعذره منه : أمكنه « وتروى مثل هذه الكلمة منسوبة إلى حمزة بن عبد المطلب .
انظر مفاخرة الجوارى والعلماء وسيرة ابن هشام ٥٦٣ - ٥٦٤ جوتنجن وتاريخ
الطبرى القسم الأول ص ١٤٠٥ . وسباع هذا هو ابن عبد العزى الغبشاني .
وفى س : « سباع » مصحفة . وقد قتله حمزة بن عبد المطلب يوم أحد .
السيرة ٦١١ وكانت أمه ختانة بمكة . السيرة ٥٦٣ .

(٢) انظر المثل في كتاب الميذاني (٢ : ١٣٢) .

(٣) عبد الواحد بن زيد البصرى الزاهد ، كان شيخا للصوفية ، وكان من أهل الحديث ، =

أخرى^(١) ، فقال موسى : إِنَّ مِنَ الْوَرَعِ مَا يُبَغِّصُهُ اللَّهُ ، عِلْمَ اللَّهِ ؛ وَأُظُنُّ وَرَعَكَ هَذَا مِنْ ذَلِكَ الْوَرَعِ .

وكان العُتْبِيُّ^(٢) رَّبَّمَا قَالَ : فَقَالَ لِي الْمَأْمُونُ كَذَا وَكَذَا ، حِينَ صَارَ التَّجَمُّ عَلَى قِفَّةِ الرَّأْسِ ، أَوْ حِينَ جَازَنِي^(٣) شَيْئًا ، أَوْ قَبْلَ^(٤) أَنْ يُوَازِيَ^(٥) هَامَتِي . هَكَذَا هُوَ عِنْدِي ، وَفِي أَغْلَبِ ظَنِّي ، وَأَكْرَهُ أَنْ أَجْزِمَ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَمَا قُلْتُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَقَرِيبًا مِمَّا نَقَلْتُ . فَيَتَوَقَّفُ فِي الْوَقْتِ الَّذِي لَيْسَ مِنَ الْحَدِيثِ فِي شَيْءٍ . وَذَلِكَ الْحَدِيثُ إِنْ كَانَ مَعَ طُلُوعِ الشَّمْسِ لَمْ يَزِدْهُ ذَلِكَ خَيْرًا ، وَإِنْ كَانَ مَعَ غُرُوبِهَا لَمْ يَنْقُصْهُ ذَلِكَ شَيْئًا . هَذَا وَلَعَلَّ الْحَدِيثَ فِي نَفْسِهِ لَمْ يَكُنْ قَطُّ وَلَمْ يَصِلْ هُوَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ الْبَتَّةِ . وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ زَعَمَ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى أَصْحَابِ الْكَهْفِ فَعَرَفَ عَدَدَهُمْ ، وَكَانَتْ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ سَبْنِيَّةٌ^(٦) وَكَلْبُهُمْ مُمَعَّطُ الْجِلْدِ . وَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَنَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ﴿ لَوْ أَطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴾ .

= قَالَ حَصِينُ بْنُ الْقَاسِمِ : لَوْ قَسَمَ حَدِيثُ عَبْدِ الْوَاحِدِ عَلَى أَهْلِ الْبَصْرَةِ لَوْ سَمِعَهُمْ . وَلَكِنَّهُ كَانَ مَتَّهًا فِي حِفْظِهِ ، كَثِيرُ الْوَهْمِ . لِسَانُ الْمِيزَانِ (٤ : ٨٠) . وَقَدْ ذَكَرَهُ ابْنُ النَّدِيمِ فِي الْفَهْرَسْتِ ٢٦٠ مِصْرَ ١٨٣ لَيْبَسَكَ ، ضَمِنَ الْعِبَادَ وَالزَّهَادَ . وَانْظُرْ خَبْرَيْنِ مِنْ أَخْبَارِ أَصْحَابِهِ فِي الْبَيَانِ (٣ : ١٧١ ، ٢٨٦) .

(١) أَى مِنْ رَيْتُونَةٍ أُخْرَى . وَهَذِهِ الْكَلِمَةُ هِيَ فِي ط : « أَمْرِي » مُحَرَّفَةٌ صَوَابُهَا فِي س ، ل .

(٢) الْعُتْبِيُّ هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ . سَبَقَتْ تَرْجُمَتُهُ فِي الْجُزْءِ الْأَوَّلِ ص ٥٤ . وَفِي ل :

« الْقَتْنِيُّ » مُحَرَّفَةٌ ، صَوَابُهَا فِي س ، ط .

(٣) ط : « جَازَنِي » ، وَالْوَجْهَ مَا أَثْبَتَ مِنْ ل ، س .

(٤) ل : « قَبِيل » .

(٥) ط : « يُوَازِي » ، وَتَصْحِيحُهُ مِنْ ل ، س .

(٦) ثِيَابٌ سَبْنِيَّةٌ : نَسَبَةٌ إِلَى سَبْنٍ ، بِالتَّحْرِيكِ ، وَهُوَ مَوْضِعٌ لَمْ يَعْنِهِ يَاقُوتُ . =

(بعض نوادر الشعر)

وسنذكر من نوادر الشعر جملة ، فإن نشطت لحفظها فاحفظها ؛ فإنها من أشعار المذاكرة . قال الثقفى ^(١) :

مَنْ كَانَ ذَا عَضِدٍ يُدْرِكُ ظِلَامَتَهُ

إِنْ الدَّلِيلَ الَّذِي لَيْسَتْ لَهُ عَضِدُ

تَذُبُّو يَدَاهُ إِذَا مَا قَلَّ ذَا صِرُهُ وَيَأْنِفُ الضِّيمَ إِنْ أَثْرَى لَهُ عَدَدُ ^(٢)

وقال أبو قيس بن الأسلت ^(٣) :

= والفيروزبادى جعله قرية ببغداد . وأما صفة الثياب فقد اختلف اللغويون فيها ، فن قائل إنها القسية ، أى الثياب صنعت من كتان مخلوط بحرير . ومن قائل إنها ضرب من الثياب يتخذ من مشاقة الكتان أغلظ مايكون . وهذا المعنى الأخير هو المناسب للكلام . وهذه الكلمة هي في ط ، س : « الشثنية » تحريف ما أثبت من ل .

(١) الثقفى هذا ، هو الأجرد الثقفى كما في الشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٧١٢ . وهو من الشعراء اللذين وفدوا على عبد الملك بن مروان . والبيتان الآتيان رواهما الجاحظ في البيان ١ : ٦٧ ، ٣ : ٢٢٥ وكذا ابن قتيبة في عيون الأخبار ٣ : ٢ .

(٢) ط : « وتأنف » وتصحيحه من ل ، س : والبيان وعيون الأخبار . وأثرى عدده : كثر عدد قبيله أو أنصاره .

(٣) أبو قيس ، قال صاحب الأغاني ١٥ : ١٥٤ : لم يقع إلى اسمه . والأسلت لقب أبيه ، واسمه عامر بن جشم ، ينتهى نسبه إلى الأوس . وأبو قيس شاعر من شعراء الجاهلية . قال هشام بن الكلبي : كانت الأوس قد أسندوا أمرهم في يوم بعث إلى أبي قيس بن الأسلت ، فقام في حرهم وآثرها على كل أمر حتى شحب وتغير ، ولبت أشهراً لا يقرب امرأته . ثم إنه جاء ليلة فدى على امرأته ففتحت له ، فأهوى إليها بيده فدفعتته وأنكرته ، فقال : أنا أبو قيس ! فقالت : والله ما عرفتك حتى تسكمت ! فقال في ذلك أبو قيس ، القصيدة التى أولها :

بُرْ امرئ^(١) مُسْتَبْسِلٍ حَازِرٍ^(٢) للدهر ، جِلْدٍ غَيْرِ مَجْزَاعٍ
الكَيْسُ^(٣) والقُوَّةُ خَيْرٌ مِنْ الْإِشْفَاقِ^(٤) والفَهْمِ وَالْهَاجِ^(٥)
وقال عَبْدَةُ بْنُ الطَّيِّبِ :

رَبُّ حَبَانَا بِأَمْوَالٍ مُخَوَّلَةٍ وَكُلُّ شَيْءٍ حَبَاهُ اللَّهُ تَخْوِيلُ
وَالْمَرْءُ سَاعٍ لِأَمْرٍ لَيْسَ يُدْرِكُهُ وَالْعَيْنُ شُحٌّ وَإِشْفَاقٌ وَتَأْمِيلُ
وكان عمرُ بنُ الخطَّابِ - رضى الله تعالى عنه - يردّد هذا النصف
الآخرَ ، وَيَعْجَبُ مِنْ جَوْدَةِ مَا قَسَمَ^(٦) .

- = قالت ولم تقصد لقليل الخنا مهلا فقد أبلغت أسماء
استنكرت لونا له شاحبا والحرب غول ذات أوجاع
قلت : والقصيدة من المفضليات ص ٢٨٤ ومنها البيتان المذكوران . وأما ابن حجر
في الإصابة (٩٣٥ من باب الكنى) فقال : « يختلف في اسمه : فقيل صيفى ،
وقيل الحارث ، وقيل عبد الله ، وقيل صرمة . واختلف في إسلامه » .
وانظر الخزائنة ٣ : ٣٧٥ - ٣٧٨ .
- (١) البز : السلاح ومثلها البزة . وجاءت الرواية في ط ، س : « إني امرؤ »
وأثبت رواية ل . وهى الموافقة لما فى المفضليات .
- (٢) الحاذر : المتأهب الشاكى السلاح ، وجاء مثل هذا فى قول القائل :
- وَبِزَّةٍ فَوْقَ كَمِيٍّ حَازِرٍ وَنَثْرَةٍ سَلَبَتْهَا عَنْ عَامِرٍ
وجاء فى ط : « حازر » بالزاي ، وهو تحريف صوابه فى س ، ل ، والمفضليات .
- (٣) رواية المفضليات : « الحزم » .
- (٤) رواية المفضليات : « الإدهان » . والإدهان : اللبن . والإشفاق : الخوف .
- (٥) الفهم : العى . وجاء فى ط ، س : « القمية » وهى إن صحت فى اللغة
كان معناها الذلة . وقد أثبت رواية ل . ورواية المفضليات : « الفسكة »
والفسكة : استرخاء الرأى . والهاع : سوء الحرص مع الضعف . وهذه
هى رواية ل ، والمفضليات . وفى ط ، س : « العاع » وجاء فى اللسان
والقاموس : عيع بالتشديد ، بمعنى عى . ولم ترد فيهما لفظة « العاع » .
- (٦) انظر العقد ٣ : ٣٨٧ والبيان ١ : ٢٤٠ - ٢٤١ والصناعتين ٣٣١ .

وقال المتلمس :

وَأَعْلَمُ عِلْمٌ حَقٌّ غَيْرَ ظَنٍّ وَتَقْوَى اللَّهِ مِنْ خَيْرِ الْعِتَادِ
لِحِفْظِ الْمَالِ أَيْسَرُ مِنْ بُغَاةٍ^(١) وَضَرْبِ فِي الْبِلَادِ بِغَيْرِ زَادٍ
وَإِصْلَاحُ الْقَلِيلِ يَزِيدُ فِيهِ وَلَا يَبْقَى الْكَثِيرُ مَعَ الْفَسَادِ ١٤
وقال آخر :

وَحِفْظُكَ^(٢) مَالًا قَدْ عُنَيْتَ بِمَجْمَعِهِ
أَشَدُّ مِنَ الْجَمْعِ^(٣) الَّذِي أَنْتَ طَالِبُهُ

وقال حميد بن ثور الهلالي :

أَتَشْغَلُ عَنَّا يَا بَنَ^(٤) عَمَّ فُلَانٍ^(٥) تَرَى
أَخَا^(٦) الْبَخْلِ إِلَّا^(٧) سَوْفَ يَعْتَلُّ بِالشَّغْلِ

وقال ابن أحرر :

هَذَا الثَّنَاءُ وَأَجْدَرُ أَنْ أَصَاحِبِهِ وَقَدْ يَدُومُ رِيْقَ الطَّامِعِ الْأَمَلِ^(٨)

(١) يقال : بنى الشيء يبنيه بغاء وبغية ، بضمين . وما أثبت هو ماني س .
وفي ل : « خير من بغاة » ، وهي رواية البحترى في حماسه ص ٣٤٣ . وفي ط :
« أيسر من فناء » وهذه رواية العقد ٢ : ٤١ . وفناء : فناءه ، وقصر
لضرورة الشعر ، ومثل هذه الرواية في المعنى رواية البغدادى في الخزانة ٣ : ٧٢ :

* لحفظ المال خير من ضياع *

وقد خصص البحترى الباب الثلاثين والمائة لما قيل في إصلاح المال وحفظه .

(٢) الرواية في س : « حفظك » بنجر البيت .

(٣) ط ، س : « المال » والوجه ما أثبت من ل ، والبخلاء ١٤٢ . قال الجاحظ :
« وقد قضوا بأن حفظ المال أشد من جمعه » وأنشد البيت .

(٤) ل : « باني » ولعل الوجه ما أثبت من ط ، س . وهو الأشبه بقول الشعراء .

(٥) ط ، ل : « فلا » .

(٦) ط ، س : « من » ، والوجه ما أثبت من ل .

(٧) ط : « لا » وتصحيحه من س ، ل . وفي ط ، س : « سوف تعتل »

وتصحيحه من ل .

(٨) « الثناء » جاءت في ط ، س : « الشقاء » وهو تحريف صوابه من ل =

وقال ابن مقبل :

هَلِ الدَّهْرُ إِلَّا تَارَتَان ، فِينِهما

أَمُوتَ وَأُخْرَى أَبْتَغِي الْعَيْشَ أَكْدَحُ^(١)

وكلتاها قد خُطَّ لي في صحيفة

فلا المَوْتُ أَهْوَى لي ولا العيش أَروحُ^(٢)

وقال عمرو بن هند :

وإن الذي ينْهاكُم عن طلائِها يُنْاغِي نِساءَ الحَيِّ في طُرَّةِ البُرْدِ^(٣)

يُعَلِّلُ والأَيَّامُ تَنْقُصُ عُمْرَهُ^(٤)

كما تَنْقُصُ^(٥) النَّيرانُ^(٦) من طرف الزَّندِ

= والبيان ١ : ١٨٠ واللسان (مادة دوم) . وجاء في س : « فأجدر » .
وكلمة « أصحابه » هي في الأصل « صاحبه » محرفة ، وتصحيحها من البيان واللسان .
قال ابن بري في هذا البيت : « يقول : هذا ثنائي على النعمان بن بشير ،
وأجدر أن أصحابه ولا أفارقه . وأملى له يبق ثنائي عليه ، ويهدوم ريقى في في
بالثناء عليه » .

(١) الرواية المشهورة في البيت : « وما الدهر » . انظر ديوان ابن مقبل ٢٤ و الكامل
٥٣٨ ليسك وحاسة البحرى ١٨٣ وكتاب سيبويه ١ : ٣٧٦ . واستشهد به
المبرد وسيبويه على حذف الاسم لدلالة الصفة عليه . وتقدير الكلام : فنيهما
تارة أموت فيها .

(٢) هذا البيت من ل . وروى في حاسة البحرى : « فلا الموت أهواء » وما
هنا أوفق .

(٣) طرة الشعر والثوب : طرفه .

(٤) ط ، س : « نعلل والأيام تنقص عمرنا » ، وأثبت مافي ل ، والبيان ٣ : ٣٤
وما سيأتى في ص ٤٧٩ .

(٥) ش : « تنقص » وله وجه . س : « تنقص » وليس بشيء .

(٦) ط : « الأيام » وهو تحريف ما أثبت من س ، ل ، والبيان .

وقال أُمَيَّةٌ - إن كان قالها ^(١) - :

رُبَّمَا نَجَزَعُ الثُّفُوسَ مِنَ الْأُمِّ رِلَهُ فَرَجَةٌ كَحَلِّ الْعِقَالِ

(شعر في الغزل)

وقال آخر ^(٢) :

رَمَتْنِي وَسِتْرُ اللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَهَا عَشِيَّةَ آرَامِ الْكِنَاسِ رَمِيمٌ ^(٣)
أَلَا رَبُّ يَوْمٍ لَوْ رَمَتْنِي رَمَيْتُهَا وَلَكِنَّ عَهْدِي بِالنَّضَالِ قَدِيمٌ ^(٤)
رَمِيمٌ الَّتِي قَالَتْ لَجَارَاتِ بَيْتِهَا ضَمَنْتَ لَكُمْ أَنْ لَا يَزَالَ يُهِيمُ ^(٥)

وقال آخر :

لَمْ أَعْطَهَا بِيَدِي إِذْ بَسْتُ أَرْضُفَهَا إِلَّا تَطَاوَلَ غُصْنُ الْجَيْدِ لِلجَيْدِ ^(٦)

(١) ل : « قاله » . وانظر اللسان (فرج) .

(٢) هو أبو حية النمرى كما في الكامل ١٩ ليسك والحماسة (٢ : ١١٠) . وانظر البيان ١ : ٦٨ و ٣ : ٣٢٤ .

(٣) يقول : رمته بطرفها . وعنى بستر الله ، الإسلام ، أو الشيب . وآرام الكناس ، روى فيها : « بأحجار الكناس » وهو اسم موضع . انظر الكامل واللسان (كنس) . ورواية الحماسة : « ونحن بأكتاف الحجاز » . وريميم هي خليلته .

(٤) قال المبرد في شرح هذا البيت : « لو كنت شابا لرميت كما رميت ، وفنت كما فنت ، ولكن قد تطاول عهدي بالشباب ! » .

(٥) هذا البيت ساقط من ل . ويصح في « أن » أن تكون ناصبة أو مخففة من الثقيلة يرفع بعدها للفعل .

(٦) في اللسان : عطا الشيء يعطوه : إذا أخذه وتناوله .

كما تَطَاعَمَ فِي خَضْرَاءَ نَاعِمَةٍ مَطُوقَانِ أَصَاخًا بَعْدَ تَغْرِيدِ^(١)
فَإِنْ سَمِعْتَ بِهَلِكٍ لِلْبَخِيلِ فَقُلْ بُعْدًا وَسُخْقًا لَهُ مِنْ هَالِكٍ مُودِي

(شعر في الحكم)

وقال أبو الأسود الدؤلي^(٢) :

المَرْءُ يَسْعَى ثُمَّ يُدْرِكُ مَجْدَهُ حَتَّى يُزَيِّنَ بِالَّذِي لَمْ يَفْعَلْ^(٣)
وَتَرَى الشَّقِيَّ إِذَا تَكَامَلَ عَلَيْهِ^(٤) يُرْمَى وَيَقْدَفُ بِالَّذِي لَمْ يَعْمَلْ

[وقال دريد :

رئيسُ حروبٍ لا يزال ربيئَةً مشيحٌ على محقوقِ الصُّلبِ مُلبِدٍ^(٥)
صَبُورٌ عَلَى رِزْوِ الْمَصَائِبِ حَافِظٌ مِنَ الْيَوْمِ أَعْقَابِ الْأَحَادِيثِ فِي غَدٍ^(٦)
وَهُوَ وَجَدِي أَنِّي لَمْ أَقْلُ لَهُ كَذَبَتْ وَلَمْ أَبْخُلْ بِمَا مَلَكَتْ يَدِي]

(١) خضراء ، غنى بها شجرة أو أيكة . والناعمة : الخضراء الناضرة . نعم العود : اخضر ونضر . والمطوقان : حامتان مطوقتان . وتطاعهما : أن يدخل الذكر فيه في فم أنثاه . وفي ط ، ل : « مطوقات أصاخت » ، والوجه ما أثبت من ل ، واللسان (طعم) .

(٢) الدؤلي : نسبة إلى الدئل بضم الدال وكسر الهمزة ، وهو أبو قبيلة من الهون ابن خزيمية . يقال في النسبة إليه دؤلي ودؤلي بفتح عينهما ، ودؤلي بكسر الدال ، ودؤلي بكسرتين . وجاء في س « الدؤلي » . وأبو الأسود هو ظالم بن عمرو ابن جندل بن سفيان بن كنانة . كان عاقلاً ، حازماً ، بخيلاً . وهو أول من وضع العربية . وكان شاعراً مجيداً ، وشهد صفين مع علي ، وولى البصرة لابن عباس ومات بها - وقد أسن - سنة تسع وستين .

(٣) مجده فاعل يدرك ، أي يتكامل مجده ويتم . من أدرك الثمر .

(٤) ل : « عيه » .

(٥) يقال احقوق ظهر البعير والفرس : إذا طال واعوج ، وغنى بالمحقوق فرسه . الملبد : الفرس قد شد عليه اللبد .

(٦) الرواية في الحماسة : « فليل التشكى للمصيبات حافظ » . والأبيات من قصيدة يرفي بها دريد أخاه عبد الله بن الصمة ، روى بعضها أبو تمام في الحماسة (١ : ٣٣٦ - ٣٤٠) .

وقال سعيد بن عبد الرحمن ^(١) :

وإنَّ أَمْرًا يُمَسَّى وَيُصْبِحُ سَالِمًا مِنْ النَّاسِ إِلَّا مَا جَنَى لَسَعِيدُ ^(٢)

(شعر في الزهد)

وقال أكرم بن صيفي :

نُرْبِي وَيَهْلِكُ آبَاؤُنَا وَبَيْنَنَا نُرْبِي بَيْنَنَا فَنِينَا

وقال بعضُ المحدثين :

فَالآنَ أَسْمَحْتُ لِلخُطُوبِ فَلَا يُلْفَى فُؤَادِي مِنْ حَادِثٍ يَجِبُ ^(٣)

قَلْبِي الدَّهْرُ فِي قَوْلِهِ وَكُلُّ شَيْءٍ لِيَوْمِهِ سَبَبُ

وقال آخر ^(٤) :

لِدُّوا لِلْمَوْتِ وَابْنُوا لِلْخَرَابِ فَكُلُّكُمْ يَصِيرُ إِلَى ذَهَابِ ^(٥)

أَلَا يَا مَوْتَ لَمْ أَرِ مِنْكَ بُدًّا أَبَيْتَ فَمَا تَحْيِفُ وَلَا تُحَايِي ^(٦)

كَأَنَّكَ قَدْ هَجَمْتَ عَلَى مَشْيِي كَمَا هَجَمَ الْمَشِيبُ عَلَى شَبَابِي ^(٧)

(١) هذا مافي ل ، ومثله في الحيوان ١ : ٢٤ ونهاية الجزء الثاني من البيان . وفي س ، ط :

« وقال آخر » . وجاء في عيون الأخبار (٢ : ١٢) : « وقال حسان : قلت شعرا

لم أقل مثله » . وأنشد البيت .

(٢) إلا ماجنى ، يريد إلا جزء ماجنى . وجاءت هذه الكلمة في س : « عني »

وفي ط : « جئنا » وهما تحريف ما أثبت من ل والبيان وعيون الأخبار .

(٣) أسمح للخطوب : لان وانقاد ، وهو عبارة عن التحمل والصبر . ووجب

القلب وجبا ووجيبا ووجباناً : خفق .

(٤) هو أبو نواس ، والأبيات من ثلاثة عشر بيتاً في ديوانه ص ٢٠٠ . ونسبت في الأغاني

٣ : ١٥٥ إلى أبي العتاهية . وهي في ديوان أبي العتاهية أيضا ص ٢٣ - ٢٤ .

(٥) الرواية في ط ، س : « وكلكم يصير إلى التراب » وأثبت مافي ل والديوان ،

وهو الموافق لما في محاضرات الراغب (٢ : ٢٢٤) .

(٦) حاف يحيف : جار وظلم . وفي ط ، س « تخيف » وهو تصحيف مافي ل .

وفي الديوان : « قسوت فما تكسف وما تحايي » .

(٧) ط والديوان : « على الشباب » وفي الديوان أيضاً : « هجمت على حياتي » .

وقال آخر^(١) :

يَانْفَسْ خَوْضَى بَحَارِ الْعِلْمِ أَوْ غَوْصَى فَالْنَّاسُ مِنْ بَيْنِ مَعْمُومٍ وَمَخْصُوصٍ^(٢)
لَا شَيْءَ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا يُحَاطُ بِهِ إِلَّا إِحَاطَةً مَنَقُوصٍ بِمَنَقُوصٍ

(شعر في التشبيه)

وَأُنْشَدْنَا لِلْأَحْمِرِ^(٣) :

بِأَقْبَ مَنْطَلِقِ اللَّبَانِ كَأَنَّهُ سَيِّدٌ تَنْصَلُّ مِنْ حُجُورِ سَعَالَى^(٤)

وقال الآخر^(٥) :

أَرَأَيْبُ^(٦) لِحَاً مِنْ سَهِيلٍ كَأَنَّهُ إِذَا مَا بَدَأَ مِنْ دُجْيَةِ اللَّيْلِ يَطْرَفُ^(٧)

وَقَالُوا^(٨) قَالَ خَلْفُ الْأَحْمَرِ : لَمْ أَرَأْ أَجْمَعَ مِنْ بَيْتٍ لِأَمْرِ الْقَيْسِ ،

وهو قوله :

(١) ط ، س : « وقال منهم آخر » والوجه حذف « منهم » كما في ل . وجاء في أدب الدنيا والدين ص ٢١ ، « وأنشد الرشيد عن المهدي بيتين وقال : أظنهما له » ثم روى البيهقي .

(٢) ط : « بين مغموم » وصوابه في س ، ل وأدب الدنيا والدين .

(٣) ط ، س « وأنشد الأحمير » وما أثبت من ل .

(٤) الأقب : الضامر البطن ، عني به فرسا . اللبان ، بالفتح : الصدر ، وأراد بانطلاق اللبان انبساطه واستواءه . وفي الأصل : « منطلق اللسان » بمعنى زلق فصيح وليس يكون ذلك . والسيد ، بالكسر : الذئب . تنصل من حجور السعالى : خرج منها . والسعلة - فيما يزعم العرب - : الغول . يقول : كأنه ذئب خبيث فهو سريع العدو . جاء في ل : « تنصل في » .

(٥) هو جران العود . والبيت من قصيدة مثبتة في ديوانه ١٣ - ٢٤ .

(٦) هذا مافي ل والبيان (٣ : ٤٠) وهو صواب الرواية . وفي ط ، س « يراقب »

(٧) الرواية في الديوان ص ١٤ وكذا في ل : « من آخر الليل » . والدجية ، بالضم : الظلمة وبهجتها دجى . ويطرف : أى كما تطرف العين .

(٨) هذه الكلمة ساقطة من ل .

أَفَادَ وَجَادَ وَسَادَ وَزَادَ وَقَادَ وَزَادَ وَعَادَ وَأَفْضَلَ^(١)
وَلَا أَجْمَعَ مِنْ قَوْلِهِ^(٢) :

لَهُ أَيَّطَلًا طَبِيٍّ وَسَاقًا نَعَامَةً وَإِرْخَاءً سِرْحَانٍ وَتَقْرِيبًا تَتَفَلُّ
وَقَالُوا : وَلَمْ نَرِ^(٣) فِي التَّشْبِيهِ كَقَوْلِهِ ، حِينَ شَبَّهَ شَيْئَيْنِ بِشَيْئَيْنِ فِي حَالَتَيْنِ

مُخْتَلِفَيْنِ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ ، وَهُوَ قَوْلُهُ :

كَأَنَّ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَابَسًا لَدَى وَكُرْهَا الْعُنَابُ وَالْحَشَفُ الْبَالِي

(قِطْعَةٌ مِنْ أَشْعَارِ النِّسَاءِ)

وَسَنَذَكُرُ قِطْعَةً مِنْ أَشْعَارِ النِّسَاءِ . قَالَتْ أَعْرَابِيَّةٌ^(٤) :

رَأَتْ نِضْوًا أَسْفَارٍ أُمِيمَةً شَاحِبًا عَلَى نِضْوٍ أَسْفَارٍ فَجَنَّ جُنُونَهَا
فَقَالَتْ : مِنْ أَيِّ النَّاسِ أَنْتَ ، وَمَنْ تَكُنُّ
فَإِنَّكَ مَوْلَى فِرْقَةٍ لَا تَزِينُهَا

(١) كَذَا فِي ل وَثُمَّلَهُ عِنْدَ الْعَكْبَرِيِّ ٢ : ٧٢ . وَجَاءَ فِي ط ، س :

أَفَادَ وَجَادَ وَسَادَ وَقَادَ وَعَادَ وَزَادَ وَزَادَ وَأَفْضَلَ

وَقَدْ جَرَى عَلَى طَرِيقَةِ أَمْرِ الْقَيْسِ أَبُو الْعَمَيْثِلِ الْأَعْرَابِيُّ فَقَالَ :

أَصْدَقَ وَعَفَ وَبَرَّ وَأَصْبَرَ وَاحْتَمَلَ وَأَصْفَحَ وَدَارَ وَكَافَ وَأَبْذَلَ وَأَشْجَعَ

ثُمَّ الْمُتَنَبِّئِيُّ فِي قَوْلِهِ :

أَقْلَ أَقْلٍ أَقْطَعَ أَجْلَ عَلَى سَلٍّ أَعْدَ زِدْ هَشَّ بِشٍّ تَفْضِلُ أَدْنَ سَرٍّ صِلْ

انْظُرِ الْوَسَاطَةَ ٢٥٣ وَالْعَكْبَرِيَّ .

(٢) كَذَا فِي ل وَفِي ط ، س : : « وَقَالُوا : وَقَالَ خَلْفُ الْأَحْمَرِ : لَمْ أَرِ أَجْمَعَ مِنْ بَيْتِ أَمْرِ الْقَيْسِ » .

(٣) س : « يَرَى » .

(٤) كَذَا . وَالشَّعْرُ كَمَا تَرَى ، يَنْطِقُ بِأَن قَاتِلَهُ رَجُلٌ .

(٥) الْفِرْقَةُ ، بِالْكَسْرِ : الْجَمَاعَةُ . ط ، س : « وَفَرَيْنَاهَا » صَوَابُهُ فِي ل وَنَقَدَ الشَّعْرَ ٧٣ وَاللِّسَانَ (ضَمًّا ٢١٢) حَيْثُ أَنْشَدَ خَمْسَةَ أَهْيَاتِ .

وقالت امرأة من خثعم :

فَإِنْ تَسْأَلُونِي مَنْ أَحَبُّ فَإِنِّي

أُحِبُّ ، وَبَيْتِ اللَّهِ ، كَعْبَ بْنِ طَارِقٍ
أُحِبُّ الْفَتَى الْجَعْدَ السَّلَوِيَّ نَاضِلًا ^(١) عَلَى النَّاسِ مُعْتَادًا لَضَرْبِ الْمَفَارِقِ

وقالت أخرى :

وَمَا أَحْسَنَ الدُّنْيَا فِي الدَّارِ خَالِدٌ وَأَقْبَحَهَا لَمَّا تَجَهَّزَ غَادِيَا
وقالت أُمُّ فُرُوءَ ^(٢) الْغَطَفَانِيَّةُ :

فَمَا مَاءٌ مَزْنٌ أَيْ مَاءٌ تَقُولُهُ تَحْدَرُ مِنْ غُرٍّ طَوَالَ الذَّوَائِبِ ^(٣)
بِمُنْعَرَجٍ أَوْ بَطْنٍ وَادٍ تَحْدَرَتْ عَلَيْهِ رِيَّاحُ الصَّيْفِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ^(٤)
نَفَى نَسَمُ الرِّيحِ الْقَذَا عَنْ مَتُونِهِ فَمَا إِنْ بِهِ عَيْبٌ يَكُونُ لِعَائِبٍ ^(٥)
بَأُطْيَبَ رِيْمٍ يَقْصُرُ الطَّرْفُ دُونَهُ تُقَى اللَّهُ وَاسْتَحْيَاءُ بَعْضِ الْعَوَاقِبِ

(١) يقال نضله ، إذا غلبه في الرمي . وجاء في ل : « فاضلا » وأثبت ما في ط ، س .

(٢) كذا في س والجزء الخامس من الحيوان ص ١٤٢ . وفي ط « أم فرق » وفي ل :

« امرأة فروة » . والشعر الآتي قد نسب في زهر الآداب (١ : ١٦٧) إلى

عائكة المرية في ابن عم لها راودها عن نفسها . وفي أمالي اللطال (٢ : ٨٧)

شعر لمن تدعى زينب بنت فروة المرية ، تقوله في ابن عم لها يقال له المغيرة .

(٣) رواية زهر الآداب : « وما طعم ماء أي ماء تقوله » . وعنى بالغر السحاب ،

وبذوائها أطرافها .

(٤) رواية زهر الآداب : « بمنعرج من بطن واد تقابلت » وفي الجزء الخامس من

الحيوان : « تحدبت » موضع « تحدرت » ، و « المزن » مكان « الصيف » .

(٥) زهر الآداب : « نفت جرية الماء » . وفيه وفي الجزء الخامس : « تراه لشارب » .

وقال بعضُ العشاق^(١) :

وَأَنْتِ الَّتِي كَلَّفْتِنِي^(٢) دَلَجَ السَّرَى وَجُونَ الْقَطَا بِالْجَلْهَتَيْنِ جُثُومُ^(٣)
وَأَنْتِ الَّتِي أَوْزَنْتِ قَلْبِي حَرَارَةً وَقَرَّحْتَ قَرَحَ الْقَلْبِ وَهُوَ كَلِيمُ^(٤)
وَأَنْتِ الَّتِي أَسْخَطْتَ قَوْمِي^(٥) فَكَلَّهْمُ بَعِيدُ الرِّضَا دَانِي الصُّدُودِ كَظِيمُ^(٦)

فَقَالَتِ الْمَعشُوقَةُ :

وَأَنْتَ الَّذِي أَخْلَفْتَنِي مَا وَعَدْتَنِي وَأَشْمَتُ بِي مَنْ كَانَ فِيكَ يَلُومُ
وَأَبْرَزْتَنِي لِلنَّاسِ حَتَّى^(٧) تَرَكْتَنِي لَهُمْ غَرَضًا أُرْمَى وَأَنْتَ سَلِيمُ
فَلَوْ أَنَّ قَوْلًا يَكْلِمُ الْجَسَمَ قَدْ بَدَا بِجَلْدِي مِنْ قَوْلِ الْوُشَاةِ كُلُّومُ

وقال آخر^(٨) :

شَهِدْتُ وَبَيْتَ اللَّهِ أَنْكَ غَادَةٌ رَدَّاحٌ وَأَنَّ الْوَجْهَ مِنْكَ عَتِيقُ^(٩) ١٧
وَأَنْكَ لَا تَجْزِينِي بِمُودَةٍ وَلَا أَنَا لِلْهَجْرَانِ مِنْكَ مُطِيقُ

(١) هو ابن الدمينه ، وكان قد هوى امرأة من قومه يقال لها « أميمة » فهام بها مدة فلما وصلته تجنى عليها وجعل ينقطع عنها ، ثم زارها ذات يوم فتعابها طويلا ، وتحدثا بالشعر الآتي . انظر معاهد التنصيص ١ : ٥٨ والحاسة ٢ : ١٤٦ وديوان ابن الدمينه ٣٦ - ٣٧ . والأبيات الثانية في البيان ٣ : ٣٧٠ والأغانى ١٥ : ١٤٨ .

(٢) ط ، س : « كلفني » وتصحيحه من ل والمراجع المتقدمة .

(٣) عنى بالجلهتين ناحيتي الوادى . وفي س : « بالجهتين » وهو محرف .

(٤) في الحاسة والديوان « قطعت قلبى حرازة » والحرازة : الوجد . وفيهما أيضا « وقرقت » مكان : « وقرحت » والوجه فيها « قرقت » بقاء ثم فاء ، يقال قرع الجرح وقرفه : قشره ولما يبرأ . وجاء في المعاهد : « ومزقت » وفي المعاهد والحاسة : « فهو كليم » وفي الديوان : « فهو سقيم » .

(٥) كذا في ل . وفي ط ، س : « أحفظت قلبى » وهو تحريف . والرواية في المعاهد والحاسة والديوان : « أحفظت قومي » . وأحفظه : أغضبه .

(٦) الكظيم : المكظوم ، وهو من امتلأ جوفه بالغضب .

(٧) الرواية في جميع المصادر المتقدمة : « ثم » .

(٨) هو قيس لبنى ، كما في تزيين الأسواق ٤٩ .

(٩) الرداح ، كسحاب : الثقبلة الأوراك . والعتيق : الجميل الرائع .

فأجابته :

شَهِدْتُ وَبَيْتَ اللَّهِ أَنَّكَ بَارِدٌ إِلَّا ثَنَانِيَا وَأَنَّ الْخَصْرَ مِنْكَ رَفِيقٌ^(١)
وَأَنَّكَ مَشْبُوحُ الذَّرَاعَيْنِ خَلْجَمٌ^(٢) وَأَنَّكَ إِذْ تَخْلُو بِهِنَّ رَفِيقٌ^(٣)

(شعر مختار)

[وقال آخر :

اللَّهُ يَعْلَمُ يَا مَغِيرَةَ أَنْنِي قَدْ دُسْتُهَا دَوْسَ الْحِصَانِ الْهَيْكَلِ
فَأَخَذْتُهَا أَخَذَ الْمُقْصَبُ شَاتَهُ عَجَلَانٍ يَشْوِيهَا لِقَوْمٍ نَزَلِ^(٤) [
وقال كعب بن سعد الغنوي^(٥) :

وَحَدَّثْتَنِي أَنَّهَا الْمَوْتُ بِالْقُرَى فَكَيْفَ وَهَاتَا هَضْبَةً وَقَلِيبٌ

(١) كذا في ط ، س . وفي ل والبيان ٢ : ٣٥١ : « وأن الكشح منك لطيف »
وما أثبت هو الأشبه ؛ إذ أنه الملائم للمجاوبة .

(٢) مشبوح الذراعين : طويلهما ، وقيل عريضهما . الخلجم : الجسم العظيم . وفي ط ،
س : « خلجم » وهو تصحيف ما كتبت من ل والبيان .

(٣) في ل ، والبيان : « عفيف » وانظر التنبيه الأول .

(٤) المقصب : القصاب . والشعر للعجاج ، كما في اللسان (فتح) .

(٥) كعب بن سعد الغنوي شاعر إسلامي ، وهو أحد بني سالم بن عبيد بن سعد
ابن عوف بن كعب بن جلان بن غنم بن غنم بن أعصر . كذا قال أبو عبيد البكري
في شرح أمالي القالي في موضعين منه . وقد راجعت كتب الصحابة وكتاب الشعراء
لابن قتيبة وكتاب الأغاني وغيرها فلم أجد ترجمته في أحدها إلا ما قاله أبو عبيد
المذكور ، والظاهر أنه تابعي . خزائن الأدب (٣ : ٦٢١ بولاق) . والآيات
الآتية من مرثية له طويلة رواها ابن الشجري في مختارات أشعار العرب (٢٧ -
٣٠) والقالي في أماليه (٢ : ١٤٨ - ١٥١) يرقى بها أخاه أبا المغوار ، واسمه
هرم أو شبيب . وفي أمالي القالي أن بعض الناس يروى هذه القصيدة لكعب ،
وبعضهم يروونها بأسرها لسهم الغنوي ، وهو من قومه وليس بأخيه ، وبعضهم
يروى شيئا منها لسهم .

وما ماء سماء^(١) كان غير حممة^(٢) ببریة تجرى عليه جنوب^(٣)
ومنزلة في دار صدق^(٤) وغبطة وما اقتال في حكم على طيب^(٥)
وقال دريد بن الصمة :

رئيس حروب لا يزال ربيثة مشيح على محقوق الصلب ملبد^(٦)
صبور على رزء المصاب حافظ من اليوم أعقاب الأحاديث في غد
وهون وجدى أننى لم أقل له كذبت ولم أبخل بما ملكت يدي

(قطع من البديع)

وقطعة من البديع قوله^(٧) :

إذا حداها صاحبي ورجعا وصاح في آثارها فأسمعا

-
- (١) ط : « وما وسماع » : س : « وما وسماع » وصوابه من ل ولسان العرب (قول) .
(٢) المحمة : مكان جوم الماء ، أى كثرته . والمحمة بالخاء : المكان تكثر فيه الحمى .
جاء في ط ، س : « بين محمة » ، وأثبت ما في ل ، ولسان العرب (قول) .
(٣) ريح الجنوب معها الخير والمطر والتلقيح . انظر اللسان (جنب) . قال ابن الأعرابي :
الجنوب في كل موضع حارة إلا بنجد فإنها باردة . جاء في ط ، س : « بنى شربة »
مكان « بيرية » التي أثبتتها من ل ، واللسان .
(٤) كذا في ط ، س : واللسان . وفي ل : « أمن » .
(٥) اقتال : تحكم . وجاءت هذه الكلمة في ل : « اقتال » وفي س : « افتاك »
وصواب تحريفهما من اللسان (قول) . وجاء في ط : « افتات » وهى صحيحة ،
في معنى : « اقتال » . وكلمة « في » هى في كل من س ، ل ولسان العرب :
« من » . وقد عني بالكلام أن أخاه لم يمرض فيحتاج إلى الطبيب .
(٦) « محقوقف » هى في الأصل : « محرووف » وليس لهذه وجه . وقد سبق الكلام
في هذه الأبيات وشرحها ص ٥٠ .
(٧) ط ، س : « قولهم » ، وأثبت ما في ل .

يَتَبَعْنَ^(١) مِنْهُمْ جُلَالاً أَتْلَعَا^(٢) أَدْمَكَ فِي مَاءِ الْمَهَارَى مُنْقَعًا^(٣)
وقال الراجزُ في البديع المحمود :

قد كنت إذ حبلُ صَبَاكَ مُدْمَشُ^(٤) وإذْ أَهَاضِيبُ الشَّبَابِ تَبْغَشُ^(٥)
ومن هذا البديع المستحسن منه ، قولُ حُجْر بن خالد بن مرثد^(٦) :
سمعتُ بِفِعْلِ الْفَاعِلِينَ فلم أَجِدْ كَفِعْلِ أَبِي قَابُوسَ حَزْمًا وَنَاثِلًا^(٧)
يُسَاقُ الْغَمَامُ الْغُرُّ من كُلِّ بِلْدَةٍ إِلَيْكَ فَأُضْحَى حَوْلَ بَيْتِكَ نَازِلًا^(٨)

(١) في الأصل : « يتبعن » وهو ظاهر التحريف . وقد عني بكلامه الإبل .

(٢) الجلال ، بالضم : العظيم . وجاء في ط ، س : « حلالا » مصحفة . والأتلع : الطويل المنق .

(٣) كذا جاء في البيت في ط ، ل . وفي س : « أرمك » وفي ل : « ماء المهاري » .

(٤) في اللسان : « أدمج الحبل : أجاد قتله . . . » وقوله : إذ ذاك إذ حبل الوصال مدمش ؛ إنما أراد : مدمج ، فأبدل الشين من الجيم لمكان الروى . فروى البيت برواية أخرى .

(٥) الأهضوبة : الدفعة من المطر ، تجمع على أهاضيب . وتبغش : تدفع ما بها من الماء . وقد كنى بقوله عن قوة الشباب ونعمته وريه . جاء في ط ، س : « تنعش » وصوابها من ل ، والبيان ٣ : ٣٣٤ .

(٦) هو حجر بن خالد بن محمود بن عمرو بن مرثد بن سعد بن مالك بن ضبيعة بن قيس ابن ثعلبة ، شاعر جاهلي كان معاصرا لعمر بن كلثوم . وكان أنشد شعرا بين يدي النعمان بن المنذر ، فأحفظ عمرو بن كلثوم ، فلطمه عمرو في مجلس الملك ، ثم اقتصر منه حجر ، وأجار الملك حجرا . فقال حجر الأبيات الآتية يمدحه . انظر شرح التبريزي للحماسة ٢ : ٣٩ والحماسة ٢ : ٢٩٤ و « مرثد » هي في ط ، س : « مزيد » وتصحيحها من ل ، والحماسة وشرحها .

(٧) أبو قابوس : كنية النعمان ، و « حزما » هي كذلك في ط ، والحماسة . وفي ل : « فعلا » .

(٨) في صدر هذا البيت روايات كثيرة . فيروى « فساق إلهي الغيث » ، و « فسيق إلهي الغيث » ، و « فساق الإله الغيث » ، و « فساق الغمام الغر » . وهي صورة تطلعك على ماتفعل الرواية . وكل هذا دعاء له .

فأصبح منه كلُّ وادٍ حللته

وإن كان قد خوى^(١) المربيع^(٢) سائلا

فإن أنت تهلك يهلك الباع والنداء وتضحى قلوبُ الحمد جرباء حائلا^(٣)

فلا ملك ما يبلغنك سعيه ولا سوقة ما تمدحنك باطلا^(٤)

باب

في صدق الظن وجودة الفراسة

قال أوس بن حجر :

[الألعى الذى يظن بك الظن كَأَنْ قَدْ رَأَى وَقَدْ سَمِعَا

وقال عمر بن الخطاب : « إنك لا تنتفع بعقل الرجل حتى تعرف

صدق فطنته » .

(١) خوى النجم : سقط ولم يطر في نوءه ، وكان العرب يستدلون على المطر بالنجوم .

انظر تفصيل ذلك في الأزمنة والأمكنة للمرزوق ٢ : ١٧٩ - ١٨٥ ، وبلوغ الأرب ٣ : ٢٢٩ - ٢٦١ . وفي الأصل « حوى » مصحفة .

(٢) المربيع : النجوم التى يكون بها المطر في أول الأنواء . ط : « المربيع » وتصحيحه من س ، ل . يقول : يسير الخير في ركابك ، فلو أنك نزلت في مكان محروم من نعمة الغيث ، أفضت عليه من الخير ما يفعمه .

(٣) الباع : الشرف والكرم . قال رؤبة :

* إذا الكرام ابتدروا الباع بدر *

والقلوص : الناقة الشابة الفتية . و « الحمد » هى فى س : « الحب » محرفة

وفى ل : « الحى » ، ولها وجه . وفى الحماسة : « الحرب » وهى رواية جيدة . والحائل

من النوق : التى حمل عليها فلم تلتجح .

(٤) للتبريزى كلام جيد فى هذا البيت .

وقال أوس بن حجر [:

مليحٌ نَجِيحٌ أخو مَازِقٍ نِقَابٌ يُحَدِّثُ بِالْغَائِبِ^(١)

وقال أبو الفضة ، قَاتِلُ^(٢) أَهْرَ بنِ شَمِيط :

فَالَا يَأْتِيكُمْ خَبْرٌ يَقِينٌ فَإِنَّ الظَّنَّ يَنْقُصُ أَوْ يَزِيدُ

وقيل لأبي الهذيل : إِنَّكَ إِذَا رَاوَعْتَ وَاعْتَلَلْتَ - وَأَنْتَ تَكَلِّمُ النِّظَامَ

[وَقْتُ] - فَأَحْسَنُ حَالَاتِكَ أَنْ يَشْكَّ النَّاسُ فِيكَ وَفِيهِ ! قَالَ : خَمْسُونَ شَكًّا

خَيْرٌ مِنْ يَقِينٍ وَاحِدٍ !!

وَقَالَ كَثِيرٌ فِي عَبْدِ الْمَلِك :

رَأَيْتُ أَبَا الْوَلِيدِ غَدَاةَ جَمْعٍ بِهِ شَيْبٌ وَمَا فَقَدَ الشَّبَابَ^(٣)

فَقُلْتُ لَهُ ، وَلَا أَعْيَا جَوَابًا : إِذَا شَابَتْ لِدَاتُ الْمَرْءِ شَابَا

وَلَكِنْ تَحْتَ ذَلِكَ الشَّيْبِ حَزْمٌ إِذَا مَا قَالَ أَمْرَضَ أَوْ أَصَابَا^(٤)

وَلَيْسَ فِي جَوْدَةِ الظَّنِّ بَيْتٌ شَعْرٌ أَحْسَنُ مِنْ بَيْتِ بُلْعَاءِ^(٥) بْنِ قَيْس :

(١) أخو مازق : أى هو حسن التخلص من المآزق . وروى : « أخو مافط » . والنقاب : الرجل العالم بالأشياء الفطن .

(٢) ط ، س : « أحمد » وصوابه في ل . وانظر ما كتبت في الشميطية ص ٢٦٨ من الجزء الثاني .

(٣) جمع ، بالفتح ، هو المزدلفة . وكلمة « وما » هي في ط ، س : « وما » ، تحريف مافى ل ، واللسان (مادة مرض) . وفي البيان ٤ : ٦٧ : « وقد » وهى تحريف يشوه المعنى ؛ إذ يريد أنه وإن فقد مظاهر الشباب فهو متمتع بأخص صفات الشباب .

(٤) أمرض : أى قارب الصواب في الرأى وإن لم يصب كل الصواب . وفي س : « أغرض » ولا وجه له ، وصوابه في البيان واللسان . وكلمة : « قال » في البيت بمعنى « ظن » وبهذه الأخيرة جاءت الرواية في البيان واللسان .

(٥) ط ، س : « بلعأ » وأثبت مافى ل . وبلعأ هذا كان رأس بنى كنانة فى أكثر حروبهم ومغازيهم ، وهو شاعر محسن ، وقد قال فى كل فن أشعارا جيادا المؤتلف ١٠٦ . مات بلعأ قبل يوم الحرية ، وهو اليوم الخامس من أيام الفجار الآخر . العقد ٣ : ٢٧٢ - ٢٧٣ .

وَأَبْغَى صَوَابَ الظَّنِّ أَعْلَمَ أَنَّهُ إِذَا طَاشَ ظَنُّ الْمَرْءِ طَاشَتْ مَقَادِرُهُ
وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ ﴾ .

وَقَالَ ابْنُ أَبِي رَبِيعَةَ فِي الظَّنِّ :

وَدَعَانِي إِلَى الرَّشَادِ فَوَادُّ كَانَ لِلْغَى مَرَّةً قَدْ دَعَانِي
ذَلِكَ دَهْرٌ لَوْ كُنْتُ فِيهِ قَرِينِي (١) غَيْرَ شَكٍّ عَرَفْتُ لِي عِصْيَانِي
وَتَقَلَّبْتُ فِي الْفِرَاشِ وَلَا تَعَلَّمُ إِلَّا الظُّنُّونَ أَيْنَ مَكَانِي

(من مختار الشعر)

وَقَالَ ابْنُ أَبِي رَبِيعَةَ فِي غَيْرِ هَذَا الْبَابِ :

وَحِيلٌ كُنْتُ عَيْنَ النَّصْحِ مِنْهُ إِذَا نَظَرْتُ وَمَسْتَمِعًا مَطِيعًا
أَطَافَ بَغِيَّةٍ (٢) فَنَهَيْتُ عَنْهَا وَقُلْتُ لَهُ أَرَى أَمْرًا شَنِيعًا
أَرَدْتُ رَشَادَهُ جَهْدِي ، فَلَمَّا أَبَى وَعَصَى أَتَيْنَاهَا جَمِيعًا
وَقَالَ مَعْقَرُ بْنُ حَمَارٍ الْبَارِقِيُّ (٣) :

(١) الرواية في الديوان ص ٦٦ : « قريبي » وهي رواية جيدة . وعصيان الأهل والأقارب في الحب ، مما أكثر الشعراء الكلام فيه .

(٢) ط : « بغية » والوجه ما أثبت من ل ، س . ولإليها يعود الضمير في « عنها » .

(٣) معقر بن حمار البارقي اسمه سفيان بن أوس بن حمار ، وهو شاعر جاهلي . سمي معقرا بقوله في قصيدة مشهورة :

لها ناهض في الوكر قد مهدت له كما مهدت للبعل حسناء عاقر

معجم المرزبانى ٢٠٤ وخزانة البغدادى ٢ : ٢٩١ بولاق . وهو صاحب البيت المشهور (انظر المعجم ، وكذلك المؤلف ٩٢) :

فألقت عصاها واستقر بها النوى كما قر عينا بالإياب المسافر

وفى ط ، س : « معبد بن حماد » وجاء على الصواب الذى أثبتته فى ل .

الشَّعْرُ لَبُّ الْمَرْءِ يَعْزِضُهُ وَالْقَوْلُ مِثْلُ مَوَاقِعِ النَّبْلِ
مِنْهَا الْمُقَصِّرُ عَنْ رَمِيَّتِهِ وَنَوَافِذُ يَذْهَبْنَ بِالْحَصْلِ^(١)

(أَيَاتٌ لِلْمُحَدِّثِينَ حَسَنٌ)

١٩

وأبيات^(٢) للمُحَدِّثِينَ [حَسَنٌ ^(٣)] ، قال العَتَابِيُّ ^(٤) :

وَكَمْ نِعْمَةٍ آتَاكُمُهَا ^(٥) اللَّهُ جَزَلَةً مُبْرَأَةً مِنْ كُلِّ خُلُقٍ يَذِيعُهَا ^(٦)
فَسَلَطْتَ ^(٧) أَخْلَاقًا عَلَيْهَا ذَمِيمَةً تَعَاوَرْنَهَا حَتَّى تَفَرَّى أَدِيمُهَا
وَلَوْعًا وَإِشْفَاقًا وَنَطَقًا مِنْ الْخَنَا بَعُورَاءَ يَجْرِي فِي الرِّجَالِ نَمِيمُهَا ^(٨)
وَكُنْتَ أَمْرًا لَوْ شِئْتَ أَنْ تَبْلُغَ الْمَدَى ^(٩)

بَلَغْتَ بِأَذْنِي نِعْمَةً ^(١٠) تَسْتَدِيمُهَا
وَلَكِنْ فِطَامُ النَّفْسِ أَعْسَرَ مَحْمَلًا ^(١١) مِنْ الصَّخْرَةِ الصَّمَاءِ حِينَ تَرُومُهَا ^(١٢)

(١) الخصل ، بالفتح : الغلبة في النضال .

(٢) ل : « أبيات » .

(٣) الزيادة من س ، ل .

(٤) هو كلثوم بن عمرو العتابي ، سبقت ترجمته في الجزء الثاني ص ٢٩٦ . وقد روى
الراغب البيهقي الأخيرين في محاضراته ١ : ١٣٣ ونسبهما إلى عمرو بن كلثوم
وصوابه ما ذكرت ، كما في البيان ١ : ١٢٠ .

(٥) ط ، س : « آتَى بِهَا » ، وأثبت ما في ل .

(٦) ذامه يذيمه : عابه .

(٧) ط : « فسلط » ، وأثبت ما في س ، ل .

(٨) النميم مثل النميعة . و « نطقا » أى هو ينطق بالعوراء من الخنا .

(٩) رواية المحاضرات : « المنى » . ومؤداهما واحد .

(١٠) رواية المحاضرات : « غاية » .

(١١) كذا في ط ، س والبيان . وفي ل والمحاضرات : « أنقل » .

(١٢) س فقط : « يرومها » وليس بشيء .

وقال أيضاً :

وكنْتُ امرأً هَيَّابَةً تَسْتَفِزُّنِي رِضَاعِي بِأَدْنَى ضُجْعَةٍ أُسْتَلِينُهَا^(١)
أُوَافِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِهَمَّةٍ تَوَقَّلُ^(٢) فِي نَيْلِ الْمَعَالَى فَنُوتُهَا
رَعَى أُمَّةَ الْإِسْلَامِ فَهُوَ إِمَامُهَا وَأَدَّى إِلَيْهَا الْحَقَّ فَهُوَ أَمِينُهَا
وَيَسْتَنْتِجُ الْعَقْمَاءَ^(٣) حَتَّى كَأَنَّمَا تَغْلُغَلُ فِي حَيْثُ اسْتَقَرَّ جَنِينُهَا
وَمَا كُلُّ مَوْصُوفٍ لَهُ الْحَقُّ يَهْتَدِي وَلَا كُلُّ مَنْ أَمَّ الصَّوَى يَسْتَبِينُهَا^(٤)
مُقِيمٌ بِمُسْتَنِّ الْعُلَا ، حَيْثُ تَلْتَقِي طَوَارِفُ أَبْكَارِ الْخُطُوبِ وَعُوتُهَا^(٥)
وقال الحسن بن هاني :

قُولَا لَهَارُونَ إِمَامَ الْهَدَى عِنْدَ احْتِفَالِ الْجَلِيسِ الْحَاشِدِ
نَصِيحَةُ الْفَضْلِ^(٦) وَإِشْفَاقُهُ أَخْلَى لَهُ وَجْهَكَ مِنْ حَاسِدِ
بِصَادِقِ الطَّاعَةِ دِيَانِهَا وَوَاحِدِ الْغَائِبِ وَالشَّاهِدِ^(٧)

(١) ط ، س : « تستلينها » .

(٢) توقل : تتوقل ، بمعنى تصعد . وهذه رواية ل . وفي ط ، س : « ثوغل » .

(٣) يستنتج العقماء : يجعلها تلد . وهذا كناية عن قدرته على التغلب على المصاعب .
في ط ، س : « العقماء » وهي ذلك الطائر الخيالي الذي لا وجود له ، وبها يصح
المعنى أيضاً . أي هو يقدر أن يحصل على ما لا يناله غيره .

(٤) ط ، س : « ومأكل » ، وهي على الصواب في ل . أم : قصد . والصوى : جمع
صوة بالضم : وهي حجر يكون علامة في الطريق .

(٥) المستن : مكان الاستئنان ، وهو سرعة العدو . والطوارف : الحديثات ،
وفي ط : « طوارق » . والعون : جمع عون ، وهي التي ولدت بعد بطنها البكر .

(٦) هو الفضل بن يحيى البرمكي . وأراد أبو نواس استعطاف الرشيد على الفضل .

(٧) يقول : هو مخلص لك في حضرتك وفي غيبتك .

أَنْتَ عَلَى مَا بَكَ مِنْ قُدْرَةٍ مَا أَنْتَ مِثْلَ الْفَضْلِ بِالْوَاجِدِ
أَوْحَدَهُ (١) اللَّهُ فَمَا مِثْلُهُ لَطَالِبٍ ذَاكَ وَلَا نَاشِدٍ
وَلَيْسَ عَلَى اللَّهِ بِمُسْتَنْكَرٍ (٢) أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمَ فِي وَاحِدٍ
وَقَالَ عَدِيُّ بْنُ الرَّقَاعِ الْعَامِلِيُّ :

وَقَصِيدَةٍ قَدْ بَتُّ أَجْمَعَ بَيْنَهَا حَتَّى أَقْوَمَ مِثْلَهَا وَسَنَادَهَا
نَظَرَ الْمُتَقَفِّ فِي كُحُوبِ قَنَاتِهِ حَتَّى يُقِيمَ ثِقَافُهُ مُنَادَهَا (٣)
وَعَلِمْتُ حَتَّى لَسْتُ أَسْأَلُ عَالِمًا عَنْ حَرْفٍ وَاحِدَةٍ لَكِي أَزْدَادَهَا (٤)
صَلَّى إِلَهُهُ عَلَى أَمْرِي وَدَعْتَهُ وَأَتَمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِ وَزَادَهَا

(شعر لبنت عدى بن الرقاع)

قال : واجتمع ناسٌ من الشعراءِ ببابِ عدى بن الرقاعِ يُريدونَ
مُتَانَتَهُ وَمُسَاجَلَتَهُ ، فَخَرَجَتْ إِلَيْهِمْ بِنْتُ لَهُ صَغِيرَةٌ ، فَقَالَتْ :
تَجْمَعُهُمْ مِنْ كُلِّ أَوْبٍ وَمَنْزِلٍ عَلَى وَاحِدٍ لِأَزْلَمُ قِرْنٍ وَاحِدٍ (٥)

(١) هكذا الرواية الجيدة : « أوحده » أى جمعه واحداً . وهى رواية الديوان ٨٧ وعيون الأخبار ١ : ٢٢٧ . وفى الأصل : « أوجده » وليس بشيء .

(٢) كذا فى ط ، ل . وفيه الخزم . والرواية فى س والديوان وعيون الأخبار : « وليس لله بمستنكر » .

(٣) الثقاف ، بالكسر : ماتسوى به الرماح . والمتاد : المعوج . وفى الأصل : « منادها » وهى على الصواب الذى أثبت فى الموشح ص ١٣ .

(٤) قال فى الموشح ١٩٠ قال أبو جعفر المنجم : كثرت أحب أن أرى شاعرين فأؤدب أحدهما ، وهو عدى بن الرقاع ، لقوله :

وعلمت حتى ما أسائل واحداً عن علم واحدة لى أزدادها
ثم أسائله عن جميع العلوم فإذا لم يجب أدبته ! وأقبل رأس الآخر - وهو
زيادة بن زيد - لقوله :

إذا ما انتهى علمى تناهيت عنده أطال فأعلم أم تناهى فقصر .

(٥) « ومنزل » هكذا جاءت الرواية أيضاً فى اشعراء ١٤٥ . وروى فى الصناعتين =

(شعر لعبد الرحمن بن حسان بن ثابت وهو صغير)

وقال عبدُ الرحمن بن حسان الأنصاري ، وهو صغير ^(١) :
اللهُ يَعْلَمُ أَنِّي كُنْتُ مُشْتَغِلًا فِي دَارِ حَسَّانَ أَصْطَاذُ الْيَعَاسِيَا ^(٢)
وقال لأبيه وهو صبيٌّ - ورجع إليه وهو يبكي ويقول : لسعني طائر !
قال : فصفه لي يا بنيَّ ! قال كَأَنَّهُ ثَوْبٌ حَبْرَةٌ ^(٣) ! قال حَسَّانُ : قال ابني
الشَّعْرَ وَرَبَّ السَّكْبَةَ !
وكان الذي لسعه زنبورًا .

-
- = ٣٥٩ ، وذيل الأماي ٧٠ : « وبلدة » . وفي الكامل ١٤٩ : ليسك وشرح المقامات
للشريشي ٢ : ٣٠١ « ووجهة » . وزاد الثعالبي في الخبر : « فاستحيوا ورجعوا »
وابن قتيبة : « فانصرفوا عنه ولم يهاجوه » . والشريشي : « فأفحمتهم ورجعوا
بأخزي حالة » .
(١) ل : « صغير » . والخبر هنا مقتضب . جاء في الكامل ١٤٩ ليسك : « ويروى
أن معلمه عاقب الصبيان على ذنب وأرادته بالعقوبة ، فقال : الله يعلم . . . » الخ .
(٢) اليعسوب : أمير النحل .
(٣) الرواية في الكامل ١٤٩ ليسك : « كأنه ملتف في بردى حبرة » . والحبرة ،
بالتحريك ، أو كعنبه : ضرب من برود النين .
(٤) كذا في ل ، وفي ط ، س : « زنبور » بالرفع . وهي صحيحة في العربية ،
على تقدير ضمير الشأن . وبتلك اللفظة جاء قول العجير :
إذا مات كان الناس صنفان شامت وآخر مثن بالذي كنت أصنع
انظر سيبويه ١ : ٣٦ بولاق ، وشرح المفصل ٣ : ١١٦ س ٥ .
- ٥ - الحيوان - ٣

(شمر سهل بن هارون وهو صغير)

وقال سهل بن هارون ، وهو يختلف إلى الكتاب لجار لهم :
نُبِّيتُ بِغَلَكِ مَبْطُونًا فَقُلْتُ لَهُ فَهَلْ تَمَاطِلُ أَوْ نَأْتِيهِ عُودًا^(١) ٢٠

(شمر طرفة وهو صغير)

وقال طرفة وهو [صبي] صغير :
يَا لَكَ مِنْ قُبْرَةٍ بِمَعْمَرٍ خَلَا لَكَ الْجَوْ فَيَضِي وَاصْفِرِي^(٢)
وقال بعض الشعراء^(٣) :
إِذَا مَاتَ مَيِّتٌ مِنْ تَمِيمٍ فَسَرَّكَ أَنْ يَعِيشَ فَجِي بَرَادٍ

(١) ط : « نبت يفلك » س : « نبئت بفلك » ل : « نبئت نعلك » وصوابه
مأثبت من كتاب البغال . و المبطون : الذي يشتكي بطنه . و « فقلت » هي في ل :
« فرغت » وفي البغال : « فرغت » . وتمائل : دنا من الشفاء . ط ، س :
« أو يأتيه عواد » . وانظر قصة البيت واضحة في كتاب البغال ٣٠٣ - ٣٠٤ .

(٢) روى الديرى سبب هذا فذكر « أنه كان مع عمه في سفر ، وهو ابن سبع سنين
فنزّلوا على ماء فذهب طرفة بفخ له فنصبه للقنابر ، وبقي عامة يومه لم يصد شيئاً ،
ثم حمل فخه وعاد إلى عمه ، فتحملوا ورحلوا من ذلك المكان ، فرأى القنابر يلقطن
مانثر لهن من الحب فقال ذلك » . والرجز ستة أشطار عند الديرى واللسان (قبر) .
وقال ابن برى : هو لسكليب بن ربيعة . وانظر الشعراء ١٤٠ .

(٣) هو يزيد بن الصمق الكلابي كما في معجم المرزباني ٤٩٤ وكتابات الجرجاني ٧٣
والاقتضاب ٢٨٨ . أو أبو مهوش الفقعسي كما في حواشي الكامل ٩٨ لبيسك .
وللأبيات خبر فيما عدا الأول ، وكذا في العقد ٢ : ١٠ وأمثال الميداني ١ :
١٧١ وأدب الكاتب ١٢ والخزانة ٣ : ١٤٢ وأخبار الظراف ٢٤ . ورواها
الجاحظ في البيان ١ : ١٩٠ .

بَحْبُزٍ أَوْ بِلَحْمٍ أَوْ بِسَمْنٍ أَوْ الشَّيْءِ الْمَلْفَفِ فِي الْبِجَادِ (١)

تَرَاهُ يَطُوفُ بِالْآفَاقِ (٢) لِيَأْكُلَ رَأْسَ لُقْمَانَ بْنِ عَادٍ (٣)

وقال الأصمعيّ : الشَّيْءُ الْمَلْفَفُ فِي الْبِجَادِ : الْوَطْبُ (٤) :

وقال أعرابيٌّ :

أَلَا بَكَرْتُ تَلْحَى فَتَيْلَةً بَعْدَمَا بَدَأَ فِي سَوَادِ الرَّأْسِ أَيْضُ وَاضِحُ

لِتُدْرِكَ بِالْإِمْسَاكِ وَالْمَنْعِ ثَرْوَةً مِنْ الْمَالِ أَفْتَنَتْهَا السَّنُونَ الْجَوَائِحِ

فَقُلْتُ لَهَا : لَا تَعْذُلْنِي فَإِنَّمَا بِذِكْرِ النَّدَى تَبْكِي عَلَى النَّوَائِحِ (٥)

(أشعار في معانٍ مختلفة)

وقال بشارٌ أبياتاً تجوز في المذاكرة (٦) ، في باب (٧) [المني ، وفي باب]

الحزم ، وفي باب المشورة . وناسٌ [يجعلونها للجعجاع الأزديّ ، وناسٌ]

يجعلونها لغيره ، وهي قوله :

(١) البجاد : الكساء ، وزنا ومعنى .

(٢) روى : « يطوف الآفاق » كما في س .

(٣) الثعالبي في ثمار القلوب ٢٥٧ : « العرب كما تصف لقمان بن عاد بالقوة وطول

العمر كذلك تصف رأسه بالعظم ، وتضرب به المثل » وأنشد البيت . ومثل هذا

الكلام لابن السدي في الاقتضاب ٤٩ . وزاد : « كما يقال لمن يزهي بما فعل ، ويفخر

بما أدركه : كأنه قد جاء برأس خاقان ! » .

(٤) في اللسان : « الملفف في البجاد : وطب اللبن ، يلف فيه ليحمى ويدرك » .

(٥) س : « تبكي عليك » ، وما هنا أجود .

(٦) ل : « من المذاكرة » ، محرفة .

(٧) ط ، س : « وفي باب » ، وأثبت ما في ل .

إِذَا بَلَغَ الرَّأْيُ الْمَشُورَةَ فَاسْتَعِنَ بِرَأْيِ نَصِيحٍ أَوْ نَصِيحَةٍ^(١) حَازِمٍ
وَلَا تَحْسَبِ الشُّورَى عَلَيْكَ غَضَاظَةً مَكَانُ الْخَوَافِي رَافِدٌ لِلْقَوَادِمِ^(٢)
٢١ وَأَذِنَ مِنَ الْقُرْبَى الْمُقَرَّبَ نَفْسَهُ وَلَا تُشْهِدِ الشُّورَى امْرَأً غَيْرَ كَاتِمٍ
وَمَا خَيْرُ كَفٍّ أَمْسَكَ الْغُلَّ أُخْتَهَا وَمَا خَيْرُ نَصْلٍ لَمْ يُؤَيَّدْ بِقَاءَمٍ^(٣)
فَإِنَّكَ لَا تَسْتَطِرِدُّ أَلْهَمَ بِالْمَنَى وَلَا تَبْلُغِ الْعَلِيَا بِغَيْرِ الْمَكَارِمِ
وقال بعض الأنصار^(٤) :

وَبَعْضُ خَلَائِقِ الْأَقْوَامِ دَاءٌ كَدَاءُ الشَّيْخِ لَيْسَ^(٥) لَهُ شِفَاءٌ
وَبَعْضُ الْقَوْلِ لَيْسَ لَهُ عِنَاجٌ^(٦) كَمَخْضِ الْمَاءِ لَيْسَ لَهُ إِتَاءٌ^(٧)
وفال تأبَّط شَرًّا - إِنْ كَانَ قَالَهَا^(٨) - :

(١) ل والبيان (٤ : ٤٩) : « نصيحة » وهى صحيحة ، يقال نصحه نصحاً ، بالضم ، ونصاحه ، ونصاحية . والاسم النصيحة .

(٢) مر الكلام فى ريش الطائر بالجزء الثانى ص ٣٥٥ . رافد : معين . وفى س ، ط : « راية » ولم أجد لها وجها ، ويروى : « فإن الخوافى قوة » . وفى كنيات الجرجانى ٦٠ : « فريش الخوافى » .

(٣) النصل هنا : حديدة السيف . والقائم : مقبضه . فى ل ، « وما خير سيف » وأثبت ما فى ط ، س .

(٤) للشعر فى البيان (٣ : ١٨٦) منسوب إلى الربيع بن أبى الحقيق .

(٥) هذه الكلمة ساقطة من ط . والرواية فى ل : « كداء البطن ليس له دواء » .

(٦) أصل العنّاج للدلو ، وهو خيط أو سير يشد فى أسفلها ثم يشد فى عروتها . وهذه رواية ل واللسان . وفى ط : « عماد » . والبيت ساقط من س .

(٧) الخفض : أصله اللبن ، وهو تحريكه لاستخراج الزبد . والإتاء ، بالكسر : الزبد .

(٨) بعد هذه الكلمة فى ل عبارة مقحمة على الكتاب لاجرم ، وهذا نصها : « قال انمرى : وما يدل على أنه مولد قوله :

شَامِسٌ فِي الْقُرِّ حَتَّى إِذَا مَا ذَكَتِ الشَّعْرَى فَبَرْدٌ وَظِلٌّ^(١)
 وَلَهُ طَعْمَانٍ : أَرَى وَشَرَى وَكَلا الطَّعْمَيْنِ قَدْ ذَاقَ كُلُّ^(٢)
 مُسْبِلٌ فِي الْحَى أَحْوَى رِفْلٌ وَإِذَا يَغْدُو فَسَمِعَ أَزَلَ^(٣)
 وَوَرَاءَ الثَّارِ مِنْهُ ابْنُ أُخْتٍ مَصِيعٌ عَقَدَتْهُ مَا يُحَلُّ^(٤)
 مُطَرِّقٌ يَرَشِّحُ شَمًا ، كَمَا أَطَرَقَ أَفْعَى يَنْفُثُ السَّمَّ صِلٌ
 خَبَرٌ مَا نَابَنَا مُصْمِلٌ جَلَّ حَيٌّ دَقَّ فِيهِ الْأَجَلُ^(٥)

- = فإن الأعرابي لا يكاد يتغلغل إلى مثل هذا . وقال أبو الندى : مما يدل على أن هذا الشعر مولد أنه ذكر فيه سلماً . أما النمرى هذا فهو أحد شراح الحماسة ، بل هو أول شارح لها كما في خزانة الأدب (٣ : ٣٣٢ ، ٥٤١ بولاق) وهو ينقل في شرحه عن كتاب المعاني لأحمد بن حاتم الباهلي ، وهذا توفي سنة ٢٣١ . وأما أبو الندى فهو محمد بن أحمد الغندجاني ، يروى عنه الحسن بن أحمد أبو محمد الأعرابي الذي قرئت عليه بعض تصانيفه سنة ثمان وعشرين وأربعمائة . وللحسن رد على النمرى في شرحه للحماسة نقل عنه البغدادي في الخزانة كثيراً . وهذه الزيادة تجدها في شرح التبريزي للحماسة (٢ : ١٦٠ - ١٦١) مع بسط وتفصيل .
- (١) شامس في القر : يعني أن من لجأ إليه في القر وجده كالشمس التي تدق . والشعري : كوكب يظهر في شدة الحر .
- (٢) الأرى : العسل . والشري : الحنظل .
- (٣) مسبل في الحى : أى هو في حال السلم ممن يسبلون ثيابهم لما هم فيه من نعمة . والرفل : الكثير اللحم . ويغدو : أى في حال الحرب . والسمع : ولد الذئب من الضيع . والأزل : القليل لحم العجوز والفخذين .
- (٤) ل : « ووراء الثار منى » وهى رواية الحماسة . والمعنى يصح بكليهما إن حل الضمير في « منى » على التجريد . والمصع : الشديد المقاتلة .
- (٥) المصمئل : الشديد . وفي ل : « خبر ماجاونا » .

كُلُّ ماضٍ قَدْ تَرَدَّى بِمَاضٍ كَسْنَا الْبَرْقِ إِذَا مَا يُسَلُّ^(١)
فَاسْقِنِيهَا^(٢) يَاسَوَادَ بْنَ عَمْرٍو إِنَّ جِسْمِي بَعْدَ خَالِي لَخُلُّ^(٣)
وَقَالَ سَلَامَةُ بْنُ جَنْدَلٍ^(٤) :

سَأَجْزِيكَ بِالْوَدِّ الَّذِي كَانَ بَيْنَنَا أَصْغَعُ إِنِّي سَوْفَ أَجْزِيكَ صَغَصَا
سَأُهِدِي وَإِنْ كُنَّا بِتَثْلِيثٍ مِدْحَةٍ إِلَيْكَ وَإِنْ حَلَّتْ بِيُوتِكَ لَعَلْعَا^(٥)
فَإِنْ يَلِكُ مَحْمُودًا أَبُوكَ فَلِئَنَّا وَجَدْنَاكَ مَحْمُودَ الْخِلَائِقِ أَرْوَعَا
فَإِنْ شِئْتَ أَهْدِينَا ثَنَاءً وَمِدْحَةً^(٦) وَإِنْ شِئْتَ أَهْدِينَا لَكُمْ مِائَةَ مَعَا^(٧)
فَقَالَ صَعْصَعَةُ بْنُ مَحْمُودٍ بْنِ^(٨) بَشَرٍ^(٩) بْنِ عَمْرٍو بْنِ مَرْثَدٍ : الثَّنَاءُ وَالْمِدْحَةُ^(١٠)

- (١) قبل هذا البيت في الحماسة بيتان يتوقف معناه عليهما . وهما :
- يركب الهول وحيداً ولا يصحبه إلا النيمان الأفل
وفتو هجروا ثم أسروا ليلهم حتى إذا انجباب حلوا
- أراد بالمأخى الأول الرجل الشديد، والثاني السيف القاطع . تردى بالسيف : تقلده بحمائه .
- (٢) س : « سقنيها » . ويريد الخمر .
- (٣) الخل : المهزول . وفي ل : « بعد حال » مصحفة .
- (٤) قال سلامة الأبيات الآتية ، وبعث بها إلى صَعْصَعَةَ بْنِ مَحْمُودٍ . (البيان ٣ : ٣١٨) .
- (٥) كذا الرواية في ل ، والبيان . وفي ط : « سأهدى بتثليث إليك هدية توافيك لو » .
وفي س مثل ط مع إبدال « مدحة » بكلمة « مذمة » و « توافيك » بكلمة « قوافيك » .
- (٦) كذا الرواية في ل والبيان . وفي ط ، س : « أهدينا إليك ثناءنا » .
- (٧) عنى بالمائة مائة من الإبل تكون فدية لأخيه أحرر بن جندل ، الأسير .
- (٨) ل : « من » .
- (٩) س : « بشير » . وفي البيان : « صَعْصَعَةُ بْنُ مَحْمُودٍ بْنِ عَمْرٍو بْنِ مَرْثَدٍ » .
- (١٠) كذا في ل والبيان . وفي ط ، س : « الثناء والحمد والمدح » .

أحبُّ إلينا . وكان أحمراً^(١) بن جندل أسيراً في يده ، فخلَّى سبيلَه من غير فداء .

وقال أوسُ بن حَجَر ، في هذا الشَّكل من الشعر - وهو يقع في باب الشُّكر والحمد - :

لَعَمْرُكَ مَا مَلَّتْ ثَوَاءً ثَوِيَّهَا حَلِيمَةً إِذْ أُلْقِيَ مِرَاسِي مَقْعَدِي^(١)
وَلَكِنْ تَلَقَّتْ بِالْيَدَيْنِ ضِمَانِي وَحَلَّ بِفَلَجٍ فَالْقِنَافِذِ عُوْدِي^(٢) ٢٢
وَفَدَّ غَبَرَتْ شَهْرَى رَبِيعٍ كُلَيْهِمَا بِحَمْلِ الْبَلَايَا وَالْحَبَاءِ الْمَمْدَدِ^(٣)
وَلَمْ تُلْهَهَا تِلْكَ التَّكَالِيفُ ؛ إِنَّهَا كَمَا شِئْتَ مِنْ أَكْرُومَةٍ وَتَحْرُدِ^(٤)
سَاجِرِيكَ أَوْ يَجْزِيكَ عَنِّي مَثُوبٌ^(٥) وَحَسْبُكَ أَنْ يُثْنِيَ عَلَيْكَ وَتُحْمَدِي^(٦)

(١) كذا في ل والبيان . وفي ط ، س : « أحمد » .

(٢) يقال ألقى مراسيه : أى استقر ، ومثله ألقى عصاه . وكلمة « مقعد » هى في ط ، س : « ومقعد » ، صوابه في ل ، ويعنى بالمقعد نفسه . وانظر الديوان ٥ والبيان (٣ : ٣١٩) .

(٣) فلج والقنافة : موضعان . والعود : جمع عائد للذى يزور المريض . قالوا : وكان أوس قد جالت به ناقته في سفر فصرعته فاندقت فخذه ، فأواه فضالة بن كلفة ، وكانت حليلة بنت فضالة تعنى به في أثناء مرضه . (الأغاني ١٠ : ٧) .

(٤) ط ، س : « عبرت » ، وهى رواية الديوان ومؤداهما واحد . والبلايا : جمع بلية .

(٥) التحرد من قوهم خريدة ، وهى الحية الطويلة السكوت الخافضة الصوت الخفرة المتسترة ، قد جاوزت الإحصار ولم تعنس . و « تحرد » هى رواية ل والديوان والبيان واللسان (مادة خرد) . وفي ط : « تحردى » بالواو ، والياء فى آخرها زيادة ناسخ . وفي س : « تجرد » .

(٦) المثوب : الميثيب . وفى التنزيل العزيز : « هل ثوب الكفار » . وما أثبت هو رواية ل والديوان والأغاني . وفي ط ، س والبيان : « سنجزيك أو يجزيك عنا » .

(٧) ط ، س « وتحمد » وهو خطأ إملائي .

وقال أبو يعقوب الأعور :

فلم أَجْزِهِ إِلَّا المَوَدَّةَ جَاهِداً وَحَسْبُكَ مِنِّي أَنْ أَوَدَّ وَأَجْهَدَا^(١)

(من شعر الإيجاز)

وأبيات^(٢) تضافُ إلى الإيجاز وحَذَفَ الفصول . قال بعضهم ووصف

كِلَاباً فِي حَالِ شِدِّهَا وَعَدْوِهَا ، وَفِي سُرْعَةِ رَفْعِ قَوَائِمِهَا وَوَضْعِهَا - فقال :

* كَأَنَّمَا تَرْفَعُ مَا لَمْ يُوضَعَ^(٣) *

ووصف آخرُ ناقةً بالنشاط والقوة فقال :

* [خِرْقَاءُ]^(٤) إِلَّا أَنَّهَا صَنَاعَ *

وقال الآخر :

* اللّيلُ أَخْفَى والنَّهَارُ أَفْضَحُ^(٥) *

ووصف الآخرُ قَوْساً^(٦) فقال :

* فِي كَفِّهِ مُعْطِيَةٌ مَنُوعُ *

(١) أى وأجهد فى الود . وفى ط ، س : « وأحدا » .

(٢) ط ، س « وأشياء » ، والوجه ما أثبت من ل .

(٣) انظر ما كتب عن هذا البيت فى الجزء الثانى ص ٣٥ .

(٤) زيادة هذه الكلمة من ل والعمدة (١ : ١٦٨) والبيان (١ : ١٥٠ و ٣ : ٧٢) .

(٥) قبله فى البيان (١ : ١٥٠) :

* إِنَّكَ يَا بَنِ جَعْفَرٍ لَا تَفْلَحَ *

(٦) فى الأصل : « فرسا » وهو تحريف ، تجد صوابه فى البيان (١ : ١٥٠) وديوان

المعاني (٢ : ٥٩) ، وقد نسب البيت فهما إلى العكلى ، وهو أبو حزام .

وقال الآخر ^(١) :

وَمَهْمَهُ فِيهِ السَّرَابُ يَسْبَحُ [كَأَنَّمَا دَلِيلُهُ مَطْوَحٌ] ^(٢)
يَدَأْبُ فِيهِ الْقَوْمُ حَتَّى يَطْلَحُوا كَأَنَّمَا بَاتُوا بِحَيْثُ أَصْبَحُوا
ومثل هذا ^(٣) البيت الأخير ^(٤) [قوله] :

وَكَأَنَّمَا بَدَرٌ وَصِيلٌ كُتَيْفَةٌ ^(٥) وَكَأَنَّمَا مِنْ عَاقِلٍ أَرْمَامٌ
ومثله ^(٦) :

تَجَاوَزْتُ حُمُرَانَ فِي لَيْلَةٍ وَقُلْتُ قُسَّاسٌ مِنَ الْحَرَمَلِ ^(٧)
ومن الباب الأول قوله :

عَادَنِي الهمُّ فَاعْتَلَجَ كُلُّ هَمٍّ إِلَى فَرَجٍ
وهذا الشعرُ لجعيفران الموسوس ^(٨) .

وقال الآخر ^(٩) :

(١) هو مسعود أخو ذى الرمة ، كما في ديوان المعاني (٢ : ١٢٨) .

(٢) زيادة هذا البيت من ل ، وهو في أصله متأخر عن البيت الذي بعده ، والوجه تقديمه عليه .

(٣) ل : « ومن شكل » .

(٤) ط : « الآخر » وأثبت ما في س ، ل .

(٥) كتيفة : اسم جبل . وفي س : « كتيفة » . وفي ل : « كنيفة » وهو تحريف ما أثبت من ط .

(٦) ط ، س : « ومنه قول الآخر » . وصاحب الشعر هو أوفى بن مطر الخزاعي ، كما في ذيل أمالي القالي ٩١ . والبيت من سبعة أبيات لها قصة في ذيل الأمالي .

(٧) في ذيل الأمالي : « تجاوزت ماوان » .

(٨) ل : « لجعفر الموسوس » وصوابه في ط ، س . وهو جعيفران بن علي بن أصفر ابن السرى ، أبوه من أبناء الجند الخراسانية . ولد جعيفران ونشأ ببغداد ، وكان أديبا شاعرا ، تغلب عليه السوداء حيناً ، فإذا أفاق قال جيد الشعر . الأغاني (١٨ : ٦١) . والبيت السابق خبر في الأغاني (١٨ : ٦٢) .

(٩) صاحب الشعر جرير ، كما في نهاية أمالي المرتضى (٤ : ٢٠٢) .

لم أقص من صحبة زيدٍ أربى فتى إذا نبهته^(١) لم يغضب
أبيضُ بَسَّامٌ وإن لم يعجب ولا يرضن^(٢) بالمتاع المحقّب
موكّلُ النَّفسِ بِحِفْظِ الغُيبِ أقصى رفيقيه له كالأقرب
وقال دُكَيْنُ^(٣) :

وقدُ تعَلَّتْ^(٤) ذَمِيلَ العَنَسِ بالسَّوْطِ في دَيْمومةٍ كالترس
* إذ عَرَجَ اللَّيْلَ بِروحِ الشَّمْسِ^(٥) *

وقال دُكَيْنُ أيضاً :

٢٣

بمَوطنٍ يُنِيطُ فيه المحتسى^(٦) بالمشرَفِيَّاتِ زُطَافَ الأنفُسِ^(٧)

(١) هذه الرواية موافقة لما في عيون الأخبار (٣ : ٢٣) .

(٢) س : « يطن » ولعل صواب هذه « يظن » بالبناء للمفعول : أى يهتم .

(٣) هو دكين بن رجاء الفقيمي ، وكان من أجازة عمر بن عبد العزيز - وعمر الضنين بإجازة الشعراء - أجازة وهو والى المدينة ، كما أجازة وهو خليفة . الشعراء لابن قتيبة . والرجز يروى في المؤتلف ١٠٤ منسوباً إلى منظور بن حبة الأسدى .

(٤) كذا في الأصل والبيان (٣ : ٣٣٤) ، وصواب الرواية : « تعالت » كما في المؤتلف ١٠٤ وزهر الآداب (٢ : ١٠٥) واللسان مادة (علل) . يقال : تعالت الناقة : إذا استخرجت ماعنها من السير . والذميل : ضرب من سير الإبل .

(٥) في البيان والمؤتلف : « بروح الشمس » . وعرج الليل : حبسه . والبروج : الظهور .

(٦) س : « الخنس » وهو تحريف . وينيط : يعلق .

(٧) المشرفيات : السيوف منسوبة إلى مشارف الشام . والنطاف : جمع نطفة ، وهى قليل الماء يبقى في دلو أو قربة . وتعليق النطاف في المشرفيات عبارة عن شدة الحرص على الماء ، وذلك يكون في المهامه المجدة . وفى ط ، س : « لطاف » ، وهو تحريف مأثب من ل .

وقال الراجز :

طَالَ عَلَيْهِنَّ تَكَالِيفُ الشَّرَى وَالنَّصُّ فِي حِينِ الْهَجِيرِ وَالضُّحَى
حَتَّى عُجَاهُنَّ فَمَا تَحْتَ الْعُجَى ^(١) رَوَاعِفُ يُخْضِبْنَ مُبَيَّضَ الْحَصَى ^(٢)
وفي هذه الأرجوزة يقول :

* وَضَحِكَ الْمَزْنَ بِهَا ثُمَّ بَكَى ^(٣) *

ومن الإيجاز المحذوف قولُ الراجز ، ووصف سهمه حين رمى غيراً
كيف [نَفَذَ سهمه ، وكيف] صرعه ، وهو قوله ^(٤) :
* حَتَّى نَجَا مِنْ جَوْفِهِ وَمَا نَجَا ^(٥) *

(شعر في الاتعاض والزهد)

ومما يجوز في باب الاتعاض قولُ المرأةُ وهي تطوفُ بالبيت :

أَنْتِ وَهَبْتَ الْفَرْتِيَةَ السَّلَاحِبَ ^(٦) وَهَجَمَةً يَحَارُ فِيهَا الطَّالِبُ ^(٧)

(١) العجى ، واحدها العجاية والمجاوة بضم العين في كليهما ، وهى عصب مركب فيه فصوص من عظام كأمثال فصوص الخاتم ، تكون عند رمغ الدابة . والرجز في البيان ٣ : ٣٣٥ .

(٢) رواعف : يسيل منها الدم .

(٣) ط ، س : « البرق » ، والوجه ما أثبت من ل .

(٤) ط ، س : « يقول » وتصحيحه من ل .

(٥) الشعر في وصف سهم رام أصاب حماراً . انظر البيان ١ : ١٥٠ . يقول :
نجا السهم من جوف الحمار وما نجا الحمار . أو نجا الحمار - من النجو - وما نجا
من الهلاك .

(٦) وهبهم السلاحب : أى الخيل الطويلة .

(٧) الهجمة : عدد عظيم من الإبل . وانظر البيان ٣ : ١٩٤ .

وَعَنَمًا مِثْلَ الْجَرَادِ السَّارِبِ مَتَاعَ أَيَّامٍ وَكُلُّ ذَاهِبٍ
[ومثله قولُ المسعودي :

أَخْلِفَ وَأَنْطَفَ ، كُلُّ شَيْءٍ زَعَزَعَتْهُ الرِّيحُ ذَاهِبٌ ^(١)]
وقال القُدَّار ^(٢) ، وكان سيِّدَ عَنَزَةٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ :

أَهْلَكْتَ مُهْرِي فِي الرَّهَانِ لِحَاجَةٍ وَمِنَ اللَّجَاجَةِ مَا يُضِرُّ وَيَنْفَعُ
[قال : وسمعت عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر ينشد - وكان فصيحاً :
إذا أنت لم تنفع فضرَّ فإنَّما يُرَجَّى الْفَتَى كَمَا يُضِرُّ وَيَنْفَعُ]
وقال الأَخْطَلُ :

تُشْمَسُ الْعِدَاوَةُ حَتَّى يُسْتَقَادَ لَهُمْ وَأَعْظَمُ النَّاسِ أَحْلَامًا إِذَا قَدَرُوا
وقال حارثة بن بدر :

طَرِبْتُ بِفَائُورٍ ^(٣) وَمَا كَدْتُ أَطْرِبُ ^(٤) سَفَاهًا وَقَدْ جَرَّبْتُ فِيمَنْ يَجْرِبُ
وَجَرَّبْتُ مَاذَا الْعَيْشُ إِلَّا تَعَلَّةٌ وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا مَنْجَنُونَ يَقْلَبُ ^(٥)
وَمَا الْيَوْمُ إِلَّا مِثْلُ أَمْسٍ الَّذِي مَضَى وَمِثْلُ غَدٍ الْجَائِي وَكُلُّ سَيَذْهَبُ ^(٦)

(١) في اللسان : أخلف فلان لنفسه : إذا كان قد ذهب له شيء فجعل مكانه آخر
وأما « أنطف » فلم أهد إلى وجه فيها ، وهي في البيان ٣ : ١٩٤ ، ٢٥٢
و ٤ : ٦٩ : « أئلف » .

(٢) ط ، س : « الفرار » وأثبت ما في ل .

(٣) فائور : اسم موضع ، أو واد ببلاد نجد . في ط : « بفائور » وصوابه في س ، ل .

(٤) ل : « تطرب » .

(٥) في شرح شواهد المغني للسيوطي ٧٩ : « المنجنون بفتح الميم : « الدولاب الذي
يستقى عليه . وجمعه مناجين وهو مؤنث » . فالوجه : « تقلب » . ومثله قول القائل :

وما الدهر إلا منجوناً بأهله وما صاحب الحاجات إلا معذبا

(٦) منع تنوين : « غد » لضرورة الشعر . وربما كانت الرواية : « أمسى » و « غدى »
بالإضافة إلى ياء المتكلم .

وقال حارثة بن بدر الغداني^(١) أيضاً :

إذا ألهم أمسى وهو داء فآلقه ولست بمضمضيه وأنت تعادله^(٢)
فلا تنزلن أمر الشديدة بامرئ إذا رام أمراً عوقته عواذله
وقل للفؤاد إن نزا بك نزوة من الرّوع أفرخ أكثر الرّوع باطله

(شعر في الغزو)

وقال الحارث بن يزيد (وهو جد الأحيمر السعدي) وهو يقع في باب
الغزو وتمدحهم ببعد المغزى^(٣) :

لَا لَا أَعْقُ وَلَا أَحُو ب وَلَا أُغِيرُ عَلَى مُضَرٍ
لَكُنَّا غَزَوِي إِذَا ضَجَّ الْمَطِيُّ مِنَ الدَّيْبِ
وقال ابن مخفّض^(٤) المازني :

(١) هو حارثة بن بدر بن حصين بن قطن بن مالك بن غدانة بن يربوع . قال أبو الفرج :
كان من لدات الأحنف بن قيس . قال ابن حجر : فإن يكن كذلك فقد أدرك
النبي صلى الله عليه وسلم . وله أخبار في الفتوح . وذكر المبرد في الكامل
أنه غرق في ولاية عبد الله بن الحارث على العراق . وذلك سنة أربع وستين .
الإصابة ١٩٣٣ . وفي ط ، س : « الفزاري » وصوابه في ل ، كما يتضح
من نسبه وكما في أمالي المرتضى ٢ : ٤٧ حيث يوجد الشعر الآتي .

(٢) رواية المرتضى واللسان ١٣ : ٤٦٢ : « فأمضه » . تعادله ، هو من قولهم :
أنا في عدال من هذا الأمر - بكسر العين - أى في شك منه ، أمضى عليه أم أتركه .
يقول : اجزم بطرد ألهم ولا تتردد في ذلك .

(٣) المغزى : الغزو ، أو مكانه . والبيتان الآتيان سبقتا في الحيوان ١ : ٣٣ وهما
كذلك في البيان ٣ : ٢٠٠ .

(٤) ط ، س : « مخفّض » . وقد اختلف في ضبط هذا الاسم ، ولذلك قصة في خزانة =

إِنْ تَكْ دِرْعَى يَوْمَ صَحْرَاءِ كَلْبَةٍ^(١) أَصِيبَتْ فَمَا ذَا كُمْ عَلَى بَعَارِ
أَلَمْ تَكْ مِنْ أَسْلَابِكُمْ قَبْلَ ذَا كُمْ عَلَى وَقَبَى يَوْمًا وَيَوْمَ سَفَارِ^(٢)
[فَتَلَكْ سَرَابِيلُ ابْنِ دَاوُدَ بَيْنَنَا عَوَارِيٌّ وَالْأَيَّامُ غَيْرُ قَصَارِ^(٣)
وَنَحْنُ طَرَدْنَا الْحَيَّ بَكْرَ بْنَ وَائِلٍ إِلَى سَنَةِ مِثْلِ الشَّهَابِ وَنَارِ^(٤)
وَمُومٍ وَطَاعُونَ وَحُمَى وَحَصْبَةٍ وَذَى لِبَدٍ يَغْشَى الْمَهْجَهَجَ ضَارِي^(٥)
وَحَكَمَ عَدُوٌّ لَاهَوَادَةَ عِنْدَهُ وَمَنْزِلٌ ذُلٌّ فِي الْحَيَاةِ وَعَارِ

= البغدادى ٢ : ٥١٠ - ٥١١ بولاق . وأصوب الأقوال فى ضبطه مأثبت من ل .
وابن محفض هذا ، هو حريث بن سلمة بن مرارة بن محفض ، من بنى مازن
ابن عمرو بن تميم . قال المرزبانى : هو مخضرم له فى الجاهلية أشعار ، وعاش
إلى أن أدرك الحجاج ، وله معه قصة ؛ فإنه سمعه على المنبر وهو يقول :

بنو المجد لم تقعد بهم أمهاتهم وآباؤهم آباء صدق فأنجبوا

فقام إليه حريث ، وهو شيخ كبير ، فقال : أيها الأمير ، من يقول
هذا ؟ قال : حريث بن محفض المازنى . فلما نزل دعاه فقال : ماحلك على
قطع الخطبة على ؟ قال : أنا حريث بن محفض ، فإني أنشدت شعري فأخذتني
أريحته ! قال : فضلاه . الإصابة ١٩٦٨ وانظر ذيل الأمالى ٨١ .

(١) كلبية ، بضم الكاف : واد من أودية العلاء بالنيمة لبنى تميم . وفى ط ، ل ، « كلبية »
وصوابه من م ومعجم البلدان . وفى ذيل الأمالى : « يوم صحراء كلبية ، وهى
موضع وقعة كانت بينهم وبين بكر بن وائل » .

(٢) فى ذيل الأمالى : « الوقبى ، وكذلك سفار : ماء لبنى مازن » .

(٣) زدت هذا البيت من معجم البلدان وذيل الأمالى . وسرابيل : دروع . وابن داود
هو سليمان ، وقد أخطأ حريث فنسب الدروع إليه . وإنما تنسب لداود نفسه
وانظر نظير هذا الخطأ فى شعر النابغة والحطيئة فى المعرب للجواليقي ص ٨٥ - ٨٦ .
عوارى : جمع عارية . بتشديد الياء وتخفيفها ، وهو مايعار .

(٤) قال أبو على : سنة ، أراد أسكناهم السواد وهو بلد وباء . وروى أبو على :
« مثل السنان » .

(٥) الموم ، بالضم : الجدرى الكثير المتراكب . والمهجهج : من يزرع للسم
يصيح به : هج هج .

وقال آخر^(١) :

خُذُوا الْعَقْلَ إِنْ أَعْطَاكُمْ الْقَوْمَ عَقْلَكُمْ

وَكُونُوا كَمَنْ سِيمَ الْهُوَانَ فَأَرْتَعَا^(٢)

وَلَا تُكْثِرُوا فِيهَا الضُّجَّاجَ فَإِنَّهُ مَحَا السَّيْفَ مَا قَالِ ابْنُ دَارَةَ أَجْمَعَا^(٣)

وقال أبو ليلى :

كَأَنَّ قَطَاتَهَا كُرْدُوسُ فَحَلَّ مَقْلَصَةً عَلَى سَاقِي ظَلِيمٍ^(٤)

(شعر في السيادة)

وقال أبو سليمي^(٥) :

لَا بَدَّ لِلسُّودَدِ^(٦) مِنْ أَرْمَاحٍ وَمِنْ سَفِيهِ دَائِمٍ النَّبَاحِ

(١) هو الكيت بن ثعلبة كما في خزانة الأدب ٤ : ٥٦٠ بولاق والمؤتلف ١٧٠ .
أو هو الكيت بن معروف ، كما في حماسة البهتري ١١ ، وشرح التبريزي
للحماسة ١ : ٢٠٦ .

(٢) سيم الهوان : كلف الذل . وأرتع : من أرتع إبله : جعلها تأكل ماشاء
وهذه رواية ل ، والخزانة . وفي ط ، س : « فأتبعا » وفي حماسة البهتري :
« فأربعا » .

(٣) ابن دارَةَ هو سالم بن مسافع بن يربوع ، كان يهجو بني فزارة هجوا شنيعا ، فقتله
زميل الفزاري ، فقال الكيت ذلك ، يريد أن الفعل أفضل من القول . انظر شرح
الحماسة للتبريزي ، وخزانة الأدب ٤ : ٥٦٢ بولاق .

(٤) القطاة : العجز ، أو ما بين الوركين . والكردوس ، بالضم : كل عظم كثير
اللحم . وكلمة « ساق » هي في الأصل : « سلقى » ولا وجه لها ، وتصحيحها
بما سبق في الجزء الأول ص ٢٧٤ .

(٥) س : « سلمى » . وقد سبق الرجز في الجزء الأول ٣٥٢ .

(٦) ط ، س : « للسود » ، وتصحيحه ل والجزء الأول .

* وَمِنْ عَدِيدٍ يُتَّقَى بِالرَّاحِ *

وقال الهذلي :

وإنَّ سيادةَ الأقوامِ فاعلمْ لها صعداءَ مطلبها طويل^(١)

وقال حارثة بن بدر^(٢) ، وأنشده سفيان بن عيينة^(٣) :

خَلَّتِ الدِّيَارُ فَسُدَّتْ غَيْرَ مُسَوِّدٍ وَمِنْ الشَّقَاءِ تَفَرَّدَى بِالسُّودِ

(شعر في هجاء السادة)

وقال أبو نخيلة :

وإنَّ بقومٍ سَوْدُوكَ لَفَاقَةٌ إِلَى سَيِّدٍ ، لَوْ يَظْفَرُونَ بِسَيِّدٍ

وقال إياس بن قتادة ، في الأحنف بن قيس :

٢٥ وإنَّ مِنَ السَّادَاتِ مَنْ لَوْ أَطْعَمْتَهُ دَعَاكَ إِلَى نَارٍ يَفُورُ سَعِيرُهَا^(٤)

وقال حميضة^(٥) بن حذيفة :

أَيْظَلْمُهُمْ قَسْرًا فَتَبًّا لِسَعِيرِهِ وَكُلَّ مَطَاعٍ لَا أَبَالِكَ يَظْلِمُ

(١) انظر كلامي على هذا البيت في الجزء الثاني ص ٩٥ .

(٢) في الأصل : « الحارث بن بدر » صوابه في البيان ٣ : ٢١٩ وأمالى المرتضى

٢ : ٥٣ . وانظر أمالي الزجاجي ٢١ .

(٣) سفيان بن عيينة ذكره ابن قتيبة في المعارف ٢٢١ في أصحاب الحديث ،

ولد سنة سبع ومائة ، ومات سنة ثمان وتسعين ومائة . قال : وكان أشد

الناس اختصارا . سئل عن قول طاوس في ذكاة السمك والجراد ، فقال :

ذكاته صيده . وجاء في العقد ١ : ٢٩١ : لما انفرد سفيان بن عيينة ومات

نظراؤه من العلماء ، تكاثر الناس عليه ، فأنشد يقول : خلت الديار . . . الخ .

(٤) س : « يفود سعيها » . والبيت في البيان ٣ : ٣٣٦ .

(٥) كذا في ل . وفي ط ، س : « حميضة » .

وقال آخر :

فأصبحتَ بعد الحلم في الحَيِّ ظالماً تَحْمَطُ فيهمِ والمسودُّ يَظْلِمُ^(١)
وكان أنس بن مدركة^(٢) [الخثعمي] يقول :

عزمت على إقامة ذى صباحٍ لأمرٍ ما يسودُّ مَنْ يسودُّ^(٣)
[وقال الآخر :

كما قال الحمار لسهمٍ رامٍ لقد جَمَعْتَ من شيءٍ لأمرٍ
وقال أبو حية :

إذا قُلْنِ كَلًّا قال والنَّقْعُ ساطعٌ بلى ، وهو واهٍ بالجراء أباجله [
وقال آخر^(٤) :

إني رأيت أبا العوراء مرتفعاً^(٥) بشطِّ دجلة يشرى التمر والسمكا
كشدَّة الخيلُ تبقى عند مذودها والموت أعلم إذ قفى بمن تركا^(٦)
هذه مساعيك في آثار سادتنا ومن تكن أنت ساعيه فقد هلكا

(١) التخبط : الكبر والغضب .

(٢) أنس بن مدركة ، أو ابن مدرك : شاعر جاهلي . انظر تحقيق العلامة الراجكوتي في حواشي الخزانة ٣ : ٨٠ سلفية . وفي ل : « إياس بن مدركة » وهو تحريف .

(٣) هذا البيت من شواهد سيبويه ١ : ١١٦ بولاق ، وقد تكلم فيه صاحب الخزانة ٣ : ٧٧ سلفية .

(٤) الأبيات تجدها أيضاً في الجزء الخامس ص ٥٩٨ .

(٥) في الجزء الخامس : « مرتفعاً » .

(٦) في س ، وكذا في الجزء الخامس : « كشرة الخيل » . وفي ل : « كثرة » وكلمة « تبقى » ساقطة من س وهي في الجزء الخامس « تبني » . و : « إذ قفى » هي في الجزء الخامس « من يدنى » .

وقال شتيم بن خويلد ، [أحد بني غراب بن فزارة] :

وقلت لسيدنا يا حلیمُ إنك لم تأسُ أسوأ رفیقاً^(١)
أعنتَ عدياً^(٢) على شأوها تُعادي رفیقاً وتُبقی رفیقاً
زحرت^(٣) بها ليلةٌ كلها فجئتُ بها مؤيداً خنْفَقِيقاً^(٤)
وقال ابن ميادة^(٥) :

أتيتُ ابن قشراء العجاني^(٦) فلم أجدُ لدى بابهِ إذناً يسيراً ولا نُزْلاً^(٧)
وإنَّ الذي ولأك أمر جماعةٍ لأنقصُ من يمشي على قدمٍ عملاً

(شعر في المجد والسيادة)

وقال آخر^(٨) :

ورثنا المجد عن آباءٍ صدق أسأنا في ديارهم الصنيعا

(١) أنشده ابن الأنباري في الأضداد ٢٢٥ وقال : « أراد يا حلیم عند نفسك ، فأما عندى فأنت سفيه » .

(٢) كذا في ل ، ومعجم المرزبانى ٣٩٢ والبيان ١ : ١٨١ . وفي ط ، س : « عليا » .

(٣) زحرت ، من الزحير ، وهو النفس بأذين .

(٤) قال الجاحظ في البيان : « مؤيد : داهية . خنْفَقِيق : داهية أيضا » . ط : « مريداً خنْفَقِيقاً » ، وتصحيحه من ل ، س ، والبيان .

(٥) كذا في ل . وفي ط ، س : « وقال آخر » . وجاء في الجزء الخامس نسبة البيتين إلى ابن أحر .

(٦) القشراء : الشديدة الحمرة . والرواية في الجزء الخامس : « حمراء » .

(٧) « يسيراً » هي في ط ، س : « يمر » ، وأثبت ما في ل ، والجزء الخامس . والنزله أصله بضم النون والزاي ، وسكن للشعر . والنزل : ما أعد للضيف .

(٨) هو معن بن أوس المزني ، كما في الأغاني ١٠ : ١٥٨ . والبيتان كذلك في عيون الأخبار ٤ : ١١٣ .

إذا المجدُّ الرَفِيعُ تعاورته بُناةُ السُّوءِ أوْشَكَ أَنْ يَضِيعَا
وقال الآخر :

إذا المرءُ أثرى ثمَّ قال لقومِهِ أنا السَّيِّدُ المُفَضَّى إِلَيْهِ المَعْمَمُ^(١)
ولم يَعْطِهِمْ خيراً أبوا أَنْ يَسُودَهُمْ وهانَ عليهم رَغْمُهُ وهو أَظْلَمُ^(٢)
وقال الآخر (٣) :

٢٦

تركتُ لبحرٍ درهميه ولم يَكُنْ لِيَدْفَعْ عَنِّي خَلَّتِي دِرْهَمًا بَحْرٍ^(٤)
فقلتُ لبحرٍ خذْهُمَا واصطَرْفَهُمَا وَأَنْفِقْهُمَا فِي غَيْرِ حَمْدٍ وَلَا أَجْرٍ
أَتَمْنَعُ سُؤَالَ الْعَشِيرَةِ بَعْدَ مَا تَسَمَّيْتَ بَحْرًا وَأَكْنَيْتَ أَبَا الْغَمْرِ
وقال الهذلي :

وكنْتَ إذا ما الدَّهْرُ أَحْدَثَ نَكْبَةً أَقُولُ شَوَى ، مالمَ يُصَيِّنْ صَمِيمِي^(٥)
وقال آخر في غير هذا الباب :

سقى الله أرضاً يَعْلَمُ الضَّبُّ أَنَّهَا بَعِيدٌ مِنَ الْأَدْوَاءِ^(٦) طَيِّبَةُ الْبَقْلِ
بنى بيته في رأسِ نَشْرٍ وَكُذْبَةٍ^(٧) وكلُّ أَمْرِي فِي حِرْفَةِ الْعَيْشِ ذُو عَقْلٍ

(١) في عيون الأخبار ١ : ٢٤٨ : « المفضى إليه المعظم » . ونسب في أمال الزجاجي ١٨ إلى المغيرة بن حبناء .

(٢) في حساسة ابن الشجري ١٠٠ : « وهان عليهم فقده » .

(٣) في المقد ٢ : ٢٧٥ : « سأل أعرابي رجلاً يقال له عمرو ، فأعطاه درهمين ، فردهما عليه فقال ، « وأنشد البيتين الأولين ، برواية « عمرو » مكان : « بحر » . وفي محاضرات الراغب ٢ : ١٥٢ : « ول رجل يقال له البحر ، ويكنى أبا الغمر بعض كور خراسان ، فدحه شاعر فأعطاه درهمين فقال « . وأنشد البيتين الأولين . وانظر عيون الأخبار ٣ : ١٤٣ .

(٤) في الأصل : « بحري » وهو تحريف . والخلة بالفتح : الحاجة والفقر .

(٥) أنشد ابن الأنباري هذا البيت في الأضداد ١٩٩ وقال : شوى أى هين حقير .

(٦) الأدواء : جمع داء ، وفي ل : « الأرواء » .

(٧) في الأصل : « بنا » . النثر : المكان المرتفع . والسكدية : الأرض الغليظة .

(أبو الحارث جَمِين والبرذون)

وحدَّثني المكيُّ قال : نظر أبو الحارث [جَمِين ^(١)] إلى برذون يُسْتَقَى عليه ماءٌ ، فقال : المرءُ حيثُ يَضْمَعُ نَفْسَهُ ^(٢) ! هذا لو قد هَمَلَجَ لم يُبْتَلْ بما تَرى !

(بين العقل والحظ)

وقال عبد العزيز بن زُرارة السكلابي :
وما لُبُّ ^(٣) الأَيبِ بغير حظٍّ بأغنى في المعيشَةِ من فَتيل ^(٤)
رَأَيْتَ الحَظَّ يَسْتُرُ كُلَّ عَيْبٍ وَهَيْهَاتَ الحُظُوظُ مِنَ العَقُولِ

(١) كَذَا فِي ل ، وفي مواضع متعددة من البيان ، وصاحب القاموس يرى هذا خطأ ، وأن صوابه « جَمِين » قال - في مادة جَمِن - : « ضَبَطَهُ المحدثون بالنون والصواب بالزاي المعجمة ، أنشد أبو بكر بن مقسم :
إن أبا الحارث جَمِيناً قد أوقى الحكمة والميزا »

(٢) بدل هذه في البيان ٢ : ١٠٢ :

* « وما المرء إلا حيث يجعل نفسه » *

وهو صدر بيت لحريث اللحام (للوساطة ١٥٦) وعجزه :

* فأبصر بعينيك امرأ حيث يعمد *

(٣) ط ، س : « لَبِث » ، وتصحيحه من ل .

(٤) الفتيل : الهنة التي في شق النواة . وفي ط : « فتيل » تحريف مافي س ، ل .

(هجو الخلف)

وقال الآخر^(١) :

ذهبَ الذينَ أُحِبُّهُمْ سَلَفاً^(٢) وَبَقِيَتْ كَالْمَقْهُورِ فِي خَلْفٍ^(٣)
مِنْ كُلِّ مَطْوِيٍّ عَلَى حَتْفٍ مُتَضَجِّعٍ يُكْفَى وَلَا يَكْفِي^(٤)

(عبد العين)

وقال آخر :

وَمَوْلَى كَعْبِدِ الْعَيْنِ أَمَّا لِقَاؤُهُ فَيُرضَى وَأَمَّا غَيْبُهُ فَظَنُّونُ^(٥)
ويقال للمرائى ، ولمن إذا رأى صاحبه تحرك له وأراه الخدمة والسرعة
في طاعته فإذا غاب عنه وعن عينه خالف ذلك : « إِنَّمَا هُوَ عَبْدُ عَيْنٍ^(٦) » .

-
- (١) هو الأصوص ، كما في البيان ٢ : ١٨٤ . والبيتان أيضاً فيه ٣ : ٣٣٦ .
(٢) ل : « أحب قريهم » . وفي البيان : « أحبهم فرطاً » .
(٣) في الجزء الثاني من البيان : « كالمقهور » . وفي الثالث : « كالمقهور » .
وكلمة « خلف » هي في ط : « خلق » محرفة .
(٤) المتضجع : من تضجع في الأمر ، إذا تقعد ولم يقيم به .
(٥) في ثمار القلوب ٢٦٣ : « فضنين » ، وهو تحريف ماهنا . وفي البيان
٣ : ٢٠٤ :

وَمَوْلَى كِدَاءِ الْبَطْنِ أَمَّا لِقَاؤُهُ فَحُلْمٌ وَأَمَّا غَيْبُهُ فَظَنُّونَ
والظنون بالفتح كالظنين : وهو المتهم الذي لا يوثق به . ويصح أن تقرأ بضم
الظاء جماً للظن .
(٦) للميداني مثل هذا الكلام في أمثاله ٢ : ٣٢٠ وزاد : « وكذلك يقال :
فلان أخو عين ، وصديق عين : إذا كان يرائي فيرضيك ظاهره » .

وقال الله عز وجل : ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدَّهُ إِلَيْكَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدَّهُ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ﴾ .

(من إيجاز القرآن)

وقد ذكرنا أحياناً تضاف إلى الإيجاز وقلة الفصول ، ولى كتابٌ جَمَعَتْ فيه آيات من القرآن ؛ لتعرف بها [فصل] ما بين الإيجاز والحذف ، وبين الزوائد والمفضول والاستعارات ، فإذا قرأناها رأيت فضلها في الإيجاز والجمع للمعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة [على الذي كتبته لك في باب الإيجاز وترك الفصول] . ففها قوله حين وصفَ خمرَ أهل الجنة : ﴿ لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزَفُونَ ﴾ . وهاتان الكلمتان قد جَمَعْتَا جميعَ عيوبِ خمرِ أهل الدنيا .

وقوله عز وجل حين ذكر فاكهة أهل الجنة فقال : ﴿ لَا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴾ . جمع بهاتين الكلمتين جميع تلك المعاني . [وهذا كثيرٌ قد دَلَلْتُكَ عليه ، فإن أردته فوضعه مشهور] .

(رأى أعرابي في تسمير المال)

وقال أعرابيٌّ من من بني أسد :
يَقُولُونَ ثَمَرٌ مَا اسْتَطَعْتُ ، وَإِنَّمَا لِوَارِثِهِ مَا ثَمَرَ الْمَالِ كَاسِبُهُ
فَكُلُّهُ وَأَطْعِمُهُ وَخَالِسُهُ وَارِثًا شَحِيحًا وَدِهْرًا تَغْنِيكَ نَوَائِبُهُ (١)

(١) خالسه ، من الخالسة ، وهي الأخذ في نهزة ومخاطلة .

(شعر في الهجاء)

وقال رجلٌ من بني عَبَس :

أَبَغْ قُرَاداً لَقَدْ حَكَّمْتُ رجلاً^(١)

لا يَعْرِفُ النَّصْفَ بل قد جَاوَزَ النَّصْفَا^(٢)

كان امرأً ثَاراً والحقُّ يَغْلِبُهُ فجانِبَ السَّهْلِ سَهْلَ الحقِّ واعتَسفا

وذاكُمْ أَنَّ ذَلَّ الجَارِ حَالَفَكُمْ وَأَنَّ أَنْفَكُمْ لا يَعْرِفُ الْأَنْفَا

إِنَّ المحْكَمَ مَا لَمْ يَرْتَقِبْ حَسَباً

أَوْ يَرْهَبِ السَّيْفَ أَوْ حَدَّ القَنَا جَنَفَا^(٣)

مَنْ لاذَّ بالسَّيْفِ لاقى قَرْضَهُ عَجَبَا^(٤) موتاً على عَجَلٍ أَوْ عاش مُنْتَصِفاً

بِيعُوا الحياةَ بها إذ سامَ طَالِبُهَا إِمَّا رَوَاحاً وَإِمَّا مِيتَةً أَنْفَا^(٥)

(١) ط ، س : « أَبَغْ فَوَادِي لَقَدْ حَرَكْتُمُو » ، وهو تحريف مأثبت من ل .
وقراد : اسم قبيلة .

(٢) النصف مثلثة والنصف بالتحريك : الإنصاف . والنصف بالتحريك : الاسم منه . والأبيات في البيان ١ : ٢١١ .

(٣) جنف : مال مع أحد الخصمين ، أو جار .

(٤) القرض ، أصله : ما يتجازى به الناس بينهم . وجاء في ل ، والبيان ١ :
٣١١ : « فرصة » .

(٥) يقول : بيعوا الحياة بالحياة . ويقال سام بالسلعة وسام بها وعليها : غالى .
وقد تعدى الفعل هنا بنفسه . في ط ، س : « نام » وليس بشيء .
وأثبت ما في ل .

ليس امرؤ خالداً والموت يطلبه هاتيك أجساد عادٍ أصبَحَتْ جيفاً
أبلغُ لديكَ أبا كعب^(١) مغلَّلةً أنَّ الذى بيننا قد مات أو دنفنا^(٢)
كانت أمورٌ فجابت عن حلومكم ثوبَ العزيمَةِ حتَّى انجَابَ وانكشفا^(٣)
إني لأعلمُ ظَهَرَ الضَّغنِ أعدِلَه عَيَّ ، وأعلمُ أنَّي آكلُ السكتفا^(٤)

(شعرٌ حِكْمِيّ)

وقال أسقفُ نجران^(٥) :

منَعَ البَقَاءَ تصرفُ الشمسِ وطُلوعُها منَ حيثُ لا تُمسي
وطُلوعُها بَيضاء صافيةً وغروبُها صفراء كالورس
اليوم أعلم ما يجيئُ بهِ ومضى بفصل قضائِه أمس

(١) ل : « سعد » . والمغللة : الرسالة تحمل من بلد إلى بلد .

(٢) دنف : براه المرض حتى أشق على الموت . وفي س : « قد بات » محرف .

(٣) كذا في ط ، س . وفي ل : « فجابت » و « مال فانكشفا » .

(٤) كذا في ل ، وفي ط ، س : « أين آكل » . وقولهم : « يعلم من

أين تؤكل الكتف » كناية عن الخدق .

(٥) الشعر نسب في معاهد التنصيص ٢ : ١٢١ وكذلك الصناعتين ١٩٢ إلى بعض

ملوك اليمن . ونسب في العقد ٢ : ١٢٢ إلى عابد من نجران ، وفي معجم

المرزباني ٣٣٩ إلى التمثام بن الباهل ، وهو تبع الثاني أو الثالث ، ملك حضرموت

واليمن . وانظر خبراً متعلقاً به في كل من زهر الآداب ٣ : ١٨٣ وذيل أمالي القالي ٢٩ .

وقال عبيد بن الأبرص (١) :

وَكُلُّ ذِي غَيْبَةٍ يَتَوَبُّ وَغَائِبُ الْمَوْتِ لَا يَتُوبُ
مَنْ يَسْأَلُ النَّاسَ يَجْرِمُوهُ وَسَائِلُ اللَّهِ لَا يَخِيبُ
[وعافرٌ مثلُ ذاتِ رَحْمٍ وغانمٌ مثلُ مَنْ يَخِيبُ]
أَفْلَحَ بِمَا شِئْتُ فَقَدْ يُبْلَغُ (٢) بِالضَّ عَفْ وَقَدْ يُخَدِّعُ الْأَرِيبُ ٢٨
المرءُ مَا عَاشَ فِي تَكْذِيبِ طُولُ الْحَيَاةِ لَهُ تَعْذِيبُ
وقال آخر (٣) :

إِذَا الرِّجَالُ وَلَدَتْ أَوْلَادُهَا واضْطَرَبَتْ مِنْ كِبَرِ أَعْضَادُهَا
وَجَعَلَتْ أَوْصَابُهَا تَعْتَادُهَا فَهِيَ زُرُوعٌ قَدْ دَنَا حَصَادُهَا
(مرثية محمد المخلوع)

وقالت بنت عيسى بن جعفر (٤) ، وكانت مُمْلَكَةً (٥) لمحمد (٦) المخلوع

حين قتل :

(١) كذا في ل . والشعر من قصيدته المشهورة التي أولها :

أقفر مني أهله ملحوب فالقطييات فالذنوب

(٢) ل : « يدرك » .

(٣) هو زر بن حبيش . قاله وقد حضرته الوفاة . وكان قد عاش مائة وعشرين سنة .

انظر أدب الدنيا والدين ١٠٨ . والرجز أيضاً في الحيوان (٦ : ٥٠٦) والعقد

(٢ : ٢٦٨) ومعجم الأدباء ١٦ : ١٢٤ .

(٤) عيسى بن جعفر ، هو حفيد أبي جعفر المنصور ، ولي البصرة وكورها وفارس
والأهواز واليمامة والسند ، ومات بدير بين بغداد وحلوان . المعارف ١٥٦ - ١٦٦ .

(٥) مملكة ، من الإملاك ، وهو عقد الزواج . وفي ط « ملكها » وهو
تحريف ما أثبت من ل ، س .

(٦) محمد المخلوع ، هو الأمين بن هارون الرشيد . وفي العقد (٢ : ١٧٨) أن

اسم المرأة لبانة بنت ربيعة بن علي ، وفي مروج الذهب (٢ : ٣١٦) هية) أنها

لبانة ابنة علي بن المهدي ، وفيهما زيادة في الشعر . وفي البيان (٣ : ١٢١) أنه لامرأة في

بعض الملوك . وفي الطبري ١٠ : ٢١٠ أن الشعر ، للبانة أو لابنة عيسى بن جعفر .

أُبْكِيكَ لَا لِلنَّعِيمِ وَالْأَنْسِ بَلْ لِلْمَعَالِي وَالرُّمَحِ وَالْفَرَسِ
أُبْكِي عَلَى فَارِسٍ فُجِعْتُ بِهِ أَرْمَلَنِي قَبْلَ لَيْلَةِ الْعُرْسِ

(من نعت النساء)

وقال سلم الخاسر^(١) :

تَبَدَّدْتُ فَقَلْتُ الشَّمْسُ عِنْدَ طُلُوعِهَا بِجِدِّ نَقِيَّ اللَّوْنِ مِنْ أَثَرِ الْوَرَسِ^(٢)
فَلَمَّا كَرَّرْتُ الطَّرْفَ قُلْتُ لَصَاحِبِي عَلَى مِرْيَةٍ : مَا هَاهُنَا مَطْلَعُ الشَّمْسِ !

(١) هو سلم بن عمرو ، مولى بني تميم بن مرة ، شاعر بصرى قدم بغداد ومدح المهدي والهادي والبرامكة . قالوا : سمى بالخاسر لأنه ورث عن أبيه مصحفا فباعه واشترى طنبوراً . وهو صاحب البيت المشهور :

من راقب الناس مات غماً وفاز باللذة الجسور

كان سلم تلميذ بشار بن برد وراويته . وجاء اسمه في الوفيات برسم « سالم » وهو خطأ . انظر الأغاني (٢١ : ٧٣ - ٨٤) وتاريخ بغداد ٤٧٥٤ . وما ينص على تعيين اسمه قول أبي العتاهية له :

سلم ياسلم ليس دونك سر حبس الموصلى فالعيش مر

وقوله :

إنما الفضل لسلم وحده ليس فيه لسوى سلم درك

وقوله :

والله والله ما أبالي متى ماتت ياسلم بعد ذا السفر

وقوله :

تعالى الله ياسلم بن عمرو أذن الحرص أعناق الرجال

(٢) « الشمس » يصح قراءتها بالنصب ، يجعل « قلت » بمعنى ظننت . ويصح الرفع بتقدير « هي » . ل : « بجلد غنى اللون أثر كالورس » .

(شعر رثاء)

وقال الآخر^(١) :

كَفَى حَزَنًا بَدْفِنِكَ ثُمَّ أَنَّى نَفَضْتُ تُرَابَ قَبْرِكَ عَنْ يَدَيَّ
وَكَاثَتْ فِي حَيَاتِكَ لِي عِظَامَاتُ وَأَنْتَ الْيَوْمَ أَوْعَظُ مِنْكَ حَيًّا^(٢)

باب

من المديح بالجمال وغيره

قال مزاحم العقبلي :

يَزِينُ سَنَا الْمَاوِيَّ^(٣) كُلَّ عَشِيَّةٍ عَلَى غَفَلَاتِ الزَّيْنِ وَالْمُتَجَمِّلِ^(٤)
وَجُوهٌ لَوْ أَنَّ الْمُدْلَجِينَ اعْتَشَوْا بِهَا صَدَعْنَ الدُّجَى حَتَّى تَرَى اللَّيْلَ يَنْجَلِي^(٥)
وقال الشَّمرَدَل :

إِذَا جَرَى الْمُسْكُ يَنْدَى فِي مَفَارِقِهِمْ رَاحُوا كَأَنَّهُمْ مَرَضَى مِنَ الْكَرَمِ

(١) هو أبو العتاهية يرثى على بن ثابت الأنصاري ، كما في معاهد التنصيص (٢) :
١٨٥ . أو ولدا له كما في العقد (٢ : ١٥٦) . وانظر الكامل ٢٣٠ ليسك
وذيل الأمل ص ٢ ومروج الذهب (٢ : ٣٦٨) والمستطرف (٢ : ٢٩٤) .
(٢) انظر لهذا البيت الاستدراكات .

(٣) الماوى : لغة في الماوية أى المرأة ، أو جمع لها عند ابن الأعرابي . وفي ط :
« الماذى » وفي س : « المازى » وفي ل : « المادى » وكل ذلك تحريف
ما أثبت ، كما في اللسان (مادة موى) والبيان (٣ : ٢٥٢ و ٤ : ٦٩) .
(٤) في الأصل : « والمتحمل » وصوابه من اللسان والبيان (٣ : ٢٥٢ و ٤ : ٦٩)
ومجالس ثعلب ٢٧٧ . وهي مصدر من تجمل .

(٥) انظر تفسيره في اللسان (عشا ٢٨٧) .

يَشْبَهُونَ مَلُوكًا مِنْ تَجَلَّتْهُمْ^(١) وَطُولِ أَنْضِيَةِ الْأَعْنَاقِ وَالْأُمَمِ^(٢)
[النَّضِيُّ^٣ : السَّهْمُ الَّذِي لَمْ يَرَشَّ ، يَعْنِي أَنَّ أَعْنَاقَهُمْ مُلَسَّسٌ مُسْتَوِيَةٌ^(٣) .
وَالْأُمَمِ^(٤) : الْقَامَات] .

وَقَالَ الْقَتَّالُ الْكَلَابِيُّ :

يَا لَيْتَنِي ، وَالْمُنَى لَيْسَتْ بِنَافِعَةٍ^(٥) لِمَالِكٍ أَوْ لِحِصْنٍ أَوْ لِسَيَّارٍ^(٦) ٢٩
طَوَالَ أَنْضِيَةِ الْأَعْنَاقِ لَمْ يَجِدُوا رِيحَ الْإِمَاءِ إِذَا رَاحَتْ بِأَزْفَارٍ^(٧)
لَمْ يَرْضَعُوا الدَّهْرَ إِلَّا ثُدَىً وَاضِحَةً لَوَاضِحِ الْوَجْهِ يَحْمِي بِأَحَةِ الدَّارِ^(٨)
وَقَالَ آخَرُ :

إِذَا كَانَ عَقْلٌ قَلْتُمْ إِنَّ عَقْلَنَا إِلَى الشَّاءِ لَمْ تَحُلْ عَلَيْنَا الْأَبَاعِرُ
وَأَنَّ امْرَأً بَعْدِي يُبَادِلُ^(٩) وَدَّكُمْ بُودَّ بَنِي ذِيانٍ مَوْلَى لِحَاسِرٍ

-
- (١) ل وكذا الكامل (٣٥ ليسك) ، وأمالى القالى (١ : ٢٣٨) : « فِي تَجَلَّتْهُمْ » .
والتجلة : العظمة . وفي العقد (٦ : ٢٢٨ لجنة التأليف) : « فِي مَجَلَّتْهُمْ » . ورواية
الحماسة (٢ : ٢٧٨) : « يَشْبَهُونَ سِيُوفًا فِي صِرَامَتِهِمْ » .
(٢) كذا جاءت الرواية في ل والأمالى والحماسة ، ويروى : « اللَّمَم » جمع
لمة ، بكسر اللام ، وهو شعر الرأس إذا كان فوق الوفرة .
(٣) جاء في الكامل : « فَالنَّضِيُّ مَرْكَبُ النَّصْلِ فِي السِّنْخِ . وَضَرْبُهُ مِثْلًا . وَإِنَّمَا أَرَادَ
طَوَالَ الْأَعْنَاقِ » .
(٤) الأُمَم : جمع أمة ، بضم الهمزة .
(٥) ل : « بِمَغْنِيَةٍ » .
(٦) قال المبرد في الكامل ٣٥ ليسك : « وَقَوْلُهُ لِمَالِكٍ أَوْ لِحِصْنٍ أَوْ لِسَيَّارٍ » ، فَهَؤُلَاءِ
بَيْتُ فَرَازَةٍ ، يُرِيدُ مَوْضِعَ الشَّرَفِ فِيهِمْ .
(٧) الْأَزْفَارُ : جمع زفر بالكسر ، وهو الحمل بالكسر ، كما في الكامل واللسان
(مادة زفر) . وفي س : « بِأَزْفَارٍ » فَيَكُونُ جَمْعُ ذَفَرٍ بِالتَّحْرِيكِ ، وَهُوَ
خَبَثُ الرِّيحِ .
(٨) قال المبرد : واضحة : أى خالصة في نسبها ، وليست بأمة .
(٩) في هامش س : « خ : تَبْدَلُ » أى في نسخة .

أولئك قومٌ لا يُهان هديهم^(١) إذاصرحت كحلٌ وهبت أعاصير^(٢)
مذالقي^(٣) بالخليل العتاق إذاعدوا^(٤) بأيديهم خطيئة وبواتر

وقال أبو الطمّحان القيني في المعنى الذى ذكرنا :

كم فيهم من سيّد وابن سيّد وفي بعقد الجار ، حين يفارقه
يكاد الغمام الغر يُرعد أن رأى وجوه بنى لأم وينهل بارقه
وقال لقيط بن زرارّة^(٥) :

ولأني من القوم الذين عرفتُ إذا مات منهم سيّد قام صاحبه
نجوم سماء كلما غار كوكبٌ بدا كوكبٌ تأوى إليه كواكبه
أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم دجى الليل حتى نظّم الجزع ناقبه^(٦)

وقال بعض التميميين ، يمدح عوف بن القعقاع بن معبد بن زرارّة :

بحقّ امرئٍ سرو عتية خاله^(٧) وأنت لقعقاع وعلمك حاجبٌ
[درارى نجوم كلما انقضّ كوكبٌ بدا كوكبٌ رفض عنه الكواكب]

(١) الهدى : الرجل ذو الحرمة ، يأتى القوم يستجير بهم أو يأخذ منهم عهدا . فهو مالم يجر أو يأخذ العهد هدى ، فإذا أخذ العهد منهم فهو حينئذ جار لهم . اللسان (هدى) .

(٢) كحل ، بالفتح ، هى السنة والجدب . وصرحت : صارت خالصة فى شدتها وجدبها . وهو مثل . انظر الميداني ٢ : ٣٧٠ واللسان . وفى س : « كهل » بحرفة .

(٣) كذا فى ل . والمذلاق : السريع الجرى ، جمعه مذالقي . وفى ط ، س : « مداليف » من الدليف ، وهو المسى الرويد . وليس يصح المعنى به .

(٤) ل : « غزوا » .

(٥) الشعر منسوب إلى أبي الطمّحان القيني فى الكامل ٣٠ ليبسك والوساطة ١٥٩ والحامسة (٢ : ٢٧٢) .

(٦) الجزع ، بالفتح : ضرب من الخرز فيه سواد وبياض .

(٧) كذا فى ط ، س . وفى ل : « يسرو عينة » ، وفى الشطر تحريف .

وقال طفيلُ الغنويُّ :

وكانَ هُرَيْمٌ مِنْ سِنانِ خَلِيفَةٍ وعَمرو ومنَ أَسْماءَ لَمَّا تَغَيَّبُوا
نَجُومُ ظَلامٍ كَلِمًا غابَ كوكبُ بَدَاسِطِعا في حِنْدِسِ اللَّيْلِ كوكبٌ^(١)

وقال الحرَّيمِيُّ^(٢) ، يمدحُ بني خُرَيمٍ^(٣) ، من آلِ سنانِ بنِ أبي حارثة :

بَقِيَّةُ أَقْمارٍ مِنَ الْغُرِّ لو خَبَتْ^(٤) لَظَلَّتْ مَعَدَّةٌ فِي الدُّجَى تَتَسَكَّعُ^(٥)

إِذا قَرُرُ مِنْهُمْ تَغَوَّرَ أو خَبَا بَدَا قَمَرٌ فِي جَانِبِ اللَّيْلِ^(٦) يَلْمَعُ

وقال بعضُ غنِيٍّ^(٧) ، وهو يمدحُ جَماعَةَ إِخوة ، أنشدنيها أبو قَطَن ،

الذي يقال له شهيدُ السَّكْرَم :

٣٠ حَبْرٌ ثَناءً^(٨) بَنى عَمْرٍو فَإِنَّهُمْ أُولُو فُضُولٍ وَأَنْفَالٍ وَأَخْطارٍ^(٩)

إِنْ يُسْأَلُوا الْخَيْرَ يُعْطَوْهُ ، وَإِنْ جُهِدُوا فَالْجُهدُ يُخْرِجُ مِنْهُمْ طَيْبَ أَخْبَارٍ^(١٠)

(١) ديوان طفيل ١٨ والبيان ٣ : ٣٣٧ . ل : « نجوم سماء » . ل ، س : « غار

كوكب » . ل : « بدا وانجلت عنه الدجنة كوكب » .

(٢) الحرَّيمِيُّ بالراء تقدمت ترجمته في الجزء الأول ص ٢٢٤ - ٢٢٥ .

(٣) ط ، ل : « حريم » ، وتصحيحه من س . وانظر ترجمة الحرَّيمِي .

(٤) ط ، س : « أقوام » موضع « أقمار » . و « الفر » هي كذلك في س .

وفي ل : « العر » ، وفي ط : « العز » ، محرفتان .

(٥) في اللسان : « وتكسع في ضلاله : ذهب ، كتسكع . عن ثعلب » .

(٦) الرواية في الواسطة ١٥٩ : « في جانب الأفق » .

(٧) أي أحد الغنويين . وانظر التحقيق الخاص به في الجزء الثاني ص ٨٩ .

(٨) ط ، س : « خبر ثنائي » وتصحيحه من ل . والتجدير : تحسين الخط

أو الكلام أو الشعر .

(٩) الفضول : ما يتبقى من الغنائم حين تقسم ، يختص بها الرئيس .

(١٠) جهدوا : أصابهم الجهد ، وهو شدة للزمان .

وإِنْ تَوَدَّذَتَهُمْ لَأَتُوتُوا ، وَإِنْ شِئْتُمْ
مَنْ تَلَقَّ مِنْهُمْ تَقَلَّ لَأَقْبِتَ سَيِّدَهُمْ
كشفت أذمار حربٍ غيرَ أغمار^(١)
مثلُ النُّجوم التي يسرى بها السَّارى
وقال رجلٌ من بنى نهشل^(٢) :

إِنِّي لِمِنْ مَعْشَرٍ أَفْنَى أَوَائِلِهِمْ
لَوْ كَانَ فِي الْأَلْفِ مِنَّا وَاحِدٌ فَدَعَوْا
قِيلُ الْكُفَاةِ أَلَا أَيْنَ الْحَامُونَا
مَنْ فَارَسُ خَالِهِمْ إِيَّاهُ يَعْنُونَا^(٣)
وَلَيْسَ يَذْهَبُ مِنَّا سَيِّدٌ أَبَدًا
إِلَّا افْتَلَيْنَا غُلَامًا سَيِّدًا فِينَا^(٤)
وفى المعنى الأوّل يقول النّابغة الذّبْيَانِيّ :

وَذَاكَ لِأَنَّ اللَّهَ أَعْطَاكَ سُورَةً^(٥) تَرَى كُلَّ مُلْكٍ دُونَهَا يَتَذَبَذَبُ
بَأَنَّكَ شَمْسٌ وَالْمُلُوكُ كَوَاكِبُ إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُمْ كَوَكَبُ
وفى غير ذلك من المديح يقول الشاعر :

وَأُنَيْتُ حَيًّا فِي الْحُرُوبِ مَحْلُهُمْ وَالْجَيْشُ بِاسْمِ أَبِيهِمْ يُسْتَهْزَمُ
[وفى ذلك يقول الفرزدق :

لَتَبْكُ وَكَيْعًا خَيْلُ لَيْلٍ مُغِيرَةٌ تَسَاقَى السَّيَّامُ بِالرُّدَيْنِيَّةِ السُّمَرِ^(٦)

(١) انظر تفسير البيت فى الجزء الثانى ص ٨٩ . وجاء فى س : « وإن شتموا » محرفة .

وفى أيضا : « أذمار شر » وفى ل : « شد » وفيهما : « غير أشرار » .

(٢) هو بشامة بن حزن النهشلى كما فى شرح التبريزى للحماسة ١ : ٥٠ . وانظر

الحماسة ١ : ٢٥ .

(٣) ل : « من عاطف » . يقال عطف على العدو : مال عليه .

(٤) الافتلاء : الانقطاع والأخذ عن الأم .

(٥) السورة : بالضم : المنزلة الرفيعة .

(٦) وكيع هذا هو ابن أبى سود الغداني . والسيام : جمع سم . ورواية الديوان ٢٤٦

والكامل ٧٦٥ ليسك : « المنايا » . وانظر كتاب البغال ٢٦٨ .

لقوا مثلهم فاستهزموهم بدعوةٍ دعوها وكيعاً والرماحُ بهم تجرى^(١)
وأما قول الشاعر :

* تخامل المحتد أو هزام^(٢) *

فإنما ذهبَ إلى أنَّ الدَّعوةَ إذا قام بها [خامل الذكر والنسب^(٣)]
فلا يحسده من أكفائه أحدٌ ، وأما [إذا قام بها^(٤)] مذكورٌ بيمين
النَّقِيبةِ ، وبالظَّفَر المتتابع ، فذلك أجود^(٥) ما يكون ، وأقربُ إلى
تمام الأمر .

وقال الفرزدق :

تَصْرَمُ مِنِّي^(٦) وَدُ بَكْرٍ بِنِ وَاثِلٍ وما كان وُدِّي عَنْهُمْ يَتَصْرَمُ
قَوَارِصُ تَأْتِينِي وَيَحْتَقِرُونَهَا وَقَدْ يَمَلَأُ الْقَطْرُ الْأَنَاءَ فَيُفْعَمُ^(٧)
وقال الفرزدق^(٨) :

وَقَالَتْ أُرَاهُ وَاحِدًا لَا أَخَا لَهُ^(٩) يُؤَمِّلُهُ فِي الْوَارِثِينَ الْأَبَاعِدُ

- (١) رواية الديوان والكمال : « والجياد بهم تجرى » . وما هنا أجزل وأقوى .
- (٢) كذا جاء .
- (٣) ط ، س : « وإذا قام بالدعوى خامل الذكر والنسب » .
- (٤) ليست بالأصل والكلام في حاجة إليها .
- (٥) س : « أجوز » .
- (٦) كذا في ل . ، وفي ط ، س : « تذكر حبي » وهو تحريف .
- (٧) ل : « الأقي » . وهو الجدول تؤتية إلى أرضك .
- (٨) الشعر الآتي قاله الفرزدق عند ماعيرته زوجه نوار بأنه لا ولد له . عيون الأخبار ٤ : ١٢٢ ومعاهد التنصيص ١ : ١٠٢ . وفي الديوان ١٧٢ أن التي عيرته هي امرأته طيبة بنت العجاج المجاشعي . وينسب الشعر أيضاً إلى ابن علقم الفزاري . معجم المرزباني ٣٤٣ .
- (٩) في الديوان : « طاح أهله » ، وفي المعجم : « باد أهله » .

لَعَلَّكَ يَوْمًا أَنْ تَرَينِي ^(١) كَأَنَّمَا بَنَى حَوَالِيَ الْأَسْوَدِ الْخَوَارِدُ ^(٢)
فَإِنَّ تَمِيمًا قَبْلَ أَنْ يَلِدَ الْحَصَى ^(٣) أَقَامَ زَمَانًا وَهُوَ فِي النَّاسِ وَاحِدٌ

وَقَالَ الْفَرَزْدَقُ أَيْضًا ^(٤) :

فَإِنْ كَانَ سَيْفُ خَانَ أَوْ قَدَرُ أَتَى ^(٥) لِمِيقَاتِ يَوْمٍ حَتْفُهُ غَيْرُ شَاهِدٍ ^(٦)
فَسَيْفُ بَنِي عَبَسٍ وَقَدْ ضَرَبُوا بِهِ نَبَايِدَى وَرَفَاءَ عَنْ رَأْسِ خَالِدٍ ^(٧)
كَذَاكَ سَيْوَفُ الْهِنْدِ تَنْبُو ظُبَاتُهَا وَيَقْطَعُنَّ أَحْيَانًا مَنَاطَ الْقَلَائِدِ

(١) ط ، س « تراني » وهو تحريف ، وصوابه من ل و عيون الأخبار . وفي الديوان : « فإني عسى أن تبصريني » .

(٢) الخوارد : جمع حارد ، وهو المجتمع الخلق الشديد الهيبة . ورواية الديوان : « اللواید » .

(٣) الحصى : العدد الكثير . وقال الأعشى :

ولست بالأكثر منهم حصى وإنما العزة للكثير

(٤) وكان قدم سليمان بن عبد الملك أسيراً من الروم وأمره أن يضربه بالسيف ، فلما ضربه بالسيف لم يؤثر فيه ، وكلع الرومي في وجهه ، فارتاع الفرزدق ، وضحك سليمان والقوم . فقال جرير :

بسيف أبي رغوان سيف مجاشع ضربت ولم تضرب بسيف ابن ظالم

ضربت به عند الإمام فأرعثت يدك وقالوا محدث غير صارم

انظر تفصيل الخبر في الأغاني (١٤ : ٨٢ - ٨٣) والغيث المنسجم (٢ : ١١٣) والعمدة (١ : ١٢٦) والنقائض ٣٨٤ .

(٥) س : « أنى » بمعنى حان . وانظر رواية البيت في حماسة البحرى ٥٦ .

(٦) يروى : « لتأخير نفس حتفها » .

(٧) ورقاء هذا هو ابن زهير بن جذيمة العبسى . وخالد ذلك هو ابن جعفر بن كلاب العامرى ، وكان خالد قد برك على زهير تمهيداً لقتله ، ولحقه خندج بن البكاء العامرى ، وقال : نح رأسك يا أبا جزء - يعنى خالداً - فنحنى خالد رأسه ، وضرب خندج رأس زهير ، وضرب ورقاء بن زهير رأس خالد العامرى بالسيف ، وكان على خالد درعان فنيا سيف ورقاء ، فقال في ذلك :

(خير قصار القصائد)

وإن أحببت أن تروى من قصار القصائد شعراً لم يُسمع بمثله ^(١) ،
فالتمس ذلك في ^(٢) قصار قصائد الفرزدق ؛ فإنك لم تر شاعراً قط يجمع
التجويد في القصار والطوال غيره .

وقد قيل للكميت : [إنَّ] النَّاسَ يزعمون أنَّك لا تقدر على القصار !
قال : مَنْ قال الطَّوَالَ فهو على القصار أقدر ^(٣) .

هذا الكلام يخرج في ظاهر الرأى والظن ، ولم نجد ذلك عند التحصيل
على ما قال .

= رأيت زهيراً تحت كل كل جعفر فأقبلت أسعى كالعجول أبادر
إلى بطلين ينهضان كلاهما يريعان نصل السيف والسيف نادر
فشلت يميني إذ ضربت ابن جعفر وأحرزه مني الحديد المظاهر
الأغاني (١٠ : ١٤) . . وقد شاع حديث الفرزدق بهذا ، حتى حكى أن المهدي
أتى بأسرى من الروم ، فأمر بقتلهم ، وكان عنده شبيب بن شيبه فقال له : اضرب
هذا العلج ، فقال : يا أمير المؤمنين ، قد علمت ما ابتلى به الفرزدق فغير به قومه إلى
اليوم ! فقال : إنما أردت تشريفك ، وقد أعفيتك . انظر أدب الدنيا والدين
٦ - ٧ . والفرزدق في شعره يعرض بسليمان بن عبد الملك ويعيره بنبو سيف
ورقاء العيسى عن خالد ، وبنو عيس أخوال سليمان . الأغاني (١٤ : ٨٣) . أو
هو قال ذلك لأن صنع بن عيس كان مع جرير - يعني أنه كان موالياً لهم - الأغاني
(١٠ : ١٥) . وجرير ليس عيسياً ، بل هو كلبى .

(١) ل : « تسمع بمثله » .

(٢) س : « من » .

(٣) ل : « قدر » .

(جواب عقيل بن علفة وجرير)

وقيل لعقيل بن علفة : لم لا تطيل الهجاء ؟ قال : « يكفيك من القلادة ما أحاط بالعنق ^(١) » .

وقيل لجرير : إلى كم تهجو الناس ؟ قال : إني لا أبتدى ، ولكنى أعتدى ^(٢) .

وقيل له : لم لا تقصر ^(٣) ؟ قال : « [إن] الجراح يمنع الأذى ^(٤) ! » .

(شمر مختار)

قال عبيد بن الأبرص :

نَبَّشْتُ أَنَّ بَنَى جَدِيلَةَ أَوْعَبُوا [نَفَرَاء] مِنْ سَلَمَى لَنَاوَتَسَكَّتَبُوا ^(٥)

(١) المعروف في المثل : « حبسك من القلادة ما أحاط بالعنق » . انظر أمثال الميداني (١) :

(١٧٩) ونهاية الأرب (٣ : ٢٧) .

(٢) انظر ماسياني في ص ٤٧٠ والبيان ٣ : ٦٥ والتمثيل والمحاضرة ١٨٤ والعقد ٥ : ٢٩٦ .

(٣) أي تقصر قصائده ، وكان جرير يطيل قصائد الهجاء .

(٤) يريد أن مظهر العنف والانطلاق يكف الناس عن التعرض لصاحبه . والجراح أصله للخييل تغلب صاحبها وتطير به . في ط ، س : « قال الجماع يمنع الأذى » وتصحيحه وإكماله من ل .

(٥) بنو جديلة : حتى من طيء . أوعبوا : أي لم يدعوا منهم أحداً ونفروا جميعاً . تسكتبوا : صاروا كتائب . وهي في ط ، س : « تنكبوا » وتصحيحه من ل والديوان ١٢ ليدن .

[ولقد جرى لهم فلم يتعيفوا تيس قعيد كاهراوة أعضب^(١)
وأبو الفراح على خشاش هشيمة متنكب^(٢) إبط الشائل ينعب^(٣)
]فنجاوزوا ذاكم إلينا كله عدوا وقرطبة^(٤) فلما قربوا
طعنوا^(٥) بمران الوشيج فما ترى خلف الأسنة غير عرق يشخب^(٦)
وتبدلوا اليعبوب بعد إلههم صما^(٧) ففروا^(٨) ياجدِيل وأعدبوا^(٩)

(١) يقول : قد جرى لبني جديلة بالشؤم تيس قعيد من الظباء فلم يتعيفوا . التعيف : من العيافة ، وهى هنا بمعنى التشاؤم . والقعيد : الذى يأتى من الخلف . وجعل التيس كاهراوة فى ضخمها واندماجها . والأعضب : المسكور القرن . وهو مما يتشام به . انظر العمدة (٢ : ٢٠٢) .

(٢) أبو الفراح ، عنى به الغراب . والهشيمة : الشجرة اليابسة . والخشاش : مالا عظم له من الدواب ، مثل الحيات والعظايا . وشبه فراح الغراب لمعطها بالحنافس . وروى فى س : « حشاش » ، وهى بالكسر بمعنى الجانب ، كما فى القاموس . ومتنكبا إبط الشائل ، أى مائلا عن جهتها . والشائل : جمع شمال ، وهى الريح الشمالية .
(٣) « ذاكم » عنى به التعيف والزجر . و « قرطبة » أى عدوا شديداً . وفى الأصل « قرصبة » تصحيف مأثبت . ورواية الديوان : « مرقصة » ، وهى ضرب من العدو .

(٤) ط ، س : « ظعنوا » ، والوجه مأثبت من ل وديوان عبيد .

(٥) المران بالضم : الرماح الصلبة اللدنة ، الواحدة مرانة . والوشيج : شجر الرماح . يشخب : يسيل دمه .

(٦) اليعبوب : صنم لجديلة ، وكان لهم صنم أخذته منهم بنو أسد ، رهط عبيد ابن الأبرص ، فتبدلوا لليعبوب بدله . الخزانة (٣ : ٢٤٦ بولاق) .

(٧) فى الخزانة : « قروا » ، بالقاف .

(٨) قال البغدادى : « أى لاتأكلوا على ذلك ولا تشربوا » . وهكذا جاء فى ل والخزانة . وفى ط ، س : « أوعبوا » .

وقال آخر :

أَلَمْ تَرَ حَسَّانَ بْنَ مَيْسَرَةَ الَّذِي بَجُوحِي^(١) ، إِلَى جِيرَانِهِ كَيْفَ يَصْنَعُ
مَتَارِيبُ^(٢) مَا تَنْفَكُ مِنْهُمْ^(٣) عِصَابَةٌ إِلَيْهِ سِرَاعاً يَحْصُدُونَ وَيَزْرَعُ

(شعر في معنى قوله : يريد أن يعربه فيعجمه)

وباب^(٤) آخر مثل قوله^(٥) :

* يريد أن يُعْرِبَهُ فَيُعْجِمَهُ *

وقال آخر :

* كَأَنَّ مَنْ يَحْفَظُهَا يُضْيِعُهَا *

(١) ماعدا ل : « يجوع » . وانظر الاستدراكات .

(٢) متاريب : جمع مترب ، كحمن ، وهو الذي قل ماله . وهذا الحرف من الأضداد ،
والأكثر فيه أن يستعمل للذي كثر ماله . والمعروف في الذي قل ماله : ترب كفرح ،
من الثلاث . انظر اللسان (ترب) . وهذه الكلمة هي في ط ، ل : « متى
ريب » ، وهي على الصواب في س .

(٣) ط ، س : « منه » .

(٤) ط : « وقال » . وتصحيحه من س ، ل ؛ فإن الآتي مخالف للسابق .

(٥) هو الخطيئة ، والبيت الآتي من أرجوزة له ، أولها كما في العمدة ١ : ٧٤ ،
والديوان ١١١ :

الشعر صعب وطويل سلمه إذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه

زلت به إلى الخضيض قدمه والشعر لا يستطيعه من يظلمه

وبعده :

ولم يزل من حيث يأتي يحرمه من يسم الأعداء يبق ميسمه

وقال آخر :

* أهوجُ لا يَنْفَعُهُ الشَّقِيفُ *

وقال بعض المحدثين [في هذا المعنى] :

إذا حَاوَلُوا أَنْ يَشْعُبُوهَا رَأَيْتَهَا مَعَ الشَّعْبِ لَا تَزْدَادُ إِلَّا تَدَاعِيًا^(١)

وقال صَالِحُ بْنُ عَبْدِ الْقُدُّوسِ :

وَالشَّيْخُ لَا يَتْرُكُ أَخْلَاقَهُ حَتَّى يُوَارِيَ فِي ثَرَى رَمْسِهِ^(٢)

إِذَا ارْعَوَى عَادَ إِلَى جَهْلِهِ كَذَى الضَّنَا عَادَ إِلَى نُكْسِهِ

ومثل هذا قوله :

وَتَرَوْضُ عِرْسَكَ بَعْدَ مَا هَرِمْتَ وَمِنْ الْعَنَاءِ رِيَاضَةُ الْهَرَمِ

٣٢ وقال حُسَيْلُ^(٣) بن عُرْفُطَةَ :

لِيَهْنِيكَ بُغْضُ فِي الصَّدِيقِ وَظَنَّةُ^(٤) وَتَحْدِيثُكَ الشَّيْءَ الَّذِي أَنْتَ كَاذِبُهُ

وَأَنْتَ مَشْنُوءٌ إِلَى كُلِّ صَاحِبٍ بَلَاكُ^(٥) ، ومثلُ الشَّرِّ يُكْرَهُ جَانِبُهُ

(١) الشعب : الإصلاح . والتداعي : التساقط . وهذا البيت هو الثاني من أبيات عددها اثنا عشر بيتا في البغلاء ١٨٨ يهجو بها الشاعر قوما بخلاء ، فوصف قلوبهم بما يقتضيه الهجاء .

(٢) البيان ١١ : ١٢٠ و التمثيل والمحاضرة ٧٨ .

(٣) هو حُسَيْلُ بن عُرْفُطَةَ بن نَضْلَةَ بن الْأَشْثَرِ بن جِحْوَانَ بن فَقْعَسِ الْأَسَدِيِّ ، وهو شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ورأى الرسول ، وروى عنه . وهو ممن غير الرسول الكريم أسماءهم ، فسماه « حسينا » . انظر الإصابة ١٧١٧ . وقد جعله أبو زيد في نوادره ٧٥ ، ٧٧ من شعراء الجاهلية . والصواب ما قدمت . ومن العجيب أن أبا حاتم قال إنه « حسين » ثم يخطئه الأخفش في ذلك . انظر النوادر في الموضعين . وقد جاء هذا الاسم في كل من ط ، س ، وكذلك البيان ٣ : ٢٤٩ : « الحسن » ، وهو تحريف . والأبيات بدون نسبة في البغال ٣٣٩ .

(٤) في البيان والبغال : « ليهنك » وهما صحيحتان . وفيه أيضاً « وضنة » .

(٥) بلاك : اختبرك . وفي ط ، س : « قلاك » بمعنى أبغضك ، وأثبت ما في ل والبيان والبغال .

وَأَنْتَ مِهْدَاءُ أَخْلَنَا نَطْفُ النَّثَا^(١) شَدِيدُ السَّبَابِ رَافِعِ الصَّوْتِ غَالِبُهُ
فَلَمْ أَرْ مِثْلَ الْجَهْلِ يَدْعُو إِلَى الرَّدَى^(٢) وَلَا مِثْلَ بُغْضِ النَّاسِ غَمَضَ صَاحِبِهِ

(كَلِمَةُ لِلزُّبْرَقَانِ)

وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : قَالَ الزُّبْرَقَانُ بْنُ بَدْرٍ : خَصَلَتَانِ كَبِيرَتَانِ فِي أَمْرِي
السَّوْءِ : شِدَّةُ السَّبَابِ ، وَكَثْرَةُ اللَّطَامِ^(٣) .

(شَعْرٌ فِي تَمْجِيدِ الْأَقَارِبِ)

وَقَالَ [خَالِدٌ] بْنُ نَضْلَةَ :

لَعَمْرِي . لَرَهْطُ الْمَرْءِ خَيْرٌ بَقِيَّةً عَلَيْهِ وَلَوْ عَالُوا بِهِ كُلَّ مَرْكَبٍ^(٤)
مِنَ الْجَانِبِ الْأَقْصَى وَإِنْ كَانَ ذَا نَدَى كَثِيرٍ^(٥) وَلَا يُنْبِيكَ مِثْلُ الْمَجْرَبِ
إِذَا كُنْتَ فِي قَوْمٍ عِدَا لَسْتَ مِنْهُمْ فَكُلُّ مَا عُلِفْتَ مِنْ خَبِيثٍ وَطَيْبٍ^(٦)
فَإِنْ تَلْتَبَسُ بِي خَيْلُ دُودَانَ لَا أَرِمُ وَإِنْ كُنْتُ ذَا ذَنْبٍ وَإِنْ غَيْرَ مُذْنِبٍ

(١) النثا : ما أخبرت به عن الرجل من حسن أو سيئ . وفي ط ، س ، والبيان :

« النثا » ، وهو تحريف ما أثبت من ل . والنطف : المتهم المريب .

(٢) الردى : الهلاك . وفي الأصل : « الرخا » ، وتصحيحه من البيان .

(٣) س : « الطعام » محرف .

(٤) أي وإن أركبوه المراكب الصعبة . س : « غلت به » محرفة .

(٥) رواية الحماسة ١ : ١٣٤ : « ذا غنى جزيل » . و « كثير » هي في ط ،

س : « كثيراً » ، وإنما هو صفة للندى .

(٦) العدا : اسم جمع بمعنى الأعداء . أو بمعنى الغرباء كما جاء في المخصص ١٢ : ٥٢

رواية عن ابن السكيت ، قال : « ولم يأت فعل - أي بكسر ففتح - في الصفات

غير هذا » . وانظر البيان ٣ : ٢٥٠ .

(بكل وادٍ بنو سعد)

قال : ولما تأذى الأضبط بنُ قريع في بني سعد ^(١) تحوّل عنهم إلى
آخرينَ فأذوه فقال : بكلِّ وادٍ بنو سعد !

(مقطّعات شتّى)

وقال سُحَيْمُ بْنُ وَثِيل :

ألا ليسَ زَيْنَ الرَّحْلِ قِطْعٌ وَنَمْرُقٌ ولكنَّ زَيْنَ الرَّحْلِ يَأْمِي رَاكِبُهُ ^(٢)

وقال أعرابيٌّ :

فما وَجَدُ مِلْوَاحٍ مِنَ الْهَيْمِ حُلَّتْ عَنْ الْمَاءِ حَتَّى جَوْفُهَا يَتَصَلَّصِلُ ^(٣)
تَحْمُومٌ وَتَغْشَاهَا الْعِصْيُ وَحَوْهَا أَقَاطِيعُ أَنْعَامٍ تُعَلُّ وَتُنْهَلُ
بِأَكْثَرِ مَنَى غَلَّةً وَتَعْطُفًا ^(٤) إِلَى الْوَرْدِ ^(٥) ، إِلَّا أَنَّنِي أَتَجَمَّلُ

(١) ط ، س : « سحيم » ، والصواب : « سعد » كما في ل ، وما سبق في الجزء الأول ص ٣٥٨ .

(٢) القطع ، بكسر القاف : البساط ، أو النمرقة ، أو الطنفسة يجعلها الراكب تحته .
وفي ل : « نطع » بالنون ، وهو البساط من الأديم . والنمرق والنمرقة : الوسادة الصغيرة أو الطنفسة فوق الرجل . وقد حرف الناسخون البيت في عيون الأخبار
١ : ٢٩٧ فجعلوه « قطعاً يمزق » . ورواه المرزبانى في معجمه ٣٩٠ لمضرس بن ربيع .

(٣) حلّت : منعت من الماء . وفي ط ، س : « خلّيت » . والهم : الإبل العطاش .

(٤) ط ، س : « تقطعا » . وأثبت ما في ل والبيان ٣ : ٥٥ .

(٥) ل : « العدد » وصواب هذا « العد » بالكسر ، وهو الماء الجارى الذى له
مادة لاتنقطع .

وقال خالد بن علقمة ابن الطيفان^(١) ، في عيب أخذ العقل والرضا
بشيء دون الدَّم ، فقال :

وإنَّ الذي أصبحتم تحلبونه دَمٌ غيرَ أنَّ اللونَ ليسَ بأحمراً
فلا تُوعِدُوا أولادَ حَيَّانَ بَعْدَما رَضِيتُمْ وزوجتُم سَيَّالةَ مِسْهَرَا^(٢)
وأعجبَ قِرْدٍ يقصم القملَ حَالِقاً^(٣) إذا عبَّ منها في النَّقِيبَةِ بَرَّ بَرَا^(٤)
إذا سَكَبُوا في القَعْبِ من ذى إناثهم رأوا لَوْنَهُ في القَعْبِ وَرداً وأشقرَا^(٥)

٣٣

باب آخر

في ذكر الغضب ، والجنون ، في المواضع التي يكون فيها محموداً^(٦) .
قال الأشهب بن رُميلة^(٧) :

(١) ط ، س : « الصبيان » ، وهو تحريف مأثبت من ل والقاموس . والطيفان
هى أم خالد . وكلمة « ابن » هى فى الأصل مخفوفة الألف وهو خطأ ، وقد جاء
على الصواب الذى أثبتته فى الأغصان ١١ : ١٢١ . وكان خالد معاصراً
لجدير والفرزدق .

(٢) كذا فى ل . وفى ط ، س : « وحولتم بسالة مشفرا » . وهو تحريف ،
ولعل صواب « حولتم » فيه « حولتم » .

(٣) كذا فى ل . وفى ط ، س : « وأكحم فرداً يقصم الفيل جالباً » !

(٤) منها : أى من إبل الدية . والنقيبة : العظيمة الضرع من النوق . وفى ل :
« النقيبة » ، وهى الجزور تجزى للضيافة . والبربرة : الصباح .

(٥) ط : « العقب » محرفة . وقد زاد كلمة « ذى » قبل إناثهم ، ولذلك نظائر فى
كلامهم . انظر خزانة الأدب ٤ : ٣٣١ - ٣٣٢ سلفية .

(٦) كذا فى ل . وفى ط ، س : « فى مثل ذلك من الغضب ، وفى ذكر الجنون
فى المواضع التى يكون ذكره فيها محموداً » .

(٧) الأشهب بن رُميلة : شاعر إسلامى مخضرم ، أدرك الجاهلية والإسلام ، أسلم ولم =

هر^(١) المقادة^(٢) من لا يستقيدها^(٣) وأعصو صَبَ السَّيرُ وارتدَّ المساكين^(٤)
 مِنْ كُلِّ أَشْعَثَ قَدْ مَالَتْ عِمَامَتُهُ كَأَنَّهُ مِنْ ضِرَارِ الضِّيمِ مَجْنُون^(٥)
 وقال في شبيه ذلك أبو الغول الطُّهَوِيُّ^(٦) :

فَدَتْ نَفْسِي وَمَا مَلَكَتْ يَمِينِي مَعَاشِرَ صَدَّقَتْ فِيهِمْ ظُنُونِي^(٧)
 مَعَاشِرَ لَا يَمْلُونَ الْمَنَايَا إِذَا دَارَتْ رَحَى الْحَرْبِ الطُّحُون^(٨)
 وَلَا يَجْزُونَ مِنْ خَيْرِ بَشَرٍ وَلَا يَجْزُونَ مِنْ غِلَظِ بِلَدَيْنِ^(٩)
 وَلَا تَبْلَى بِسَالَتُهُمْ وَإِنْ هُمْ صَلُّوا بِالْحَرْبِ حِينًا بَعْدَ حِينٍ

= تعرف له حجة . انظر الإصابة ٤٦٤ . و « رميلة » هي أمه . واسم أبيه ثور
 ابن أبي حارثة ، ينتهى نسبه إلى تميم . وكان الأشهب من هاجى الفرزدق ، وقد
 سبق رجز له في ذلك بالجزء الأول ٣١٥ هو في الخزائن ٤ : ٥١٠ بولاق . جاء
 في ط : « رميلة » وهو تحريف . وجاء بعد هذا في كل من ط ، س :
 كلمة « بعد ذلك » .

(١) هر : كره . وفي ط ، س : « هذ » بمعنى قطع .
 (٢) المقادة : القود ، وهو نقيض السوق . وفي ل : « الوفادة » وأحسبها تحريفاً ،
 ولعل الكلام في صفة ركب مسافرين في فلاة .
 (٣) ل : « يستعد لها » .

(٤) اعصو صَبَ السَّير : صار عصيباً شاقاً . وفي ل : « اعصو صَبَ الشر » .
 (٥) مالت عمامته مما لعب النوم به . والضرار : الضرر . وفي ٦ : ٢٤٦ : « من حذار الضيم » .
 (٦) قيل له أبو الغول لأنه فيما زعم رأى غولا فقتلها . المؤتلف ١٦٣ . وهو شاعر إسلامي .
 التبريزي (١ : ١٤) ومعجم البلدان (وقبى) . وفي ل : « الضبى » وهو تحريف .
 (٧) قال التبريزي : « يروى : صدقوا . . . ويروى : صدقت فيهم ظنوني ، ويسكون
 ظنوني في موضع رفع بصدقت » ، أى فاعلا لصدقت .

(٨) في ل ، وكذا في الحماسة : « فوارس » وفيها أيضاً : « الحرب الزبون » .
 (٩) في ل ، وكذا في الحماسة : « ولا يجزون من حسن بى » . والى بالفتح .

هُمْ أَحْمَوْا حِمَى الْوَقْبَى بِضَرْبٍ يُؤَلَّفُ بَيْنَ أَشْتَاتِ الْمَنُونِ (١)
فَنَكَّبَ عَنْهُمْ دَرَّةَ الْأَعَادَى وَدَاوُوا بِالْجُنُونِ مِنَ الْجُنُونِ

وقال ابن الطَّيْرِيَّة (٢) :

[لو أَتْنِي لم أُنَلْ مِنْكُمْ مَعَاقِبَةً إِلَّا السِّنَانُ لَذَاقَ الْمَوْتَ مَظْعُونُ
أَوْ لاختطبتُ فَإِنِّي قد هممت به بالسَّيْفِ إِن خَطِيبَ السَّيْفِ مَجْنُونُ (٣)

وقال آخر [:

حَمْرَاءُ تَامِكَةِ السَّنَامِ كَأَنَّهَا بَحَلُّ هَوْدَجِ أَهْلِهِ مَظْعُونُ (٤)
جَادَتْ بِهَا يَوْمَ الْوَدَاعِ يَمِينُهُ كِلْتَا يَدَيْ عَمْرٍو الْغَدَاةَ يَمِينُ (٥)
مَا إِنَّ يَجُودَ بِمَثَلِهَا فِي مَثَلِهِ إِلَّا كَرِيمُ الْخَلِيمِ أَوْ مَجْنُونُ (٦)

(١) الوقبى ، بالتحريك : اسم أرض ، أو اسم ماء . المقصور ١١٦ ومعجم البلدان .
في ل ، والمقصور والخمسة والمعجم : « هم منعوا » .

(٢) كذا جاء في ل نسبة البيتين الآتين إلى ابن الطَّيْرِيَّة ، ونسبة الثلاثة التي بعدها
إلى « آخر » ، لكن في ط ، س نسبة الثلاثة الأبيات التالية إلى ابن الطَّيْرِيَّة .
ولم أعر على مرجع لهاتين المقطوعتين .

(٣) في الأصل : « لا شمت » ، صوابه من ٦ : ٢٤٥ .

(٤) تامكة السنام : عظيمته . وقد شبه الناقة المهداة إليه بالجمال المظعون : الذي شد
هودجه بالظمان ككتاب ، وهو حبل الهودج . فجعلها كجمال لوثاقة خلقها ، ثم أضاف
إلى النعت ذكر الهودج ، ليصور بذلك عظم علوها .

(٥) كلتا يديه يمين : أراد : مثاله كيمينه في العطاء ، مبالغة في وصفه بالعطاء . وجاء في
الحديث : « كلتا يديه يمين » فتوهم بعضهم التشبيه ، ورد عليهم ابن قتيبة في تأويل
مختلف الحديث ٢٦٥ .

(٦) ط ، س : « في مثلها » . والأشبه ما كتبت من ل . وضمير : « بمثلها »
عائد إلى الناقة الحمراء . وضمير « مثله » إلى يوم الوداع . والخيم
بالسكر : السجية .

وفى هذا المعنى يقول حسان ، أو ابنه عبد الرحمن بن حسان :
 إِنَّ شَرَحَ الشَّبَابِ وَالشَّعَرَ الْأَسَدُ وَدَ مَا لَمْ يُعَاصَ كَانَ جُنُونًا
 إِنَّ يَكُنْ غَثٌّ مِنْ رَقَاشِ حَدِيثٍ فِيمَا نَأْكُلُ الْحَدِيثَ سَمِينًا^(٢)
 وفى شبيه بذلك قول الشَّنْفَرَى :

فَدَقَّتْ وَجَلَّتْ وَاسْبَكَرَتْ وَأُكْمِلَتْ

فلو جُنَّ إنسانٌ مِنَ الْحَسَنِ جُنَّتِ^(٣)

وقال القطامي - حين وصف إفراط ناقته فى المرح والنشاط :

يَتَبَعْنَ سَامِيَةَ^(٤) الْعَيْنَيْنِ تَحْسِبُهَا مَجْنُونَةً أَوْ تُرَى مَا لَا تَرَى الْإِبِلُ

وقال ابن أحرر ، فى معنى التشبيه والاشتقاق :

بِهَجْلٍ مِنْ قَسَا ذَفِرِ الْخَزَامَى تَدَاعَى الْجَرَبِيَاءُ بِهِ الْحَنِينَا^(٥)

(١) شرح الشباب هو اسوداد الشعر . ولولا أنهما لاصطاحبا صارا بمنزلة المفرد كان حق الكلام أن يقال : يعاصيا . أمالى ابن الشجرى (١ : ٣٠٩) . وانظر قول المبرد فى الكامل ٥٩٧ ليبسك والعسكرى فى الصناعتين ١٨٥ .

(٢) هذا البيت ليس فى ل . والبيتان فى الديوان ١٣٤ - ٤١٤ فى سبعة أبيات .

(٣) يقول : دق جسمها فى المواضع التى يستحسن فيها الدقة ، وعظم فى الأجزاء التى يرضى فيها العظم . واسبكرت : استقامت واعتدلت . وقصيدة البيت بديعة ، وهى من المفضليات . وانظر البيان (٣ : ٢٢٤) ومجالس ثعلب ٤٢٦ .

(٤) سامية : عالية ، وفى ط ، ل : « نامية » ، وتصحيحه من س والجزء السادس من الحيوان ص ٧٧ .

(٥) الهجل ، بالفتح : المطمئن من الأرض . وفى ل : « لجو » وهو تحريف . وفى س : « بجو » وهى صحيحة ، فالجو : ما اتسع من الأرض وبرز واطمان ، كما فى اللسان . و « قسا » : موضع بالعالية ، وهو بالفتح ، ويقال بالكسر كما فى المقصور . و « الخزامى » : نبت طيب الرائحة . و « ذفر » : ذكى الرائحة . و « تداعى » هى فى ط « تهادى » وهى رواية أخرى ، كما فى اللسان (جرب) . والجربياء : الريح الشالية الباردة . والحنين : صوت الريح . وفى ل : « الجنينا » مصحفة عما أثبت من ط ، س واللسان فى مواضع متعددة والكامل ٤٦٤ ليبسك ومعجم البلدان (قسا) والمقصود ٨٨ والبيان ٣ : ٢٢٢ والحيوان (٦ : ١٨٥) والمختص (١١ : ٢٠٧) .

تَفَقَّأَ فَوْقَهُ الْقَلْعُ السَّوَارِي وَجُنَّ الْحَازِبَازِ بِهِ جُنُونًا^(١)

وفي مثل ذلك يقول الأعشى :

وَإِذَا الْغَيْثُ صَوْبُهُ وَضَعَ الْقِدْ حَ وَجُنَّ التَّلَاعُ وَالْآفَاقُ^(٢)

لَمْ يَزِدْهُمْ سَفَاهَةً نَشْوَةُ الْحَمِّ رَ وَلَا اللَّهْوُ فِيهِمْ وَالسَّبَاقُ

وقال آخر في باب المزاح والبطالة ، مما أنشدني أبو الأصبع^(٣)

ابن ربيع :

أَتَوْنِي بِمَجْنُونٍ يَسِيلُ لَمَعَابُهُ وَمَا صَاحِي إِلَّا الصَّحِيحُ الْمُسْلِمُ

وأنشدني^(٤) إبراهيم بن هاني ، وعبد الرحمن بن منصور^(٥) :

جُنُونُكَ مَجْنُونٌ وَلَسْتُ بِوَاجِدٍ طَبِيباً يُدَاوِي مِنْ جُنُونِ جُنُونٍ

(١) تفقأ : تصبب ، وفي س : « تسكر » ، وهي رواية أخرى كما في أمثال الميداني (١) :

(٢٢٧) والحيوان (٦ : ١٨٦) . والقلع بالتحريك : قطع من السحاب كأنها

الجبال ، الواحدة قلعة . والحازباز : ذباب يظهر في الربيع فيدل على خصب السنة ، أوهونبت . وجنونه : تكاثفه .

(٢) البيتان أعيدا في ص ٤٨٥ والجزء السادس ص ١٨٦ .

(٣) أبو الأصبع جاء في الأصل « أبو الأصبع » . صوابه من البخلاء ٢٢٩ ، ١٠٥ . وذكره

الجاحظ في البيان (٤ : ١٩) ضمن النوكى وأشباههم . وروى أنه قيل له :

أما تسع بالعدو وما يصنعون في البحر ؟ فلم لا تخرج إلى قتال العدو ؟ قال : أنا

لا أعرفهم ولا يعرفونني ، فكيف صاروا إلى أعداء ؟ !

(٤) ط ، ل : « وأنشد » ، وأثبت ما في س موافقاً ما في الجزء السادس ص ١٨٦ .

(٥) في الجزء السادس زيادة : « قبل أن يجن » .

(إبراهيم بن هانيء والشعر)

وكان إبراهيم [بن هانيء] لا يقيم شعراً^(١) . ولا أدرى كيف أقامَ
هذا البيت !

وكان يدعى بحضرة أبي إسحاق^(٢) علم الحساب ، والكلام ،
والهندسة ، واللحون ، وأنه يقول الشعر ، فقال أبو إسحاق : نحن لم نمتحنك
في هذه الأمور ، فلك أن تدعيها عندنا^(٣) . كيف صرّت تدعى قول
الشعر ، وأنت إذا رويته لغيرك كسرتة ؟ ! قال : فإنني هكذا طبعْتُ ، أن أقيمه
إذا قلت ، وأكسره إذا أنشدت ! قال أبو إسحاق : مابعدَ هذا الكلام كلام !

(جواب أعرابي)

وقلت لأعرابي ، أيما أشدُّ غلماً : المرأة أو الرجل ؟ فأنشد :
فوالله ما أدرى ولأني لسائلُ الأير أدنى للفجور أو الحرُّ
وقد جاء هذا مُرخياً من عنانه وأقبلَ هذا فاتحاً فاه يهدر^(٤)

(١) وكان ماجنا خليعاً كثير العبث متمرداً . انظر أخباره وأحاديثه في الجزء الأول
من البيان ٩٣ - ٩٥ .

(٢) هو النظام .

(٣) س : « عندها » .

(٤) يهدر : من الهدير ، وأصله تردد صوت البعير في حنجرتِه . وفي ط ، س :
« يهر » بالياء محرفة . وهي على الصواب الذي أثبت في ل ومحاضرات الراغب
(٢ : ١١٨) وقد روى الخبر فيها مبدوءاً بقتيل لقطرب — يعني النحوى .

(مقطعات شتى)

وأنشد بعضهم :

أَصْبَحَ الشَّيْبُ فِي الْمَفَارِقِ شَاعَا وَاكْتَسَى الرَّأْسُ مِنْ بَيَاضِ قِنَاعَا
ثُمَّ وَلَّى الشَّبَابُ إِلَّا قَلِيلًا ثُمَّ يَأْبَى^(١) الْقَلِيلُ إِلَّا نَزَاعَا

وأنشد محمد بن يسير^(٢) [لبعضهم] :

قَامَتْ تُخَاصِرُنِي لِقَبَّتِيهَا^(٣) خَوْدٌ تَأْطُرُ نَاعِمٌ يَكُرُّ^(٤)
كُلُّ يَرَى أَنَّ الشَّبَابَ لَهُ فِي كُلِّ مَبْلَغٍ لَذَّةٌ عُذْرُ ٣٥

وقال الآخر في خلاف ذلك ، أنشدني محمد بن هاشم السدري^(٥) :

فَلَا تَعْذُرَانِي فِي الْإِسَاءَةِ إِنَّهُ أَشْرُ الرِّجَالِ مَنْ يَسِيءُ فَيُعْذَرُ^(٦)

(١) ط ، س : « يَأْبَى » . وتصحيحه من ل والبيان (٢ : ٣٣٤) .

(٢) ط ، س : « يسر » وصوابه في ل . وقد سبق ترجمته في الجزء الأول .

والشعر في البيان (١ : ١٩٨) مسبق بعبارة : « وأنشد الأحوص بن محمد » .

(٣) جاء في البيان ، من تفسير الجاحظ للبيت : « تخاصرني : آخذ بيدها وتأخذ يدي » .

وكلمة : « لقبتيها » كذا جاءت بالأصل ، ووردت في الجزء الأول من البيان

وكذا في الثالث منه ص ٣٤١ : « بقتها » ، وفسرها الجاحظ في الجزء الأول بقوله :

« والقننة (واحدة القنن . وهي) : المواضع الغليظة من الأرض في صلابة » .

(٤) تأطر : تتأطر ، أى تتثنى وتتعطف . و « ناعم » هكذا جاءت في ط ، س .

وفي ل والبيان : « غادة » ، وفسرها الجاحظ بأنها الناعمة اللينة .

(٥) ط : « السدري » صوابه ما في ل ، س . ترجم له المرزباني في معجمه ٤٣١

(٦) قال الجوهري في الصحاح : « لا يقال أشر إلا في لغة رديئة » . وهكذا جاءت

الرواية في ط ، ل . وفي س والجزء السابع ص ٢٦٠ وكذا في أدب الدنيا والدين

ص ٣١ : « شرار » .

وقال ابن فسوة^(١) :

فَلَيْتَ قَلْوَصِي عُرِّيتَ أَوْ رَحَلْتَهَا إِلَى حَسَنٍ فِي دَارِهِ وَابْنُ جَعْفَرٍ^(٢)
إِلَى مَعَشَرَ لَا يَخْصِفُونَ نِعَالَهُمْ وَلَا يَلْبَسُونَ السَّبْتَ مَا لَمْ يُخْصَرْ^(٣)

وقال الطَّرِمَّاحُ بْنُ حَكِيمٍ ، وَهُوَ أَبُو نَفَرٍ^(٤) :

لَقَدْ زَادَنِي حُبًّا لِنَفْسِي أَنْزِي بَغِيضٌ إِلَى كُلِّ أَمْرٍ غَيْرِ طَائِلٍ
إِذَا مَارَأَنِي قَطَعَ الطَّرْفَ بَيْنَهُ وَبَيْنِي فَعَلَ الْعَارِفُ الْمُتَجَاهِلُ
مَلَأْتُ عَلَيْهِ الْأَرْضَ حَتَّى كَانَتْهَا مِنْ الضِّيقِ فِي عَيْنَيْهِ كِفَّةً حَابِلٍ^(٥)

(١) ط ، س : « ابن قُتْرَب » وصوابه ما أثبت من ل . والشعر في الأغاني (١٩) :
١٤٤ (وكذا البيان (٣ : ١٠٩) منسوب إلى ابن فسوة . وقد تقدمت ترجمته
في الجزء الثاني ص ١١ .

(٢) كذا على الصواب في ل والأغاني . وفي ط : « إلى حرمي داري بن جعفر »
وفي س : « إلى حين مي دراي » والتحريف فيهما ظاهر . وفيهما أيضا « إذ
رحلتها » ، وهو خطأ صوابه في ل والأغاني .

(٣) السبت ، بالكسر : الجلد المدبوغ ، وكانت النعال السبئية خاصة بأهل النعمة من
العرب . وانظر كلام الجاحظ في البيان ٣ : ١٠٩ - ١١٣ . والنعل المخصرة :
المستدقة الوسط .

(٤) كذا في ل ، وهو الصواب كما في الشعراء لابن قتيبة ١٤٠ والأغاني ١٠ :
١٤٨ . وفي ط : « نقيير » وفي س : « بقير » محرفتان . والطرمّاح : شاعر
إسلامي في الدولة المروانية ، ومولده ومنشؤه بالشام ، ثم انتقل إلى الكوفة مع
من وردها من جيوش أهل الشام ، فاعتقد مذهب الشراة والأزارقة . وكان شاعراً
فصيحاً ، يكثر في شعره الغريب . قال محمد بن حبيب : سألت ابن الأعرابي عن ثمانى
عشرة مسألة كلها من غريب شعر الطرمّاح فلم يعرف واحدة منها . وكان صديقاً
للحكيت الشاعر لا يكدان يتفارقان . انظر المرجعين المتقدمين والخزانة ٣ :
٤١٨ بولاق .

(٥) الحابل : من يصطاد بالحبال ، وكفته ، بالكسر ، هي حالته . في ط : « حائل »
محرفة ، صوابها في ل ، س والأغاني والشعراء . وليبت نظير في اللسان (كفف) .

وقال آخر :

إذا أبصرتني أَعْرَضْتَ عَنِّي كأنَّ الشَّمْسَ مِنْ قِبَلِي تَدُورُ
وقال الحُرَيْمِيُّ ^(١) وَذَكَرَ عَمَاهُ ^(٢) :

أُصْغِي إِلَى قَائِدِي لِيُخْبِرَنِي إِذَا التَّقِينَا عَمَّنْ يُحْيِيَنِي
أُرِيدُ أَنْ أَعْدِلَ السَّلَامَ وَأَنْ أَفْصِلَ بَيْنَ الشَّرِيفِ وَالذُّونِ
أَسْمَعُ مَا لَا أَرَى فَأَكْرَهُ أَنْ أُخْطِئَ ، وَالسَّمْعُ غَيْرُ مَأْمُونٍ ^(٣)
لِلَّهِ عَيْنِي الَّتِي فَجَعْتُ بِهَا لَوْ أَنَّ دَهْرًا بِهَا يَوَاتِنِي ^(٤)
لَوْ كُنْتُ خَيْرْتُ مَا أَخَذْتُ بِهَا تَعْمِيرَ نُوحٍ فِي مُلْكِ قَارُونِ
وقال بعضُ القَدَمَاءِ ^(٥) :

أَلَمْ تَرَ حَوْشَبًا أَضْحَى يُدْنِي قُصُورًا نَفَعَهَا لِبَنِي نُفَيْلِهِ ^(٦)
يُؤَمِّلُ أَنْ يُعَمَّرَ عُمَرُ نُوحٍ وَأَمْرُ اللَّهِ يَحْدُثُ كُلَّ لَيْلِهِ ^(٧)

(١) في الأصل وكذا معاهد التنصيص (١ : ٨٧) : « الحُرَيْمِيُّ » - بالزاي - وهو تحريف ، صوابه في عيون الأخبار (٤ : ٥٧) ونكت الهميان ٧١ . وقد تقدمت ترجمته ، وتحقيق اسمه في الجزء الأول ص ٢٢٤ .

(٢) ل : « في عَمِي عَيْنِهِ » . وانظر الشعر والشعراء ٨٣٠ - ٨٣١ .

(٣) س : « وَأَكْرَهُ أَنْ أُخْطِئَ » .

(٤) كذا في ل والمراجع المتقدمة . وفي ط ، س : « دَهْرًا تَوَلَّى فَا تَوَاتَنِي » .

(٥) لم أجد صاحب البيتين فيما لدى في المراجع . قالوا : لما بَنَى أَبُو الْعَبَّاسِ بِنَاءَهُ بِالْأَنْبَارِ الَّذِي يَدْعَى رِصَافَةَ أَبِي الْعَبَّاسِ ، قَالَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ : ادْخُلْ وَانْظُرْ . فَدَخَلَ مَعَهُ فَلَمَّا رَأَاهُ تَمَثَّلَ بِالْبَيْتَيْنِ . معجم البلدان ، والأغاني (١٨ : ٢٠٦) وعيون الأخبار (١ : ٢١١) . وقد عاتبه أَبُو الْعَبَّاسِ عَلَى ذَلِكَ ، كَمَا فِي عَيُونِ الْأَخْبَارِ وَالْعَقْدِ (٣ : ٢٦٩) .

(٦) كذا في ل ، س ومعظم الروايات . وفي ط وعيون الأخبار : « بقيلة » .

(٧) ل : « يَطْرُقُ كُلَّ لَيْلَةٍ » ، وهي رواية فريدة .

وقال ابن عباسٍ بعد ما ذهب بصره (١) :

إِنْ يَأْخُذِ اللَّهُ مِنْ عَيْنِي نُورُهُمَا فِي لِسَانِي وَقَلْبِي مِنْهُمَا نُورُ (٢)
قَلْبِي ذِكْرٌ وَعَقْلِي غَيْرُ ذِي دَخَلٍ وَفِي فِي صَارُمٍ كَالسَّيْفِ مَأْثُورُ

[وقال حسانٌ يذكرُ بيانَ ابنِ عباسٍ (٣) :

إِذَا قَالَ لَمْ يَتْرِكْ مَقَالاً وَلَمْ يَقِفْ لِعَيْنِي وَلَمْ يَثْنِ اللِّسَانَ عَلَى هُجْرٍ
يَصْرِفُ بِالْقَوْلِ اللِّسَانَ إِذَا انْتَحَى وَيَنْظُرُ فِي أُعْطَافِهِ نَظَرَ الصَّقْرِ]

(شعر في الخصب والجذب)

وقال بعضُ الأعرابِ يذكُرُ الخِصْبَ والجَدْبَ :

٣٦

مُطِرْنَا فَلَمَّا أَنْ رَوَيْنَا تَهَادَرَتْ شَقَاشِقُ فِيهَا رَائِبٌ وَحَلِيبُ

(١) كذا في ل ، وهو الصواب ، كما في نكت الهميان ٧١ نقلا عن الجاحظ ، وكذا

عيون الأخبار ٤ : ٥٦ والشعر والشعراء ٨٣٠ ، ومعه التنقيص ١ : ٨٧ والعقد

٣ : ١٥٧ ، ٣٩٠ وقد ذكر صاحب العقد سبب الشعر . وشذ أبو علي القالي في ذيل

الأمالي ص ١٥ فنسب البيت إلى حسان بن ثابت . وقد وجدتهما في ديوانه ص ١٦٥ .

ويروي البيتان أيضاً لأبي علي البصير كما في المستطرف ٢ : ٢٧٢ ولأبي العيناء

في معجم الأدباء ١٨ : ٢٠٣ . وفي ط ، س : « وقال أبو يعقوب الخزيمي » ، وهو خطأ .

(٢) س : « في لساني وسمعي » وفي عيون الأخبار : « في فؤادي وسمعي » .

(٣) انظر معجم الأدباء ٦ : ١٨٩ . ولحسان بن ثابت أبيات أخرى يذكر فيها بيان

ابن عباس . انظر البيان ١ : ٣٣٠ .

ورابت رجالاً مِنْ رجال ظُلامَةٍ وَعُدَّتْ دُحُولُ بَيْنِهِمْ وَذُنُوبُ^(١)
وَنُصَّتْ رِكَابُ اللَّصْبَا فَتَرَوَّحَتْ^(٢) لَهْنٌ بِمَا هَاجَ الْحَبِيبَ خَبِيبُ^(٣)
وَطَنٌ فَنَاءَ الْحَى حَتَّى كَأَنَّهُ رَحَى مَنَهْلٍ مِنْ كَرَّهِنَ نَجِيبُ^(٤)
بَنَى عَمَّا لَا تَعْجَلُوا ، يَنْضَبُ الثَّرَى قَلِيلًا وَيَشْفِي الْمَتَرَفِينَ طَبِيبُ^(٥)
فَلَوْ قَدْ تَوَلَّى النَّبْتُ وَامْتِيرَتِ الْقُرَى وَحَسَّتْ رِكَابُ الْحَى حِينَ تَتُوبُ^(٦)
وَصَارَ غَبُوقَ الْخُودِ وَهِيَ كَرِيمَةٌ عَلَى أَهْلِهَا ، ذُو جُدَّتَيْنِ مَشُوبُ^(٧)
[وَصَارَ الَّذِي فِي أَنْفِهِ خُزْوَانَةٌ يَنَادِي إِلَى هَادِي الرَّحَى فَيَجِيبُ^(٨)]
أُولَئِكَ أَيَّامٌ تُبَيِّنُ مَا الْفَتَى أَكَابَ سَكَيْتُ أَمْ أَشْمُ نَجِيبُ

(١) ل : « ورامت رجال » و « دحول بيننا » . وانظر الإمتاع والمؤانسة ١ : ١٩٦ - ١٩٧ وديوان المعاني ٢ : ٤٥ .

(٢) « فتروحت » كذا في س والمخصص ١٠ : ١٨٠ . وفي ط ، ل : « فتراجعت » . وفي ط ، س : « هاج الحبيب » وتصحيحه من ل والمخصص . قال ابن سيده : « أما قوله : ونصت ركباً للصبا ، فإن طلب اللهو مما يبعث عليه الفراغ ورخاء البال » . و « الحبيب » هنا بمعنى المحب ، بكسر الحاء . و « خبيب » هي بالحاء المعجمة ، ومعناها سرعة الجرى . ل والمخصص : « حبيب » بالحاء ، وليس بشيء . يقول : لتلك الركاب خبيب بما يهيج الحنين ويبعث أشواقهم .

(٣) ط : « وطن » ، ل : « ودير » محرفتان . وفي ل أيضاً : « من كرهن لجيب » .

(٤) عبارة تهكية ، وعنى بالطبيب هنا الجذب وشدة الزمان .

(٥) تولى : أخذ في الهيج . وامتيرت القرى : جلب ما فيها . ط ، س : « وابتزت القرى ، وصوابه من ل والمخصص . وفي المخصص : « تتوب » ، وهذا بمعنى .

(٦) الغبوق ، بالفتح : ما يشرب بالعشى . والخود : الشابة الحسنة الخلق . وفي ط ، س : « هنوق الجود » تحريف ما أثبت من ل والمخصص . والجدة بالضم : الخط ، وعنى بذو الجدتين اللبن يظهر فيه لونان ، وذلك حين يكون مشوباً ، أى مخلوطاً بالماء . وفي ط ، س : « عشوب » ، تحريف ما في ل .

(٧) الخنزوانة : السكر . وهادي الرحي : مقبضها . وفي المخصص بياض يمكن ساء ما هنا .

(شعر لأنس بن أبي إياس)

وقال : ولما ولي حارثة بن بدر سرق^(١) ، كتب إليه أنس بن

أبي إياس^(٢) [الدليل] :

أحار بن بدر قد وليت ولاية فكُنْ جُرْداً فيها تحون وتسرق
وباه تما بالغنى ، إنَّ للغنى لساناً به المرء الهيوبه ينطق
[ولا تحقرن يا حار شيئاً ملكته فحظك من ملك العراقين سرق]
فإنَّ جميع الناس إمَّا مكذبٌ يقول بما هوى ، وإمَّا مصدق^(٣)
يقولون أقوالاً ولا يعرفونها ولو قيل هاتوا حقوا لم يحققوا

وقال بعض الأعراب :

فلما رأينا القوم ثاروا بجمعهم رعيناً الحديث وهو فيهم مضيع^(٤)
وأدر كننا من عز^(٥) قيس حفيظة ولا خير فيمن لا يضر وينفع

(١) سرق ، بالضم وتشديد الراء المفتوحة : إحدى كور الأهواز . وفى ط : « سرف » محرفة .

(٢) ويروى : « ابن إياس » . وانظر القاموس (أنس) وجمهرة ابن حزم ١٨٤ . وقصة الشعر مفصلة فى أمالى المرتضى ٢ : ٤٩ - ٥١ والمقد ٢ : ٥٥ وزهر الآداب ٤ : ٥٨ ومعجم البلدان رسم (سرق) . وانظر رواية الأبيات فى المراجع المتقدمة وكذا عيون الأخبار ١ : ٥٨ ، ومحاضرات الراغب ١ : ٨٣ . والمفهوم أن الشعر الآتى مداعبة لاهجاء . ويقال إن حارثة بن بدر أجاب عن هذه الأبيات بقوله :

جزاك إله العرش خير جزائه فقد قلت معروفاً وأوصيت كافياً
أشرت بأمر لو أشرت بغيره لألفيتى فيه لأمرك عاصياً

(٣) ل : « تهوى » .

(٤) كذا فى ل . وفى ط ، س : « ساروا يجمعهم » و : « فينا مضيع » ، تحريف .

(٥) ل : « عرق » .

(نصيحة رجل لبعض السلاطين)

ويقال إن رجلاً قال لبعض السلاطين : الدنيا بما ^(١) فيها حديث ، فإن استطعت أن تكون من أحسنها حديثاً فافعل !

(أقوال مأثورة)

وقال حذيفة بن بدر لصاحبه ^(٢) يوم جفر الهبابة ^(٣) ، حين أعطاهم بلسانه ما أعطى : إيتاك والكلام المأثور ^(٤) .

وأنشد الأصمعي :

كلُّ يومٍ كأنه يومٌ أضحى عندَ عبدِ العزيزِ أو يومٍ فطرِ
وقال : وذكر لي بعضُ البغداديين أنه سمعَ مدنيّاً مرَّ ببابِ الفضلِ
ابن يحيى — وعلى بابهِ جماعةٌ من الشعراء — فقال :

مالقينا من جودِ فضلِ بنِ يحيى تركَ الناسَ كلَّهُم شعراءَ ٣٧

(١) س : « وما » .

(٢) هو أخوه حل بن بدر ، كما في العقد ٣ : ٣١٦ .

(٣) كان هذا اليوم لعبس على ذبيان ، وفيه قتل حذيفة ، وأخوه حل ، سيدا بني فزارة . للعقدة ٢ : ١٦١ والعقد ٣ : ٣١٦ وكامل ابن الأثير ١ : ٣٥٢ . وفي ط : « الهبابة » ، وهو على الصواب في س ، ل .

(٤) المأثور : الذي ينقله الخلف عن السلف . وفي س : « المائق » ، وفي ط : « السائر » والأشبه ما أثبت من ل : موافقاً لما في العقد .

وقال الأصمعي : قال لي خَلَفُ الأحمر : الفارسيُّ إذا تَطَرَّفَ^(١) تساكنت ، والنَّبْطِيُّ إذا تَطَرَّفَ^(٢) أكثر الكلام .
 وقال الأصمعيُّ : [قَالَ رجلٌ] لأعرابيٍّ : كيف فلانٌ فيكم ؟ قَالَ : مرزوقٌ أحق ! قَالَ : هذا الرَّجلُ الكامل .
 قَالَ : وقال أعرابيٌّ لرجل : كيف فلانٌ فيكم ؟ قَالَ : غَنِيٌّ حَظِيٌّ^(٣)
 قال : هذا من أهل الجنة !

(السواد والبياض في البادية)

الأصمعيُّ قَالَ : أخبرني جَوْسِقُ قال : كان يقال بالبدو : « إذا ظَهَرَ الْبَيَاضُ قَلَّ السَّوَادُ ، وإذا ظَهَرَ السَّوَادُ قَلَّ الْبَيَاضُ » . قال الأصمعيُّ : يعني بالسَّوَادِ التَّمَرُ ، وبالبياض اللَّبَنَ والأَقِطَ^(٤) . يقول : إذا كانت السَّنَةُ مُخْصِبَةً كَثُرَ الْأَقِطُ وَاللَّبَنُ وَقَلَّ التَّمَرُ ، وإذا كانت السَّنَةُ مجْدِبَةً كَثُرَ التَّمَرُ وَقَلَّ اللَّبَنُ [والأَقِطُ] . وقال : إذا كان العام خصيباً^(٥) ظهر [في صدقة الفِطْرِ] الْبَيَاضُ ، يعني الْأَقِطُ ؛ وإذا كان جَدِيباً^(٦) ظهر السَّوَادُ ، يعني التمر .
 وتقول الفُرسُ : إذا زَحَرَتِ الْأَوْدِيَةُ بالماء كَثُرَ التَّمَرُ^(٧) ، وإذا اشْتَدَّتْ الرِّيحُ كَثُرَ الْحَبُّ .

(١) تَطَرَّفَ : تكلف الظرف . وفي ط ، ل : « تطرف » . وصوابه من س .

(٢) ط ، س : « غني حظي » ، والوجه ما أثبت من ل .

(٣) الْأَقِطُ : شيء يتخذ من اللبن المخيض يطبخ ثم يترك حتى يمتلئ .

(٤) ط : « خصباً » .

(٥) ط ، س : « جدباً » .

(٦) ط : « السمن » ، وأثبت ما في س ، ل .

(قول في أثر الريح في المطر)

وحدثني محمد بن سلام^(١) ، عن شعيب بن حجر^(٢) قال : جاء رجلٌ على فرسٍ فوقفَ بماءٍ من مياه العرب فقال : أعندكم الرِّيحُ الَّتِي تَكُوبُ البعيرَ^(٣) ؟ قالوا : لا . قال : فتذري الفارس^(٤) ؟ قالوا : لا . قال : فكما تكونُ يكونُ مطرُكم .

وحدثني العُتْبِيُّ^(٥) قال : هَجَمَتْ على بطنِ بَيْنَ جبَلين ، فلم أرَ وادياً أخصبَ منه ، وإذا رجالٌ يترْكُلون^(٦) على مَسَاحِيهم ، وإذا وجوهٌ مهَجَّنةٌ ، وألوانٌ فاسِدةٌ . فقلتُ : واديكمُ أخصبُ وادٍ ، وأنتم لاتشبهونَ المخاصِبَ^(٧) قال : فقال شيخٌ منهم : ليس لنا ريح .

(١) ل : « وحدث محمد بن سلام » . ومحمد بن سلام هذا هو الجمحي صاحب الطبقات ، كان من أئمة الأدب البصريين ، توفي سنة إحدى وثلاثين ومائتين . لسان الميزان (٥ : ١٨٢) .

(٢) ل : « صخر » .

(٣) تكب البعير : تقلبه وتصرعه .

(٤) ذرت الريح الشيء وأذرته : أطارته .

(٥) ل : « القيني » ، وهو تحريف نهنا عليه كثيراً .

(٦) في القاموس : « تركل بمسحاته : ضربها برجله لتدخل في الأرض » . في ط

« يتوكأون » ، وفي ط : « يتوكلون » ، وأثبت ما في ل .

(٧) المخاصيب : جمع مخصب أو مخصاب . وفي ط فقط : « المخاصب » .

(شعر في الخصب)

وقال النمر بن تولب :

كَأَنَّ حَمْدَةَ^(١) ، أَوْعَزْتُ لَهَا شَبَّهًا فِي الْعَيْنِ يَوْمًا تَلَاقَيْنَا بِأَرْمَامِ
مِثْلَ جَادٍ عَلَيْهَا وَابِلٌ هَظِلٌ فَأَمْرَعْتُ لَاحْتِيَالٍ فَرَطَ أَعْوَامِ^(٢)
إِذَا يَجْفُ ثَرَاهَا بَلَّهَا دِيمٌ مِنْ كَوْكَبٍ بَزَلِ بِالمَاءِ سَجَامِ
لَمْ يَرَعْهَا أَحَدٌ وَارِبَتْهَا زَمْنًا^(٣) فَأَوُّ مِنْ الْأَرْضِ مُحْفُوفٍ بِأَعْلَامِ^(٤)
تَسْمَعُ لِلطَّيْرِ فِي حَافَاتِهَا زَجَلًا كَأَنَّ أَصْوَاتَهَا أَصْوَاتُ جُرَّامِ^(٥)
كَأَنَّ رِيحَ خَزَامَاهَا وَخْنَوَتَهَا بِاللَّيْلِ رِيحُ يَلْنَجُوجٍ وَأَهْضَامِ^(٦)

(١) ل فقط : « جرة » .

(٢) لاحتِيَال : أى بعد احتِيَال . والاحتِيَال : مرور الأحوال . وفرط أعوام : بعد أعوام ، قال لبيد :

هل النفس إلا متعة مستعارة تعار فتأق ربها فرط أشهر
وفى ط ، س : « بعد أعوام » .

(٣) كذا . وفى اللسان مادة (فأو) : « وأكتم روضتها » .

(٤) الفأو : بطن تطيف به الرمال يكون مستطيلاً . ط : « فأوا » .

(٥) الجرام : الذين يصرمون التمر ، أى يقطعون به . وقد غنى الأنباط . وفى ط ، س : « حوام » محرف .

(٦) الخزامى والحنة : نبتان طيبا الرائحة . واليلنجوج : العود الهندى الذى يستعمل فى البخور . وفى ط : « يلتجوج » محرفة . والأهضام : واحدها هضم بالكسر ، وهضم بالفتح ، وهضمة ، وهو كل شيء يتبخر به غير العود واللبنى .

قال : فلم يدع معني من أجله يُخَصَّب الوادى ويعمُّ نبتُه إلا ذكره .
وصدق النمر (١) !

وقال الأسدى في ذكر الحَصْب ورطوبة الأشجار (٢) ولدونة الأغصان
وكثرة الماء :

وَكَأَنَّ أَرْحُلَنَا بِجَوْ مُحَصَّبٍ يَلْوِي عُيْزَةً مِنْ مَقِيلِ التُّرْمُسِ (٣)
فِي حَيْثُ خَالَطَتِ الْخَزَامَى عَرْفَجًا يَأْتِيكَ قَابِسُ أَهْلِهِ لَمْ يُقْبَسْ (٤)
ذهب إلى أنه قد بلغ من الرطوبة في أغصانه وعيدانه (٥) ، أنها إذا ٣٨
حُكَّ بعضها ببعض لم يقدح (٦) .
وفي شبيه بذلك يقول الآخر (٧) ، وذهب إلى كثرة الألوان (٨)
والأزهار والأنوار :

(١) في ل : « وصدق حديث القتيبي في قوله : فأومن الأرض مخفوف بأعلام » .
وليس بشيء .

(٢) كذا في ل . وفي ط ، س : « الأشعاب » محرف . وفي البيان (٣ : ٣٤) :
« الورق » . وفي الحيوان ٤ : ٤٦٥ أن الشعر للمرار بن منقذ .

(٣) في الأصل : « أرجلنا » وصوابه من البيان والمخصص (١٠ : ١٣٣) .
والجو : ما انخفض من الأرض . والمحصب : موضع بين مكة ومنى . ورواية
المخصص : « بوهد نخصب يبنى عييزة » ، والوهد : المنخفض . وهذه الرواية أجود . والترمس :
ماء لبنى أسد . والمقيل : موضع القيلولة حيث يتوافر الظل . ورواية المخصص :
« مفيض » ، بمعنى موضع الفيضان .

(٤) كذا في ل والمخصص (١٠ : ١٧٦ ، ١١ : ٣٢) . وفي ط ، س
والبيان : « أهلها » .

(٥) ل : « من رطوبة أغصانها وعيدانها » .

(٦) س : « تقدح » .

(٧) ل : « جرير » .

(٨) ليست في ل .

[كانت لنا مِنْ غَطْفَانٍ جَارَهُ ^(١)] كَأَنهَا مِنْ دَبَلٍ وَشَارَهُ ^(٢)
وَالْحَلَى حَلَى التَّبَرِ وَالْحِجَارَهُ ^(٣) مَدْفَعٌ مِثَاءً إِلَى قَرَارَةٍ ^(٤)
[ثُمَّ قَالَ :

* إِيَّاكَ أَغْنَى وَاسْمَعِي يَا جَارَهُ ^(٥)] *

وَقَالَ بَشَّار :

وَحَدِيثٍ كَأَنَّهُ قِطْعُ الرَّؤُ ضِرِّ فِيهِ الْحَمْرَاءُ وَالصَّفْرَاءُ

بَاب

مِنَ الْفَطْنِ وَفَهْمِ الرِّطَاطَاتِ وَالْكُنَايَاتِ وَالْفَهْمِ وَالْإِفْهَامِ

(حَدِيثُ الْمَرْأَةِ الَّتِي طَرَفَهَا اللَّصُوصُ)

الأصمعي قال : كانت امرأة [تنزل] متنجّية من الحى ، وتحبُّ العزلة
وكان لها غنمٌ ، فطرقها اللّصّوص فقالت لأمتها ^(٥) : أَخْرِجِي ! مَنْ هَاهُنَا ؟

(١) الدبل : بالتحريك : أصله فى البعير أن يمتلىء شعما ولحما . وفى ط ، س « ذبل »
محرّفة . والشارة : السمن ، أو حسن الهيئة ، وفى المخصص واللسان (مادة حلى)
« كَأَنهَا مِنْ حَسَنِ وَشَارِهِ » .

(٢) استشهد بهذا البيت ابن سيده فى المخصص (٤ : ٤٠) على أن الحلى ما يترزين به من
مصوغ المعدنيات والحجارة .

(٣) الميثاء : الأرض اللينة . والقرارة : المطمئن من الأرض . والمدفع : الهجرى .

(٤) البيت فى أمثال الميداني (١ : ٤٣) مع أبيات أخرى منسوبة إلى سهل
ابن مالك الفزاري .

(٥) ط ، س : « لا بنتها » ، وأثبت ما فى ل .

[قالت : هاهنا] حَيَّانٌ ، والحُمَارِسُ ^(١) ، وعامرٌ ^(٢) والحارثُ ، ورأسُ
عَنْزٍ ^(٣) وشادن ^(٤) . وراعياً بهِمناً ^(٥) . [فنحنُ مأولئك . أى : فنحنُ أولئك] .
فلما سَمِعُوا ذلكَ ظَنُّوا أَنَّ عِنْدَهَا بَنِيهَا . وقال الأصمعيُّ مرّةً ^(٦) : فلما
سمعتَ حِسَمَهُم قالت [لَأَمَتَهَا] : أَخْرِجِي سُلْحَ بَنِيَّ من هاهنا .
قال : وسُلْحَ جمعُ سُلَاحٍ ^(٧) . وحَيَّان والحمارس ^(٨) : أَسْمَاءُ تَبُوسَ لَهَا .

(قصة المَهْمُورَةِ الشَّيَاهِ والحَمَرِ)

قال الأصمعيُّ : تزَوَّجَ رجلٌ امرأةً فساقَ إليها هَرَهَا ثلاثين شاةً ،
وبعثَ بها رسولاً ، وبعثَ بَرِزْقٍ خَمَرَ . فَعَمَدَ الرَّسُولُ فذَبَحَ شاةً في الطَّرِيقِ
فَأَكَلَهَا ، وَشَرَبَ بَعْضُ الزَّيْقِ . فلما أَتَى المرأةَ نظرت إلى تسعٍ وعشرين
ورأت الزَّيْقَ ناقصاً ، فعَلِمَتْ أَنَّ الرجلَ لا يَبِيعُ إِلَّا بِثَلَاثِينَ وَزَيْقٍ ^(٩) مَمْلُوءٍ

(١) ل : « الحتارس » .

(٢) ط ، س : « وعامرا » ، محرفة .

(٣) ط فقط : « عتر » ، ولها وجه ؛ فالعتر بالكسر : كل ما ذبح .

(٤) ط ، س : « بارق » .

(٥) ط ، س : « وراعينا بهيسا » ، تحريف مافى ل .

(٦) الكلام من « فلما سمعوا » ساقط من ل .

(٧) السلاح ، بالضم : النجو .

(٨) ل : « الحتارس » . وكذا أن الوجه أن يضاف « عامر والحارث » إلى الكلام ليتحقق

معنى الجمعية .

(٩) ط ، س : « وزقا » .

فَقَالَتْ لِلرَّسُولِ : قُلْ لِصَاحِبِكَ ^(١) : إِنْ سُحِبَ قَدْ رُثِمَ ^(٢) ، وَإِنْ رَسُولُكَ جَاءَنَا فِي الْحَاقِ ! فَلَمَّا أَتَاهُ الرَّسُولُ بِالرَّسَالَةِ : قَالَ يَاعِدُوْهُ اللهُ ، أَكَلْتُ مِنَ الثَّلَاثَيْنِ شَاةً شَاةً ، وَشَرِبْتُ مِنْ رَأْسِ الزَّقِّ ! فَاعْتَرَفَ [بِذَلِكَ ^(٣)] .

(قصة العنبري الأسير)

الأصمعيُّ قال : أَخْبَرَنِي شَيْخٌ مِنْ بَنِي الْعَنْبَرِ قَالَ : أَسْرَبَنُو شَيْبَانَ رَجُلًا مِنْ بَنِي الْعَنْبَرِ ، قَالَ : دَعَوْنِي حَتَّى ^(٤) أُرْسَلَ إِلَى أَهْلِي لِيَفْدُونِي ^(٥) . قَالُوا : عَلَى أَلَّا تَسْكُمَ الرَّسُولَ إِلَّا بَيْنَ أَيْدِينَا . قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَقَالَ لِلرَّسُولِ ، ائْتِ أَهْلِي فَقُلْ : إِنَّ الشَّجَرَ قَدْ أَوْرَقَ . وَقُلْ : إِنَّ النِّسَاءَ قَدْ اشْتَكَّتْ وَخَرَزَتْ الْقِرْبَ ^(٦) . ثُمَّ قَالَ لَهُ : أَتَعْقِلُ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : إِنْ كُنْتَ تَعْقِلُ فَمَا هَذَا ؟ قَالَ : اللَّيْلُ . قَالَ : أَرَأَيْكَ تَعْقِلُ ! انْطَلِقْ إِلَى أَهْلِي فَقُلْ لَهُمْ : عَرَّوْا جَمَلِي الْأَصْهَبَ ، وَارْكَبُوا نَاقَتِي الْحُمْرَاءَ ، وَسَلُّوْا حَارِثًا عَنْ أَمْرِي - وَكَانَ حَارِثٌ صَدِيقًا لَهُ - فَذَهَبَ الرَّسُولُ فَأَخْبَرَهُمْ ، فَدَعَوْا حَارِثًا فَقَصَّ عَلَيْهِ الرَّسُولُ الْقِصَّةَ ، فَقَالَ أَمَّا قَوْلُهُ « إِنَّ الشَّجَرَ قَدْ أَوْرَقَ » فَقَدْ تَسَلَّحَ الْقَوْمُ . ٣٩

-
- (١) ل : « قُلْ لَهُ » .
 (٢) رُثِمَ : كَسَرَ أَنْفَهُ أَوْ فُوهَ حَتَّى تَقْطُرَ مِنْهُ الدَّمُ ، أَوْ لَطَخَ بِالدَّمِ .
 (٣) هَذِهِ الزِّيَادَةُ مِنْ س فَقَطْ . وَالْخَبَرُ فِي الْبَيَانِ (٣ : ٢١١) بِرَوَايَةِ أُخْرَى ، وَقَدْ عَيْنَ اسْمَ الرَّجُلِ بِأَنَّهُ قَسَامَةُ بْنُ زُهَيْرِ الْعَنْبَرِيِّ . وَانْظُرْ كَذَلِكَ كُنَايَاتِ الْجُرْجَانِيِّ ٦٣ وَمَحَاضِرَاتِ الرَّاعِبِ (١ : ٦٧) حَيْثُ نَسَبَ الْخَبَرَ فِي الْآخِرَةِ إِلَى أَمْرِي الْقَيْسِ .
 (٤) هَذِهِ الْكَلِمَةُ سَاقِطَةٌ مِنْ ل .
 (٥) ط ، س : « إِلَى صَاحِبِي » ، وَفِي ط فَقَطْ : « يَفْدُونِي » .
 (٦) هَذِهِ الْجُمْلَةُ لَيْسَتْ فِي ل . وَهِيَ فِي أَصْلِهَا : « وَجَرَّتِ الْقِرْبُ » وَلَيْسَ لِذَلِكَ وَجْهٌ ، وَقَدْ اعْتَمَدَتْ فِي تَصْحِيحِهَا عَلَى مَا فِي كَامِلِ ابْنِ الْأَثِيرِ ١ : ٣٨٤ : وَالْمُرَادُ بِالْخَرَزِ هُنَا الْإِصْلَاحَ اسْتِعْدَادًا لِلْحَرْبِ .

وأما قوله : « إِنَّ النساءَ قد اشتَكْنَ وخرَزَت القِرْبَ ^(١) » فيقول : قد اتخذت الشُّكَا ^(٢) وخرَزَت القِرْبَ للغزو . وأما قوله : « هذا الليل » فإنه يقول : أنا كم جيشٌ مثلُ الليل . وأما قوله : « عرُّوا جملي ^(٣) الأضْهَب » فيقول : ارتحلوا عن الصَّمان . وأما قوله : « اركبُوا ناقتي الحمراء » فيقول : انزلوا الدهناء .

وكان القوم قد تهيَّئوا لغزوهم ، فخافوا أن يُنذِرهم ، [فأنذَرهم] وهم لا يشعرون ، فجاء القوم يطلبونهم فلم يجدوهم ^(٤) .

(قصة العطاردي)

وكذلك صنع العطاردي في شأن [شِعب] جبلة ، وهو كِرب بن صفوان ؛ وذلك أنه حين لم يرجع لهم قولاً حين سأله أن يقول ، ورمى بصرَّتين في إحداهما شوك ، والأخرى تراب ، فقال قيس بن زهير : هذا رجلٌ مأخوذٌ عليه ألا يتكلم ، وهو ينذرُكم عدداً ^(٥) وشوكة ^(٦) .

قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ ﴾ .

(١) س فقط : « وجررت القرب للغزو » ، والكلمة الأخيرة تفسد الكلام ، وتصحيح كلمة « جررت » هنا وفيما سيأتي قريباً ، اعتمدت فيه على ما في الكامل .

(٢) الشكا ، بالكسر : جمع شكو بالفتح : وعاء للماء أو اللبن من آدم .

(٣) ط ، س : « جمالي » وتصحيحه من ل .

(٤) هذا الخبر أورده ابن عبد ربه في العقد ٣ : ٣٣٠ - ٣٣١ في بدء كلامه على يوم الوقيط ، وكذلك ابن الأثير ، بصورة مفصلة . وهو أيضاً في أمالي القالي :

١ : ٦ والمرتضى ١ : ١٢ والعمدة ١ : ٢١١ ومحاضرات الراغب ١ : ٦٧ والمزهر ١ : ٣٣٣ وكنايات الجرجاني ٦٤ ومعاني الأشنانداني ٥٧ وطرارز المجالس ٢٥٤ والملاحن ٤ وأخبصار الظراف ٧٠ والمستطرف ١ : ٤٢ .
(٥) أي علوا كثير العدد ، وقد أشار إليه بالتراب . وفي ط ، س : « غدرا » وليس بشيء .

(٦) الشوكة : البأس والقوة . س : « أو شوكة » . والخبر مع بسط كبير ، في كامل ابن الأثير ١ : ٣٥٥ - ٣٥٦ .

(شعر في صفة الخيل والجيش)

قال أبو نخيلة ^(١) :

لما رأيتُ الدِّينَ دِينًا يُؤَفِّكُ وَأُمْسَتِ القُبَّةُ لا تستمسِكُ ^(٢)
يُفَتِّقُ مِنْ أَعْرَاضِهَا وَيُهْتِكُ ^(٣) سرت من الباب فَطَارَ الدَّكْدَكُ ^(٤)
مِنِ الدَّجُوجِيَّ وَمِنْهَا الْأَرْمَكُ ^(٥) كاللَّيْلِ إِلَّا أَنَّهَا تَحْرَكُ

وقال منصورُ النَّمْرِي :

لَيْلٌ مِنَ النَّقْعِ لَا شَمْسٌ وَلَا قَمَرٌ إِلَّا جَبِينُكَ وَالْمَذْرُوبَةُ الشُّرْعُ ^(٦)

وقال آخر :

كَأَنَّهُمْ لَيْلٌ إِذَا اسْتَنْفِرُوا ^(٧) أَوْ لُجَّةٌ لَيْسَ لَهَا سَاحِلٌ

(١) في الأصل : « ابن نخيلة » ، وليس يعرف شاعر أو راجز بهذا الاسم . وأبو نخيلة

تقدمت ترجمته في ٢ : ١٠٠ .

(٢) ط : « لاتمسك » .

(٣) ط ، س : « أو يهتك » .

(٤) الدكدك : ماتكيس واستوى من الرمل ، أو مالتبه منه بالأرض . في ط ، س

« قطار دكدك » ، وفي ل : « فسار الدكدك » ، وقد جمعت بينهما بما ترى .

(٥) الدجوجي : الشديد السواد . والأرمك : الذي يخالط حرته سواد ، وقد تسكلم

العسكري في هذا البيت والذي بعده . وهما في صفة الخيل . الصناعتين ٣٩٧ .

(٦) المذروبة : المحددة . وفي ط س : « المدرية » ، وهو تحريف ما أثبت من ل

وديون المعاني ٢ : ٦٧ .

(٧) استنفروا : دعوا للقتال والنصرة . في ط : « استنفروا » وصوابه في س ، ل .

وقال العجاج^(١) :

كأَنَّمَا زُهاوُهُ إِذَا جُهِرَ^(٢) لَيْلٌ وَرَزٌّ وَغَرٌّ إِذَا وَغَرَ^(٣)
* سارٍ سَرَى مِنْ قِبَلِ الْعَيْنِ فَجَرَ^(٤) *

وفي هذا الباب وليس منه^(٥) يقول بشار :

كَأَنَّ مُثَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ^(٦) [وَأَسِيفَانَا لَيْلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُهُ

وقال عمرو بن كلثوم :

تَبَنَى سَنَابِكُهُمْ مِنْ فَوْقِ أَرُوسِهِمْ [سَقَفًا^(٧) كَوَاكِبُهُ الْبَيْضُ الْمُبَاتِيرُ

وهذا المعنى قد غلب عليه بشار ، كما غلب عنتره على قوله :

فَتَرَى الذُّبَابَ بِهَا يُغْنَى وَحَدُهُ هَزِجًا كَفِعْلِ الشَّارِبِ الْمَتَرِّمْ
غَرْدًا يُحْكُ ذِرَاعَهُ بِذِرَاعِهِ فِعْلَ الْمَسْكَبِ عَلَى الزَّنَادِ الْأَجْدَمِ
فلو أنَّ امرأ القيس عَرَضَ في هذا المعنى لعنتره لافتَضَحَ .

(١) ط : « وقال آخر » . وأثبت مافي س ، ل .

(٢) زهاؤه : قدره . وفي ط ، س : « نهاره » وصوابه من ل : وديوان المعاني

٢ : ٧١ . وجهر : نظر إليه باستعظام . ورواية ديوان المعاني واللسان (مادة

جهر ، و غر) : « لمن جهر » . والشعر في نعت جيش .

(٣) الرز ، بالكسر : الصوت . ووغر الجيش : صوتهم وجلبتهم . وفي ط ، س

« وزور وعرة إذا وعر » ، وهو تشويه لإصلاحه من ل وديوان المعاني واللسان .

(٤) ل : « فحر » ، وفي الأصل : « العير » صوابه في ديوان العجاج ١٨ وديوان المعاني

والمختص ١٦ : ١٨٥ . قال ابن سيده : والعين : ما عن يمين قبلة العراق .

(٥) ل : « به » .

(٦) ط ، س : « كأنما النقع يوما فوق أروسهم » ، وبذلك يختل الوزن ، وأثبت

مافي ل وعيون الأخبصار ٢ : ١٩٠ . ومشهور الرواية : « فوق رهوسنا »

انظر الوساطة ٢٣٧ وحاسة ابن الشجري ٢٣٤ .

(٧) ط ، س : « سقف » صوابه في ل .

(مقطعات شتی)

وقال بعضهم [في] غير هذا [المعنى] :

وفلاةٍ كأنما اشتمَل اللَّيْبُ لُ على رَكِيْهَا بأبناءِ حام^(١)
٤٠ خضتُ فيها إلى الخليفة بالرَّ قَّة^(٢) بجرى ظهيرةٍ وظلام
وقال العرجيُّ^(٣) :

سميتني خلقاً بحلَّةٍ قدمت^(٤) ولا جديده إذا لم يلبس الخلقُ
يا أيها المتحلَّى غيرَ شيمته ومن خلّقه الإقصادُ والملق^(٥)
ارجعْ إلى خبيك المعروف ديدنه إن التخلق يأتى دونه الخلق^(٦)
وقال آخر^(٧) :

أودى الخیار من المعاشِر كلهم واستبَّ بعدك يا كليبُ المجلسُ
وتنازعوا في كلِّ أمرٍ عظيمةٍ لو قد تكونُ شهدتهم لم ينبسوا^(٨)

(١) حام : أحد أبناء نوح . وإليه ينسب السودان ، والزنوج ، والأحباش ، والنوبة .

(٢) الرقة : مدينة على الفرات . ط ، س : « بالشرقة » تحريف .

(٣) ط ، س : « وقال آخر » ، وأثبت مافي ل موافقاً لما في العقد ٢ : ٢٤

وزهر الآداب ١ : ٧٧ والشعراء ١٣٨ . ويروى الشعر أيضاً لسالم بن وابصة

كما في البيان ١ : ٢٣٣ ونوادر أبي زيد ١٨١ . وهو بدون نسبة في مجالس ثعلب ٣٠٠ .

(٤) ط : « بحلة قلاحت » س : « لحة قدمت » ، وأثبت مافي ل .

(٥) الإقصاد ، لعله من أقصدت الحية : لدغت فقتلت .

(٦) الخيم ؛ بالكسر : السجية .

(٧) هو مهلهل ، كما سيأتي ، وكما في ديوان المعاني ١ : ٢٠٤ والصناعتين ١٩٤ .

(٨) ل : « لو كنت حاضر أمرهم لم ينبسوا » .

وأبياتُ أبي نواسٍ على أنه مولّد شاطر ، أشعرٌ من شعر مهلهل في إطراق
النَّاسِ في مجلسِ كليب ، وهو قوله ^(١) :

على خبزِ إسماعيلَ واقيةَ البُخلِ ^(٢) وقد حلَّ في دارِ الأمانِ مِنَ الأكلِ
وما خبزُهُ إلَّا كآوى يُرى ابنها ولم تُرَ آوى في الحزون ولا السَّهْلِ
وما خبزُهُ إلَّا كعَنْقاءٍ مُغربٍ تُصوِّرُ في بسطِ الملوكِ وفي المشلِ
يحدث عنها النَّاسُ من غيرِ رُؤيةٍ سيوى صُورةٍ ما أن تُمِرَّ ولا تُحَلِي
وما خبزُهُ إلَّا كليبُ بنُ وائلٍ ليالى يحمى عزَّهُ مَنبِتُ البَقْلِ
وإذْ هو لا يستبُّ خَصَمانِ عِنْدَهُ ولا القولُ مرفوعٌ بِجِدِّ ولا هَزَلِ

(١) يهجو إسماعيل بن أبي سهل بن نبيخت ، كما في الديوان ١٧١ وأخبار أبي نواس
١٢٧ وثمار القلوب ٧٧ . قال الجاحظ : « وكان أبو نواس يرتعى على خوان
إسماعيل بن نبيخت كما ترتعى الإبل في الحمض بعد طول الخلة ، ثم كان جزاؤه منه
أنه قال :

خبز إسماعيل كالوشى إذا ماشق يرفا

وقال :

وما خبزُهُ إلَّا كليب بن وائل ليالى يحمى عزه منبت البقل

البخلاء ٥٩ . وفي رسالة الحاسد والمحسود ص ١٠ : « وكان الحسن بن هانئ
يرتفع على مائدة إسماعيل الهاشمي ، وكان من المطعمين للطعام المسرفين ، فعارض
الحسن بن هانئ يوما بعض أصحابه فقال له : من أين ؟ فقال : من عند إسماعيل .
فقال له : ما أطعمكم ؟ فقال : أطعمنا دماغ كلب في قحف خنزير . فلم يكن
منه هذا القول إلَّا على وجه الحسد » .

(٢) انفرد ابن منظور في أخبار أبي نواس برواية : « واقية النحل » ، كما يقال :
« واقية الكلاب » .

فإن خبرُ إسماعيلَ حلَّ به الذى أصابَ كليئاً لم يكن ذاك عن بَذلٍ^(١)
ولكن قضاءً ليس يُسطاعُ دَفْعُهُ بِحيلةِ ذى دَهْيٍ ولا فِكْرٍ ذى عقلٍ^(٢)

(شعر العرب والمولدين)

والقصيدة التى لا أحتشمُ منها^(٣) ، ولا أهابُ الحصومة^(٤) فيها : أن^(٥)
عامّة العرب والأعراب والبدو والحضر من سائر العرب ، أشعر من [عامّة]
شعراء الأمصار والقرى ، من المولدة^(٦) والنابتة^(٧) . وليس ذلك بواجبٍ
لهم فى كلّ ما قالوه^(٨) .

وقد رأيت ناساً منهم^(٩) يهرجون أشعارَ المولدين ، ويستسقون من
رواها . ولم أر ذلك قطُّ إلا فى رابوية للشعر غير بصيرٍ بجوهر ما يروى . ولو
كان له بصر^(١٠) لعرف موضعَ الجيّد ممّن كان ، وفى أىّ زمان كان .

(١) فى ديوان المعاني والثمار : « عن ذل » ، وفى الديوان : « من ذل » ، وأنا
أرتضى ما هنا .

(٢) ل : « بحيلة ذى مكر ولادهى ذى عقل » . والدهى : الدهاء .

(٣) كذا فى س ، ل . وفى ط : « والقصيدة هذه احتشم منها » محرفة .

(٤) ط ، س : « ولا أطلب الحصومة » ، ل : « ولا أهاب الحصوم » ، وقد عدلت
القول بما ترى .

(٥) ط : « إذ » ، وتصحيحه من س ، ل .

(٦) ل : « المولدين » .

(٧) ط : « والثانية » و ل « الثانية » س : « النابتة » ، والوجه ما أثبت .

(٨) ط ، ل : « فيما قالوه » ، والوجه ما كتبت من س .

(٩) ط : « نشأهم » س : « نسابهم » ل : « ناسا » ، ولعل الصواب فيما أثبت .

(١٠) ل : « ولد » ، وهو تحريف ظاهر .

وأنا رأيت ^(١) أبا عمرو [الشيباني] وقد بلغ من استجادته لهذين البيتين ،
ونحن في المسجد يوم الجمعة ، أن كلّف رجلاً حتى أحضره دواة وقرطاساً ٤١
حتى كتبهما له . وأنا أزعّم أنّ صاحب هذين البيتين لا يقول شعراً أبداً .
ولولا أن أدخل في [الحكم] بعض الفتك ^(٢) لزعمت أنّ ابنه لا يقول شعراً
أبداً ^(٣) ، وهما قوله :

لَا تَحْسِبَنَّ الْمَوْتَ مَوْتَ الْبَلَى فَإِنَّمَا الْمَوْتُ سُؤَالُ الرَّجَالِ ^(٤)
كِلَاهُمَا مَوْتُ وَلَكِنَّ ذَا أَفْظَعَ مِنْ ذَاكَ لَذَلَّ السُّؤَالُ ^(٥)

(القول في المعنى واللفظ)

وذهب الشيخ إلى استحسان المعنى ، والمعاني مطروحة في الطريق
يعرفها العجميُّ والعربيُّ ، والبدويُّ والقروى ، [والمدنيُّ] . وإنما الشأن
في إقامة الوزن ، وتخيّر اللفظ ^(٦) ، وسهولة المخرج ^(٧) ، [وكثرة المساء] ،

(١) كذا في ل . وفي ط ، س : « قد سمعت » .

(٢) الفتك : المجون . وفي ط ، س : « القيل » .

(٣) كذا في ل . وفي ط ، س : « لزعمت أن ابنه أشعر منه » .

(٤) كذا في ل . وفي ط ، س : « وإنما » .

(٥) كذا في ط ، س والبيان (٢ : ١٧١) . وفي ل : « أشد من ذاك على
كل حال » . وفي المستطرف (٢ : ٥٣) : « أخف من ذاك لذل السؤال » . ومن
العجب أن ينعي الجاحظ على أبي عمرو استحسانه هنا ، ثم يقع هو فيما عابه على غيره
فيجعل البيتين في مختارات البيان والتبيين .

(٦) كذا في ل . وفي ط : « تمييز » وفي س : « وتخيير » .

(٧) ط : « وسهولته وسهولة المخرج » .

وفي صحّة الطّبع وجوّدَة السّبك^(١) ، فإنما الشعر صناعة^(٢) ، وضَرْبٌ من النّسج^(٣) ، وجنسٌ من التّصوير .

وقد قيل للخليل بن أحمد : مالك لا تقولُ للشّعر ؟ قال : «الذي يَجِيئُني لأرضاه ، والذي أرضاه لا يجيئني» .

فأنا أستحسنُ هذا الكلام ، كما أستحسنُ جوابَ الأعرابيِّ حين قيل له : كيفَ تجدُكَ ؟ قال : [أجِدُنِي] أجْدُ مالا أَشْتَهِي ، وأشْتَهِي مالا أَجْدُ !

(شعر ابن المقفع)

وقيل لابن المقفّع : مالك لا تجوزُ^(٤) البيتَ والبيتين والثلاثة ! قال : إنْ جُزُئُها^(٥) عَرَفُوا صاحبَها . فقال له السائل : وما عليك أنْ تُعرَفَ بالطّوال الجياد ؟ ! [فَعَلِمَ أَنَّهُ لَمْ يَفْهَمْ عَنْهُ] .

(الفرق بين المولد والأعرابي)

ونقول : إن^(٦) الفرقَ بين المولّد والأعرابي : أن المولّد يقول^(٧) بنشاطه وجمع^(٨) باله ، الأبيات^(٩) اللاحقة بأشعارِ أهلِ البدو ، فإذا^(١٠) أمعن انحَلَّت قوَّتُه ، واضطربَ كلامُه .

(١) ل : « وجودة السبك وصحة الطبع » مع إسقاط « صحة الطبع » مما سبق .

(٢) ل : « صياغة » .

(٣) ط فقط : « الصنغ » .

(٤) أي تتجاوز . وفي ط ، س : « تجود » محرفة .

(٥) كذا في ل . وفي ط ، س : « جودتها » وهو تحريف «

(٦) ل : « لأن الفرق » مع حذف « ونقول » .

(٧) س : « يقوم » وهو تحريف .

(٨) ط : « وجميع » ، والوجه ما أثبت من س ، ل .

(٩) كذا في ل . وبديلها في ط ، س : « فيشبه » .

(١٠) ط ، س : « وإذا » .

(شعر في تمعظيم الأشراف)

وفي شبيهه بمعنى مهلهل وأبي نُوَّاس ، في التَّعْظِيم والإطراقِ عند السَّادة ،
يقول الشاعر ^(١) في بعض بني مروان :

في كَفِّهِ خَيْرُ رَأْنٍ رِيحُهُ عَبِقُ في كَفِّ أُرُوعٍ في عَرِينِهِ شَمُّ ^(٢)
يَغْضِي حَيَاءً وَيَغْضِي مِنْ مَهَابَتِهِ فَا يَكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَبْتَسِمُ
إِنْ قَالَ قَالَ بِمَا يَهْوَى جَمِيعُهُمْ وَإِنْ تَكَلَّمَ يَوْمًا سَاخَتْ السَّكِيمُ
كَمْ هَاتِفٍ بِكَ مِنْ دَاعٍ وَهَاتِفَةٍ يَدْعُوكَ يَا قَسَمَ الْخَيْرَاتِ يَا قَسَمَ ^(٣)

وقال أبو نُوَّاس في مثل ذلك ^(٤) :

فَتَرَى السَّادَاتِ مَائِلَةً ^(٥) لِسَلِيلِ الشَّمْسِ مِنْ قَرَّةٍ
فَهُمْ شَتَّى ظُنُونُهُمْ حَذَرَ الْمَطْوِيِّ مِنْ خَبَرِهِ ^(٦)

(١) هو الفرزدق يقول في هشام بن عبد الملك كما في أمالي المرتضى (١ : ٤٨)
وزهر الآداب (١ : ٦٠) . أو الحزین الكنتاني في عبد الملك بن مروان كما في ديوان
الحماسة (٢ : ٢٨٤) . أو الفرزدق في علي بن الحسين كما في العمدة (٢ : ١١٠)
وأمالي المرتضى . أو للعين المنقري فيه ، كما في العمدة . أو لكثير بن كثير المهمي
في محمد بن علي بن الحسين . المؤتلف ١٦٩ . أو لداود بن سلم في قثم بن العباس ، كما
في العمدة . وهذا مثل لمقدار اختلاف الرواة في نسبة الشعر . وقد سكت الجاحظ
عن النسبة هنا ، وكذلك في البيان (١ : ٣٧٠ ، ٣ : ٤١) وكذا ابن قتيبة في
عيون الأخبار (١ : ٢٩٤ ، ٢ : ١٩٦) تحفظا منهما .

(٢) ل ، س : « ريحها » .

(٣) هذا البيت ساقط من ل .

(٤) يمدح العباس بن عبيد الله بن أبي جعفر المنصور ، كما في الديوان ٦٦ من قصيدته
المشهورة التي مطلعها :

أياها المنتخب من عفره لست من ليلي ولا سمره

(٥) مائلة : واقفة ، يعنى لإجلاله . وهذه رواية ل والديوان . وفي ط ، س :
« مائلة » ، والميل علامة الخضوع .

(٦) في الديوان : « حذر المكتون من فكره » .

وقال إبراهيمُ بنُ هَرَمَةَ في مديحِ المنصور ، وهو شبيهُ بهذا
وليس منه :

له لحظات عن حِفَافٍ سريره ^(١) إذا كَرَّها فيها عقابٌ ونائلٌ ^(٢)
فأَمُّ الذي أَمَنْتَ آمِنَةَ الرَّدَى وأُمُّ الذي أوعدت بالثُّكلِ ثا كلٌ ^(٣) ٤٢

(شعر في الحلف والعقد)

وقال مُهلَهْلٌ ، وهو يقع في باب الحلف وَكَّدَ بَعَقْدَ ^(٤) :

[ملنا على وائل وأفلتنا يوماً عدى جُرَيْعَةَ الذَّقْنِ ^(٥)]
دفعْتُ عنه الرِّمَاحَ مجتهداً حِفْظاً لِحِلْفِي وحلف ذى يَمَنٍ ^(٦)
أذكرُ من عهدنا وعهدِهِمْ عهداً وثيقاً بمنَحَرَ البُذْنِ
مأبلٌ بحرٌ كفا بصوقتها ^(٧) وما أنافَ الهضابُ من حَصَنِ ^(٨)
يزيده اللَّيْلُ والنَّهارُ معاً شَدّاً ، خِرَاطَ الجَمُوحِ في الشَّطْنِ ^(٩)

(١) كذا في س والعقد (١ : ٣٢٠ تأليف) وعيون الأخبار (١ : ٢٩٤) وفي . ل :
« عن حفا من » وفي ط : « في حفا من » . وفي العقد (٦ : ٣٥١ تأليف) : « عن
خفاء سريرة » . وفي العمدة (٢ : ١٠٩) : « عن خفافي سريره » .

(٢) س : « فيه عقاب » وهو تحريف .

(٣) ط : « أمته الردى » وتصحيحه من س ، ل . وفي ل : « حاولت بالثكل »
وفي س : « أنكلت » .

(٤) ط فقط : « في باب حلف » . ل فقط : « وكيف يعقد » .

(٥) يقال في المثل : أفلتني جريعة الذقن ، إذا كان قريباً منك كقرب الجرعة من الذقن
ثم أفلتلك ، وهو يضرب مثلاً لإفلات الجبان . اللسان (جرع) .

(٦) ط ، س : « وحفظ ذى يمين » وهو تحريف .

(٧) في اللسان : « وصوف البحر : شيء على شكل هذا الصوف الحيواني ، واحده
صوفة . ومن الأبديات قولهم : لا أكلمه مأبل بحر صوفة » . ل : « بصوقتها »
وهو تحريف .

(٨) حصن ، بالتحريك : جبل بأعلى نجد . وفي ط ، س : « حصن » مصحف .
وفيها أيضاً : « وما أناف الصخور » .

(٩) الخراط : بالكسر : الجماع . والشطن : الحبل . ط ، س : « خراط الجموع »
وصوابه من ل .

(شعر في مصرع عمرو بن هند)

وقال جابر بن حنّ (١) التغلبيّ :

ولسنا كأقوامٍ قريبٍ محلهمْ ولسنا كمن يرضيكم بالملق (٢)
فسائل شرّحيلًا بنا ومحلّمًا غداة نكرّ الخيل في كلّ خندق (٣)
لعمرك ما عمرو بنُ هندٍ وقد دعا لتخدم ليلى أمّه بموفق (٤)
فقام ابنُ كلثومٍ إلى السيف مُغضبًا فأمسك من ندمائه بالخنق (٥)
وعممه عمداً على الرأسِ ضربةً بذى شطبٍ صافي الحديدِ مخفق (٦)

(١) جابر بن حنّ أحد شعراء المفضليات . وفي ط ، س : « ضابن بن حينا » وهو تحريف ، والشعر ينسب أيضاً إلى أفنون التغلبي كما في الشعراء ٩٦ والأغاني (٩ : ١٧٦) وكامل ابن الأثير (١ : ٣٣١) .

(٢) ل : « نرضهم » ، والوجه ما أثبت من ط ، س .

(٣) ط : « فسائل شريكا نائباً ومحكماً » . س : « فسائل شريحا نائباً ومحكماً » ، وأثبت ما في ل . وفي س : « تكرر الخيل » .

(٤) لاستخدام أم عمرو بن هند ، ليلي أم عمرو بن كلثوم ، قصة يتداولها الرواة . انظر لها الأغاني (٩ : ١٧٥ - ١٧٦) .

(٥) النسمان ، بالفتح : التديم ، والمراد به عمرو بن هند . وفي ل : « ندمائه » وهو تحريف . وفيها أيضاً : « بالخنق » وهو تحريف كذلك . وفي س : « بالخنق » .

(٦) الشطب : طرائق للسيف . و « الحديد » هي في الأصل « الحديد » ، وأثبت ما في الأغاني ليستقيم الشعر . والخنق ، كنبز : العريض من السيوف . وفي ط : « محقق » وفي س : « محقق » وهما تصحيف ما أثبت من ل .

(شعر في الأقارب)

وقال المتلمس :

على كلهم آسى وللأصل زلفة فحزح عن الأدنين أن يتصدّ عوا
وقد كان إخواني كريماً جوارهم ولكن أصل العود من حيث يُنزعُ

وقال المتلمس :

ولو غيرُ أخوالى أرادوا نقيصتي جعلتُ لهم فوقَ العرانيين ميسما
وما كنتُ إلا مثلاً قاطع كفه بكفٍّ له أخرى فأصبح أجذما
يداه أصابت هذه حتف هذه فلم تجدِ الأخرى عليها مُقدّما
فأطرقَ إطراقَ الشجاع ولو يرى مساعاً لنابيه الشجاعُ نصمما^(١)
أحارثُ إنا لو تُسَاطُ دِماؤنا تَزَايِلُنَ حتّى لايمسَّ دَمُ دِما^(٢)

(تفسير كلمة لعمر)

قال : وسألتُ عن قول عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه لأبي
مرّيم الجنفي^(٣) : واللهِ لَأَنَا أَشَدُّ بغضاً لك من الأرض للدم^(٤) ! قال :

(١) الشجاع : الحية الذكر .

(٢) تساط : تخطط . وفي ط ، س : « تساقط » ، وصوابه في ل . وكانوا يمتقدون
أنه إذا خلط دم عدوين تميز كل منهما عن الآخر .

(٣) اسمه إياس بن صبيح ، كان من أهل اليمامة وكان من أصحاب مسيامة ، وهو قتل
زيد بن الخطاب بن نفيل يوم اليمامة ، ثم تاب وحسن إسلامه ، وولى قضاء البصرة
بعد عمران بن الحصين في زمن ابن الخطاب . طبقات ابن سعد (ج ٧ ق ٢ ص ٦٤) :
وقال أبو الحسن في شرح الكامل : ثقة كوفي . الكامل ٣٤٦ ليسك .

(٤) النص في الكامل : « والله لا أحبك حتى تحب الأرض الدم » زاد : « قال :
أفتمنعني حقاً ؟ قال : لا . قال : فلا بأس ، إنما يأسف على الحب النساء ! » .

لأنَّ الدَّمَّ الجارى من كلِّ شَيْءٍ بَيِّنٌ ، لا يغيضُ في الأرض ؛ ومتى جفَّ
[وتجلَّب] فقرفته ^(١) رأيتَ مكانه أبيض .

إلا أنَّ صاحب المنطق قال في كتابه في الحيوان : كذلك الدَّماء ، إلاَّ ٤٣
دَمَ البعير .

(أشعار شتى)

وقال النَّمِرُ بْنُ تَوَلَبٍ ^(٢) :

إذا كنتَ في سعدٍ ، وأُمُّكَ مِنْهُمْ غريباً فلا تَغُرُّكَ أُمُّكَ من سَعْدٍ ^(٣)
وقال ^(٤) :

وإنَّ ابنَ أختِ القومِ مُصغًى إنَّاءُه إذا لم يُزَاحِمْ خالَهْ بِأَبٍ جَلَدٍ ^(٥)

(١) قرفه : قشره . وفي ط ، س : « فقرفته » ؛ تصحيف ما أثبت من ل .

(٢) في محاضرات الراغب (١ : ١٧٧) نسبة الشعر إلى حسان بن وعلة . وفي الحماسة (١ : ٢٠٠) إلى غسان بن وعلة .

(٣) الرواية المشهورة : « فلا يغررك خالك من سعد » . انظر الكامل ٣٣٧ ليبسك ومحاضرات الراغب والعقد (١ : ٤٣) والحماسة ، وعيون الأخبار (٣ : ٨٩) .

(٤) كذا بالأصل . والبيتان متصلان كما في جميع المراجع السابقة ماعدا العقد ، والرواية فيها جميعاً ماعدا العقد ؛ فإنه لم يرو البيت الثاني : « فإن ابن أخت القوم » . وبعد البيت السابق ، كما في العقد وشرح التبريزي (٢ : ٤١) :

إذا مادعوا كيسان كانت كهولهم إلى الغدر أدنى من شبابهم المرء
قال أبو عمرو بن العلاء : كانت بنو سعد بن تميم أغدر العرب ، وكانوا يسمون
الغدر في الجاهلية : « كيسان » .

(٥) مصغى إناءه : يقال أصغيت الإناء : نقصته . انظر المخصص (١٣ : ١٦١) .
وفي اللسان ، « ويقال أصغى فلان إناء فلان : إذا أماله ونقصه من حظه » .

وقال آخر :

تَخَيَّرَهُ اللهُ الْغَدَاةَ لِدِينِهِ عَلَى عِلْمِهِ وَاللهُ بِالْعِلْمِ أَفْرَسٌ^(١)

وقال آخر :

وَمَا تَرَكَ الْهَاجُونَ لِي فِي أَدِيمِكُمْ مَصْحًا وَلَكِنِّي أَرَى مُتَرَقِّعًا^(٢)

وقال العجليّ ، أو العكلى^(٣) ، لنوح بن جرير :

[أَتَسْبِي فَأَرَاكَ مِثْلِي سُبَّةً وَأَسْبُ جَدَّكُمْ بِسَبِّ أَبِينَا]

ولقد أرى والمقتضى متجوز^(٤) يا نوح أن أباك لا يؤفينا

وقال عمرو بن معد يكرب :

إِذَا لَمْ تَسْتَطِعْ شَيْئًا فَدَعَهُ وَجَاوِزَهُ إِلَى مَا تَسْتَطِيعُ

وَصِلَهُ بِالزَّمَاعِ فَكُلُّ أَمْرٍ سَمَا لَكَ أَوْ سَمَوْتَ لَهُ وَلَوْعُ

(شعر في صاحب السوء)

وقال المقنّع الكِنْدِيُّ^(٥) :

وَصَاحِبِ السُّوءِ كَالِدَاءِ الْعِيَاءِ إِذَا مَا أَرَفَضَ فِي الْجَوْفِ يَجْرِي هَاهُنَا وَهَنَا^(٦)

(١) كذا في ط ، س . وفي ل : « تخيَّره رب العباد . . . بالعبد أعرف » .

(٢) المصحح : موضع الصحة . س : « مترقعا » وهو تصحيف ، صوابه في اللسان والمقاييس (رفع) .

(٣) كذا في س . وفي ط : « وقال العجلي ، أو العكلى » وفي ل : « وقال العكلى » .

(٤) كذا في ل . وفي ط : « ولقد رأونا والقضا متخون » وفي س : « ولقد رأونا والقضا متخون » .

(٥) المقنّع : لقب غلب عليه ؛ لأنه كان أجل للناس وجها ، وكان إذا سافر اللثام عن وجهه أصابته العين ، فكان لا يمشي إلا مقنعا . واسمه محمد بن ظفر بن عير .

شاعر مقل من شعراء الدولة الأموية . الأغاني (١٥ : ٧٥١) والشعراء ١٧٣ .

(٦) داء عياء : لا يبرأ منه . وفي ل : « كالداء العضال » .

يُنْبِي وَيُنْجِرِ عَنْ عَوْرَاتِ صَاحِبِهِ وَمَا رَأَى عِنْدَهُ مِنْ صَالِحٍ دَفَنًا ^(١)
كَمَهْرٍ سَوْءٍ إِذَا رَفَعَتْ سَيْرَتَهُ رَامَ الْجَمَاحَ وَإِنْ خَفَضَتْهُ حَرَنًا ^(٢)
إِنْ يَحْيَى ذَاكَ فَكُنْ مِنْهُ بِمَعْزَلَةٍ أَوْ مَاتَ ذَاكَ فَلَا تَعْرِفْ لَهُ جَنَنًا ^(٣)

باب ^(٤)

ذكر خصال الحرم

فمن خصاله أَنَّ الذَّنْبَ ^(٥) يَصِيدُ الطَّيْرَ وَيُرِيغُهُ ^(٦) وَيُعَارِضُهُ ، فَإِذَا دَخَلَ
الحرم كَفَّ عَنْهُ .

ومن خصاله أَنَّهُ لَا يَسْقُطُ عَلَى السَّكْبَةِ حَمَامٌ ^(٧) [إِلَّا وَهُوَ عَلِيلٌ . يُعْرِفُ
ذَلِكَ مَتَى امْتَحَنَ وَتَعَرَّفَتْ حَالُهُ ^(٨) . وَلَا يَسْقُطُ عَلَيْهَا] مَا دَامَ صَحِيحًا .
ومن خصاله أَنَّهُ إِذَا حَازَى أَعْلَى السَّكْبَةِ عَرَقَةٌ ^(٩) مِنَ الطَّيْرِ كَالْبَيَامِ
وغيره ، انْفَرَقَتْ فِرْقَتَيْنِ وَلَمْ يَعْلَمَهَا ^(١٠) طَائِرٌ مِنْهَا .

(١) ل : « يَجْرَى وَيُنْجِرِ » ، وفي الشعراء : « يَنْبِي وَيُنْجِرِ » .

(٢) رفع سيرته : زاد في سرعة سيره .

(٣) الجنن ، بالتحريك : القبر . وفي ل : « أَوْ مَاتَ ذَاكَ لَا تَشْهَدُ لَهُ جَنِينًا » ، وهو
تحريف ما في الشعراء : « أَوْ مَاتَ ذَاكَ فَلَا تَشْهَدُ » .

(٤) قبل هذا في ل : « بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ » .

(٥) كَذَا فِي ل وَثَمَارِ الْقُلُوبِ ١٣ وَمَخَاضِرَاتِ الرَّغَبِ (٢ : ٢٦٣) . وفي ط ،
س : « الْكَلْبُ » ، وليس مراداً .

(٦) يريغه : يطلبه .

(٧) ط ، س : « عَلَى السَّكْبَةِ حَمَامٌ » .

(٨) فِي ثَمَارِ الْقُلُوبِ : « عَرَفَ ذَلِكَ مِنْ امْتَحَنِهِ وَتَعَرَّفَ حَالُهُ » .

(٩) العرقة ، بالتحريك : الأسطر من الطير ، أو الخيل ، والجمع عرق . وفي ط ، س
« عَرَفَ » وَتَصَحِيحُهُ مِنْ ل .

(١٠) ط : « يَعْلَمُهَا » وَصَوَابُهُ فِي س ، ل .

ومن خصاله [أنه ^(١)] إذا أصاب المطر الباب الذى من شقِّ العراق ، كان الخِصْبُ والمطرُ فى تلك السَّنة فى شقِّ العراق ، [وإذا أصاب الذى من ^(٢) شقِّ الشَّام كان الخِصْبُ ^(٣) والمطر فى تلك السَّنة فى شقِّ الشَّام] ، وإذا ^(٤) عمَّ جوانبَ البيت كان المطرُ والخِصْبُ عامًّا فى سائر ^(٥) البلدان .

٤٤

ومن خصال الحرَم أنَّ حصَى الجَمَار يُرمى بها فى ذلك المرمى ، مُدَّ يَوْمَ حَجَّ النَّاسُ الْبَيْتَ عَلَى طَوَالِ الدَّهْرِ ، ثُمَّ كَأَنَّهُ عَلَى مَقْدَارٍ وَاحِدٍ . وَلَوْ لَا مَوْضِعُ الْآيَةِ وَالْعَلَامَةِ وَالْأَعْجُوبَةِ الَّتِي فِيهَا ، لَقَدْ كَانَ ذَلِكَ كَالْجِبَالِ . هَذَا مِنْ غَيْرِ أَنْ تَكْسَحَهُ السَّيُولُ ، وَيَأْخُذَ مِنْهُ النَّاسُ .

وَمِنْ سُنَّتِهِمْ : أَنْ كُلَّ مَنْ عَلَا الْكَعْبَةَ مِنَ الْعَبِيدِ فَهُوَ حُرٌّ ، لَا يَرُونَ الْمَلِكَ عَلَى مِنْعِهَا ، وَلَا يَجْمَعُونَ بَيْنَ [عَزٍّ] عَلَوُهَا وَذِلَّةٍ ^(٦) الْمَلِكِ . وَبِمَكَّةَ رِجَالٌ مِنَ الصُّلَحَاءِ لَمْ يَدْخُلُوا الْكَعْبَةَ قَطًّا .

وَكَانُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ لَا يَبْنُونَ بَيْتًا مَرْبَعًا ، تَعْظِيمًا لِلْكَعْبَةِ . [وَالْعَرَبُ تَسْمِي كُلِّ بَيْتٍ مَرْبَعٍ كَعْبَةً ، وَمِنْهُ : كَعْبَةُ نَجْرَانَ] . وَكَانَ ^(٧) أَوَّلُ مَنْ بَنَى بَيْتًا مَرْبَعًا حُمَيْدُ بْنُ زَهِيرٍ ^(٨) ، أَحَدُ بَنِي أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى .

ثُمَّ الْبَرَكَةُ وَالشِّفَاءُ الَّذِي يَجِدُهُ مَنْ شَرِبَ مِنْ مَاءٍ زَمْزَمَ عَلَى وَجْهِ الدَّهْرِ

(١) الزيادة من س ، ل .

(٢) هذه الكلمة وسابقتها ليست بالأصل . وهما من ثمار القلوب .

(٣) فى الأصل ، أى ل التى منها هذه الزيادة : « الحظر » ، وتصحيحه من ثمار القلوب .

(٤) ل : « فإذا » .

(٥) هذه الكلمة ساقطة من ل والثمار .

(٦) كذا فى ل . وفى ط ، س : « وبين » . وفى الثمار : « وذل الرق » .

(٧) كذا فى ل . وفى ط ، س : « فكان » .

(٨) هو حميد بن زهير بن الحارث بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشي . وكانت له دار ملاصقة للمسجد ، وقد ذكره ابن حجر فى الإصابة ١٨٣٣ .

وكثرة من يُقيم عليه يجد فيه الشفاء ، بعد أن لم^(١) يدع في الأرض حمة^(٢) إلا أتاها ، وأقام عندها ، وشرب منها ، واستنقع^(٣) فيها .

هذا مع شأن الفيل ، والطير الأبايل ، والحجارة السجيل ، وأنهما لم تزل أمتنا ولقاحاً^(٤) ، لا تؤدى إناوة ، ولا تدن للملوك ، ولذلك سمي البيت العتيق ؛ لأنه لم يزل حراً لم يملكه أحد .

وقال حرب بن أمية في ذلك^(٥) :

أبا مَطر هَلُمَّ إلى صلاحِ فَتَكْفِيكَ النَّدَامَى مِنْ قَرِيشِ^(٦)
فَتَأْمَنَ وَسَطَهُمْ وَتَعِيشَ فِيهِمْ أبا مَطر هُدَيْتَ لخيرِ عَيْشِ^(٧)
وَتَنْزَلَ بِلْدَةً عَزَّتْ قَدِيمًا وَتَأْمَنَ أَنْ يَزُورَكَ رَبُّ جَيْشِ^(٨)
وقال الله عز وجل : ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا
وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى ﴾ . وقال عز وجل ، حكاية عن إبراهيم

(١) كذا في ط ، س . وفي ل : « أن لا » .

(٢) الحمة ، بالفتح : كل عين فيها ماء حار ينبع ، يستشفى بها الأعداء .

(٣) استنقع فيها : نزل واغتسل . وفي ط ، س : « وانتقع » ، والوجه ما أثبت من ل .

(٤) في السكامل ٧٠٦ ليسك : « واللقاح : الذي ليس في سلطان أحد » .

(٥) يقول الشعر لأبي مَطر الحضرمي ، يدعوهُ إلى حلفه ونزول مكة . كامل المبرد .

(٦) المبرد : « صلاح اسم من أسماء مكة » ، وضبطت في السكامل ضبط قطام . وقال ياقوت في المعجم : « صلاح بوزن قطام : من أسماء مكة . قال العمراني : وفي كتاب التكملة : صلاح ، بكسر الصاد والإعراب » يعني التنوين . في س : « فتكفلك » وفي المعجم : « ليكفئك » ، وفي السكامل « فتكفك كالندامى » ، والمعنى مستقيم بالجميع .

(٧) س : « فتأمن رهطهم » .

(٨) كذا في ط ، س ، والمعجم ، والسكامل . وفي ل فقط : « عزت لقاحا » وفي المعجم : « أن ينالك رب جيش » .

﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾ .

(خصال المدينة)

والمدينة هي طيبة ، ولطيبها قيل تلفظ خببها وينصع طيبها . وفي ربح
تراها وبنة^(١) تربتها ، وعرف تراها^(٢) ونسيم هواها ، والنعمة^(٣) التي
توجد في سككها وفي حيطانها - دليل على أنها جعلت آية حين
جعلت حرماً .

وكل^(٤) من خرج من منزل مطيب إلى استنشاق [ربح] الهواء
والتربة^(٥) في كل بلدة فإنه لا بد عند الاستنشاق والتثبت من أن يجدها
منينة . فذلك^(٦) على طبقات من شأن البلدان ، إلا ما كان في مدينة
الرسول ، رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فللصباح^(٧) والعطر والبخور

(١) البنة ، بالفتح : الريح الطيبة . وفي س : « نبت » ، وتصحيحه من ل .

(٢) الزيادة من ل ، س .

(٣) كذا في ط ، س ، وثمار القلوب ٤٣٦ . وفي ل : « والنعمة » ، وهذه
محرفة لاربيب . وأميل إلى أن تكون هذه الكلمة « فعة » من فعم المسك
البيت : طيبه .

(٤) ط ، س : « وقيل » ، ووجهه من ل .

(٥) ط : « الهوى والبرية » ، وصوابه في س ، ل .

(٦) ل : « وذلك » .

(٧) الصباح ، بوزن كستان : عطر . ط ، س : « فللصباح » تحريف ما أثبت .
وفي ل : « وللصباح » .

والتَّضُوح^(١) ، من الرائحة الطيبة - إذا كان فيها - أضعافُ ما يوجد له في غيرها من البلدان ، وإن كان الصَّيَّاح^(٢) أجود ، والعطر أفخر ، والبخور أتمن .

(بعضُ البلدان الرديئة)

ورُبَّتْ بلدةٌ يستحيل^(٣) فيها العطرُ وتذهب رائحته ، كقَصَبَةِ الأهواز . ٤٥
وقد كان الرشيدُ همَّ بالإقامة بأنطاكية ، وكره أهلها ذلك ، فقال شيخُ
منهم ، وصَدَقَهُ : يا أمير المؤمنين ، ليست من بلادك ، ولا بلادِ مثلك ، لأنَّ
الطَّيِّبَ الفاخرَ يتغيَّرُ فيها حتَّى لا يُدْتَفَعَ منه بكثير^(٤) شيء ، والسَّلَّاحَ يصدأ
فيها ولو كان من قلعةِ الهند^(٥) ، ومن طبع^(٦) اليمن ، ومطرها ربَّما أقام

(١) التَّضُوح ، كصبور : طيب . وهذه الكلمة محرفة في الأصل ، فهي في ط :
« والتضوع » ، وفي س : « والتضوح » ، وفي ل : « والضرخ » ، والصواب
ما أثبتت موافقا لما في ثمار القلوب .

(٢) ط ، س « الصبياح » ، تحريف ما أثبت من ل . وانظر التنبيه الذي
قبل السابق .

(٣) يستحيل هنا بمعنى يتغير .

(٤) ل : « بكبير » . وهذا الخبر تجد نحوه في معجم البلدان برسم (أنطاكية) .

(٥) قلعة عظيمة ببلدة تسمى « كله » وهي أول بلاد الهند من جهة الصين ، وفي هذه
القلعة تضرب السيوف القلعية . انظر معجم البلدان برسم (القلعة) . وفي ط :
« فلق » وفي س : « فلق » ، وتصحيحه من ل .

(٦) ط ، س : « قلع » . والذي بالين هو « القلعة » كما في المعجم والقاموس .
وأثبت ما في ل .

شهرين ، ليس فيه سكون^(١) . فلم يُقِم بها^(٢) . ثمّ ذكر المدينة فقال :
وإنّ الجُويَريّة السّوداء ، لتَجعل في رأسها شيئاً من بلح ، وشيئاً من
نضوح^(٣) ، مما لا قيمة له ؛ لهوانه على أهله ، فتجد لذلك^(٤) خُصرة طيّبة^(٥)
وطيب رائحة لا يعدلها^(٦) بيت عروسٍ من ذوى الأقدار . حتّى إنّ النوى
المنقّع ، الذى يكون عند أهل العراق فى غاية النتن ، إذا طال إنقاعه ،
يكون عندهم فى غاية الطيب . والله سبحانه وتعالى أعلم .

باب

ذكر الحمام^(١)

(أجناسه)

قال صاحب الحمام : الحمام وحشئ ، وأهلى ، وبيوتى ، وطوراني^(٧) .
وكل طائر يعرف بالزواج ، وبحسن الصّوت ، والهديل ، والدّعاء ، والترجيع
فهو حمام ، وإن خالف بعضه بعضاً فى بعض الصّوت واللّون ، وفى بعض القدّ

(١) ل : « دام شهرين ليس فيها سكون » .

(٢) كذا فى ل . وفى ط ، س : « فلم يقربها » وتصحح إن جعلت من القرار .

(٣) ط ، س : « ذلك » ، وصوابه فى ل وثمار القلوب .

(٤) الحمرة ، مثلثة : الرائحة الطيبة .

(٥) كذا فى ل وثمار القلوب . وفى ط ، س : « لا يعدله » . يعدلها : يساويها .

(٦) كلمة « باب » ليست فى ل . وفيها : « القول فى الحمام » .

(٧) الطوراني : منسوب إلى طور سيناء ، أو إلى جبل يقال له طرآن ، نسبة شاذة .

[ولحن] الهديل^(١) . وكذلك تختلف أجناس الدجاج^(٢) على مثل ذلك^(٣) ولا يخرجها [ذلك] من أن تكون دجاجا : كالديك الهندي والخيلاسي^(٤) والنبطي^(٥) ، وكذلك الدجاج^(٥) السندي والزنجي وغير ذلك . وكذلك الإبل : كالعرب^(٦) والبخت^(٦) ، والفوالج ، والبهنويات^(٧) والصراصريات^(٨) ، والحوش ، والنجب^(٩) ، وغير ذلك من فحول الإبل ؛ ولا يخرجها ذلك من أن تكون إبلا .

وما ذاك إلا كمخالفة الجرذان والفأر ، والنمل والذر ، وكاختلاف^(١٠) الضأن والمغز ، وأجناس البقر الأهلية والبقر^(١١) الوحشية ، وكقراءة ما بينهما^(١٢) وبين الجواميس .

(١) كذا في ل . وفي ط ، س : « وفي بعض النوح والهديل » . وفيهما أيضاً بعد هذا : « والدعاء والترجيع فهو هام » ، والوجه حذف هذا الكلام الأخير كما في ل ؛ لأنه تكرار .

(٢) ط ، س : « وقد يختلف الدجاج » .

(٣) « على مثل ذلك » ساقطة من ل .

(٤) الخلاسي ، بالكسر : الديك بين دجاجتين هندية وفارسية .

(٥) بدلها في ط ، س : « ومثل » .

(٦) ط ، س : « العرب » .

(٧) البهنويات من الإبل : ما بين السكرمانية والعربية . وانظر ١ : ١٣٨ .

(٨) الصراصريات : ما بين البخاقي والعرب . ط : « الصراصريات » ، تحريف .

(٩) هذه الكلمة ساقطة من ل . والحوش والحوشية : الإبل المتوحشة .

(١٠) ط ، س : « ومثل اختلاف في » ، تحريف .

(١١) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(١٢) ل : « بينهما » .

وقد تختلف الحياتُ والعقاربُ بضروب الاختلاف ، ولا يخرجها ذلك من أن تكونَ عقاربَ وحياتٍ . وكذلك السكلابُ ، والغربان . وحسبك بتفاوت ما بين الناس : كالزنج والصقالبة ، في الشُّعور والألوان ؛ وكياجوج ومأجوج ، وعاد وثمود ، ومثلُ الكنعانيين^(١) والعالمقة . فقد تخالف الماعزة الضائنة^(٢) حتى لا يقع بينهما تسافُد ولا تلاقح . وهى في ذلك غمٌّ وشاء .

قال : والقمرى حمام ، والفاخنة حمام ، والورشان حمام . والشفنين^(٣) حمام ، وكذلك الحمام واليعقوب . وضروبٌ أخرى كلها حمام . ومفاخرها التى فيها ٤٦ ترجع إلى الحمام التى لاتُعرف^(٤) إلا بهذا الاسم .

قال : وقد زعم أفليمون^(٥) (صاحب الفراسة) أن الحمام يتخذُ لضروب : منها ما يتخذ للأنس والنساء والبيوت ، ومنها ما يتخذ للزجال^(٦) والسباق .

(١) ط : « الكنعانيين » ، محرفة .

(٢) ط ، س : « للضائنة » وهو تحريف ما أثبت من ل .

(٣) الشفنين ، بالكسر : ضرب من الحمام حسن الصوت . ط ، ل : « السفنين » تصحيف ما أثبت من س . وافق لما فى السميرى .

(٤) كذا فى ل . وفى ط ، س : « الذى لايعرف » ، وهما وجهان .

(٥) أفليمون : فاضل كبير فى فن من فنون الطبيعة ، وكان معاصرا لبقرات ، وأظنه شامى الدار ، كان خبيراً بالفراسة ، عالماً بها ؛ إذا رأى الشخص وتركيبه ؛ استدل بتركيبه على أخلاقه ، وله فى ذلك تصنيف مشهور خرج من اليونانية إلى العربية . القفطى . قلت : وقد طبع كتابه فى حلب سنة ١٣٤٧ وهو يقع فى خمس وأربعين صفحة . وفى ط ، س : « أفليمون » .

(٦) فى الأصل : « للرجال » بالراء ، تحريف ما أثبت من نهاية الأرب ١٠ : ٢٥٧ . وانظر هذا الجزء ص ٢٢٣ .

[والزَّجَال : إرسال الحمام الهوادي^(١)] .

(من مناقب الحمام)

ومن مناقب الحمام حُبُّه للناس ، وأنس الناس به ، وأنتك لم ترَ حيواناً قطُّ أعدلَ موضعاً ، ولا أقصدَ^(٢) مرتبةً من الحمام . وأسفل^(٣) الناس لا يكون دُون أن يتَّخذها ، وأرفع الناس لا يكون فوق أن يتَّخذها . وهي شئٌ يتَّخذُه^(٤) ما بين الحَجَّام إلى الملك^(٥) الهمام .

والحمامُ مع عمومِ شُهرةِ الناس له ، ليس شئٌ مما يتَّخذونه هُمُّ أشدُّ شغفاً به^(٦) ، ولا أشدُّ صَبَابَةً^(٧) منهم بالحمام ، ثمَّ تجد ذلك في الخِصيان كما تجده في الفحول ، وتجده [في الصَّبيان كما تجده في الرِّجال ، وتجده] في الفِتيان^(٨) كما تجده في الشيوخ ، وتجده في النساء كما تجده في الرِّجال . والحمامُ من الطَّير الميامين . وليس من الحيوان الذي تظهر له عورة وحجم قضيب^(٩) كالكلب والحمارِ وأشباه ذلك ، فيكون ذلك مما يكون يجب على الرِّجال ألاَّ يَدْخُلوه دورهم .

(١) الزيادة من نهاية الأرب (١٠ : ٢٥٨) .

(٢) أقصد : من القصد ، ضد الإفراط . وفي س : « أقصر » ، مخرفة .

(٣) ل : « لأن أسفل الناس » .

(٤) ط ، س : « يتَّخذها » ، وأثبت ما في ل . ط : « وهي شئ » ، ل : « وهو شئ » ، وأثبت ما في س .

(٥) ط ، س : « الرجل » .

(٦) ط ، س : « أشد شغفاً » . والشفق : الشفقة . وأثبت ما في ل .

(٧) ط فقط : « ضيانة » ، وهي تحريف ، لوجود الباء في كلمة : « بالحمام » .

(٨) ل : « الشبان » .

(٩) ل : « وحجم وقضيب » ، بإقحام الواو .

(كلمة لثني في الحمام)

قال مثنى بن زهير : ومن العجب أن الحمامَ ملقَى ، والسَّكران موقى ،
فأنشده ابن يسير^(١) بيت الخزيمى^(٢) :
وأعددتُه ذخراً لكلِّ مُلِمَّةٍ وسَهْمُ المنايا بالذَّخائرِ مَوْلَعٌ^(٣)

(شرب الحمام)

ومتى رأى إنسانٌ عطشانَ الديك والدَّجاجة يشربان الماء ، ورأى
ذنباً وكلباً يَطْعَانِ الماءَ لَطْعاً ، ذهبَ عطشُهُ من قُبْحِ حَسْوِ الديك نَغْبَةً نَغْبَةً^(٤) ،
ومن لَطَعَ الكلبِ . وإنَّه كَبَرَى الحمام [وهو] يشرب الماء ! وهو^(٥) رِيَّان ،
فيستهي أن يَكْرَعَ في ذلك^(٦) الماء معه .

(١) هو محمد بن يسير ، تقدمت ترجمته في (١ : ٥٩) . وفي الأصل : « ابن بشير »
وهذا تحريف .

(٢) في ط : « الخزيمى » وفي س : « الخزيمى » ، وصوابه ما أثبت من ل . وهو أبو يعقوب
إسحاق بن حسان . تقدمت ترجمته في (١ : ٢٢٤) .

(٣) انظر الحيوان (٦ : ٤٢٣) .

(٤) النغبة ، بالفتح : الجرعة ، ويضم . أو الفتح للمرة والضم للاسم . وفي س :
« نغبة نغبة » ، وهو تحريف .

(٥) أى الإنسان .

(٦) هذه الكلمة ساقطة من ل . وفي ط ، س : « يشتهى أن يكون » ،
وله وجه .

(صدق رغبة الحمام في النسل)

والديك والكلب في طلب^(١) السِّفاد [وفي طلب الذَّرء] كما قال
أبو الأخرز^(٢) الجَمَانِي :

* لَا مُبْتَغَى الضَّنء وَلَا بِالْعَازِلِ^(٣) *

والحمام أكثر معانيه الذَّرء وطلب الولد . فإذا علم الذكر أنه قد أودع
[رحم] الأنثى ما يكون منه الولد تقدّمًا في إعداد العش ، ونقل القصب^(٤)
وشقيق^(٥) الخوص ، وأشباه ذلك من العيدان الخوارة الدقاق^(٦) حتى يعملوا
أفحوصة وينسجوها^(٧) نسجًا مدخلًا ، وفي الموضع الذي قد [رضيها] اتخذاه

(١) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(٢) ط ، س : « الأخرز » وصوابه في ل . قال فيه صاحب المؤلف ٥٢ : « أحد
بنى عبد العزى بن كمب بن سعد بن زيد مناة بن تميم . وعبد العزى هو حمان .
راجز محسن مشهور » .

(٣) الضنء ، بالفتح ويكسر : الولد . وفي ط ، س : « الضر » ، وصوابه في ل
والجزء الأول ص ١٩٥ والعازل فسرّه الجاحظ في الجزء الأول ١١٠ . وفي ط ،
س : « بالعاذل » ، وهو تحريف ما أثبت من الجزء الأول ص ١٩٥ . وفي ل :
« العازل » .

(٤) ل : « تقدّم في نقل القصب » .

(٥) الشقيق : جمع شقة بالكسر ، وهى القطعة المشقوقة ، ونصف الشيء إذا شق .
وفي ط ، س : « تشقيق » ، وأثبت ما في ل ونهاية الأرب (١٠ : ٢٧١) .

(٦) الخوارة : الضعيفة . وفي ط ، س : « الخور » ، تحريف صوابه في ل ونهاية
الأرب . وفي ط ، س : « الرقاق » بالراء .

(٧) كذا على التصواب في ل ونهاية الأرب . وفي ط ، س : « حتى يعملوا الخوص
وأشباه ذلك وينسجوها » .

واصطنعاه ، بقدر جثمان الحمامة ، ثمَّ أشخصاً لتلك الأفحوصة حُرُوفاً غيرَ مرتفعة ؛ لتحفظَ البَيضَ وتمنعه من التدرج ، [ولتلتزمَ كَنَفِي (١) الجُوجُو] ولتكون (٢) رِفْداً لصاحبِ الحُضْنِ ، وسنَداً للبَيضِ . ثمَّ يتعاوران ذلك المكان ويتعاقبان ذلك القرمُوص (٣) وتلك الأفحوصة ، يسخَّنانها ويدفِّيانها (٤) ويطيِّبانها ، وينفيان عنها طبايعها الأوَّل (٥) ، ويُحدثان لها طبيعةً أخرى مشتقةً من طبايعهما ، ومستخرجةً من رائحةِ أبدانهما وقُواهرهما الفاصِلة (٦) [منهما ؛ لكي تقعَ البيضةُ إذا وقعتْ ، في موضعٍ أشبهَ المواضع طباعاً بأرحامِ الحمام] (٧) ، مع الحضانة والوِثارة (٨) ؛ لكي (٩) لا تنكسر البيضة بيئسَ الموضع ، ولئلا ينكسر طبايعها (١٠) طباعَ المسكان ، وليكونَ على مقدارٍ من البرْدِ والسَّخانة (١١) والرَّخاوة والصَّلابة . ثمَّ إنَّ ضَرْبَها المخاضَ وطَرَقَت (١٢)

-
- (١) في أصلها أى ل وكذا في نهاية الأرب : « كنفى » ، والوجه ما أثبت . والكنف : الجانب . والجُوجُو من الطائر : صدره .
- (٢) ط ، س : « ليكون » ، وفي ل : « وتكون » ، وأثبت ما في نهاية الأرب .
- (٣) القرمُوص ، بالضم : العنكبوت يبيض فيه الحمام . وفي ط : « القرمُوص » ، وصوابه في س ، ل .
- (٤) ط فقط : « ويرفِّيانها » ، والوجه ما أثبت .
- (٥) الطبايع ، بالكسر : الطبع .
- (٦) الفاصلة : المنفصلة . وفي ط ، س : « الفاصلة » ، وما كتبت من ل أشبه .
- (٧) هذه الزيادة من ل ونهاية الأرب . وبدلها في ط ، س : « من أرحامهما » .
- (٨) الوِثارة : أن يكون الشيء موطأً مبهداً . وفي ط : « والاثارة » ، وصوابه في ل ، س .
- (٩) ط : « لكن » وصوابه في ل ، س ونهاية الأرب .
- (١٠) الطبايع ، بالكسر : سبق تفسيره . ط « طبايعها » وفي س : « طبايعهما » ، والوجه ما أثبت من ل .
- (١١) في ل ونهاية الأرب : « والسخونة » وهما بمعنى .
- (١٢) طرقت تطريقاً : حان خروج بيضها ، وأصل التطريق للقطا .

ببيضتها ، بَدَرَتْ ^(١) إلى الموضع الذى قد أعدته ، وتحاملت إلى المكان الذى اتخذته وصنعتة ، إلا أن يُقرَّعها ^(٢) رعدٌ قاصف ، أو ريحٌ عاصفٌ فإنها ربما رمت بها دون كِنِّها وظل عَشِّها ، وبغير موضعها ^(٣) الذى اختارته . والرَّعدُ ربما مَرِقَ ^(٤) عنده البيض وفسد ، كالمرأة التى تُسْقِط من الفَرْع ، ويموت جنينها من الرَّوع ^(٥) .

(عناية ذكر الحمام وأنثاه بالبيض)

وإذا وضعت البيضَ فى ذلك المكان فلا يزالان يتعاقبانِ الحَضْنَ ويتعاورانه ، حتَّى إذا بلغ ذلك البيضُ مَداه وانتهتْ أَيْامه ، وتمَّ مِيقاته الذى وظَّفه خالقه ، ودبَّره صاحبه ^(٦) ، انصدع القَيْضُ ^(٧) عن الفرخ ، فخرجَ

(١) ل : « بادرت » ، وهما بمعنى . وقبل هذه الكلمة فى ط ، س : « ففصلت أرحامها » ، وهى عبارة مشوهة وليست فى ل ولا فى نهاية الأرب .

(٢) كذا فى ل ، س ونهاية الأرب . والتقريع : الإقلاق وهو الإزعاج . ويجوز أن تكون هذه الكلمة من القرع بمعنى الضرب . وفى ط فقط : « يفرعها » .

(٣) ل : « دون موضعها » ، بإسقاط ما بين الكلمتين من كلام .

(٤) مرقت البيضة ، بالكسر : فسدت فصارت ماء .

(٥) هذه الجملة ساقطة من ل .

(٦) الكلام من مبدأ : « وتم » ساقط من ل .

(٧) القَيْض ، بالفتح : القشرة العليا اليابسة على البيضة ، أو هو البيضة التى خرج ما فيها من فرخ ، أو ماء . وفى ط ، س ، ونهاية الأرب : « البيض » ، والمعنى يصح بكل منهما .

عارىَ الجِلْدَ ، صغيرَ الجَنَاحِ ، قليلَ الحِيلَةِ ، منسَدَّ الحَلْقُومِ ، فيعِينَانِهِ عَلَى خُلَاصِهِ مِنْ قِيضِهِ ^(١) وتروِيحِهِ مِنْ ضَبِقِ هَوَّتِهِ ^(٢) .

(عنايتهما بالفراخ)

وهما يعلمان أن الفرخين لا تتسع حلوقهما وحواصلهما ^(٣) للغذاء ، فلا يكون لهما ^(٤) عند ذلك همٌ إلا أن ينفخا في حلوقهما ^(٥) الريح ، لتتسع الحوصلة بعد التحامها ، وتنفث بعد ارتناقها . ثم يعلمان ^(٦) أن الفرخ وإن اتسعت حوصلته شيئاً ، أنه لا يحتمل في أول اغتذائه أن يزق بالطعم ^(٧) ، فيزق عند ذلك باللعب المختلط بقواهما وقوى الطعم — وهم يسمون ذلك اللُّعَابَ اللَّبَّاءَ ^(٨) — ثم يعلمان أن طبع حوصلته يرق ^(٩) عن استمراء الغذاء

(١) في الأصل : « يبيضه » ، والصواب ما أثبت .

(٢) الهوة بالفتح : أصل معناها الكوة ، وهى الخرق فى الحائط ، والثقب فى البيت ، والمراد بها هنا موضع خروج الفرخ من القيص . والكلام من مبدل : « فخرج » ساقط من ل . وهذه الكلمة هى فى ط : « هوانه » وفى س : « هواته » والوجه ما أثبت .

(٣) عبر عن المثنى بالجمع ، كما فى الكتاب العزيز : « فقد صغت قلوبكما » أى صفا قلبكما .

(٤) ط فقط : « يكون » ، وهو تحريف مطبعى .

(٥) ل : « حلقه » ، والوجه ما أثبت من ط ، س .

(٦) ط ، س : « ويعلمان » ، وأثبت ما فى ل ونهاية الأرب .

(٧) كذا فى ل . وفى ط ، س : « إنه أن امتنعت الحوصلة شيئاً لا يحتمله فى أول غذائه

أن يزق بالطعم » ، هو تحريف كما ترى .

(٨) كذا . والمعروف : « اللَّبَّاء » .

(٩) ط ، س : « طبع حواصلهما يضعف » ، وصوابه من س .

وهضم الطَّعم^(١) ، وأنَّ الحوصلةَ تحتاجُ إلى دَبْغٍ وتقوية ، وتحتاج إلى أن يكون لها بعضُ المتانة والصلابة ، فيأكلان من شَوْرَج^(٢) أصول الحيطان ، وهو^(٣) شَيْءٌ بينَ المِلح الخالص^(٤) وبين التُّراب المِلح^(٥) ، فيزقَّانه به^(٦) حتَّى إذا علما أنَّه قد اندبَغ واشتدَّ زَقَّاه بالحبِّ الذي [قد غبَّ^(٧) في حواصلهما ثم زَقَّاه بعد ذلك بالحبِّ الذي^(٨) هو أقوى وأطرى . فلا يزالان يزُقَّانه بالحبِّ والماء على مقدارِ قُوَّتِهِ ومبلغ طاقته ، وهو يطلب ذلك منهما ، ويبضُّ نحوهما^(٩) حتَّى إذا علما أنَّه قد أطاق اللَّقْطَ منَعاه بعضَ المنع ، ليجتاح إلى اللَّقْطِ فيتعوَّده ، حتَّى إذا علما أن أَدَاتِهِ^(١٠) قد تَمَّتْ ، وأن أسبابه قد اجتمعتُ وأُتِمَّا إن فَطْمَاهُ فَطْمًا مقطوعاً مجذوداً^(١١) قوَّى على اللَّقْط ، وبلغ لنفسه مُنتَهَى حاجتِهِ - ضرباه إذا سألهما الكفاية ، ونَفَّياه متى رجع إليهما^(١٢)

(١) كلمة : « وهضم الطعم » ساقطة من ل .

(٢) الشورج : نوع من الملح ، قال صاحب منهاج الدكان ص ٢١٦ : هو ملح الدباغة . وهذه الكلمة مضطربة في الأصل : فهي في ط : « صروح » وفي س : « صروح » ، ل وعيون الأخبار ٢ : ٩١ : « سورج » ، نهاية الأرب : « شروج » وصواب ذلك كله ما أثبت من منهاج الدكان .

(٣) ط ، س : « وهى » ، والوجه ما أثبت من ل ونهاية الأرب .

(٤) ط ، س : « والحمض » ، وصواب هذه « المحض » ، وأثبت ما فى ل .

(٥) ط ، س : ونهاية الأرب : « الخالص » واخترت ما فى ل .

(٦) كذا فى ل : ونهاية الأرب . وفى ط ، س : « فيزقان الفرخ » .

(٧) غب : أصل معناها بات . والمراد مكث طويلا حتَّى لان .

(٨) فى الأصل ، أى ل : « الحب » ، والوجه ما أثبت من نهاية الأرب .

(٩) البض ، أصله فى الإنسان أن يسأل عن الحاجة فيتمطق بشفتيه .

(١٠) ط : « أذاته » ، وصوابها فى ل ، س .

(١١) أى منقطعا لاعودة بعده إلى الزرق . وفى ل : « منبتا » ، وهما بمعنى .

(١٢) بعد هذه الكلمة فى ط ، س كلمة : « للعادة » وليست فى ل ، ولا فى نهاية الأرب .

ثُمَّ تَنْزَعُ [عَنْهُمَا] تِلْكَ الرَّحْمَةُ الْعَجِيبَةُ مِنْهُمَا لَهُ ، وَيَنْسِيَانِ ذَلِكَ الْعَطْفَ الْمَتَمَكِّنَ عَلَيْهِ ^(١) ، وَيُذْهِلَانِ عَنْ تِلْكَ الْأَثَرَةِ [لَهُ] ، وَالْكَدَّ الْمَضْنَى ^(٢) مِنَ الْغُدُوِّ عَلَيْهِ ، وَالرَّوَّاحَ إِلَيْهِ ^(٣) . ثُمَّ يَبْتَدِيَانِ الْعَمَلَ ابْتِدَاءً ثَانِيًا ، عَلَى ذَلِكَ النِّظَامِ وَعَلَى تِلْكَ الْمَقَدِّمَاتِ ^(٤) .

٤٨ فسبحان من عرفهما وألهمهما ، وهداهما ^(٥) ، وجعلهما دَلَالَةً لِمَنْ اسْتَدَلَّ ، وَنُحْبِرًا صَادِقًا لِمَنْ اسْتَخْبَرَ ، ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ .

(حالات الطَّعْمِ الَّذِي يَصِيرُ فِي أَجْوَافِ الْحَيَوَانِ)

وَمَا أَعْجَبَ حَالَاتِ الطَّعْمِ الَّذِي يَصِيرُ فِي أَجْوَافِ الْحَيَوَانِ ، وَكَيْفَ تَتَصَرَّفُ بِهِ الْحَالَاتُ ، وَتَخْتَلِفُ فِي أَجْنَاسِهِ الْوُجُوهُ ^(٦) : فَفَنَهَا ^(٧) مَا يَكُونُ مِثْلَ زَقِ الْحِمَامِ لِفَرَحِهِ ، وَالزَّقِ فِي مَعْنَى الْقَيْءِ أَوْ فِي مَعْنَى التَّقْيِئِ وَلَيْسَ بِهِمَا ^(٨) وَجَرَّةُ الْبَعِيرِ وَالشَّاةِ وَالْبَقَرَةِ فِي مَعْنَى ذَلِكَ ، وَلَيْسَ بِهِ . وَالْبَعِيرُ يَرْبِدُ أَنْ

(١) لَيْسَتْ فِي ل .

(٢) ل : « وَالْكَدَّ عَلَيْهِ » .

(٣) « مِنَ الْغُدُوِّ . . . » الْخ لَيْسَ فِي ل .

(٤) ط ، س : « عَلَى هَذَا النِّظَامِ وَعَلَى هَذِهِ الْمَقَامَاتِ » وَأَثْبَتَ مَا فِي ل : بَعْدَ تَصْحِيحِ كَلِمَةِ « الْمَقَامَاتِ » مِنْ نِهَايَةِ الْأَرْبِ .

(٥) فِي الْأَصْلِ : « وَهَنَاهُمَا » ، وَمَا كَتَبْتَ أَلْيَقَ بِالْكَلَامِ .

(٦) ط ، س : « وَتَخْتَلِفُ فِي أَجْنَاسِهَا الْوُجُوهُ » ، ل : « فِي أَجْنَاسِهِ فِي الْوُجُوهِ » وَصَحَّحْتُ الْكَلَامَ جَامِعًا بَيْنَهُمَا .

(٧) أَيْ مِنَ الْحَالَاتِ . وَفِي ل : « فَتَنَهَا » .

(٨) ط ، س : « التَّقْيِئُ وَلَيْسَ هُمَا » ، وَأَثْبَتَ الصَّوَابَ مِنْ ل .

يعود في خضمه^(١) الأول واستقصاء طعمه . وربما كانت الجرّة رجيعا .
والرجيع : أن يعود على ما قد أعاد عليه مرّة حتّى ينزعه من جوفه ، ويقبله
عن جهته .

(زقّ الحمام)

والحمام يُخرجه من حوصلته ومن مُستكنّه وقراره^(٢) ، وموضع حاجته
واستمرائه ، بالأنثرة والبرّ ، إلى حوصلة ولده . [قد] ملك ذلك وطابت به نفسه
ولم تغنّ عليه نفسه^(٣) ولم يتقذّر^(٤) من صنيعه ، ولم تحبّث نفسه^(٥) ، ولم
تغيّر شهوته . ولعلّ لذّته^(٦) في إخراجهِ أن تكون كِلذّته^(٧) في إدخاله ،
وإنما اللذة في مثل هذا بالحجاري^(٨) ، كنحو ما يعتري بحجري النطفة من
استلذاذ مرور النطفة ، فهذا شأن قلب الحمام ما في جوفه ، وإخراجه بعد
إدخاله . والتبساح يخرجهِ^(٩) على أنّه رجعه ونجوه^(١٠) الذي لا يخرج له ولا فرج
له [في سواه .

(١) كذا في ط ، س . وفي ل : « طحنه » .

(٢) كذا في ل . وفي ط ، س : « مسكنه وقرابه » ، وما في ل أشبه
بلغة الجاحظ .

(٣) يقال غشّث نفسه : لقست ، أي غشّث غشيانا . وفي ط ، س : « تتعاث » ، ولم
أجد لها وجها . وهذه الجملة ساقطة من ل .

(٤) س : « يتقزّز » ، ومؤادها واحد .

(٥) انظر ما جاء خاصاً بهذا التعبير في ١ : ٣٣٥ س ١٠ .

(٦) ط ، س : « لذاته » .

(٧) ط ، س : « كِلذاته » .

(٨) ط ، س : « كالحجاري » ، تحريف ما أثبت من ل .

(٩) ط ، س : « والتباس إخراجهِ » ، وصوابه في ل . وانظر ماسياني .

(١٠) ط ، س : « ونجوه » ، وهو تصحيف ما في ل .

(تصرف طبيعة الإنسان والحيوان في الطعام)

وقد يعتري ذلك الإنسان لما يعرض من الداء ، فلا يعرف ^(١) إلا الأكل والقىء ، ولا يعرف النجوى إلا في الحين على بعض الشدة . وليس ما عرّض بسبب آفة كالذى يخرج على أصل تركيب الطبيعة .

والسُّنُور والكلبُ على خلاف ذلك كله ، لأنهما يُخرجانه بعارضٍ يعرضُ لهما من خُبث النفس ، ومن الفساد ^(٢) ، ومن التثوير والانقباض ^(٣) ثمَّ يعودان بعد ^(٤) ذلك فيه من ساعتها ، مشتهيين له ، حريصين عليه . والإنسان إذا ذرعه ذلك لم يكن شيء أبغضَ إليه منه ، وربما استقاء وتكلّف ذلك لبعض الأمر . وليس التكلف في هذا الباب إلا له .

وذوات الكروش كلها تقَعَصُ ^(٥) بجريتها ، فإذا أجادت مضغه أعادته ، والجِرّة هي ^(٦) الفرث ، وأشدُّ من ذلك أن تكون ^(٧) رجيعاً ، فهي تجيدُ مضغها وإعادتها إلى مكانها ، إلا أن ذلك ممّا لا يجوزُ أفواهاها ^(٨) . وليس عند الحافر من ذلك قليلٌ ولا كثيرٌ ، بوجهٍ من الوجوه .

(١) ل : « يعرض » .

(٢) المراد بخُبث النفس ما يعرض لها من التثوير والغثيان . وفي س : « من حيث النفس والفساد » ، وهو تحريف .

(٣) ل : « الانتقاس » ، والوجه ما أثبت من ط ، س .

(٤) ل : « مع » .

(٥) أصل معنى القعص الطعن الوحى ، أى السريع .

(٦) ط ، س : « وهو » ، تحريف .

(٧) ط ، س : « يكون » .

(٨) س : « إلا أن ذلك ما كان لا يجوزُ أفواهاها » .

[وقد يعترى سباع الطير شبيهة بالتيء ، وهو الذى يسمونه « الزمّج » ^(١) .
وبعض السمك يقيء قيئاً ذريعاً ، كالبال ، فإنه ربما دسّع الدّسعة ^(٢) ،
فتلقى ^(٣) بعض المراكب ، فيلقون من ذلك شدة . والنافقة الضجور ربما
دسعت بجرجرتها فى وجه الذى يرخلها ^(٤) أو يعالجها ، فيلقى من ذلك أشدّ
الأذى . ومعلوم أنّها تفعل ذلك على عمد .

فلذوات الأقدام فى ذلك مذهب ، ولذوات الكروش من الظلف
والخفّ فى ذلك مذهب ، ولذوات الأنياب فى ذلك مذهب ، وللسمك
والتمساح الذى يشبه السمك فى ذلك مذهب .

ويزعمون أن جوف التمساح إن ^(٥) هو إلّا معاليق ^(٦) فيه ، وأنه فى صورة
الجراب ، مفتوح الفم ، مسدود الدبر ، ولم أحقّ ذلك ، وما أكثر من
لا يعرف الحال فيه .

(الرجوع إلى طلب النسل عند الحمام)

ثم رجع بنا القول فى الحمام بعد أن استغنى ولده عنه ، وبعد أن نزع
الرحمة منه ، وذلك أنه يبتدىء الذكر الدّعاء والطرد ، وتبتدىء الأنثى بالتأثى

(١) الزمّج : أحد نوعى العقاب ، والغالب فى لونه أن يكون أحمر ، وهو من خفاف
الجوارح ، ومن الطيور التى يصيد بها الملوك . الديميرى .

(٢) دسّع : قاء .

(٣) يصح أن تقرأ بفتح التاء أو ضمها .

(٤) يرخلها ، بضم الخاء : يحيط عليها الرجل .

(٥) ليست بالأصل ، والأصل هنال . وزدتها الحاجة إليها .

(٦) جمع معلاق ، وهو اللسان .

والاستدعاء ، ثمّ تزيف وتشكّل (١) ، ثمّ تمكّن وتمنع ، وتجيّب وتصدفُ
بوجهها ، ثمّ يتعاشقان ويتطاوعان ، ويحدثُ لهما من التغزّل والتفتّل (٢) ،
ومن السّوف (٣) والقبّل ، ومن المصّ والرّشف ، ومن التنفّج والتنفّج ،
ومن الخيلاء والكبرياء ، ومن إعطاء الثقبيل حقّه ، ومن إدخال الفم
في جوف الفم ، وذلك من التّطاعُم ، وهى المطاعمة . وقال الشاعر :

لم أعطها بيسدى إذ بثّ أرشُفها إلاّ تطاولَ غصنُ الجيدِ بالجيدِ (٤)
كما تطاعَمَ في خضراءِ ناعمةٍ مطوّقانِ أصاخا بعد تغريدِ
هذا مع إرسالها جناحيها وكفّتها على الأرض ، ومع تدّرعها وتبعلها (٥)
ومع تصاوله وتطاوُله ، ومع تنفّجه وتنفّخه ، مع ما يعتريه مع الحكّة والتفلى
والتنفّش (٦) حتّى تراهُ وقد رمى فيه بمثله (٧) .

ثمّ الذى ترى من كسّحه بذنبه (٨) ، وارتفاعه بصدّره ، ومن ضربه
بجناحه ، ومن فرحه ومَرّجه بعد قَمَطه والفراغِ من شهوته ، ثمّ يعتريه ذلك
في الوقت الذى يفتر فيه أنسكحُ الناس .

(١) تزيف : تنشر جناحيها وذنبها وتسحبهما على الأرض . والتشكّل ، من الشكّل بالفتح :
وهو الغنج والدلال والغزل .

(٢) التفتّل : التلوى .

(٣) السوف : الشم .

(٤) عطا الشئ يعطوه : تناوله بيده .

(٥) فى الأصل ، والأصل هنا ل : « وهو مع . . . » الخ . وكلمة « هو » لا حاجة
إليها . والتدّرع : أصل معناه لبس الدرع . والتبعل : التزين للبعل .

(٦) التنفّش ، بالفاء ، هو أن ينفض الطائر ريشه . وفى الأصل : « والتنفّش » .

(٧) كذا . وهنا تنهى الزيادة التى ابتدأت من مبدأ الصفحة السابقة ، وهى من ل .

(٨) كسّحه : كمنسه الأرض بذنبه .

(القوة التناسلية لدى الحمام)

وتلك الحصلة يفوق بها جميع الحيوان ، لأنَّ الإنسان الذى هو أكثر الخلق فى قوَّة الشهوة ، وفى دوامها فى جميع السَّنة ، وأرغبُ الحيوان [فى التَّصْنَع و [التغزل ، والتشكُّل والتفتُّل ^(١) أفتَرُ ما يكونُ إذا فرغ ، وعندها ٤٩ يركبهُ الفتور ، ويحبُّ فِراقَ الزَّوج ، إلى أن يعودَ إلى نشاطه ، وترجعَ إليه قُوَّتُه .

والحمامُ أنشطُ ما يكون وأفرح ، وأقوى ما يكون وأمرح ، مع الزَّهو والشكل ^(٢) ، واللهو والجذل ، أبردَ ما يكون الإنسانُ وأفتَرَه ، وأقْطَعَ ما يكون وأقصره ^(٣) .

هذا ، وفى الإنسان ضروبٌ من القُوى : أحدها فَضْلُ الشَّهْوَةِ ، والأخرى دوام الشهوة فى جميع الدَّهر ، والأخرى قوة التَّصْنَع والتكليف ، وأنتَ إذا جمعتَ خِصَالَه كلها كانت دونَ قوَّةِ الحمام عندَ فِراقِهِ من حاجته وهذه فضيلةٌ لا يُنْكِرُها أحدٌ ، ومزِيَّةٌ لا يَجْحَدُها أحدٌ ! !

(١) ط ، س : « والمتنع والشكل والتقبيل » ، وأثبت ما فى ل .

(٢) الشكل ، بالفتح : الغنج والدلال والغزل .

(٣) العبارة فى ل : « والحمام أنشط ما يكون وأمرح وأجذل أبرد ما يكون الإنسان وأفتَر » .

(البغال ونشاطها)

ويقال : إنَّ النَّاسَ لم يَجِدُوا مثْلَ نشاطِ الحمامِ في وقتِ فَتْرَةِ الإنسانِ إلاَّ ما وجدوه في البغال ؛ فإنَّ البغالَ تحمِلُ أثقالها عَشِيَّةً ، فتسيرُ بقيَّةَ يومها وسواد^(١) ليلتها ، وصدرَ نهارِ غَدِها^(٢) ، حتَّى إذا حطُّوا عن جميعِ ما كانَ حملاً من أصنافِ الدوابِّ أحملها^(٣) ، لم يكنْ لشيءٍ منها هَمَّةٌ ، ولا لِمَنْ رَكِبَها من النَّاسِ إلاَّ المِراغة^(٤) والماءَ والعَلَفَ ، وللإنسانِ الاستلقاءُ ورفعُ الرِّجْلينِ والغَمْزُ والتَّأوُّه^(٥) ؛ إلاَّ البغالَ فإنَّها في وقتِ إعياءِ جميعِ الدوابِّ وشِدَّةِ كلالها ، وشغلها بأنفسها ممَّا مرَّ عليها ، ليس عليها عملٌ إلاَّ أَنْ تَدُلِّيَ أيورها وتشظَّ^(٦) وتضربَ بها بطونها ؛ وتخطَّها وترفعها . وفي ذلك الوقتِ لو رأى المسكاري امرأةً حسناءَ كما انتشرَ لها ولا همَّ بها . ولو كانَ مُنْعِظاً ثم اعتراهُ بعضُ ذلك الإعياءِ لَنَسِيَ الانعاضَ .

وهذه خَصْلَةٌ تخالفُ فيها البغالُ جميعَ الحيوانِ . وتزعمُ العَمَلَةُ^(٧) أنَّها تلمسُ بذلك الرَّاحَةَ وتندأوى به . فليس العجبُ — إن كان ذلك حقاً — إلاَّ في إمكانِ ذلك لها في ذلك الوقتِ ، وذلك لا يكونُ إلاَّ عن شهوةٍ وشَبَقٍ مُفْرِطٍ .

(١) ط ، س : « وسائر » .

(٢) ط ، س : « وصدرَ نهارها من غدها » .

(٣) ل : « حتَّى إذا حطُّوا عن جميعِ أصنافِ الدوابِّ أثقالها » .

(٤) المِراغة : اسم من مرغه في التراب جعله يتقلب فيه . وانظر كتاب البغال ٣٢٤ .

(٥) الكلام من مبدل : « وللإنسان » ساقط من ل .

(٦) شظ وأشظ : أنعظ . ط ، س : « تنعظ » .

(٧) العَمَلَةُ ، بالتحريك : العاملون بأيديهم . وفي ل : « العوام » .

(النشاط المجيب لدى الأتراك)

وشبه آخرُ وشكلٌ من ذلك ، وذلك كالذى يُوجد عند الأتراك عند بلوغ المنزل بعدَ مسير الليل كله وبَعْضِ النَّهار ، فإنَّ النَّاسَ فى ذلك الوقتِ ليس لهم إلاَّ أن يتمددوا ويقيّدوا^(١) دوابهم . والتركى فى ذلك الوقت إذا عاين ظبياً أو بعضَ الصَّيد ، ابتدأ الرِّكْضَ بمثلِ نشاطه قبل أن يسيرَ ذلك السير ، وذلك وقتَ يَهْمُ فيه الخارجىَّ والحصىَّ أنفُسُهُما^(٢) ؛ فإنَّهما المذكوران بالصَّبْرِ على ظَهْرِ الدَّابَّة .

(فطام البهائم أولادها)

وليس فى الأرضِ بهيمةٌ تَفْطِمُ ولدَها عن اللَّبن دَفْعَةً واحدةً ، بل تجدُ الظَّبيَّةَ أو البقرةَ أو الأتانَ أو الناقةَ ، إذا ظنَّت أنَّ ولدَها قد أطاق الأكل منَعَتُهُ بعضَ المنع ، ثمَّ لا تزالُ تُنْزِلُ^(٣) ذلك المنع وترتبه وتدرِّجُه ، حتَّى إذا علمت أنَّ به غنى عنها إنَّ هى فطمته فطاماً لا رجعةَ فيه ، منَعَتُهُ كلَّ المنع .

(١) ل : « ويقودوا » ، تحريف مافى ط ، س .

(٢) الخوارج مشهورون بالشدة . وقد ضرب الناس بهم المثل ، قال :

إذا ما البخيل والمحاذر للقرى رأى الضيف مثل الأزرق المجفف

وقال آخر :

وقلب ود حال عن عهده والسيف ينبو بيد الشارى

رسائل الجاحظ ٢٧ سلى . وانظر لنشاط الترك ص ٣١ منها .

(٣) تنزله : تدرجه . وفى الأصل : « تترك » .

٥٠ والعرب تسمى هذا التدبيرَ من البهائمِ التَّعْفِيرَ^(١) ، ولذلك قال لبيد :
لِعَفْرِ قَهْدٍ تَنَازَعَ شِلْوَهُ غُبْسٌ كَوَاسِبٌ مَا يُمْنُ طَعَامُهَا^(٢)
وعلى مثل هذه السيرة والعادة يكونُ عملُ الحمامِ في فراخه .

(من عجائب الحمام)

[ومن عجيب أمر الحمام أنه يقلب بيضه ، حتى يصير الذى كان منه
يلى الأرض يلى بدن الحمام من بطنه وباطن جناحه ، حتى يُعطى جميع
البيضة نصيبها من الحضن ، ومن مس الأرض ، لعلمه أن خلاف ذلك
العمل يفسده] .

وخصلة أخرى محمودة في الحمام ، وذلك أن البغل المتولد بين الحمار
والرَمَكَة لا يبقى له نسل ، والرَّاعِي^(٣) المتولد فيما بين الحمام والورشان ،
يكثر نسله ويطول عمره ولده . والبُخْت والفوالج ، إن ضرب بعضها بعضاً
خرج الولد منقوص الخلق لا خير فيه . والحمام كيفما أدركته ، وكيفما
زاوجت بين متفقيها ومختلفها ، يكون الولد^(٤) تام الخلق ، مأمول الخير .

(١) « التعفير » سبق كلام الجاحظ فيه ٢ : ١٩٨ .

(٢) سبق شرح هذا البيت في ٢ : ١٩٨ . س : « غبش » وهو تصحيف .

(٣) ط ، س : « والراعى » ، وهو تحريف . واسمه مشتق من الترعيب ، وهو شدة
الصوت ، جاء على لفظ النسب وليس به ، وقيل منسوب إلى أرض تسمى راغب .
اللسان والقاموس .

(٤) الزيادة من س ، ل .

فمن نتاج الحمام إذا كان مركباً مشتركاً [ماهو] ^(١) كالزاعبي ^(٢) والورداني .
وعلى أن للورداني غرابية لون وظرافة ^(٣) قد ، وللزاعبي ^(٤) فضيلة في عظم
البدن والفراخ . وله من ^(٥) الهديل والقرقرة ما ليس لأبويه ، حتى صار ذلك
سبباً للزيادة في ثمنه ، وعلة للحرص على اتخاذه .

والغنم على قسمين : ضأن ومعز ، والبقر على قسمين : أحدهما الجواميس ،
إلا ما كان من بقر الوحش . [والظلف] إذا اختلفا لم يكن بينهما تسافد
ولا تلاقح ، فهذه فضيلة للحمام في جهة الإنسال ^(٦) والإلقاح ، واتساع
الأرحام لأصناف القبول . وعلى أن بين سائر أجناس ^(٧) الحمام من الوراشين ،
والقاربي ، والفواخت ، تسافداً وتلاقحاً ^(٨) .

(مما أشبه فيه الحمام الناس)

ومما أشبه فيه الحمام الناس ، أن ساعات الحضان أكثرها على الأنثى ،
ولمّا يحضن الذكر في صدر النهار حضاناً يسيراً ، والأنثى كالمرأة التي تكفل

(١) زدتها ليلتم الكلام .

(٢) ط ، س : « كالزاعبي » ، وتصحيحه من ل . وانظر التنبيه الثالث من
الصفحة السابقة .

(٣) يقال ظرف ظرفاً ، بالفتح وظرافة . والظرافة هنا : حسن الهيئة .

(٤) ط ، س : « للزاعبي » ، وانظر ماسبق .

(٥) ط فقط : « في » .

(٦) نسل وأنسل : ولد . ط ، س : « الإنسان » ، صوابه في ل .

(٧) ل : « أصناف » .

(٨) ط ، س : « تسافد وتلاقح » ، والوجه ، أثبت من ل .

الصبيَّ فَتَفْطِمُهُ وَتَمْرُضُهُ ^(١) ، وَتَتَعَهَّدُهُ بِالتَّهْمِيدِ وَالتَّحْرِيكِ . حَتَّى إِذَا ذَهَبَ الْحَضَنُ وَانْصَرَمَ وَقْتُهُ ، وَصَارَ الْبَيْضُ فِرَاخًا كَالْعِيَالِ فِي الْبَيْتِ ، يَحْتَاجُونَ إِلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ ، صَارَ أَكْثَرُ سَاعَاتِ الرَّقِّ عَلَى الذَّكْرِ كَمَا كَانَ أَكْثَرُ سَاعَاتِ الْحَضَنِ عَلَى الْأُنْثَى .

وَمِمَّا أَشْبَهَ فِيهِ الْحَمَامُ النَّاسَ [مَا ^(٢)] قَالَ مِثْنَى بْنُ زُهَيْرٍ (وَهُوَ إِمَامُ النَّاسِ فِي الْبَصْرَةِ ^(٣)) بِالْحَمَامِ وَكَانَ جَيِّدَ الْفِرَاسَةِ ، حَازِقًا بِالْعِلَاجِ ، عَارِفًا بِتَدْبِيرِ الْخَارِجِيِّ إِذَا ظَهَرَتْ فِيهِ مَخِيلَةُ الْخَيْرِ - وَ [اسم] الْخَارِجِيُّ عَنْدهُمْ : الْمَجْهُولُ - وَعَالِمًا بِتَدْبِيرِ الْعَرِيقِ الْمُنْسُوبِ إِذَا ظَهَرَتْ فِيهِ عَلَامَاتُ الْفُسُولَةِ وَسُوءِ الْهِدَايَةِ ^(٤) . وَقَدْ يُمْكِنُ أَنْ يَخْلُفَ ابْنُ قُرَشِيَّينَ ^(٥) [وَيَنْدُبُ ^(٦)] ابْنُ خُوَزَيٍّ ^(٧) مِنْ نَبْطِيَّةٍ ^(٨) . وَإِنَّمَا فَضَّلْنَا نِتَاجَ الْعِلْيَةِ عَلَى نِتَاجِ السَّفَلَةِ لِأَنَّ نِتَاجَ النَّجَابَةِ فِيهِمْ أَكْثَرُ ، وَالسَّقُوطُ فِي أَوْلَادِ السَّفَلَةِ أَعَمُّ . فَلَيْسَ بِوَاجِبٍ أَنْ يَكُونَ السَّفَلَةُ ^(٩) لَا تَلِدُ ^(١٠) إِلَّا السَّفَلَةَ ^(٩) وَالْعِلْيَةُ لَا تَلِدُ ^(١٠) إِلَّا الْعِلْيَةَ . وَقَدْ يَلِدُ الْمَجْنُونُ الْعَاقِلَ ، وَالسَّخِيُّ الْبَخِيلَ ، وَالْجَمِيلُ الْقَبِيحَ .

٥١

- (١) التمرِضُ : حَسَنُ الْقِيَامِ عَلَى الْمَرِيضِ ، وَكَأَنَّ الْفَطِيمَ فِي سَبِيلِ الْمَرِيضِ . وَفِي س :
- « تَمْرُخُهُ » أَيْ تَدْلِكُهُ بِالذَّهْنِ . وَرَبَّمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ بِالْفَطِيمِ .
- (٢) زِيَادَةُ يَقْتَضِيهَا الْكَلَامُ . (٣) ط ، س : « فِي الْبَصْرَةِ » ، وَصَوَابُهُ فِي ل .
- (٤) مَاسِيَأَى مِنْ الْكَلَامِ اسْتَطْرَادَ مِنَ الْجَاهِلِ . وَقَوْلُ مِثْنَى بْنِ زُهَيْرٍ سَيِّدًا فِي السُّطْرِ السَّادِسِ مِنَ الصَّفْحَةِ الْآتِيَةِ .
- (٥) ط ، س : « قُرَشِيَّينَ » وَهُمَا صَحِيحَتَانِ ، يُقَالُ قُرَشَى وَقُرَيْشَى . وَيَخْلُفُ ، بَضْمُ اللَّامِ : يَحْمَقُ .
- (٦) يَنْدُبُ : يَكُونُ نَدْبًا ، أَيْ غَلِيظًا نَجِييًّا . فِي ل : « يَنْتَدُبُ » وَ س : « يَنْدُرُ » وَلَعَلَّ الصَّوَابَ فِيمَا وَجَّهَتْ بِهِ .
- (٧) الْخُوَزَيُّ : الْمُنْسُوبُ إِلَى خُوَزِسْتَانَ . وَفِي س : « حَسْرَوَى » ، وَهِيَ تَحْرِيفُ مَا فِي ل .
- (٨) الزِّيَادَةُ مِنْ س ، ل . (٩) ط ، س : « السَّفَلَى » ، بِالنِّسْبَةِ إِلَى « السَّفَلَةِ » .
- (١٠) ط ، س : « يَلِدُ » .

وقد زعم الأصمعيُّ أن رجلاً من العرب قال لصاحب له : إذا تزوّجت امرأة من العرب فأنظر إلى أخوالها ، وأعمامها ، وإخوتها ، فإنها لا تخطئ الشبهة بواحدٍ منهم ! وإن كان هذا الموصى والحكيم ^(١) ، جعل ذلك حكماً عاماً فقد أسرف في القول ، وإن كان ذهب إلى التخويف والزجر والترهيب ، كي يختار لنفسه ، [و] لأن المتخير أكثر نجابة ^(٢) فقد أحسن .

وقال مثنى بن زهير ^(٣) : لم أر شيئاً قط في رجلٍ وامرأةٍ إلا وقد رأيت مثله في الذكر والأنثى من الحمام : رأيت حمامة لا تريد إلا ذكرها ، كالمرأة لا تريد إلا زوجها وسيدها ، ورأيت حمامة لا تمنع شيئاً من الذكورة ، ورأيت امرأة لا تمنع يد لأمس ، ورأيت الحمامة لا تزيغ إلا بعد طرد شديد وشدة طلب ^(٤) ، ورأيتها تزيغ لأوّل ذكر يُريدها ساعة يقصد إليها ، ورأيت من النساء كذلك ، ورأيت حمامة لها زوج وهي تمكن ذكراً آخر لا تعدّوه ، ورأيت مثل ذلك من النساء ، [و] رأيتها تزيغ لغير ذكرها وذكرها يراها ، ورأيتها لا تفعل ذلك إلا وذكرها يطير أو يحضن ، ورأيت الحمامة تقمط الحمام الذكور ^(٥) ، ورأيت الحمامة تقمط الحمامة ، ورأيت أنثى كانت لى لا تقمط [إلا ^(٦)] الإناث ، ورأيت أخرى تقمط الإناث فقط ، ولا تدع أنثى تقمطها .

(١) ل : « والمعلم » .

(٢) ط ، س : « نجاة » ، تحريف ما أثبت من ل .

(٣) انظر العقد ٦ : ٢٤٠ تأليف .

(٤) كذا في ل ، ونهاية الأرب . وفي ط ، س : « وكثرة » .

(٥) ل : « الذكر » .

(٦) الزيادة من س .

[قال] : ورأيتُ ذَكَرًا [يَقمُطُ الذُّكُورَةَ وتَقمِطُه ؛ ورأيتُ ذَكَرًا]
يَقمُطُها و [لا] يدعُها تَقمِطُه ^(١) ، ورأيتُ أنثى تُزيفُ للذُّكُورَةِ ولا تدعُ
شيئًا منها يَقمُطُها .

قال : ورأيتُ هَذِهِ الْأَصْنَافَ كُلَّهَا فِي السَّحَّاقَاتِ مِنَ الْمَذَكَّرَاتِ
وَالْمُؤَنَّثَاتِ ، وَفِي الرِّجَالِ الْحَلَقِيِّينَ ^(٢) وَاللُّوْطِيِّينَ ^(٣) . وَفِي الرِّجَالِ مِنْ لَا يَرِيدُ
النِّسَاءَ ، وَفِي النِّسَاءِ مِنْ لَا يَرِيدُ الرِّجَالَ ^(٤) .

قال : وَامْتَنَعْتُ عَلَى خَصْلَةٍ ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُ مِنَ النِّسَاءِ مَنْ تَزْنِي
أَبَدًا وَتَسَاحِقُ أَبَدًا وَلَا تَتَزَوَّجُ أَبَدًا ، [وَمِنْ الرِّجَالِ مَنْ يَلُوطُ أَبَدًا ، وَيَزْنِي أَبَدًا
وَلَا يَتَزَوَّجُ ^(٥)] ، وَرَأَيْتُ حَمَامًا ذَكَرًا يَقْمِطُ مَالِقِي وَلَا يَزَاجُ . وَرَأَيْتُ حَمَامَةً
تَمَكِّنُ كُلَّ حَمَامٍ أَرَادَهَا مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى ، وَتَقْمِطُ الذُّكُورَةَ وَالْإِنَاثَ ،
وَلَا تَزَاجُ . وَرَأَيْتُهَا تَزَاجُ وَلَا تَبْيِضُ ، وَتَبْيِضُ فَيَفْسُدُ بَيْضُهَا ؛ كَالْمَرْأَةِ
تَتَزَوَّجُ وَهِيَ عَاقِرٌ ، وَكَالْمَرْأَةِ تَلِدُ وَتَكُونُ خُرْقَاءَ وَرَهَاءَ . وَيَعْرَضُ لَهَا الْغُلْظَةُ ^(٦)
وَالْعُقُوقُ لِلْأَوْلَادِ ، كَمَا يَعْتَرِي ذَلِكَ الْعُقَابُ .

وَأَمَّا أَنَا فَقَدْ رَأَيْتُ الْجَفَاءَ لِلْأَوْلَادِ شَائِعًا فِي اللُّوَاتِي كَمَلْنِ مِنَ الْحَرَامِ .
وَلَرَبَّمَا وَلَدَتْ مِنْ زَوْجِهَا ، فَيَكُونُ عَظْفُهَا وَتَحْنُنُهَا كَتَحْنِ ^(٧) الْعَفِيفَاتِ

(١) زيادة : « لا » ن س ، ل . وفي ط : « ويدعها حتى تَقمِطُه » ، وهو تحريف .

(٢) الحلقى : الذى فسد عضوه فانعكس ميل شهوته ، وهو من ألفاظ المولدين .
شفاء الغليل ٧٠ .

(٣) ط ، س : « اللواطين » .

(٤) ل : « من لا يريد إلا » فى الموضعين .

(٥) ط ، س : « من تزنى أبدا ولا تتزوج وتساحق أبدا ولا تتزوج أبدا » . وإصلاح
العبارة ولم أكالها من ل ، ونهاية الأرب .

(٦) كذا على الصواب فى ل وفى ط ، س : « الغلظة »

(٧) ل : « وتحننها كتحنى » . والتمحن والتحنى بمعنى ، وهو العطف .

السَّيِّرات ، فما هو ^(١) إِلَّا أَنْ تَزْنَى أَوْ تَقْعُبَ فَكَأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَضْرِبْ بَيْنَهَا ٥٢
وبين ذلك الولد [ب] شبكة رَحِم ، [و] كأنها لم تَلِدْهُ .

قال مثنى بن زهير : ورأيتُ ذكراً له أنثيان وقد باضتا منه ، وهو
يَحْضُنُ مع هذه ومع تلك ، ويزُقُ مع هذه ومع تلك ، ورأيتُ أنثى تبيض
بيضة ، ورأيتُ أنثى تبيض في أكثر حالاتها ثلاثَ بيضات .
وزعم أنه إنما جَزَمَ بذلك فيها ولم يظنه بالذكور ، لأنها قد كانت قبل
ذلك عند ذكرٍ آخر ، وكانت تبيض كذلك .

ورأيتُ أنا حمامةً في المنزل لم يعرض لها ذكرٌ إِلَّا اشتدتْ نحوهُ بِحْدَةٍ
ونزقٍ ^(٢) وتسرعٍ ، حتى تنقر أين صادفتْ منه ، حتى يصدَّ عنها ^(٣) كالهارب
منها . وكان زوجها جميلاً في العين راعياً ، وكان لها في المنزل بنون وبنو بنين
[وبنات ^(٤)] وبنات بنات ، وكان في العين كأنه أشبُّ من جميعهنَّ ^(٥) .
وقد بلغ من حظوته أني قدما رأيته أرادَ واحدةً من عرض تلك الإناث ^(٦)
فامتنعَ عليه ، وقد كُنَّ يمتنعن من غيره . فبينما أنا ذاتَ يومٍ جالسٌ بحيث
أراهنَّ إِذْ رأيتُ تلك الأنثى قد زافتْ لبعض بنينا ! فقلت لحادمي ^(٧) :

(١) ل : « هـ » ، وهما صحيحان في العربية ، أى فا الشأن أو فا القصة .

(٢) النزق : الطيش والتسرع . في ط ، ل : « تزق » محرفة . س : « تزف » أى
تسرع إسراعاً . ولا ينسجم بها الكلام .

(٣) ل : « ينقر » محرف . ط ، س : « صادفته » وأثبت ما في ل . وفي ل :
« حتى يصدن » محرفة .

(٤) الزيادة من ل ، س .

(٥) ط ، س : « جميع بنيه » .

(٦) ط ، س : « تلك الحمام الإناث » .

(٧) ل : « لحادم لى » .

ما الذى غيّرَها عن ذلك الخلق الكريم ؟ فقال : إني رَحَلْتُ زوجها من القاطول^(١) فذهب ، ولهذا شهر^(٢) . فقلت : هذا عذر !

قال مثنى بن زهير : وقد رأيت الحمامة تزوج هذا الحمام ، ثم تتحول منه إلى آخر ، ورأيت ذكراً فَعَلَ^(٣) مثل ذلك فى الإناث . ورأيت الذَّكَرَ كثيرَ النَّسْلِ قوياً على القمط ، ثمَّ يُصْنِى كما يُصْنِى الرَّجُلُ إذا أكثر من النَّسْلِ والجماع^(٤) .

ثمَّ عدَّدَ مثنى أبوابا غيرَ ما حفظت ممَّا يُصَابُ مثله فى الناس .

(خبرة مثنى بن زهير بالحمام)

وزعموا أنَّ مثنى كان ينظر إلى العاتق والمخلف^(٥) ، فيظن أنه يجىء من الغاية [فلا يكاد ظنُّه يخطئ*] . وكان إذا أظهرَ ابتِباعَ حمامٍ أغلوه عليه ،

(١) القاطول : نهر كان فى موضع ساءرا قبل أن تعمّر ، وكان الرشيد أول من حفر هذا النهر . معجم البلدان . وفى ل : « خلعت » مسكان « رحلت » ، وبكل منهما يصح المعنى .

(٢) ل : « وهذا منذ شهر » .

(٣) كذا فى ل ، س . وفى ط : « يفعل » .

(٤) أصنى الرجل : نفد ماء صلبه . ل : « إذا أكثر من الجماع » .

(٥) العاتق : فوق الناهض ، وذلك فى أول ما يتحسر ريشه ونبت له ريش جلدى ، أى

شديد ، والجمع عتق . المخصص ٨ : ١٢٨ . وفى ط ، ل : « القائق »

وفى س : « العايق » ، وصوابه ما أثبت . وانظر صفحة ٢٢٤ س ٧ .

والمخلف : المراد به المسن . وأصله فى الإبل مافوق البازل : الذى فى التاسعة .

وقالوا: لم يطلبْه إلا وقد رأى فيه علامةَ المجيء من الغاية ، وكان يدسُّ في ذلك ففطنوا له وتحفظوا منه ، فربَّما اشترى نصفَه وثلثه ، فلا يقصِّر عند الزَّجال^(١) من الغاية .

وكان له خصيٌّ يقال [له^(٢)] خديج ، يجري مجراه ، فسكانا إذا تناظرا في شأنٍ طائرٍ لم تُخْلِف فراستهما .

(المدة التي يبيض فيها الحمام والدجاج)

قال : والحمام تبيض عشرةَ أشهرٍ من السنَّة ، فإذا صانوه وحفظوه ، وأقاموا له الكفاية وأحسنوا تعهُّده ، باضَ في جميع السنَّة .
قالوا : والدَّجاجة تبيض في كلِّ السنَّة خلا شهرين .

(ضروب من الدجاج)

ومن الدَّجاج ما هو عظيمُ الجثَّة ، يبيض بيضاً كبيراً ، وما أقل ما يحضنُ ،
ومن الدجاج ما يبيض ستين بيضة . وأكثرُ الدجاج العظيم الجثَّة يبيضُ
أكثرَ من الصغير الجثَّة^(٣) .

(١) الزجال : إرسال الحمام كما سبق في ص ١٤٧ . ط : « الرجل » : ل :

« الرجال » ، وصوابه ما سبق ومن صفحة ٢٢٣ .

(٢) ليست بالأصل .

(٣) ط ، س : « يبيض بيضاً كبيراً » .

قال : أما الدَّجَاجُ التي نسبت إلى أبي ريانوس^(١) الملك ، فهو طويلُ
البدن ويبيض في كلِّ يوم ، وهي صعبة الخلق وتقتل فراريها .

ومن الدَّجَاج الذي يربى في المنازل ما يبيض مرتين في اليوم ، ومن
الدَّجَاج ما إذا باض كثيراً مات سريعاً ، لذلك العرض^(٢) .

٥٣

(عدد مرات البيض عند الطيور)

قال : والخطَّاف تبيض مرتين^(٣) في السنة ، وتبنى بيتها في أوثق
مكانٍ وأعلىه .

فأما الحمام والفواخت ، والأطُرُّ غَلَّات^(٤) والحمام البرى ، فإنها تبيض
مرتين في السنة . والحمام الأهلئ يبيض عشرَ مرات . وأما القَبَج والدَّرَاج
فهما يبيضان بين العُشب ، ولا سيما فيما طال شيئاً والتوى .

(خروج البيضة)

وإذا باضَ الطَّيرُ بيضاً لم تخرُج البيضة^(٥) من حدِّ التحديد والتلطيف ،
بل يكون الذي يبدأ بالخروج الجانب الأعظم ، وكان الظنُّ يسرع إلى أنَّ
الرأسَ المحدد هو الذي يخرج أولاً .

(١) كذا في ط ، س . وفي ل : « ارديسانوس » . وانظر الاستدراكات
بآخر هذا الجزء .

(٢) أى ما يعرض لها من كثرة البيض . ط : « الفرض » ل ، س : « الغرض » ،
وهما تحريف مأثبت .

(٣) كذا في ط . وفي ل : « مرة » .

(٤) ل : « والأطُرُّ غَلَّة » ، والوجه مأثبت من ط ، س .

(٥) س : « لم يخرج بيضه » .

[قال] : وما كان من البيض مُستطيلاً محدّد الأطراف فهو للإناث ،
وما كان مستديراً عريضاً الأطراف فهو للذكور .

قال : والبيضة عند خروجها لينة القشر ، غير جاسية ^(١) ولا يابسة
ولا جامدة .

(بيض الريح والتراب)

قال : والبيض ^(٢) الذى يتولد من الريح والتراب أصغر وألطف ، وهو ^(٣)
فى الطيب دون الآخر ^(٤) . ويكون بيض الريح من الدجاج والقبج ^(٥) ،
والحمام ، والطاوس ، والإوز .

(أثر حضن الطائر)

قال : وحضن الطائر وجنومه على البيض صلاح لبدن الطائر ، كما يكون
صلاحاً لبدن البيض . و [لا ^(٦)] كذلك الحضانة على الفراخ والفرايح ^(٧)
فربما ^(٨) هلك الطائر عن ذلك السبب .

(١) الجاسية : الصلبة . وفى ط : « قاسية » ، وهى صحيحة أيضاً .

(٢) فى الأصل : « والبعض » .

(٣) ط ، س : « وهى » ، والوجه ما أثبت من ل ونهاية الأرب ١٠ : ١٨٠ .

(٤) كذا فى ل ، وهو الموافق لما فى نهاية الأرب ، والدميرى حيث يقول : « وأغذى
البيض وأطفه ذوات الصفرة » ، وأقله غذاء ما كان من دجاج لاديك لها « ، يعنى بذلك
البيض الترابى . وانظر عجائب المخلوقات فى الكلام على الدجاج . فى ط ، س : « أطيب من
الآخر » ، وهو خطأ .

(٥) القبج : بالتحريك : الحجل ، وهو طائر على قدر الحمام أحمر المنقار والرجلين .

(٦) ليست بالأصل .

(٧) جمع فروج ، وهو فرخ الدجاج خاصة . وفى ط : « الدرايح » ، وفى س :
« الدرايح » ، وكلاهما تحريف .

(٨) ط ، س : « والأوز وربما » ، ل : « وإلا فربما » ، وقد جعلت العبارة
كما ترى .

(تكوّن بيض الريح)

وزعم ناسٌ أن بيضَ الرِّيحِ إنما تسكوّن^(١) من سفاذٍ متقدّم . وذلك خطأ من وجهين : أمّا أحدهما فإنّ ذلك قد عُرف^(٢) من فرّاريج لم يرَينَ ديكاً قط . والوجه الآخر : أن بيضَ الرّيح لم يكن منه فرّوج^(٣) قطّ إلّا أن يسفدَ الدجاجةَ ديكاً ، بعد أن يمضى^(٤) أيضاً خلقُ البيض .

(معارف شتى في البيض)

قال : وبيض الصّيفِ المحضون أسرعُ خروجاً منه في الشتاء ، ولذلك تحضّن الدجاجة البيضةَ في الصّيفِ خمس عشرة ليلة^(٥) .

قال : وربّما عرّضَ غيمٌ في الهواء أو رعدٌ ، في وقتِ حضن الطائر ، فيفسدُ البيض . وعلى كل حالِ ففساده في الصّيف أكثرُ ، والموتُ فيها في ذلك الزمان أعمّ . وأكثرُ ما يكون فسادُ البيض في الجنائب^(٦) ، ولذلك كان

(١) س : « يكون » .

(٢) ط : « عرض » وهي صحيحة ، وأثبت ما في س ، ل ونهاية الأرب .
١٠ : ١٨٠ .

(٣) س : « منه » . ل : « فرخ » ، نهاية الأرب : « فروخ » : جمع فرخ ، كما في القاموس .

(٤) ل : « يتم » .

(٥) س : « ثمان عشرة ليلة » .

(٦) جمع جنوب بانفتح ، وهي الريح الجنوبية .

ابن الجهم^(١) لا يطلب من نسائه الولد إلا والريح شمال . [وهذا عندي تعرض للبلاء ، وتحكك بالشر ، واستدعاء للعقوبة] .

وقال : وبعضهم^(٢) يسمى بيض الريح : البيض الجنوبي ؛ لأن أصناف الطير تقبل الريح في أجوافها .

وربما أفرخ^(٣) بيض الريح بسفاد كان ، [و] لكن لونه يكون متغيرا . وإن سفد الأنثى طائر من غير جنسها^(٤) ، غير خلق [ذلك] المخلوق الذي كان من الذكر المتقدم . وهو^(٥) في الديكة أعم .

ويقولون : إن البيض يكون من أربعة أشياء : فمنه ما يكون من التراب ، و [منه ما يكون] من السفاد ، ومنه ما يكون من النسيم إذا وصل إلى أرحامهن وفي بعض الزمان^(٦) ، ومنه شيء يعتري الحجل وما شاكله ٥٤ في الطبيعة ؛ فإن الأنثى ربما كانت على سفالة الريح التي تهب من شق^(٧) الذكر في بعض الزمان فتحتشى من ذلك بيضا . ولم أرهم يشكون أن النحلة المطلعة^(٨) تكون بقرب الفحال^(٩) وتحت ريجها ، فتلقح بتلك الريح وتكتفى بذلك .

(١) هو محمد بن الجهم البرمكي ، أسلفنا ترجمته في ٢ : ٢٢٦ .

(٢) ط ، س : « وقال بعضهم » .

(٣) ط : « أفرخ » ، وهو تحريف .

(٤) ل : « شكلها » .

(٥) س : « وهى » .

(٦) ل : « ومنه ما يكون من نسيم ريح إذا وصل إلى أرحامها في بعض الزمان » .

(٧) ط ، س : « جهة » وهما بمعنى .

(٨) المطعمة : التي أدركت أن تثمر . يقال : أطعمت الشجرة . وانظر الحيوان

٢ : ٢٣٨ و ٥ : ٢٠٩ والعقد ٦ : ٢٤٠ تأليف .

(٩) الفحال : ذكر النخل .

قال : ويبضُّ أبكار الطير أصغر ، وكذلك أولادُ النساء ، إلى أن تتسع
الأرحام وتنتفخ الجنوب^(١) .

(هديل الحمام)

ويكون هديلُ الحمام [الفَيَّ] ضئيلاً ، فإذا زقَّ مِرَّاراً فَتَحَ الزَّقُّ
جلدةً غَبَّه^(٢) وحوصلته ، فخرجَ الصَّوتُ أغلظَ وأجهرَ .

(حياة البكر)

وهم لا يثِقون بحياة البكر^(٣) من النَّاسِ^(٤) كما يثِقون بحياة الثاني^(٥)
ويرون أن طبيعة الشباب والابتداء لا يعطيان^(٦) شيئاً إلاَّ أخذه تضايقُ
مكانه من الرَّحم ، ويحبُّون أن تبكَّرَ بجارية ! وأظنُّ أن ذلك إنما هو
لشدَّةِ خوفِهم على الذكر . وفي الجملة لا يَتِمُّون بالبكر الذكر^(٧) . فإن كان
البكرُ ابنَ بكرٍ تشاءموا^(٨) به ، فإن كان البكرُ ابنَ بَكْرَيْنِ فهو في الشُّومِ

(١) كذا في ل . وفي ط ، س : « إلا أن تتسع الأرحام وتنتفخ الجوانب » .

(٢) الغيب : ماتحت الحنك . وفي ط ، س : « عينه » ، وهو تحريف عجيب .

(٣) كذا في ل ، س . وفي ط : « بحيات ولد البكر » ، تحريف .

(٤) ماعدا س : « النساء » .

(٥) ط : « بحيات » ، س : « أنثى » ، تحريفان .

(٦) أى يعطيان البكر . ط ، ل : « يعطيان » .

(٧) يتيمينون : من التيمن : ضد التشاؤم . ط ، س : « لا يتمنون للبكر » ، وهو
على الوجه في ل . وانظر الحيوان ٥ : ٣٣١ .

(٨) في الأصل : « تشأم » ، وإنما يقال هذه لمن انتسب إلى بلاد الشام .

مثلُ قيس بن زهير، والبسوس^(١)، فإن قيساً كان أزرَق^(٢) وبكراً ابن بكرين .
ولا أحفظُ شأنَ البسوس حفظاً أجزمُ عايه .

(ما يعترى الحمام والإوز بعد السفاد)

قال : وأما الحمام فإنه إذا قَطَّ تَنَفَّشَ^(٣) وتكَبَّرَ ونَفَضَ ذَنِبَهُ^(٤)
وضَرَبَ بِجَنَاحِهِ ، وأما الإوزُ فإنه إذا سفِدَ أكثر من السباحة ، واعتراه
في الماء من المَرَحِ مثلُ ما يعترى الحمام في الهواء .

(١) هي البسوس بنت منقذ التيمية ، قالوا : استجار بها جار لها من جرم ومعه ناقة له ،
فرماها كليب بن وائل لما رآها في حماه ، فلجأ الجري إلى البسوس ، فهيبت أهلها
للحرب ، فهاجوا واستمرت الحرب بين بكر وتغلب أربعين سنة . وسميت بحرب
البسوس - ثمار القلوب ٢٤٥ والعقد ٣ : ٣٤٧ وكامل ابن الأثير ١ : ٣١٣
وأمثال الميداني ٢ : ٣٥٩ والأغاني ٤ : ١٣٩ .

(٢) ليس المراد زرقة الجلد ، وإنما المراد زرقة العين ، يقال رجل أزرق وامرأة
زرقاء ، ويراد بذلك خضرة الحدقة . الخصاص ١ : ١٠٠ . والعرب يكرهون
ذلك ويتهاجون به . قال :

لقد زرقت عيناك يا ابن مكعب كذا كل ضبي من اللؤم أزرق
وجاء في القرآن : « ونحشر المجرمين يومئذ زرقا » ، أي زرق العيون . وكان
شؤم قيس بن زهير في إثارة حرب داحس والغبراء ، وكان هو صاحب داحس :
فحل من الخيل ، وكان صاحب الغبراء حمل بن بدر ، وتراهنّا على السباق ، وحدث
خلاف بينهما في مستحق الرهان ، أدى إلى حروب دامت أربعين سنة . العقد
٣ : ٣١٣ . وانظر كامل ابن الأثير ١ : ٣٤٣ والأغاني ٧ : ١٤٣ ، ١٦ : ٢٣
وأمثال الميداني ٢ : ٥١ .

(٣) تنفش : نفض ريشه .

(٤) س : « ثوبه » .

قال : وبيضُ الدجاج يتمُّ خلقه في عشرة أيام وأكثر شيئاً^(١) ، وأمَّا بيض الحمام ففي أقلَّ من ذلك .

(احتباس بيض الحمامة)

والحمامة ربَّما احتبسَ البيضُ في جوفها بعدَ الوقتِ^(٢) لأمرٍ تعرَّضُ لها : إمَّا لأمرٍ عرضَ لُعشها [وأفحوصها] ، وإمَّا لنتفٍ [ريشها]^(٣) ، وإمَّا لعلَّةٍ وجمعٍ من أوجاعها^(٤) وإمَّا لصوتٍ رعدٍ ؛ فإنَّ الرَّعدَ إذا اشتدَّ لم يَبْقَ طائرٌ على الأرضِ واقع^(٥) إلاَّ عدداً فزعا ، وإن كان يطيرُ رمى بنفسه إلى الأرضِ^(٦) . قال علقمة بن عبدة :

رغاً فوقهم سَقَبُ السَّماءِ فَداحضٌ بشكته لم يُستَلَبْ وسليبٌ^(٧)
كأنهم صابت عليهم سحابة صواعقها لطيرهن ديبٌ^(٨)

(١) الواو هنا بمعنى أو ، كما جاء في قوله :

* كما الناس مجروح عليه وجارم *

(٢) أى بعد الوقت المقدّر لنزوله .

(٣) الزيادة من ل ، س .

(٤) ل : « وإمّا لوجع من أوجاعها » .

(٥) ل : « واقعاً » ، فهو نصب على الحال من النكرة الموصوفة . والرفع جائز على الوصف أيضاً .

(٦) ط ، س : « وإن كان يطير إلا رمى » ، ل : « وإن يطير رمى » ، وجعلت الكلام كما ترى .

(٧) سَقَبُ السماء ، هو ولد ناقة صالح ، قالوا : لما عقرت أمه رغاً ، فنزل العذاب بقوم صالح : فجعل العرب ذلك مثلاً في الاستئصال . انظر ثمار القلوب ٢٨٢ . وفي اللسان : « دحض برجله ودحض : فحص برجله » . وروى القائل البيت في أماليه ٢ : ١٣٣ بالصاد المهملة . وقال : « وكان بعض العلماء يرويه : (فداحض) . وهذا البيت أحد ما نسب فيه إلى التحريف » . ولعله يعنى الجاحظ . والشكة : السلاح .

(٨) طير الصواعق : طيرانها ، أى سرعتها . وفي س : « للطير هن ديب » ، أى إن تلك الصواعق التى تنزل بهم تجلب الموت فتتحرك الطير لتأكل من القتلى . أى إن الصواعق سبب لديب الطير .

(تقبيل الحمام)

قال : وليس التقبيلُ إلَّا للحمام والإنسان ، ولا يدعُ ذلك ذكرُ الحمامِ
إلَّا بعدَ الهرَم . وكان في أكثرِ الظَّنِّ أنَّه أحوَجُ ما يكون [إلى] ذلك
التَّهْيِيجُ به عندَ الكِبَرِ والضعف .

وتزعمُ العوامُّ أنَّ تسافدَ الغِربانِ هو تطاعُمُها بالمناقير ، وأنَّ إلقاحَها لئِما
يكونُ من ذلك الوجه . ولم أرَ العلماءَ يعرفون هذا .

قال : وإناثُ الحمام إذا تسافدت أيضًا قَبَّلَ بَعْضُهُنَّ بعضاً ، ويقالُ إنَّها ٥٥
تبيضُ عن ذلك ، ولكنَّ لا يكونُ عن ذلك البيضُ فِرَاح ، وإنَّه في سبيل
بيضِ الريح ^(١) .

(تكوُّن الفرخ في البيضة)

قال : ويستبينُ خَلْقُ الفِرَاح إذا مضت لها ثلاثة أيَّامٍ بلياليها ،
وذلك في شَبَابِ الدَّجاج ، وأمَّا في المَسَانِّ منها فهو أكثر . وفي ذلك الوقت
تُوجد الصُّفْرَةُ من النَّاحِيَةِ العُلْيَا ^(٢) من البَيْضَةِ ، عند الطَّرَفِ المَحْدَدِ [و]
حيث يكونُ أوَّلُ نَقَرِها ، فثمَّ ^(٣) يستبينُ في بَيَاضِ البَيْضَةِ مِثْلُ نقطةٍ من
دَم ، وهي تختلجُ وتتحركُ : والفرخُ إئِثْمًا يُخلَقُ من البَيَاضِ ، ويَعْتَدِي

(١) سماه في ٢ : ٢٤١ « البيض الترابي » .

(٢) ط : « العليا » .

(٣) ل فقط : « فالقلب » ، وأراه تحريفاً .

الصُّفْرَةَ ، ويتمُّ خَلْقُهُ لعشرةِ أَيَّامٍ . والرَّأْسُ وحْدَهُ يكونُ أكبرَ من سائرِ البدنِ .

(الببيض العجيب)

قال : ومن الدِّجَاجِ ما يبيضُ بيضاً له صُفْرَتَانِ في بعضِ الأحيان ، خبرني بذلك كم شئتَ^(١) ، من ثِقَاتِ أَصْحَابِنَا .

وقال صاحب المنطق : وقد باضت فيما مضى دِجَاجَةٌ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ بَيْضَةً ، لكلِّ بَيْضَةٍ مُحْتَانٍ^(٢) ، ثُمَّ سَخْنَتْ وَحُضِنَتْ ، فخرجَ من كلِّ بَيْضَةٍ فَرُوجَانِ ، ما خلا البَيْضَ الذي كان فاسداً في الأصل . وقد يخرج من البَيْضَةِ فَرُوجَانِ^(٣) ، ويكون أحدهما أعظمَ جَنَّةً ، وكذلك الحمام . وما أَقلُّ ما يَزيدُ الحمامُ أن يكون أحدهُ الفرَّخَيْنِ^(٤) ذَكَراً ، والآخرُ أنثى .

(معارف في البيض)

قال : وربما باضتُ الحِمامَةُ وأشباهاها من الفَوَاحِشِ ثَلَاثَ بَيْضَاتٍ ، فَأَمَّا الْأَطْرُغَلَاتُ وَالْفَوَاحِشُ^(٥) فَإِنَّهَا تَبْيِضُ بَيْضَتَيْنِ ، وربما باضتُ ثَلَاثَ

(١) كذا في ل ، س . وانظر ٣ : ٢٣١ و ٤ : ٤٦ و ٥ : ٣٧٤ وكتاب البغال ٢٦٤ .

وفي ط : « شبيث » ، تحريف .

(٢) الحة والمخ : صفرة البيض . جاء في س : « محان » ، وهما صحيحان .

(٣) ل : « فرخان » ، والأفضل ما أثبت من ط ، س .

(٤) في الأصل : « الفروجين » ، وإنما يكون الفروج للدجاج خاصة .

(٥) ط ، س : « الفواخت » ، ووجه ما أثبت من ل .

بيضات ، ولكن لا يخرج منها أكثر من فرخين ، وربما كان واحداً فقط .

قال : وبعض الطير لا يبيض إلا بعد مرور الحول عليه كملأ^(١) ، والحمامة في أكثر أمورها يكون أحد فرخيها ذكراً والآخر أنثى ، وهى تبيض أولاً البيضة التى فيها الذكر ، ثم تقيم يوماً وليلة ، ثم تبيض الأخرى ، وتحضن ما بين السبعة عشر يوماً إلى العشرين ، على قدر اختلاف طباع الزمان ، والذي يعرض لها من العلل . والحمامة أبر بالبيض ، والحمام أبر بالفراخ .

[قال] : و [أما] جميع أجناس الطير مما يأكل اللحم ، فلم يظهر لنا أنه يبيض ويفرخ أكثر من مرة واحدة ، ما خلا الحطاف فإنه يبيض مرتين .

(تربية الطيور فراخها)

والعقاب تبيض^(٢) ثلاث بيضات ، فيخرج لها فرخان . واختلفوا فقال بعضهم : لأنها لا تحضن إلا بيضتين ، وقال آخرون : قد تحضن ويخرج

(١) كلا : أى كاملاً . وبالأخيرة جاءت الرواية في ط ، س .

(٢) في الأصل : « يبيض » . والعقاب يطلق على الذكر والأنثى ، ولكنه أراد الأنثى هنا .

لها ثلاثة أفراخ ، ولكنّها ترمى بواحد^(١) استئقلاً للتكسّب على ثلاثة .
وقال آخرون : ليس ذلك إلّا بما^(٢) يعترىها من الضّعف عن الصّيد ؛ كما
يعترى النّفساء من الوهن والضعف ، وقال آخرون : العقاب طائر سيّئ
الخلق ، ردىء التّربية ، وليس يُستعان^(٣) على تربية الأولاد إلّا بالصّبر .
وقال آخرون : [لا ، و] لكنّها شديدة النّهم والشرّ ، وإذا لم تكن
أمّ الفراخ ذات أثر لها ، ضاعت .

وكذلك قالوا في العَقَق ، عند إضاعتها لفراخها ، حتّى قالوا : « أحمق
من عَقَق » ، كما قالوا : « أحذر من عَقَق » .
وقالوا : وأمّا الفرخ الذى يُخرجه العُقاب ، فإنّ المكلفّة ، وهى طائر
يقال لها كاسر العظام^(٤) ، تقبله^(٥) وتربيّه .

والعقاب تحضن^(٦) ثلاثين يوماً ، وكذلك كلُّ طائر عظيم الجثة ، مثل
الإوز وأشباه ذلك ، فأما الوسط فهو يحضن عشرين يوماً . مثل الحدأ^(٧)
ومثل أصناف البزاة^(٨) كالباشق واليآي^(٩) .

(١) ط ، س : « بواحدة » .

(٢) بما : بمعنى لما . وفى ل : « ليس ذلك لما » ، وهو كلام ناقص .

(٣) ل : « يقوى شيء » .

(٤) ل : « يقال لها قينا » .

(٥) ثقيله : تكفله . والقبيل : الكفيل .

(٦) فى الأصل : « يحضن » . والعقاب هنا مؤنثة .

(٧) هو جمع حدأة . وفى ط ، ل : « الحدأة » .

(٨) ط : « البزات » ، وصوابه فى س ، ل . وهو جمع باز .

(٩) اليآي : جمع يؤيؤ ، وهو طير جارح يشبهه الباشق . قال أبو نواس
فى طردية :

حفظ المهيمن يؤيؤ ورعاه ما فى اليآي يؤيؤ شرواه

أى شبيهه . ط : « اليآي » . س : « اليآي » ، وهما تحريف ما أثبت
وهذه الكلمة والتى قبلها ساقطتان من ل .

والحدأة^(١) تبيضُ بِيضَتَيْنِ . وربما باضتْ ثَلَاثَ بِيضَاتٍ وخرَجَ مِنْهُنَّ ثَلَاثَةُ فِرَاحٍ .

قالوا : وأما العقبانُ السُّودُ الألوان ، فإنَّها تربي وتُحْضِنُ^(٢) .
وجميعُ الطيرِ المعقَّفِ المخالبِ تطردُ فِرَاحَهَا مِنْ أعشاشها^(٣) عِنْدَ قُوَّتِهَا عَلَى الطَّيْرِ أَنْ . وكذلك سائرُ الأصنافِ مِنَ الطَّيْرِ^(٤) ؛ فَإِنَّهَا تطردُ للفِرَاحِ [ثُمَّ] لَا تَعْرِفُهَا ، مَا عَدَا الغداف^(٥) ؛ فَإِنَّهَا لَا تَزَالُ لَوْلَهَا قَابِلَةً ، وَلِحَالِهَا مُتَفَقِّدَةً .

(أجناس العقبان)

وقال قوم^(٦) : إِنَّ الْعِقْبَانَ وَالْبَزَاةَ التَّامَّةَ ، وَالْجَهَارَانَك^(٧) ، وَالسَّمْنَانَ^(٨) .

(١) س : « والحدأة » ، وهو تحريف .

(٢) ل : « تبيض وتُحْضِنُ » .

(٣) ط ، س : « أعششها » ، ولم أر هذا الجمع ووجدتهم يجمعون العش على عشاش ، وعششة وأعشاش . انظر المصباح .

(٤) ل : « سائر أصناف الطير » .

(٥) كذا .

(٦) ل : « وزعم غيره » .

(٧) المراد بالبزاة أو العقبان التامة : التامة الأوصاف ، وهو من تعبير البزدة ، كتب بذلك إلينا حضرة العلامة الكبير الأب أنستاس ، كما كتب أيضاً : « الجهارانك » أو « الجهارانك » هي مركبة من « جهار » أى أربعة ، و « رنك » أو « رانك » أى لون ، فيكون معنى الكلمة المركبة الفارسية : ذا الألوان الأربعة . وسبب تسمية هذه العقبان ، أو البزاة ذات أربعة ألوان هو وجود الأبيض والأصفر والأسود والأزبد فيها . واللونان الأولان بالتصغير ، أى الضارب إلى الأبيض والضارب إلى الأصفر ؛ لأن هذين اللونين ليسا محضين فى ريش تلك الطير . وقالت : هذه الكلمة هي فى الأصل محرفة فى ط ، س : « الجهادانك » وفى ل : « الجهادانك » . وقد اتضح الصواب مما تفضل به حضرة الأب .
(٨) كذا فى ط ، س . وفى ل : « النيمات » . وقد تفضل حضرة المحقق الكبير =

والزَّمَامِجُ^(١) والزَّرَارِقَةُ^(٢) إنها كُلُّهَا عِقْبَان . وَأَمَّا الشَّوَاهِينُ وَالصَّقُورَةُ ،
وَالْيَوَائِي^(٣) ، فَإِنَّهَا أُجْنَسُ أُخْر .

(حَضْنُ الطَّيْرِ)

[قال : وقالوا : فراخ البزاة سَمِينَةٌ طَيِّبَةٌ جَدًّا] . وَأَمَّا الْاَوْزَةُ فَلِئِذَا
[التى] تَحْضُنْ دُونَ الذَّكَرِ^(٤) ، وَأَمَّا الْغُرْبَانُ فَعَلَى الْإِنَاثِ الْحَضْنُ ، وَالذَّكَوْرَةُ
تَأْتِي الْإِنَاثَ بِالطَّعْمَةِ^(٥) .

وَأَمَّا الْحَجَلُ فَإِنَّ الزَّوْجَ مِنْهَا^(٦) يَهَيِّئَانُ لِلْبَيْضِ عُشَّيْنِ وَثِقَيْنِ^(٧)

= الْأَبْ أَنْتَاس ، فَكُتِبَ إِلَى : « وَالسَّهْمَانِ مِنَ الْبَزَاةِ وَالْجَوَارِحِ : كُلُّ مَا طَعَنَ مِنْهَا
فِي السِّنِّ ، وَهِيَ جَمْعُ سَمِينٍ . وَالْعَوَامُ مِنَ الْعَرَاقِينِ يَسْمُونَهَا : سَمْنَانٌ - كَرِغْفَانٌ -
فَهِيَ إِذَا طَعَنَتْ فِي السِّنِّ ضَخْمَ جَسْمِهَا وَقَعْدَتْ عَنِ الصَّيْدِ » . « وَالتَّيْمِيَّاتُ
مَنْسُوبَةٌ إِلَى نَيْمٍ ، بِالْكَسْرِ ، الْفَارَسِيَّةُ ، بِمَعْنَى نَصْفٍ . وَيُشَارُ بِهِ إِلَى تِلْكَ الْبَزَاةِ ،
أَوْ الْعُقْبَانِ الصَّغِيرَةِ الْجِسْمِ ، وَهِيَ تَكُونُ فِي أَغْلَبِ الْأَحْيَانِ أَشَدَّ صَيْدًا وَجَرَاءً مِنْ
نَظَائِرِهَا الْكَبِيرَةِ الْجِسْمِ أَوْ الْجَفَّةِ . وَيُؤَقُّ بِهَا مِنَ الْبِلَادِ الْبَارِدَةِ ، أَوْ مِنَ الْأَرْجَاءِ
الْجَبَلِيَّةِ » . وَعَقِبَ حَضْرَتِهِ عَلَى ذَلِكَ بِقَوْلِهِ : « وَكُلُّ ذَلِكَ مَذْكُورٌ فِي كُتُبِ الْبَزْدَرَةِ
الَّتِي سَرَقْتُ مِنْى . وَكَانَ عِنْدَى مِنْهَا ثَلَاثُ نَسَخٍ مَمْلُوءَةٍ أَوْ مَشْحُونَةٍ اصْطِلَاحَاتٍ » .

(١) الزَّمَامِجُ : جَمْعُ زَمَجٍ ، بَضْمُ الزَّأَى وَتَشْدِيدُ الْمِيمِ الْمَفْتُوحَةِ .
(٢) الزَّرَارِقَةُ : جَمْعُ زَرَقٍ بَضْمُ الزَّأَى وَتَشْدِيدُ الرَّاءِ الْمَفْتُوحَةِ ، وَالْمَعْرُوفُ زَرَارِيقُ . وَفِي
الْأَصْلِ : « الزَّرَارِقَةُ » ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) كَذَا عَلَى الصَّوَابِ فِي ل . وَهُوَ جَمْعُ يُوَيْزُ . ط ، س : « وَالْيَوَائِي » .
(٤) كَذَا فِي ل وَهُوَ الصَّوَابُ . وَفِي ط : « وَأَمَّا الْاَوْزُ فَلِئِذَا تَحْضُنْ دُونَ
الذَّكَوْرَةِ » وَمِثْلُهُ فِي س بِزِيَادَةِ « الَّتِي » بَعْدَ « فَإِنَّهَا » .

(٥) فِي اللِّسَانِ : « الطَّعْمَةُ » ، بِالضَّمِّ : شِبْهُ الرِّزْقِ . وَفِي ل : « بِالطَّعْمِ » ، وَمِثْلُهُ
فِي عَيُونِ الْأَخْبَارِ (٢ : ٩٤) وَهُوَ بِالضَّمِّ : الطَّعَامُ .

(٦) ل ، ط : « مِنْهَا » ، وَصَوَابُهُ فِي س .
(٧) الْوَثِيقُ : الْحَكْمُ . وَبَدَلَهَا فِي ط : « بَيْضَتَيْنِ » وَفِي س : « بَيْضَيْنِ »
وَهُوَ تَحْرِيفٌ عَجِيبٌ .

مقسومين^(١) عليهما ، فيحضن أحدهما الذكر ، والآخر الأنثى^(٢) ، وكذلك هما في التربية . وكل واحد منهما يعيشُ خمساً وعشرين سنة ، ولا تلحقُ الأنثى بالبيض^(٣) ولا يلقحُ الذكرُ إلا بعدَ ثلاثِ سنين .

(الطاوس)

قال : وأما الطاوس فأول ما تبيضُ فإنها تبيضُ ثمانين^(٤) بيضات . وتبيضُ أيضاً بيضَ الريح . والطاوس يلقى ريشه في زمن الخريف إذا بدأ أولُ ورقِ الشجرِ يسقطُ^(٥) . وإذا بدأ الشجرُ يكتسى ورقاً ، بدأ الطاوسُ فأكتسى^(٦) ريشاً .

(١) ط فقط : « مقسومتين » .

(٢) فصلت هذا الضبط لما جاء في نهاية الأرب نقلاً عن الجاحظ : « وإذا باضت الحجلة ميز الذكر الذكور منها فيحضنها ، وميزت الأنثى الإناث فتحضنها ، وكذلك هما في التربية » . ومثل هذا الكلام عند الدميري ، مع نسبته إلى التوحيدى .

(٣) ط ، س : « البيض » ، والوجه ما أثبت كافي ل ونهاية الأرب (١٠ : ٢٣٣)

(٤) كذا في ل ونهاية الأرب ، وفي ط ، س : « ثلاث » .

(٥) كذا على الصواب في س . وفي ل : « يلقى ورقه » وفي ط « فإذا بدأ » ،

وكلاهما تحريف .

(٦) ط : « يكتسى » .

(ما ليس له عُشٌّ من الطير)

قال : وما كان من الطَّير الثَّقِيلِ الجَثَّةِ فليس يهَيَّ لبيضِه عُشًّا ؛ من أَجْلِ أَنَّهُ لَا يُجِيدُ ^(١) الطَّيْرَانِ ، ويثقل عليه النهوض ولا يتَحَلَّقُ ^(٢) ، مثل الدُّرَّاجِ والقَبَّيجِ ، [وإنما يبيض على التُّراب] . وفراخ هذه الأجناس كفراريج الدَّجاج ، وكذلك فراريج البطِّ الصَّيْنِيِّ ، فَإِنَّ هذه كُلَّهَا تَخْرُجُ من البيض كاسية [كاسية ^(٣)] تَلْقُطُ من ساعتها ، وتَكْفِي نفسها .

(القبجة)

قال : [و] إذا دنا الصَّيَّادُ من عُشِّ القَبْجَةِ ^(٤) وَلَهَا فراخٌ ، مرَّتْ بينَ يَدَيْهِ مَرًّا غَيْرَ مُفَيْتٍ ^(٥) ، وأطمَعَتْهُ في نفسها لِيَتَّبِعَهَا ^(٦) ، فتمرُّ الفَراخُ في رجوعها إلى موضعِ عُشِّها ^(٧) . والفراخ ^(٨) ليسَ معها من الهداية مامع

(١) ط ، س : « يجيد » .

(٢) يتحلق : لم أجدها بمعنى حلق الطائر أى طار واستدار في طيرانه ، لكن هكذا جاءت في ل . وانظر ٥ : ١٥٢ . وفي ط ، س : « يتخلق » ، وهو تحريف .

(٣) الزيادة من س .

(٤) سبق قريباً أنها ليست ذات عش . فالمراد أفحوصتها .

(٥) ط فقط : « معين » ، وهو تحريف .

(٦) ط ، س : « فيتبعها » .

(٧) ل ، س : « فتمر الفَراخ ولثلا تغلط في رجوعها إلى موضع عشها » .

(٨) ل : « فإنها » .

أمها . وعلى أن القَبَجَةَ سَيِّئَةُ الدَّلَالَةِ والهِدَايَةِ ، وكذلك كلُّ طائرٍ يَعَجَّلُ له الكَيْسُ والكُسُوءُ ، ويعَجَّلُ له الكَسْبُ في صغره .

وهذا إنما اعتراها لقَرَابَةِ ما بينها وبين الدِّيكِ .

قال : فإذا أَمِنَ الصَّائِدُ خَلْفَهَا وقد خرجت الفَراخُ من موضِعِها ، طارت ٥٧ وقد نَحَّتْهُ ^(١) إلى حيثُ لا يَهْتَدِي الرَّجُوعَ منه إلى موضعِ عَشَّها ^(٢) ، فإذا سَقَطَتْ قريباً دَعَتْها بأصواتٍ لها ، حتَّى يَجْتَمِعْنَ إليها .

قال : وإناثُ القَبَجِ تَبْيِضُ [خَمْسَ عَشْرَةَ بَيْضَةً إلى سِتِّ عَشْرَةَ بَيْضَةً . قال : والقَبَجُ طَيْرٌ مُنْكَرٌ] وهى تَفْرُ ^(٣) بَيْضَها من الذَّكَرِ ؛ لِأَنَّ الْأُنْثَى تَشْتَغِلُ بِالْحَضْنِ عن طاعةِ الذَّكَرِ في طلبِ السَّفَادِ . والقَبَجُ الذَّكَرُ يوصَفُ بالقُوَّةِ على السَّفَادِ ، كما يوصفُ الدِّيكُ والحِجْلُ والعُصْفُورُ .

قال : فإذا شَغِلَتْ عنه بِالْحَضْنِ ، طلبَ مواضعَ بَيْضِها حتَّى يَفْسِدَهُ ^(٤) فلذلك تَرْتَادُ ^(٥) الْأُنْثَى [عَشَّها] في مَخَابِيءٍ ^(٦) إذا أَحَسَّتْ بَوَقْتِ الْبَيْضِ .

وإذا قَاتَلَ بعضُ ذُكُورِ القَبَجِ بَعْضاً فَاَلْمَغْلُوبُ منها مَسْفُودٌ ، والغالبُ

(١) ط : « نَحَّتْ » ، وتصحيحه من ل ، س .

(٢) يقال : هو لا يَهْتَدِي الطَّرِيقَ ، ولا يَهْدَى — بفتح الياء والهاء وتشديد الدال المكسورة — ، ولا يَهْدَى — بفتح الياء وكسر الاء والدال المشددة . كل أولئك بمعنى لا يَهْتَدِي إليه . في ط : « إلى موضعها » .

(٣) س : « تَشْغَلُ » .

(٤) ل : « يَفْسِدُها » ، ولها وجه .

(٥) تَرْتَادُ : تَطْلُبُ . وفي ل : « تَوَغَّلَ » ، ولا يقال أوغله .

(٦) ط ، س : « مَخَابِيءُ » وتصحيحه من ل .

سافد . وهذا [العرض] يعرضُ للديكة ولذكور الدَّراريج ، فإذا دَخَلَ بين الديكة^(١) ديكٌ غريب ، فما أَكْثَرَ ما تجتمع عليه حتى تسفده ! .

(وثب الذكورة على الذكورة)

وسفادُ ذكورة هذه الأجناس إنما يعرض لها لهذه الأسباب ، فأما ذكورة الحمير والخنازير والحمام ، فإنَّ ذكورها تثبُّ على بعضٍ من جهة الشهوة .

وكان عند يعقوب بن صباح^(٢) الأشعثيُّ ، هِرَانٍ ضخمان ، أحدهما يكومُ الآخر متى أرادهُ ، مِنْ غيرِ إكراهٍ ، وَمِنْ غيرِ أن يكونَ المسفودُ يريدُ من السَّافِدِ مثلاً ما يريدُ منه السَّافِدُ . وهذا البابُ شائعٌ في كثير من الأجناس ، إلاَّ أنَّه في هذه [الأجناس]^(٣) أُوْجِدَ .

(صيد البزاة للحمام)

ثمَّ رجَعَ بنا القولُ إلى ذِكْرِ الحمام ، من غير أن يشاب^(٤) بذكر غيره .

(١) ط : « الرمكة » . ولا تصح . والصواب من ل ، س .

(٢) ل : « الصباح » .

(٣) الزيادة من ل ، س .

(٤) ط ، س : « انتساب » ويصح بـ « انتشاب » أى تعلق . وأثبت ما في ل . ويشاب : يخلط :

زعم صاحبُ المنطق أنَّ البُرْزَاةَ عشرةَ أجناسٍ ، فمنها ما يضرب الحمامة والحمامة جائئة ، ومنها ما لا يضرب الحمامَ إلَّا وهو يطير ، ومنها ما لا يضرب الحمامَ في حال طَيْرَانِهِ ولا في حالِ جُثُومِهِ ، [ولا يعرض له] إلَّا أن يجده^(١) في بعض الأغصان ، أو على [بعض] الأنشاز^(٢) والأشجار . فعَدَّدَ أجناسَ صيدها ، ثمَّ ذَكَرَ أنَّ الحمامَ^(٣) لا يخفى عليه في أوَّل ما يرى البازيَ في الهواء أيُّ البُرْزَاةِ هُوَ ، وأيُّ نوعٍ صيده^(٤) ، فيخالف ذلك . ولمعرفة الحمامِ بذلك من البازي أشكال : أوَّل ذلك أنَّ الحمامَ في أوَّلِ نُهوْضِهِ يفصلُ بين النَّسر والعُقاب ، وبين الرَّحمةِ والبازي ، وبين الغرابِ والصَّقرِ ، فهو يَرى الكُرْكِيَّ والطَّبْرَزين^(٥) ولا يستوحشُ منهما ! ويرى الزُّرْقَ فيتضاءل . فإن رأى الشَّاهينَ فَقَدْ رأى السَّمَّ الذعافِ الناقع^(٦) .

(إحساس الحيوان بعدوّه)

والنَّعْجَةُ ترى الفِيلَ والزَّنْدَبِيلَ والجاموسَ والبعيرَ ، فلا يَهْزُها^(٧) ذلك ، وترى السَّبُعَ وهي لم تره قبل ذلك^(٨) ، وَعَضُوْهُ من أعضاء تلك البهائم أعظمُ

(١) ل : « يراه » .

(٢) الأنشاز : جمع نشز ، بالتحريك ، أو بالفتح ، وهو المكان المرتفع .

(٣) ط : « صاحب الحمام » ، وللوجه ما أثبت من ل ، س .

(٤) ط : « ضده » ، وصوابه من ل ، س .

(٥) كذا في ل ، س . والمعروف في الطبرزين أنه الفأْسُ التي يعلقها الفارس في سرج جواده . انظر معرب الجواليقي ١٩٤ والألفاظ الفارسية ١١١ . وفي ط : « الطيران » . وانظر الاستدراكات .

(٦) ل : « فقد رأى السم الناقع » .

(٧) ل : « يهدأ » .

(٨) ل : « الذي لم تره قبل فتحافه » وفيه تحريف .

وهى أهولُ في العين وأشنعُ ، ثمَّ ترى الأسدَ فتحافه . وكذلك البَبرُ والنمرُ :
فإنَّ رأت الذئبَ [وحده] اعتراها منه وحده مثلُ ما اعتراها من تلك
الأجناسِ لو كانت مجموعةً في مكانٍ واحدٍ . وليس ذلك عن تجرِبةٍ ،
ولا لأنَّ منظره أشنعُ وأعظمُ ، وليسَ في ذلك عِلَّةٌ ^(١) إلا ما طُبِعت عليه من
تمييز الحيوان عندها . فليس بمُسْتَنَكِرٍ أَنْ تَفْصِلَ الحمامةُ بينَ البازي ^(٢)
والبازي ، كما فصلت بين البازي والكُرْكِيّ .

فإنَّ زعمتَ أنَّها تعرف بالمخالب ^(٣) فنقارُ الكُرْكِيّ أشنعُ [وأعظمُ]
وأفْظعُ ^(٤) ، وأطولُ وأعرض ^(٥) . فأما ^(٦) طَرَفُ منقار [الأَبْغَثِ ^(٧)] فما
كانَ ^(٨) كلُّ سنانٍ وإن كان مذرَّباً ^(٩) [ليبلغه .

(١) ط : « عليه » ، وهى على الصواب في ل ، س .

(٢) أى تعرف أنواع البزاة وطريقة صيدها لها ، كما فصل ذلك في الصفحة السابقة س ٦ .

ل فقط : « الرخة » تحريف .

(٣) في الأصل : « تضرب مخالب » .

(٤) ل : « وأقطع » .

(٥) ليست في ل .

(٦) ط ، س : « فا » ، وهو تحريف .

(٧) في القاموس : أن الأَبْغَثِ طائر ، ولم ينعته .

(٨) ليست بالأصل . والكلام في حاجة إليها .

(٩) مذرَّباً ، بالذال المعجمة : محددأ . وفي الأصل ، وهو هنا ل :

« مذرَّباً » ، تصحيف .

(بلاهة الحمام وخرقه)

قال صاحب الدِّيك : وكيفَ يكونُ للحمام من المعرفة ^(١) والفطنة ما تذكرون ، وقد جاء في الأثر ^(٢) : « كُونُوا بُلْهًا ^(٣) كالْحَمَامِ » ؟ !

وقال صاحب الدِّيك : تقول العربُ : « أَخْرَقَ مِنْ حَمَامَةٍ » ، ومَّا يدل على ذلك قولُ عبيدِ بنِ الأبرص :

عَيَّسُوا بِأَمْرِهِمْ كَمَا عَيَّتْ بَدِيضَتَهَا الْحَمَامَةُ
جَعَلَتْ لَهَا عُودَيْنِ مِنْ نَشْمٍ وَآخَرَ مِنْ ثَمَامَةٍ ^(٤)

(١) ط ، س « الحركة » ، ويجهه ما في ل .

(٢) كذا في ل ، س . وهو الموافق لما جاء في البيان (٢ : ٢٧٥) : « وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون : كونوا بلها كالحمام » . وفي ط : « وقد جاء في الحديث » كما في محاضرات الراغب (٤ : ٣٠٠) . وجاء في عيون الأخبار (٢ : ٧٢) : « وفي الإنجيل أن المسيح عليه السلام قال للحواريين : كونوا حلهاء كالحيات ، وبلها كالحمام » . قلت : والنص في إنجيل متى (الأصحاح العاشر : ١٦) : « هاأنا أرسلكم كغفم في وسط ذئاب فكونوا حكام كالحيات وبسطاء كالحمام » .

(٣) في الأصل : « بلهاء » ، وإنما هي « بلها » كما في ٧ : ٢٥٩ . وهو جمع أبله . والمراد به الغافل عن الشر المطبوع على الخير . انظر نهاية ابن الأثير (بله) .

(٤) النشم ، بالتحريك : شجر من أشجار الجبال تتخذ منه القسي . والثمامة : واحدة الثمام ، وهو نبت قصير يضرب به المثل في الضعف . وذلك حقتها : أن تجمع بين ضعيف وقوى : فيتكسر عشا ويقع البيض فينكسر . انظر عيون الأخبار (٢ : ٧٢) وثمار القلوب ٣٦٩ وأمثال الميداني (١ : ٢٣٤) وأدب الكاتب (٥٥) .

فإن كان عبيدٌ إنما عني حمامةٌ من حمامكم هذا الذي أنتم به تفخرون ،
فقد أكثرتم في ذكر^(١) تدبيرها لمواضع بيضها ، وإحكامها لصنعة
عشاشها^(٢) وأفاحيصها .

وإن قلتم : إنه إنما عني بعض أجناس الحمام الوحشي والبرّي ، فقد
أخرجتم بعض الحمام من حُسن التدبير . وعبيدٌ لم يخصّ حماماً دون حمام .

(رغبة عثمان في ذبح الحمام)

وحدثت أسامة بن زيد قال : سمعتُ بعضَ أشياخنا منذُ زمانٍ ، يحدثُ
أنَّ عثمانَ بنَ عفَّانَ - رضى الله تعالى عنه - أراد أنْ يذبحَ الحمامَ ثمَّ قال :
« لولا أنَّها أُمَّةٌ من الأممِ لَأَمَرْتُ بِذَبْحِهنَّ »^(٣) ، ولكنَّ قُصُوهنَّ . [فدلَّ بقوله :
قُصُوهنَّ] على أنَّها إنما تَذْبَحُ لرغبة^(٤) مَنْ يَتَّخِذهنَّ ، ويلعبُ بهنَّ من
الفتيانِ والأحداثِ والشُّطَّارِ^(٥) ، وأصحابِ المراهنة والقمار ، والذين

(١) ل : « ذلك » ، وهو تحريف . والمراد بالإكثار التزيد والمبالغة .

(٢) كذا في ل . وفي ط ، س : « أعشها » وانظر التنبيه رقم ٣

ص ١٨١ .

(٣) ط ، س : « بذبحها » ، وأثبت ما في ل .

(٤) ل : « لسورة » ! .

(٥) الشطار : جمع شاطر ، وهو الذى أعيا أهله ومؤدبه خبثا ، وشر عن الطريق

السوى : أى عدل عنه . وفى ل فقط : « السطار » وهو تصحيف . واللعب بالحمام

التسابق به ، على نحو مايفعل بالخيول . انظر صورة من ذلك فى أخبار

الظراف ص ٣٨ .

يَتَشَرَّفُونَ^(١) عَلَى حُرْمِ النَّاسِ وَالْجِيرَانِ ، وَيَخْتَدِعُونَ^(٢) بِفِرَاحِ الْحَمَامِ أَوْلَادِ النَّاسِ ، وَيَرْمُونَ بِالْجَلَاهِقِ^(٣) وَمَا أَكْثَرَ مَنْ قَدْ فَقَّأَ عَيْنًا وَهَشَّمَ أَنْفًا ، وَهَشَّمَ فَهًّا ، وَهُوَ لَا يَدْرِي مَا يَصْنَعُ ، وَلَا يَقِفُ عَلَى مَقْدَارِ مَا رَكِبَ بِهِ الْقَوْمَ . ثُمَّ تَذْهَبُ^(٤) جِنَايَتُهُ هَدْرًا ؛ وَيَعُودُ ذَلِكَ الدَّمُّ مَطْلُولًا بِلَا عَقْلٍ وَلَا قَوْدٍ وَلَا قِصَاصٍ وَلَا أَرْشٍ^(٥) ؛ إِذَا كَانَ صَاحِبُهُ مَجْهُولًا .

وَعَلَى شَبِيهِ بِذَلِكَ كَانَ عَمْرٌ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - أَمْرٌ يَذْبَحُ الدِّيَكَةَ^(٦) وَأَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِقَتْلِ الْكِلَابِ .

قَالُوا : فَبِمَا ذَكَرْنَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ أَكْلَ لَحُومِ الْكِلَابِ لَمْ يَكُنْ مِنْ دِينِهِمْ وَلَا أَخْلَاقِهِمْ ، وَلَا مِنْ دَوَاعِي^(٧) شَهَوَاتِهِمْ . وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمَا جَاءَ الْأَمْرُ عَنِ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ - رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا يَذْبَحُ الدِّيَكَةَ وَالْحَمَامَ ، وَقَتْلُ الْكِلَابِ . [وَلَوْلَا أَنَّ الْأَمْرَ عَلَى مَا قُلْنَا ، لَقَالُوا : اقْتُلُوا الدُّبُوكَ وَالْحَمَامَ كَمَا قَالَ : اقْتُلُوا الْكِلَابَ] . وَفِي تَفْرِيفِهِمْ بَيْنَهَا دَلِيلٌ عَلَى اقْتِرَاقِ الْحَالَاتِ عِنْدَهُمْ .

(١) التَّشَرَّفَ : التَّطَلَّعَ . وَفِي ط فَقَطْ : « يَشْرَفُونَ » مِنْ الْإِشْرَافِ : أَيْ الْإِطْلَاعِ . وَمَا أَثْبَتَ أَقْرَبَ وَأَشْبَهَ .

(٢) ط ، س : « وَيَخْتَدِعُونَ » .

(٣) الْجَلَاهِقُ : هُوَ الطَّيْنُ الْمَدُورُ الْمَدْمَقُ ، يَرَى بِهِ عَنِ الْقَوْسِ ، فَارِسِي ، أَصْلُهُ جَلَاهَهُ . الْجَوَالِيْقُ ٤٢ .

(٤) كَذَا فِي ل . وَفِي ط ، س : « ذَهَبَتْ » .

(٥) الْعَقْلُ : الدِّيَةُ . وَالْقَوْدُ ، بِالتَّحْرِيكِ ، بِمَعْنَى الْقِصَاصِ ، وَهُوَ قَتْلُ النَّفْسِ بِالنَّفْسِ . وَالْأَرْشُ : دِيَةُ الْجَرَاحَاتِ .

(٦) كَذَا فِي ل . وَكَمَا سَبَقَ فِي الْجُزْءِ الْأَوَّلِ ص ٢٩٦ س : ١١ ، ١٦ . وَفِي ط ، س :

« أَرَادَ عَمْرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ يَذْبَحَ الدِّيَكَةَ » .

(٧) ط ، س : « وَلَا كَانَ فِي دَوَاعِي » .

قال : حدثني أسامة بن زيد^(١) ، وإبراهيم بن أبي يحيى ، أن عثمان شكوا إليه الحمام ، وأنه قال : « مَنْ أَخَذَ مِنْهُمْ شَيْئاً فَهُوَ لَهُ » . وقد علمنا أن اللفظ وإن كان قد وقع على شكاية الحمام ، فإن المعنى إنما هو على شكاية أصحاب الحمام ؛ لأنه ليس في الحمام معنى يدعو إلى شكاية^(٢) .

قال : وحدثنا عثمان قال : سئل الحسن عن الحمام الذي يصطاده الناس ، قال : لا تأكله ، فإنه من أموال الناس ! فجعله مالا ، ونهى عن أكله بغير إذن أهله . وكل ما كان مالا فبيعه حسن وابتاعه حسن . فكيف يجوز لشئ هذه صفة أن يُذبح ، إلا أن يكون ذلك على طريق العقاب والزجر لمن اتخذه لما لا يحل !!

قال : ورووا عن الزهري عن سعيد بن المسيب قال : نهى عثمان عن اللعب بالحمام^(٣) ، وعن رمي الجلاهق . فهذا يدل على ما قلنا .

(أمن حمام مكة وغز لانها)

والناس يقولون : « آمَنُ مِنْ حَمَامِ مَكَّةَ » ، ومن غز لان مكة . وهذا شائع على جميع الألسنة ، لا يراد ذلك أحد ممن يعرف الأمثال والشواهد . قال عتبة الأسدي^(٤) لابن الزبير :

(١) ل : « بدر » .

(٢) ط : « شكايته » .

(٣) ل : « عن ذكر الحمام » وهو تحريف . انظر ص ١٩٠ .

(٤) عتبة بن هبيرة الأسدي : شاعر جاهلي إسلامي . المولى ١٤٩ . وانظر الأغاني ١٨ : ١٢٨ . وفي الأصل : « عتبة » ، تحريف .

ما زلتَ مذ حَجَجَ بِمَكَّةَ مُحَرَّمًا^(١) فِي حَيْثُ يَأْمَنُ طَائِرٌ وَحَامٌ
فَلَتَنْهَضَنَّ الْعَيْسُ تَنْفُخُ فِي الْبُرَا يَحْتَبِنَ عَرُضَ نَحَارِمِ الْأَعْلَامِ^(٢)
أَبْنُو الْمَغِيرَةِ مِثْلُ آلِ خُوَيْلِدٍ ؟ ! يَا لَلرَّجَالِ لِحَلْفَةِ الْأَحْلَامِ^(٣) !
وَقَالَ النَّابِغَةُ فِي الْغَزْلَانِ وَأَمْنِهَا ، كَقَوْلِ جَمِيعِ الشُّعْرَاءِ فِي الْحَامِ :
لَا وَالَّذِي آمَنَ الْغَزْلَانِ تَمَسَّحُهَا رُكْبَانُ مَكَّةَ بَيْنَ الْغَيْلِ وَالسَّعْدِ^(٤)
وَلَوْ أَنَّ الطُّبَاءَ ابْتُلِيتَ بِمَنْ يَتَّخِذُهَا بِمِثْلِ^(٥) الَّذِي ابْتُلِيتَ بِهِ الْحَامِ
ثُمَّ رَكَبُوا الْمُسْلِمِينَ فِي الْغَزْلَانِ بِمِثْلِ مَا رَكَبُوهُمْ بِهِ فِي الْحَامِ ، لَسَارَوْا فِي ذَبْحِ
الْغَزْلَانِ كَسِيرَتِهِمْ فِي ذَبْحِ الْحَامِ .

وَقَالُوا : إِنَّهُ لَيُبْلَغُ مَنْ تَعْظِيمُ الْحَامِ حُرْمَةَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ ، أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ
يَشْهَدُونَ عَنْ آخِرِهِمْ أَنَّهُمْ لَمْ يَرَوْا حَامًا قَطُّ مَقْطُوعًا عَلَى ظَهْرِ الْكَعْبَةِ ، إِلَّا مِنْ

(١) كَذَا فِي ل ، وَهُوَ الْوَجْهَ . . وَفِي ط ، س : « مَلْحَدًا » ، مِنْ الْإِلْحَادِ بِمَعْنَى
الظُّلْمِ فِي الْحَرَمِ . وَلَا يَصِحُّ لِأَنَّ الشَّعْرَ مَدْحٌ . وَقَدْ أَشَارَ عَقِبَةُ إِلَى مَا كَانَ مِنْ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّيْبِرِ فِي مَكَّةَ ، حَيْثُ بَوَّعَ لَهُ بِمَكَّةَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَسِتِّينَ ، وَخَلَعَ يَزِيدُ
ابْنَ مَعَاوِيَةَ ، وَأَقَامَ بِهَا تِسْعَ سِنِينَ وَقَتْلَ فِي خِلَافَةِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ عَلَى يَدِ الْحُجَّاجِ
بِمَكَّةَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ . انْظُرْ تَارِيخَ الْإِسْخَاقِ ص ٥١ .

(٢) الْعَيْسُ ، الْإِبِلُ الْبَيْضُ يَخَالِطُ بَيَاضَهَا شُقْرَةً . وَالْبُرَا : جَمْعُ بَرَةٍ ، كَثِيبَةٌ ، وَهِيَ
الْحَلِيقَةُ فِي أَنْفِ الْبَعِيرِ . يَحْتَبِنُ : يَقْطَعُنُ . وَالنَّحَارِمُ : الطَّرِيقُ فِي الْأَرْضِ الْغَلِيظَةِ .
س : « تَحْتَبِنُ عَرُضَ نَحَارِجٍ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٣) بَنُو الْمَغِيرَةِ هُمُ بَنُو مَرْوَانَ ؛ لِأَنَّ أُمَّهُمْ عَائِشَةُ بِنْتُ مَعَاوِيَةَ بِنْتُ الْمَغِيرَةِ بْنِ أَبِي الْعَاصِ
ابْنِ أُمَيَّةَ . انْظُرْ الْإِصَابَةَ ٧٠٩ مِنْ قِسْمِ النِّسَاءِ ، وَالْعَقْدَ ٣ : ١٤٨ . وَآلُ خُوَيْلِدٍ
هُمُ بَنُو الزَّيْبِرِ ، وَهُوَ الزَّيْبِرُ بْنُ الْعَوَامِ بْنِ خُوَيْلِدٍ بْنِ أَسَدَ بْنِ عَبْدِ الْعَزَى . انْظُرْ
الْمَعَارِفَ ٩٦ .

(٤) ط ، س : « وَالْمُؤْمِنُ الْعَائِذَاتِ الطَّيْرِ » ، وَمَا أُثْبِتَ مِنْ ل هُوَ الْوَجْهَ ؛ لَمَّا سَبَقَ
مِنْ السِّكَاكِ . وَالْغَيْلُ ، بِالْكَسْرِ ، وَالسَّعْدُ ، بِالتَّحْرِيكِ : أَجْمَانُ كَانَتَا بَيْنَ مَكَّةَ
وَمِنَى . شَرَحَ الْمُعَلِّقَاتُ لِلتَّبْرِيزِيِّ ٣٠٠ .

(٥) كَذَا فِي ل . وَفِي ط ، س : « بِمَنْ يَتَّخِذُهَا مِثْلًا » .

عِلَّةٌ عَرَضَتْ لَهُ . فَإِنْ ^(١) كَانَتْ هَذِهِ الْمَعْرِفَةُ اِكْتِسَاباً مِنَ الْحَمَامِ فَالْحَمَامُ فَوْقَ
جَمِيعِ الطَّيْرِ وَكُلِّ ذِي أَرْبَعٍ . وَإِنْ كَانَ هَذَا إِتِمَاماً كَانَ [مِنْ] طَرِيقِ الْإِلْهَامِ ،
فَلَيْسَ مَا يُلْهِمُهُمْ كَمَا لَا يُلْهِمَهُمْ .

وَقَالَ الشَّاعِرُ ^(٢) فِي أَمْنِ الْحَمَامِ :

لَقَدْ عَلِمَ الْقَبَائِلُ أَنَّ بَيْتِي تَفَرَّعَ فِي الذَّوَائِبِ وَالسَّنَامِ
وَأَذَا نَحْنُ أَوَّلُ مَنْ تَبَنَّى بِمَكَّتَها الْبُيُوتَ مَعَ الْحَمَامِ ^(٣)
وَقَالَ كَثِيرٌ - أَوْ غَيْرُهُ مِنْ ^(٤) بَنِي سَهْمٍ - فِي أَمْنِ الْحَمَامِ :

لَعَنَّ اللَّهُ مَنْ يَسُبُّ عَلِيًّا وَحُسَيْنًا مِنْ سُوقَةٍ وَإِمَامٍ
أَيَسَّبُ الْمُطِيبُونَ جَدُودًا ^(٥) وَالْكَرَامُ الْأَخْوَالِ وَالْأَعْمَامِ
يَأْمَنُ الظُّبَى ^(٦) وَالْحَمَامُ وَلَا يَأْمَنُ آلُ الرَّسُولِ عِنْدَ الْمَقَامِ !!
رَحْمَةُ اللَّهِ وَالسَّلَامُ عَلَيْهِمْ كَلِمَا قَامَ قَائِمٌ بِسَلَامٍ ^(٧)

(١) ط : « فإذا » .

(٢) هو الزبير بن عبد المطلب ، كما في المؤتلف ١٣٠ - ١٣١ .

(٣) في المؤتلف : « بمككتنا » . وفي الأصل : « من الحمام » ، صوابه في المؤتلف .

(٤) ط ، س : « في » وتصحيحه من ل . والسهمى هذا ، هو عبد الله بن كثير السهمى ، قال الجاحظ في البيان ٣ : ٣٥٩ : « وقال عبد الله بن كثير السهمى وكان يتشيع لولادة كانت نالته ، وسمع عمال خالد بن عبد الله القسرى يلعنون علياً والحسن والحسين على المنابر » . وأنشد الشعر الآتى . أو هو كثير ابن كثير السهمى كما في معجم المرزبانى ٣٤٨ ، قالها لما كتب هشام بن عبد الملك إلى عامله بالمدينة أن يأخذ الناس بسب على .

(٥) المطيبون : المطهرون . في ل : « أيسب المطيبين » ، وفي المعجم « أنسب المطيبين » ولكل منهما وجه . وبعد هذا البيت في المعجم وبعد البيت الذى يليه في البيان :

طبت بيتنا وطاب بيتك بيتاً أهل بيت النبى والإسلام

(٦) ط فقط : « الطير » ، والصواب ما أثبت من ل ، س والبيان .

(٧) ط س ، : « الإسلام » ، وهى رواية محرفة عما أثبت من ل والبيان والمعجم .

وذكر شأن ابن الزبير وشأن ابن الحنفية^(١) ، فقال :

ومن يرَ هذا الشيخَ يا خليفَ من مِنى^(٢)

مِنَ النَّاسِ يَعْلَمُ أَنَّهُ غَيْرُ ظَالِمٍ

سَمِيَ النَّبِيُّ الْمُصْطَفَى وَابْنُ عَمِّهِ^(٣) وَفَكَأَنَّ أَغْلَالَ وَنَفَاعُ غَارِمٍ.

أَبَى فَهُوَ لَا يَشْرِي هُدًى بِضَلَالَةٍ وَلَا يَتَّقِي فِي اللَّهِ لَوْمَةً لِأُمِّهِ.

وَنَحْنُ بِحَمْدِ اللَّهِ نَتْلُو كِتَابَهُ حُلُولاً بِهَذَا الْخَيْفِ خَيْفِ الْحَارِمِ^(٤)

بِحَيْثُ الْحَمَامُ آمَنَاتٌ سِوَاكُنَّ وَتَلْقَى الْعَدُوَّ كَالْوَلِيِّ الْمَسْلَمِ.

(حماسة نوح)

قال صاحب الحمام : أمّا العرب والأعرابُ والشُّعراء ، فقد أطبقوا على

أنَّ الحَمَامَةَ هِيَ الَّتِي كَانَتْ دَلِيلَ نُوْحٍ وَرَأَيْدَهُ^(٥) ، وَهِيَ الَّتِي اسْتَجَعَلَتْ^(٦)

(١) ابن الحنفية ، هو محمد بن علي بن أبي طالب ، وهو أخو الحسن والحسين ابني علي
بيد أن والدة هذين هي فاطمة الزهراء ، وأم ذاك هي خولة بنت جعفر الحنفية ،
فنسب إليها تمييزاً له . كان ابن الحنفية أحد أبطال صدر الإسلام ، وكان ورعاً
واسع العلم . وكان المختار الثقفي يدعو الناس إلى إمامته ، ويزعم أنه المهدي ،
وكانت الكيسانية تزعم أنه لم يمت وأنه مقيم برضوى . ولد بالمدينة سنة ٢١
وتوفي سنة ٨١ . وفيات الأعيان (١ : ٤٤٩) وطبقات ابن سعد (٥ : ٦٦) .

(٢) الخيف بالفتح : ناحية من منى . ومنى : بليدة على فرسخ من مكة .

(٣) ليس ابن الحنفية ابن عم الرسول لحا ، بل هو ابن ابن عمه . والعرب يتجوزون
في مثل ذلك .

(٤) ط فقط : « المحارم » ، وهو تصحيف .

(٥) قالوا : أرسلها لتكشف موضعاً في الأرض يصلح مرفأً للسفينة . انظر الحيوان

(٢ : ٣٢١) .

(٦) استجعلت : طلبت الجمالة — كسحابة — وهي الرشوة . والرشوة : العطاء في
مقابل نفع .

عليه الطَّوْقَ الذى فى عنقها ، وعند ذلك أعطاه الله تعالى تلك الحليّة ؛
ومنحها تلك الزيّنة ، بدعاء نوح عليه السلام ، حين رجعت إليه ومعها من
السكرم ما معها ، وفى رجلها من الطّين والحماة ما برجلها ، فعوّضت من
ذلك الطّين خضاب الرّجلين ، ومن حُسن الدّلالة والطّاعة طَوْقَ العنق .

(شعر فى طوق الحمامة)

وفى طوقها يقول الفرزدق (١) :

فمن يكُ خائفاً لأذّة (٢) شعري فقد أمِنَ الهِجاءَ بنو حَرامٍ -
هم قادُوا (٣) سفيهِهم وخافُوا قلائدَ مثلَ أطواقِ الحَمامِ -
وقال فى ذلك بَسكرُ بن النّطّاح (٤) :

(١) يقول هذا الشعر فى رجل من بنى حرام ، كان قد هجا الفرزدق، فخشى قومه من لسان
الفرزدق فجاءوا به يقودونه إليه ، فقال البيتين . انظر العمدة (١ : ٣٨) .
والبيتان لم أجدهما فى الديوان ، وقد أثبتهما الثعالبي فى الثمار ٣٦٨ .

(٢) الأذّة : الأذى ، وفى ط فقط : « لأذات » محرّفة .

(٣) ط : « قادروا » ، وتصحيحه من ل ، س ، والعمدة . وبدلها فى الثمار :
« منوا » .

(٤) بكر بن النطاح : شاعر كان فى زمن هارون الرشيد ، وهو بصرى نزل بغداد ،
وكان يعاشر أبا المعاهية وأضرابه . وكان أبو هفان يقول : أشعر أهل الغزل من
المحدثين أربعة أولهم بكر بن النطاح . تاريخ بغداد ٥٣٢٦ . قلت : وبكر
صاحب المقطعة الرقيقة التى تغنيها فى عصرنا هذا زعيمة الغناء أم كلثوم .
وأول هذه المقطعة :

أكذب نفسى عنك فى كل ماأرى وأسمع أذى منك ما ليس تسمع
وهى صوت من أصوات الأغاني (١٧ : ١٥٣) .

إِذَا شُدْتُ غُنْتَنِي بَبْغَدَادَ قَيْنَةَ وَإِنْ شُدْتُ غُنْتَانِي الْحَمَامُ الْمَطَوَّقَ
لِبَاسِي الْحَسَامُ أَوْ إِزَارُ مُعَصْفَرٌ وَدِرْعُ حَدِيدٍ أَوْ قَيْصُ مَخْلَقٍ^(١)
فذكر الطوق ، ووصفها بالغناء والإطراب . وكذلك قال حميد بن ثور :
رَقُودُ الضُّحَى لَا تَعْرِفُ الْجِيرَةَ^(٢) الْقَصَا^(٣)

وَلَا الْجِيرَةَ الْأُدْنِينَ إِلَّا تَجَشُّمًا^(٤)
وَلَيْسَتْ مِنَ اللَّائِي يَكُونُ حَدِيثُهَا أَمَامَ بَيوتِ الْحَيِّ إِنْ وَلَّيْنَا
ثُمَّ قَالَ :

وَمَا هَاجَ هَذَا الشُّوقَ إِلَّا حَمَامَةٌ دَعَتْ سَاقَ حُرٍّ تَرَحُّةً وَتَرَثَّمَا^(٥)

٦١

(١) يقول : هو يلبس الحسام والدرع الحديد في حال الحرب ، والإزار المعصفر والقيص المخلق في حال السلم . المخلق : المطيب بالخلوق ، وهو بفتح الخاء : ضرب من الطيب .

(٢) الجيرة : جمع جار ، مثل قاع وقبة . وهم يمدحون المرأة الكريمة الخفيرة بعدم زيارتها لجاتها أو ندرة ذلك . قال أبو قيس بن الأسلت :

ويكرمها جاراتها فيزرنها وتعتل عن إتيانهم فتعذر

وليس لها أن تستبين بجماعة ولكنها منهن تحيا وتخفر

وهذان خير ما قيل في امرأة خفيرة . الأغاني (٩٥ : ١٥٩) . ل : « الجيزة » تصحيف .

(٣) القصا : جمع قصوى ، وهي البعيدة . وقد رسمت في ل : « القصى » وهي كتابة جائزة ، فإكان من المقصور ثلاثيا وكان أوله مكسوراً أو مضموماً ، جاز أن يكتب بالياء ، وإن كان أصله الواو ، كما هنا . انظر المقصور ص ٦٠ .

(٤) يقال : تجشم الأمر : إذا حل نفسه عليه وتكلفه . وفي ل : « تجشما » وهو تصحيف .

(٥) ساق حر : ذكر القمارى ، أو هو صوت الحمام . وروى في ل وكذا اللسان (حرر) : « في حمام نرنا » وأثبت ما في ط ، س ، وكذا الكامل ٥٠٣ ليسك وزهر الآداب (١ : ٢٠٢) ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٦) وأدب السكاك ٢٣ ونثار الأزهار ٧٨ والخزانة (٤ : ٢٩٩ بولاق) . والترحة : ضد الفرحة .

مطوّقة خطباء^(١) تصدّح كلما دنا الصّيفُ وانجاب الربيعُ فأنجبا^(٢)

ثمّ قال بعد ذكر الطوق :

إذا شئتُ غنّني بأجزاءٍ بيّشةٍ أو النّخلِ من تّثليثٍ أو بيلملم^(٣)

عجبتُ لها ، أنّي يكونُ غناؤها فصيحاً ولم تَفْغَرْ بمنطقتها فإ

ولم أرَ محزوناً لهُ مثلُ صوتِها ولا عريباً شاقه صوتُ أعجبا

وقال في ذكر الطّوق - وأنّ الحماة نواحة - عبدُ الله بن أبي بكر^(٤)

وهو شهيد يوم الطائف^(٥) ، وهو صاحبُ ابن صاحب^(٦) :

(١) الخطباء : التي فيها خطبة ، أي سواد وبياض . وفي س فقط : « خضباء » أي حمرة الساقين ، ويعزز هذه ما ورد في الصفحة ١٩٦ س ٤ . وهي رواية العقد (٤ : ٢٨) .

(٢) انجاب الربيع : ذهب . وفي ل « وانزال » وهي صحيحة ، يقال : انزال عنه : فارقه . وأنجم : أطلع وولى . وفي س : « بأنجا » تحريف .

(٣) الأجزاء : جمع جزع بالكسر ، وهو منحى الوادى . وبيّشة ، بالكسر : بلد جنوبي مكة على خمس مراحل منها . وتثليث : بلد قريب من مكة . ويللم : موضع على ليلتين جنوبي مكة . ويقال له أيضاً « ألم » و « يرمرم » . وجاء في ل : « بينمنا » ولم أر هذه اللغة . وفي س : « يتلملم » وهي تحريف .

(٤) هو عبد الله بن أبي بكر الصديق ، كان عبد الله يحضر إلى رسول الله وأبي بكر وهما في الغار ومعه أخبار قریش فيبيت عندهما ويخرج من السحر فيصبح مع قریش . وشهد فتح مكة ، وحنينا والطائف حيث أصابه حجر في حصارها ، فأت شهيدا في خلافة أبيه في شوال سنة ١١ . قالوا : وترك سبعة دنانير فاستكرها أبو بكر . المعارف ٧٥ والإصابة ٤٥٥٩ .

(٥) غزوة الطائف كانت إثر غزوة حنين في السنة الثامنة من الهجرة . لما انهزمت ثقيف في غزوة حنين سار إليهم الرسول وحاصروهم بالطائف نيفا وعشرين يوما ثم انصرف عنهم . وفي الأصل : « يوم الطف » وليس يصح ذلك ؛ فإن هذا اليوم كان في سنة ٦١ من الهجرة وهو اليوم الذي قتل فيه الحسين بن علي بعد وفاة عبد الله بنحو خمسين سنة . وانظر التنبيه السابق وعيون الأخبار ٤ : ١١٤ .

(٦) هذه العبارة ساقطة من ل .

فلم أرَ مثلى طَلَّقَ اليومَ مثلها ولا مثْلها في غيرِ جِرمٍ تَطْلُقُ^(١)
أعانتُ لا أنْساكَ ما هَبَّتِ الصُّبَا وما نأحَ قُمْرِي الحِمامِ المطوَّقُ
وقال جَهْمُ بن خَلَفٍ ، وذكرها بالتَّورح ، والغناء ، والطَّوقِ ، ودعوة
نوح ؛ وهو قَوْلُهُ :

وقد شاقني نَوْحُ قُمْرِيَّةٍ طُرُوبِ العَشِيِّ هتوفِ الضُّحَى
من الورقِ نَوَّاحٍ باكرتَ عَسِيبَ أَشْأٍ بذاتِ الغُصَا^(٢)
تَغَنَّتْ^(٣) عَلَيْهِ بلحنٍ لها يُهَيِّجُ للصَّبِّ ما قد مَضَى
مطوَّقَةٍ كُسِيتْ زِينَةٌ بدعوةِ نوحٍ لها إذ دَعَا^(٤)
فلم أرَ باكِيةً مثلها تَبْكِي ودَمْعَتها لا تُرَى^(٥)
أضَلَّتْ قُرَيْحًا فَطَافَتْ لَهُ^(٦) وقد عَلِقَتْه حبالُ الرَّدَى
فلما بدا اليأسُ منه بَكَتْ عَلَيْهِ ، وما ذا يَرُدُّ البُسْكا
وقد صادَهُ ضَرْمٌ مُلْحِمٌ خفوقُ الجِناحِ حَثِيثُ النَّجَا^(٧)

- (١) يشير بذلك إلى زوجه ، عائكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل ، تزوجها وكانت حسناء جميلة فأولع بها وشغلتها عن مغازيه ، فأمره أبوه بطلاقها ، ففعل ثم تبعها نفسه وقال هذين البيتين ، فرق له أبوه وأذن له فارتجعها . الإصابة ٦٩٢ قسم النساء ، والعقد ٤ : ١٧٥ - وقد عقد بابا لمن طلق امرأته ثم تبعها نفسه - وتبعه الراغب الأصفهاني في المحاضرات (٢ : ٩٩) . وانظر أخبار الظراف ٢٠ والمستطرف (٢ : ٢٢١ ، ٢٢٨) ، وعيون الأخبار (٤ : ١١٤) .
- (٢) الأشاء : صفار النخل ، أوعامته . والعسيب : الذي لم ينبت عليه الخوص من السعف .
- (٣) ل : « فغنت » ، وما أثبت أجزل .
- (٤) انظر لهذا المعنى ص ١٩٦ س ٢ .
- (٥) هذا البيت أثبت في ط بعد البيت الآتي . والوجه ما كتبت من ل ، س .
- (٦) أضلته : فقدته . ل : « فطافت به » أى من أجله أيضا .
- (٧) الضرم : الشديد الجوع . والملمح ، بكسر الحاء : الذي يطعم صاحبه لحم الصيد ، ويفتح الحاء : الذي يطعم اللحم ، بالبناء للمفعول . والحثيث النجا : السريع الطيران . وقد غنى به البازي أو الصقر .

حَدِيدُ الْمَسْخَالِبِ عَارِي الْوَظِيهِ فِ ضَارٍ مِنَ الْوَرَقِ فِيهِ قَنَا^(١)
تَرَى الطَّيْرَ وَالْوَحْشَ مِنْ خَوْفِهِ جَوَامِزَ^(٢) مِنْهُ إِذَا مَا اغْتَدَى

(نزاع صاحب الديك في الفخر بالطوق)

قال صاحب الديك : وأما قوله :

مَطْوَقَةٌ كَسَاهَا اللَّهُ طَوْقًا وَلَمْ يُخْصُصْ بِهِ^(٣) طَيْرًا سِوَاهَا
كَيْفَ لَمْ يُخْصُصْ بِالْأَطْوَاقِ^(٤) غَيْرَ الْحَمَامِ ، وَالتَّادِرِجِ أَحَقُّ بِالْأَطْوَاقِ ٦٢
وَأَحْسَنُ أَطْوَاقًا مِنْهَا ، وَهِيَ فِي ذُكُورَتِهَا أَعَمُّ ؟ ! وَعَلَى أَنَّهُ لَمْ يَصِفْ بِالطَّوْقِ
الْحَمَامَةَ الَّتِي فَاخَرْتُمْ بِهَا الدِّيكَ ؛ لِأَنَّ الْحَمَامَةَ لَيْسَتْ بِمَطْوَقَةٍ ، وَإِنَّمَا الْأَطْوَاقُ
لِلذُكُورِ^(٥) الْوَارِشِينَ [وَأَشْبَاهُ الْوَارِشِينَ ، مِنْ] نَوَاحِ الطَّيْرِ وَهَوَاتِفِهَا
وَمَغْنِيَاتِهَا . وَلِلذَلِكَ قَالَ شَاعِرُكُمْ ، حَيْثُ يَقُولُ^(٦) :

(١) الورق : جمع أ ورق ، وهو ما في لونه بياض إلى سواد . وفي ل : « الزرق »
ومما جاء في وصف الصقر بالزرق قول ذي الرمة :

نظرت كما جلى على رأس رهوة من الطير أفى ينفض الطال أزرق

والقنا : نتو وسط قصبة الأنف وضيق المنخرين ، وهذا في القرمس عيب ،
وفي الصقر والبازي مدح . س : « قشا » تحريف .

(٢) جوامز : من جزم إذا عدا .

(٣) في الأصل : « بها » والضمير عائد إلى الطوق .

(٤) ل : « بالطوق » .

(٥) ط ، س : « للذكورة » وصوابه في ل .

(٦) الشعر لعبد الله بن أبي بكر كما سبق في ص ١٩٩ .

أَعَاتَكَ لَا أُنْسَاكَ مَا هَبَّتِ الصَّبَا وَما نَاحَ قُرَى الْحَمَامِ الْمَطُوقُ^(١)
وقال الآخر^(٢) :

وقد شاقني نوحَ قَرِيَّةٍ طُروبِ العَشِيِّ هَتُوفِ الضُّحَى
ووصفها فقال :

مَطُوقَةٌ كُسَيْتٌ زِينَةٌ بَدَعُوهُ نُوْحٌ لَهَا إِذْ دَعَا
فَإِنْ زَعَمْتَ أَنَّ الْحَمَامَ وَالْقَمْرِيَّ وَالْيَمَامَ وَالْفَوَاحِشَ وَالِدَّبَاسِيَّ^(٣) وَالشَّفَانِينَ
وَالْوَرَاشِينَ حَامٌّ كُلُّهُ ، قُلْنَا : إِنَّا نَزَعِمُ أَنَّ ذِكُورَةَ التَّدَارِجِ وَذِكُورَةَ
الْقَبَجِ ، وَذِكُورَةَ الْحَجَلِ دِيوْكُ كُلِّهَا . فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ ، فَالْفَخْرُ
بِالطُّوقِ نَحْنُ^(٤) أَوْلَى بِهِ .

قال صاحب الحمام : العرب تسمي هذه الأجناسَ كلها حماماً ،
فيجمعونها بالاسم العام ، وفرّقوها بالاسم الخاص ، ورأينا صُورَهَا متشابهة^(٥)
وإن كانَ في الأجسامِ بعضُ الاختلافِ ، وفي الجُثثِ بعضُ الائتلافِ^(٦)
وكذلك المناقير . ووجدناها تتشابه^(٧) من طريق الزواج ، ومن طريق

(١) بدل هذا الشطر الأخير في كل من ط ، س كلمة : « البيتين » .

(٢) هو جهم بن خلف كما سبق في ص ١٩٩ . ل : « ثم قال الآخر » .

(٣) الدباسي : جمع دبسي بفتح الدال أو ضمها ، وهو من أنواع الحمام الوحشي
ط ، س : « الديسي » ل : « الدبسي » والوجه فيه ما كتبت .

(٤) ل : « ونحن » .

(٥) هذه الجملة ساقطة من ل .

(٦) كذا في ل . وفي ط ، س : « وفي الجثث كذلك » .

(٧) ط فقط : « تشابه » بحذف التاء الأولى .

الدُّعاء والغناء والنَّوح ، وكذلك هي في القُدودِ وصُورِ الأعناق ، وقصب
الريش ، وصِیْغَة ^(١) الرُّعوس والأرجل والسُّوق والبرَّاثِن ^(٢) . والأجناسُ
التي عدتُم ليس يجمعها اسمٌ ولا بلدةٌ ، ولا صورةٌ ولا زواج . وليس بين
الدِّيَكَة وبينَ تلك الذُّكُورِ نسبٌ إلَّا أنَّها من الطَّيرِ الموصوفة ^(٣) بكثرةِ
السَّفاد ، وأنَّ فراخها وفرارِيجها تخرُج من بيضها كاسية [كاسية] . والبَطُّ
طائرٌ مثقل ، وقد ينبغي أن تجعلوا فرخَ البطة فرُّوجاً ، والأنثى دجاجةٌ
والذَّكَرَ ديكاً ، ونحنُ نجدُ الحِمَامَ ، ونجدُ الوراشين ، تتسافد وتتلاقح ،
[ويحيى منها الرابعيُّ والوردانيُّ ؛ ونجدُ الفَوَاحِشَ والقَهَّارِيَّ تتسافد وتتلاقح] ،
مع ما ذكرنا من التشابهِ في تلك الوجوه . وهذا كُلُّهُ يدلُّ على أنَّ بعضها
من بعضٍ كالْبُخْتِ والعَرابِ ونتائج ما بينهما ^(٤) ، وكالبراذين والعِتاق ،
وكُلها خيلٌ ، وتلك كلها إبل . وليس بين التَّدارج والقَبَجِ والحَجَلِ
والدَّجاجِ هذه الأمورُ التي ذكرنا .

وعلى أنَّنا قد وجدنا الأَطواقَ عامَّةً في ذواتِ الأَوْضاحِ مِنَ الحِمَامِ ،
لأنَّ فيها من الألوان ، ولها من الشَّيَاتِ وأشكالِ [و] ^(٥) ألوانِ الريشِ
ما ليس لغيرها من الطَّيرِ . وَلَوْ احتَجَجْنَا بالتَّسافِدِ دونَ التَّلَاقِحِ ، لكان
لِقائِلِ مقال ، ولكُنَّا وجدناها تجمع ^(٦) الخِصْلَتين ، لأنَّنا قد نجدُ سُفْهَاءَ

(١) الصيغة ، بالكسر : الهيئة والخلقة . وفي ط ، س : « وصفة » .

(٢) البراثن : جمع برثن ، وهو بمنزلة الإصبع من الإنسان .

(٣) ل : « الموصوف » .

(٤) ل : « ونتائج بينها » تحريف .

(٥) هذا الحرف ليس بالأصل .

(٦) كذا في ل . وفي ط ، س : « وجدنا ما يجمع » .

النَّاسَ ، ومن لا يتقَدَّرُ^(١) من الناس والأحداث^(٢) ومن تشتدُّ غلمته عند احتلامه ، ويَقِلُّ طُرُوقُه^(٣) ، وتطول عُرْبَتُه^(٤) ؛ كالمعزِب^(٥) من الرِّعَاءِ^(٦) فإنَّ هذه الطَّبَقَةَ من النَّاسِ ، لم يدَعُوا^(٧) نَاقَةً ، ولا بقرَةً ، ولا شاةً ، ولا أتاناً ، ولا رَمَكَةً ، ولا حِجْرًا ، ولا كلبَةً ، إلَّا وقد وقعوا عليها .

ولوَّلا أنَّ في نفوس النَّاسِ وشهواتهم ما يدعو إلى هذه القاذورة^(٨) ، لمَّا وجدتَ هذا العملَ شائعاً في أهل هذه الصِّفَةِ^(٩) ، ولوَّ جمعتهُم لجمعتَ أكثرَ من أهلِ بَغْدَادَ والبصرة . ثم لم يُلقَحْ واحد^(١٠) منهم شيئاً من هذه الأجناس على أنَّ بعض هذه الأجناس يتلقَى^(١١) ذلك بالشهوة المفرطة .

ولقد خبرني من إخواني من لا أتهمُ خبرَه أنَّ مملوكاً كان لبعض أهل القطيعة - أعنى قطيعة الربيع^(١٢) - وكان ذلك المملوكُ يَكُومُ بغلةً

(١) ل ، س : « يتقزز » ، ومعنيهما متقاربان .

(٢) ل : « من الأحداث » .

(٣) الطروق : مصدر طرق الفحل الأنثى . وفي الأصل : « تقل طروقه » والطروقة بالفتح : المرأة ، وبهذه يفسد المعنى .

(٤) العزبة ، بالضم : ألا يكون للمرأة أهل .

(٥) المعزب : الذي أبعد بماشيته .

(٦) الرعاء ، بضم الراء وكسر ها : جمع راع ، ومثله الرعاة . وبهذه الأخيرة جاءت الرواية في ل .

(٧) ط ، س : « لم يرعوا » ، وليست ترعى الكلبة .

(٨) القاذورة : الفعل القبيح .

(٩) ل : « في هذه الصِّفَةِ » ولعل صوابهما : « في هذه الطبقة » .

(١٠) ل : « أحد » .

(١١) على بمعنى مع . وفي ط ، س : « وعلى أنها تتلقى ذلك بالشهوة المفرطة » .

(١٢) القطيعة : ما يقطعه الأمير الناس من الأرض التي لملك لأحد عليها ، ولا عارة توجب ملكاً لأحد . ويظهر أن أول من توسع في هذا النظام في الإسلام هو الخليفة المنصور . معجم البلدان (قطيعة) . وقد تحدث الماوردي في الأحكام السلطانية (١٦٨ - ١٧٥) حديثاً مسهباً في هذا النظام . والربيع هذا هو الربيع بن يونس حاجب المنصور ومولاه ، وهو والد الفضل وزير المنصور ، وهذه القطيعة كانت بكرخ بغداد . معجم البلدان .

وَأَنَّهَا كَانَتْ تودق وتَلْمِظُ^(١) وَأَنَّهَا^(٢) فِي بَعْضِ تِلْكَ الْوَقَعَاتِ تَأْخَرُ
وَهُوَ مَوْعِبٌ فِيهَا ذِكْرَهُ تَطْلُبُ الزِّيَادَةَ ، فَلَمْ يَزَلِ الْمَمْلُوكُ يَتَأَخَّرُ وَتَتَأَخَّرُ الْبَغْلَةُ
حَتَّى أَسْنَدَتْهُ إِلَى زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَا الْإِصْطَبِلِ ، فَاضْغَطَتْهُ حَتَّى بَرَدَ^(٣) ، فَدَخَلَ
بَعْضُ مَنْ دَخَلَ فَرَأَاهُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ^(٤) فَصَاحَ بِهَا [فَتَنَحَّتْ] وَخَرَّ
الْغَلَامُ مَيِّتًا^(٥) .

وَأَخْبَرَنِي صَدِيقٌ لِي قَالَ : بَلَغَنِي عَنْ بَرْدُونَ لَزُرْقَانَ^(٦) الْمَتَكَلِّمُ ، أَنَّهُ
كَانَ يَدْرِيبُ^(٧) لِلْبَغَالِ وَالْحَمِيرِ وَالْبَرَاذِينَ حَتَّى تَكُومَهُ ، قَالَ : فَأَقْبَلْتُ يَوْمًا فِي ذَلِكَ
الْإِصْطَبِلِ ، فَتَنَاوَلْتُ الْمَجْرَفَةَ^(٨) ، فَوَضَعْتُ رَأْسَ عَوْدِ الْمَجْرَفَةِ^(٨) عَلَى

(١) تودق : تريد الفحل . ل : « تتودق » . تلمظ : تخرج لسانها كتلمظ الآكل .
ط س ، : « تلمظ » .

(٢) ط : « فإنها » ووجهه في ل ، س .

(٣) « اضغطته » بقلب تاء الافتعال ضادا ، شذوذ صرفي ، قياسه : اضغططته .
وحكى صاحب اللسان : « اضغطط » . قال : « والقياس اضغطط » . ولم أرها
إلا متعديّة بعلى . وبرد : مات .

(٤) ل : « فإذا هو على تلك الحال » .

(٥) ل : « فخر العبد ميتا » . خر : سقط .

(٦) زرقان هذا هو غلام إبراهيم بن سيار النظام وتلميذه ، واسمه محمد بن شداد بن عيسى ،
كما في معجم البلدان (المسامعة) . وقد حكى زرقان عن النظام أقوالا في الفرق ٥٠ - ٥١
وقد عده المسعودي في التنبيه والإشراف ٣٤٢ . ط ، س : « لوزقان » ل : « لذرقان »
وهو تحريف .

(٧) يدربخ لها : يطاوعها فيما تطلب منه ، وأصل ذلك في الحمام . وفي ط ، س :
« يشمع » ومؤداهما واحد .

(٨) المجرفة : المكينة وزنا ومعنى . ط ، س : « المجرفة » تصحيف
مافى ل .

مَرَّائِهِ^(١) وَإِنَّهُ لَأَكْثَرُ مِنْ ذِرَاعٍ وَنِصْفِ^(٢) ، وَإِنَّهُ لَخَشِنٌ غَلِيظٌ غَيْرَ
مَحْكُوكٍ [الرأس] وَلَا مُمْلَسَةٍ^(٣) ، فَدَفَعْتَهُ حَتَّى بَلَغَ أَقْصَى الْعُودِ ، وَامْتَنَعَ مِنَ
الدُّخُولِ بِيَدِنِ الْمِجْرَفَةِ . فَحَلَفَ أَنَّهُ مَا رَأَاهُ تَأْطَّرَ وَلَا انْتَنَى .
قال صاحب الحمام : فهذا فرق ما بيننا وبينكم .

(ما وُصِفَ بِهِ الْحَمَامُ مِنَ الْإِسْعَادِ وَحَسَنِ الْغِنَاءِ وَالنُّوحِ)

وَنَذَكَرُ^(٤) مَا وُصِفَ بِهِ الْحَمَامُ مِنَ الْإِسْعَادِ^(٥) ، وَمِنْ حُسْنِ الْغِنَاءِ وَالْإِطْرَابِ
وَالنُّوحِ وَالشَّجَا^(٦) . قال الحسن بن هانئ :
إِذَا ثَدَّتْهُ الْغُصُونُ جَلَلَنِي فَيَنْتَانُ مَا فِي أَدِيمِهِ جُوبٌ^(٧)

(١) الكلام من : « فوضعت » ساقط من ل . والمراث : مخرج الروث .

(٢) ط ، س : « وهو أكثر » الخ . وما أثبت من ل أشبهه بالكلام .

(٣) ط ، س : « ولا ملين » .

(٤) في الأصل : « وذكر » .

(٥) الإسعاد : المعاونة والمشاركة في البكاء والنوح . والعرب يعرفون ذلك من الحمام ، والشعر
الآقي وما بعده ناطق به . وفي الأصل : « الأشعار » وهو تحريف خفي ،
صوابه ما أثبت .

(٦) الشجا : التطريب . ل : « الشجى » ومادته واوية .

(٧) ثنته الغصون ، يعني ظل العنب . جللني : غطاني . والفينان : أصله الحسن الشعر
الطويله ، وأراد به الغصون المشبهة بالشعر . والجوب : جمع جوبة بالفتح بمعنى
الفجوة . وفي ط ، س والديوان : « جرب » وما أثبت من ل أجود
وأصح . وقبل هذا الأبيات في الديوان ٢٤٢ :

قطربل مربعى ولي بقرى الكر خ مصيف وأمى العنب
ترضفنى درها وتلحفنى بظلمها والهجير يلتهب

تَبَيْتُ فِي مَاتِمٍ حَمَامَةٍ كَمَا تُرِنُّ الْفَوَاقِدُ السُّلْبُ (١)
يَهْبُ شَوْقِي وَشَوْقُهُنَّ مَعًا كَأَنَّمَا يَسْتَخْفُنَا طَرِبُ (٢)

وقال آخر (٣) :

لَقَدْ هَتَفْتُ فِي جُنْحِ لَيْلِ حَمَامَةٍ عَلَى فَنَنِ وَهْنًا (٤) وَإِنِّي لَنَائِمٌ
فَقُلْتُ اعْتَذَارًا عِنْدَ ذَاكَ وَإِنِّي (٥) لِنَفْسِي مِمَّا قَدْ سَمِعْتُ لِلَّائِمِ
كَذَبْتُ وَبَيْتَ اللَّهِ لَوْ كُنْتُ عَاشِقًا لَمَّا سَبَقْتَنِي بِالْبُكَاءِ الْحَمَامِ

وقال نصيب :

٦٤

وَلَوْ قَبْلَ مَبْنِكَاهَا بَسْكَيتُ صَبَابَةٍ بِسُعْدَى شَفَيْتِ النَّفْسَ قَبْلَ التَّنْدَمِ
وَلَكِنْ بَسَكْتُ قَبْلِي فَهَيَّجَ لِي الْبُكَاءُ بُسْكَاهَا فَقُلْتُ الْفَضْلُ لِلْمُتَقَدِّمِ

وقال أعرابي :

عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ قَاطِعَةَ الْقَوَى (٦) عَلَى أَنَّ قَلْبِي لِلْفِرَاقِ كَلِيمٌ

(١) ترن : من الإرنان ، وهو الصياح والتصويت . وفي ل : « ترني » وهي صحيحة ، يقال رثى الميت ورثاه ، بالتشديد : بكاه وعدد محاسنه . وفي الديوان : « ترامي » وهي رواية غير مقبولة . الفوائد : جمع فاقده ، وهي التي مات زوجها أو ولدها . والسلب بمعنى الفوائد ، جمع سلوب .

(٢) كذا في ل والديوان . وفي ط ، س : « الطرب » . وهذا البيت هو الثاني في ط . وصواب الترتيب ما أثبت من ل ، س والديوان .

(٣) هو نصيب الأكبر مولى بنى مروان ، كما في حاسة أبي تمام (٢ : ٩٧) .

(٤) الوهن : نحو نصف الليل ، أو بعد ساعة منه . وفي ط ، س : « تبكي » وأثبت ما في ل والحامسة .

(٥) ط : « ذا عندك » وهو تحريف مطبعي صوابه في س والحامسة . وهذا البيت ساقط من ل .

(٦) قوى الحبل : طاقاته ، جمع قوة ، . أراد أنها قطعت حبل وده .

قريحٌ بتغريدِ الحمام : إذا بكت^(١) وإن هبَّ يوماً للجنوبِ نسيم^(٢)

[وقال] المجنون ، أو غيره :

ولولم يهيجني^(٣) الراحون لهاجني حمامٌ ورقٌ في الديارِ وقوعٌ
تجاوبنَ فاستبكينَ من كان ذا هوًى نوائحُ لا^(٤) تجرى لهنَّ دموعُ

[وقال الآخر] :

ألا ياسيالاتِ الدحائلِ^(٥) باللوى^(٦)

عليكنَّ من بين السَّيالِ سلامٌ

أرى الوحشَ آجلاً^(٧) إلیکن بالضحى

لهنَّ إلى أفيائسكنَّ^(٨) بغام^(٩)

(١) ل : « يقرفه نوح الحمام إذا دعا » . يقال قرف الجرح : قشره قبل أن يبرأ .

(٢) ل : « وإن هب من ريح الجنوب نسيم » . س : « أو أن يهب للجنوب نسيم » .

(٣) ل : « ترعنى » وصواب هذه الرواية : « يرعنى » .

(٤) ل : « ما » .

(٥) الدحل بالفتح : نقب في الأرض ضيق فله ، ثم يتسع أسفله حتى يمتلئ فيه ، وهو أشبه ما يكون بهذه الخابئ الصناعية التي يحتوى بها الناس وقت الحرب . والجمع أدحل وأدحال ودحال ودحول ودحلان . وجمع الجمع دحائل . والدحائل هنا في البيت لعلها اسم موضع بعينه ، كما قال ياقوت . وجاءت محرفة في الأصل ، فهي في ط : « الأخايل » و س : « الأحايل » و ل : « الدخايل » . والصواب ما أثبت من معجم البلدان حيث وردت الأبيات . والسيالات : جمع سيالة ، كسحابة ، وهى واحدة السيال ، نبات له شوك أبيض طويل إذا نزع خرج منه شبه اللبن .

(٦) ل : « بالضحى » ووجه الرواية ما أثبت من ط ، س والمعجم .

(٧) آجال : جمع إجل ، بالكسر ، وهو القطيع من بقر الوحش . ط ، س : « اجلالا » وهو تحريف . ورواية المعجم : « أرى العيس أحادا » .

(٨) الأفياء : جمع فيء ، وهو الظل . ط فقط : « أفنانكن » تحريف يتهافت به البيت . ورواية المعجم : « أطلالكن » .

(٩) البغام : التصويت . ل : « فام » وضبطت بضم النون ، ولم أرها وجها .

وإني لمجلوبٌ لى الشوقُ كلما ترنّمتَ فى أفنانكِن^(١) حمامُ

وقال عمرو^(٢) بن الوليد :

حال من دون أن أحلّ به النأى ى وصرف النوى وحرب عقام^(٣)

فتبدلت من مساكين قوى والقصور التى بها الآطامُ

كل قصرٍ مشيد ذى أواس^(٤) تتغنى على ذراه الحمامُ

وقال آخر^(٥) :

ألا يا صبا نجد متى هجّت من نجد فقد هاج لى مسراك وجدأ على وجد^(٦)

أن هتفت ورقاء فى رونق الضحى على غصن غصّ الثبات من الرند^(٧)

(١) س : « أفنانكن » تحريف .

(٢) ل : « عمر » وصوابه ما أثبت من ط ، س والأغاني (١ : ٦) ، وكذا

ذكره المرزبانى فى الشعراء ٢٤٠ فيمن اسمه « عمرو » من الشعراء . وهو عمرو

ابن الوليد بن عقبة بن أبى معيط الأموى ، وقد غلب عليه لقب : « أبو قطيفة » .

وكان يكثر القول فى حنينه إلى وطنه بالمدينة ، لما أخرجه ابن الزبير عنها مع من

أخرج من بنى أمية ونفاهم إلى الشام . وفى ذلك يقول الأبيات الآتية . وقيلها :

ليت شعرى وأين منى ليت أعلى العهد يلبن فبرام

أم كمهدى العقيق أم غيرته بعدى الحادثات والأيام

وبأهلى بدلت عكا ولحما وجذاما وأين منى جذام

(٣) ل : « أصل به النأى » بحرف . والحرب العقام ، بضم العين ،

وفتحها : الشديدة .

(٤) أواس : جمع آسية ، على فاعلة : وهى الدعامة أو السارية . ويروى : « أواش »

قال أبو الفرج : كأنه أراد به أن هذه القصور موشية أى منقوشة .

(٥) هو عبد الله بن المدينة الخثعمى ، كما فى الحماسة (٢ : ١٠٠) . والأبيات فى ديوان

ابن المدينة ٢٩ ثم ٢٨ .

(٦) الصبا ، بالفتح : الريح الشرقية . ل : « جهداً من الجهد » .

(٧) أن : أى الآن ؟ ورواية الديوان والحماسة : « على فن » . والرند :

شجر طيب الرائحة .

بكِتَ كَمَا يَبْكِي الْوَلِيدُ وَلَمْ تَسْكُنْ
جَلِيداً وَأَبْدَيْتَ الَّذِي لَمْ تَسْكُنْ تُبْدَى^(١)
وَقَدْ زَعَمُوا أَنَّ الْمَحَبَّ إِذَا دَنَا^(٢) يُمَلُّ، وَأَنَّ النَّأْيَ يَشْفِي مِنَ الْوَجْدِ
بِكُلِّ تَدَاوَيْنَا فَلَمْ يَشْفَ مَا بَنَا عَلَى أَنَّ قُرْبَ الدَّارِ خَيْرٌ مِنَ الْبُعْدِ^(٣)

(أنساب الحمام)

وقال صاحب الحمام : للحمام مجاهيل ، ومعروفات ، وخارجيات ،
ومنسوبات . والذي يشتمل عليه دواوين أصحاب الحمام أكثر من كتب
النَّسَب التي تضاف إلى ابن السكبي ، والشرقي بن القطامي ، وأبي اليقظان^(٤) ، ٦٥
وأبي عبيدة النحوي ؛ بل إلى دَغْفَلِ بْنِ حَنْظَلَةَ ، وابن لسان الحُمَرَةِ^(٥) ،
بل إلى مُحَارِرِ الْعَبْدِيِّ . وإلى أَبِي السَّطَّاحِ اللَّخْمِيِّ^(٦) ، بل إلى النَّخَّارِ

(١) الجليد : الصبور . ط ، س : « كنت لا تبدي » وأثبت رواية ل
والحماسة والديوان .

(٢) ط ، س : « نأى » وهو تحريف يفسد المعنى ، وهو على الصواب في ل
والحماسة والديوان .

(٣) بعد هذا البيت - وكان جديراً بالملاحظ أن يثبت ؛ لأنه يتم المعنى - :

على أن قرب الدار ليس بنافع إذا كان من تهواه ليس بذى ود

(٤) في الأصل : « ابن أبي اليقظان » ، والصواب ما أثبت . وانظر ترجمة أبي لليقظان
في الجزء الثاني ص ١٠ .

(٥) سبق ترجمته في (٢ : ٢٠٠) ، و ترجمة محار في (١ : ٩٠) .

(٦) وكذا في البيان (١ : ٣٦٢) وفي بعض نسخ البيان : « أبو الشطاح » ، وفي الفهرست
١٥٦ : « ابن النطاح » ، وذكر أن اسمه محمد بن صالح .

العدري^(١) ، وصُبح^(٢) الطائي ، بل إلى مشجور^(٣) بن غيلان الضبي ، وإلى سَطِيح الذئبي ، بل ابن شريعة الجرهمي^(٥) ، وإلى زيد بن السكيس النمرى ، وإلى كل نسابة راوية ، وكل متفنن علامة .

ووصف المذيل المازني ، مثنى بن زهير وحفظه لأنساب الحمام ، فقال : والله لو أنسب من سعيد بن المسيب ، وقتادة بن دِعامَة^(٦) للناس ، بل هو أنسب من أبي بكر الصديق رضي الله عنه ! لقد دخلت على رجل

(١) النخار العدري ، هو النخار بن أوس ، قال فيه صاحب القاموس : أنسب « العرب » . وكان معاصرا لجميل الشاعر ، وقد هجاه بشعر في الأغاني (٧ : ٩٥) وقد ذكر الجاحظ في البيان (١ : ١٠٥) علة تسميته بالنخار : قال : « كان إذا تكلم في الحملات ، وفي الصفح والاحتمال ، وإصلاح ذات البين ، وتخويف الفريقين من التفاني والبوار — كان ربما ردد الكلام على طريق التهويل والتخويف ، وربما حى فنخر » . وفي البيان (١ : ٢٣٧) خبر طريف له مع معاوية . وانظر تلمظ معاوية معه في البيان (١ : ٢٣٣) .

(٢) ل : « صلح » وفي البيان (١ : ٣٠٤) : « صبح الحنفى » .

(٣) ط : « مشجور » س : « متجوز » وصوابه ما أثبت من ل والقاموس والبيان (١ : ٣٤١) . وفيه يقول الفلاح بن حزن المقرئ :

إذا قال بذ القائلين مقاله يأخذ من أكفائه بالحنق

ولجرير فيه هجاء . انظر ديوانه ٢٣٣ .

(٤) سطيح الذئبي ، قال ابن إسحق في السيرة ٤٧ جوتنجن : « وكانت العرب تقول لسطيح : الذئبي ؛ لأنه سطيح بن ربيعة بن مسعود بن مازن بن ذئب » . وسطيح هذا هو الكاهن الجاهلي ، وهو وشق الكاهن المعاصر له ، كانا قتل طلبهما ربيعة ابن نصر ملك اليمن ليعبرا له رؤيا حالته — زعموا — فاتفقا في تعبير الرؤيا وبشرا برسالة الرسول الكريم ، بأسجاع تجدها في أوائل السيرة . ط ، س : « الدليل » ، وهو تحريف صوابه في السيرة والبيان (١ : ٢٩٠) . وقد ذكر في المعمرين ص ٤ .

(٥) هو عبيد بن شريعة — ويقال سارية — الجرهمي ، أحد معمرى العرب وأدرك الإسلام فأسلم ، وقدم على معاوية بن أبي سفيان ، وجرى بينهما حديث طويل طريف تجده في معجم الأدباء (١٢ : ٧٣) والمعمرين ٣٩ . وهو أول من نسب إليه كتاب في التاريخ من المسلمين . انظر الفهرست ٨٩ ليبسك ١٣٢ مصر . وشريعة ، بوزن عطية ، كما في الإصابة ٦٣٩١ .

(٦) هو قتادة بن دِعامَة السدوسي البصري ينتهي نسبه إلى الحارث بن سدوس ، ولد =

أُعرفَ بالأَمْهَاتِ المنْجِبَاتِ من سُحَيْمِ بنِ حَفْصٍ^(١) ، وأُعرفَ بما دَخَلَهَا من الهُجْنَةِ والإِغْرَافِ ، من يُونُسَ بنِ حَبِيبٍ .

(مما أشبه فيه الحمام الناس)

قال : ومما أشبه فيه الحمامُ النَّاسَ في الصُّوَرِ والشَّمَائِلِ ورقةُ الطَّبَاعِ ، وسُرعةُ القَبُولِ والانْقِلَابِ^(٢) ، أَتُكَّ إذا كُنْتَ صَاحِبَ فِرَاسَةٍ ، فَمَرَّ بِكَ رِجَالٌ بَعْضُهُمْ كُوفِيٌّ ، وَبَعْضُهُمْ بَصْرِيٌّ ، وَبَعْضُهُمْ مَدَنِيٌّ^(٣) ، وَبَعْضُهُمْ شَامِيٌّ وَبَعْضُهُمْ يَمَانِيٌّ ، لَمْ يَخْفَ عَلَيْكَ أُمُورُهُمْ فِي الصُّوَرِ وَالشَّمَائِلِ وَالْقُدُودِ وَالنَّعْمِ أَيْهِمْ^(٤) بَصْرِيٌّ ، وَأَيْهِمْ كُوفِيٌّ ، وَأَيْهِمْ شَامِيٌّ ، وَأَيْهِمْ يَمَانِيٌّ ، وَأَيْهِمْ مَدَنِيٌّ . وكذلك الحمام ؛ لا^(٥) تَرَى صَاحِبَ حَمَامٍ تَخْفَى عَلَيْهِ نَسَبُ الْحَمَامِ^(٦) وَجَنَسُهَا وَبِلَادُهَا إِذَا رَأَاهَا .

= أعمى ، وكان تابعياً عالماً كبيراً نساباً ، وكان ذا علم في القرآن والحديث والفقه ، أخذ عن الحسن البصري وابن سيرين . وقد أثر عنه النسيان : قال يوما : مانسيت شيئاً قط ! ثم قال : يا غلام ناولني نعلِي . فقال : نعلك في رجلك !! ولد سنة ٦٠ وتوفي سنة ١١٧ في أيام هشام بن عبد الملك . وفيات الأعيان ، ومعجم الأدباء ، والمعارف .

(١) هو أبو اليقظان الذي سبقت ترجمته في (٢ : ١٠) .

(٢) ط ، س : « للأنقلاب » .

(٣) كذا في ط ، س وهو الوجه . جاء في معجم البلدان : « والمشهور عندنا أن النسبة إلى مدينة الرسول ، مدني ، مطلقاً . وإلى غيرها من المدن ، مدني ؛ للفرق لامة أخرى . وربما رده بعضهم إلى الأصل فنسب إلى مدينة الرسول أيضاً مدني » . وفي ل : « مدني » .

(٤) ط ، س : « أنه » مكان « أيهم » في مواضعها الخمسة .

(٥) كذا في ل وهو الصواب . وفي ط ، س : « ألا » .

(٦) ط ، س ، « جماعته » .

(مبلغ ثمن الحمام وغيره)

وللحمام من الفضيلة والفخر ، أنَّ الحمامَ الواحدَ يباعُ بخمسة دینار ، ولا يبلغ (١) ذلك بازٍ ولا شاهينٌ ، ولا صقرٌ ولا عُقاب ، ولا طاوس ، ولا تدرجٌ ولا ديكٌ ، ولا بعيرٌ ولا حمارٌ ، ولا بغلٌ . ولو أردنا أن نحقق الخبرَ بأنَّ برذونا أو فرساً يبيع بخمسة دینار ، لما قدرنا عليه إلا في حديث السمر (٢) .

وأنت إذا أردت أن تتعرف مبلغ ثمن الحمام الذي جاء من الغاية ، ثم دخلت بغداد والبصرة وجدت ذلك بلا معاناة . وفيه أنَّ الحمام إذا جاء من الغاية يبيع الفرخ الذكر من فراخه بعشرين دیناراً أو أكثر ، ويبعث الأنثى بعشرة دنانير أو أكثر ، ويبعث البيضة بخمسة دنانير . فيقوم الزوج منهما [في الغلة] مقام ضيعة ، وحتى (٣) ينهض بمؤنة العيال ، ويقضى الدين ، وتبني من غلاته وأثمان رقابه الدور الجياد (٤) ، وتبتاع الحوانيت المغلة . هذا ، وهي في ذلك الوقت ملهى عجيب ، ومنظر أنيق ، ومعتبر لمن فكر ، ودليل لمن نظر (٥) .

(١) ل : « ولم » .

(٢) السمر ، أصله الحديث ليلا . ولكنه يراد به في مثل هذا الموضع حديث الخرافة . وقد جعل ابن النديم الخرافة والسمر مترادفين في الفهرس (المقالة الثامنة) .

(٣) ط ، س : « حتى » .

(٤) ط ، س ونهاية الأرب (١٠ : ٢٧٥) : « والجنان » ، جمع جنة ، والجنان ليست بما

يبني . وصوابه في ل ونثار الأزهار ٩٣ .

(٥) هذه الجملة ساقطة من ل .

(عناية الناس بالحمام)

ومن دخل الحَجَر ورأى قَصُورَهَا ^(١) المبنية لها بالشَّامات ^(٢) وكيف
اختزان ^(٣) تلك الغلَّات ، وحَفِظَ ^(٤) تلك المَثُونات ؛ ومن شهد أربابَ الحمام ،
وأصحابَ الهدى ^(٥) وما يحتملون فيها من الكُلف الغِلاظِ أَيَّامَ الزَّجَل ،
في حملانها على ظهور الرِّجال ، وقبل ذلك في بُطون السفن ، وكيف تُفَرَّدُ ^{٦٦}
في البيوت ، وتجمع إذا كان الجمع أمثل ، وتفرَّق إذا كانت التَّفَرِّقَةُ أمثل ^(٦)
وكيف تُنْقَلُ ^(٧) الإناثُ عن ذُكُورِها ، [وكيف تنقَلُ الذُّكُورَةُ عن
إناثها] إلى غيرها ، وكيف يُخافُ عليها الضَّوى ^(٨) إذا تقاربت أنسابُها ،
وكيف يُخاف على أعراقها من دخول الخارجيات فيها ، وكيف يحتاط ^(٩)
في صحَّة طَرَفها ونَجْلِها ^(١٠) ؛ لِأَنَّهُ لَا يُؤْمَنُ ^(١١) أن يَمُوطَ الأنثى ذَكَرٌ من

(١) الحجر ، بالتحريك ، هو حجر شغلان ، كسلطان : حصن في جبل اللكام قرب

أنطاكية . والقصر : المنزل ، أو كل بيت من حجر .

(٢) الشامات هي بلاد الشام ، وتشمل الثغور ، وهي المصيصة وطرسوس وأذنة

وأنطاكية ، وجميع العواصم من مرعش والحدث وبغراس وغير ذلك . ط ،

س : « بالسامان » محرف .

(٣) ط ، س : « اقتران » ، ل : « أقدار » ، والوجه فيه ما أثبت .

(٤) ل : « وخفة » تحريف .

(٥) انظر ما أسلفت من تحقيق هذه الكلمة (٢ : ٧٩) في التنبيه الثالث .

(٦) هذه الجملة ليست في ل .

(٧) ط ، س : « تغفل » ، وصوابه في ل .

(٨) الضوى : الهزال والدقة والضعف . ط ، س : « يَحْتال » .

(٩) ط ، س : « يَحْتال » .

(١٠) النجل : النسل وزنا ووهي .

(١١) في الأصل : « يأمن » .

عُرْضِ الحمام ، فيضربَ فِي النَّجْلِ بنصيبٍ ، فتعثره الهُجْنَةُ - والبيضة عند ذلك تنسب إلى طَرَقِهَا ^(١) . وهم لا يحوطون أرحام نساءهم كما يحوطون أرحامَ المنجِبَات من إناثِ الحمام . [ومن شهد أصحاب الحمام] عند زَجْلِهَا من الغاية ، والذين يَعْلَمُونَ ^(٢) الحمامَ كيف يختارون لصاحب العلامات ، وكيفَ يَتَخَيَّرُونَ الثِّقَّةَ وموضعَ ^(٣) الصَّدْقِ والأمانةِ ، والبُعْدِ من الكَذِبِ والرَّشْوَةِ ، وكيفَ يَتَوَخَّوْنَ ذَا التَّجَرُّبَةِ والمعرفةَ اللَّطِيفَةَ ، وكيفَ تَسْخُو أَنْفُسُهُمْ بِالْجَعَالَةِ ^(٤) الرَّفِيعَةِ ، وكيفَ يختارون حملها من رجال الأمانةِ والجَلَدِ والشَّفَقَةِ والبَصَرِ وحُسْنِ المعرفةِ - لَعَلَّ عند ذلك ^(٥) صاحب الدِّيكِ والكلبِ أَتَمَّهُمَا لا يجريان في هذه الحَلْبَةِ ، ولا يتعاطيانِ هذه الفضيلةَ ^(٦) .

(بعض خصائص الحمام)

قال : وللحمام من حسن الاهتداء ، وجودة الاستدلال ، وثبات الحِفْظِ والذِّكْرِ ، وقوة النزاع إلى أربابه ، والإلف لوطنه ، [ما ليس لشيء]

(١) طَرَقِهَا : أى طارِقها ، وهو فعل الأنثى .

(٢) ل ، ط ، « يعملون » وهو تحريف ظريف ، صوابه في س .

(٣) ط ، س : « في موضع » ، ووجهه ما أثبت من ل .

(٤) الجعالة ، مثلثة : ما جعل للإنسان في مقابل عمله .

(٥) لعلم : جواب : « ومن دخل الحجر . . » الخ في ص ٢١٣ . ط ، س :

« ذلك عند » وصوابه من ل .

(٦) ط ، س : « القضية » ، بمعنى الحكم .

وكفأك اهتداءً ونِزاعاً أن يكون طائرٌ من بهائم الطير ، يحىء من برغمة^(١) ،
لا بَلْ من العليق ، أو من خرشنة^(٢) [أ] و من الصفصاف^(٣) ، لا بَلْ
من البغراس^(٤) ، ومن لؤلؤة^(٥) .

ثمَّ الدَّلِيلُ على أنه يَسْتَدِلُّ بالعقلِ والمعرفة ، والفِكرِ^(٦) والعناية ،
أنه إنما يحىء من الغاية على تدريجٍ وتدرٍيبٍ وتنزيل^(٧) . والدليل على علم
أربابه بأن تلك المقدمات قد نَجَعْنَ فيه ، وعملن في طباعه ، أنه إذا بلغ الرِّقَّةَ
غَمَرُوا به بِكَرَّةٍ^(٨) إلى الدَّرَب وما فوق الدَّرَب من بلاد الروم ، بل
لا يجعلون ذلك تغميراً^(٩) ؛ لمكان المقدمات والترتيبات التي قد عَمِلَتْ فيه
وَحَدَّثَتْه ومَرَّنَتْه .

(١) برغمة : مدينة من بلاد الروم . ذكرها ابن بطوطة في رحلته (١ : ٢٣١) .
وضبطت بباء موحدة مفتوحة ، وراء مسكنة وغيث معجمة مفتوحة وميم مفتوحة .
ط ، س : « ركة » ل : « رعمة » . ولعل صوابهما ما أثبت .
(٢) خرشنة : بلد قرب ملطية من بلاد الروم . معجم البلدان . وفي ط ، س :
« حوساء » .

(٣) الصفصاف : كورة من ثغر المصيصة والمصيصة . من ثغور الشام ، بين أنطاكية
وبلاد الروم . والمراد ببلاد الروم ما يمر عنه اليوم بتركية آسيا .

(٤) بغراس ، بالفتح : مدينة في لُف جبل اللكام — بضم اللام — بينها وبين
أنطاكية أربعة فراسخ . وفي الأصل : « النقراس » ، وهو تحريف ما أثبت
من المعجم والقاموس . وهذه الكلمة وكلمة « من » بعدها ساقطتان من ل .
(٥) لؤلؤة : قلعة قرب طرسوس .

(٦) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(٧) كذا في ل . وفي ط : « عن التدريج والتدرب والتنزيل » وفي س مثل
ما في ط مع إبدال كلمة : « والتدرب » بجعلها : « التدريب » .

(٨) غمروا به : دفعوا به . في ط ، س : « غمزوا أنه قطرة » ، وهو تحريف
صوابه في ل .

(٩) ط ، س : « تغميزا » ، وهو تصحيف ما في ل .

ولو كان الحمام ممّا يُرسل بالليل^(١) ، لكان ممّا يستدلُّ بالنجوم ؛
لأنّا رأيناه يلزم بطنَ الفُرات ، أو بطنَ دجلة ، أو بطونَ الأودية التي قد مرَّ
بها ، وهو يرى ويُبصرُ ويفهمُ انحدارَ الماء ، ويعلمُ بعدَ طولِ الجولانِ
[و]^(٢) بعدَ^(٣) الزّجال ، إذا هو أشرف على الفُرات أو دجلة ، أن طريقَه
وطريقَ الماء واحد ، وأنه ينبغي أن ينحدر معه .

وما أكثرَ ما يستدلُّ بالجوادَّ^(٤) من الطُّرق إذا أعيته بطونُ الأودية .
فإذا لم يدْرِ أمْصَعِدْ هو أمْ مُنْحَدِرٌ ، تعرّفَ ذلك بالريح ، ومواضع^(٥) قرصِ
الشمس في السماء . وإنّما يحتاج إلى ذلك كلّهُ إذا لم يكن وقعَ بعدُ على رسمٍ يعملُ
عليه^(٦) . فربّما كَرَّ^(٧) حين يزجل به^(٨) [يميناً و] شمالاً ، وجنوباً وشمالاً ،
وصباً ودبوراً — الفَراسخَ الكثيرةَ وفوقَ الكثيرة .

(١) ل : « بالليل » ، وصوابه من ط ، س ونثار الأزهار ٩٣ .

(٢) زدتها حاجة الكلام إليها .

(٣) كذا في ل ، ط . وفي س : « بقدر » .

(٤) الجواد : جمع جادة ، وهي معظم الطريق . وفي ط ، س : « بالجو »
أو ، « تحريف » .

(٥) كذا في ل ونثار الأزهار . وفي ط ، س : « وبموضع » .

(٦) كلمة « على » ساقطة من س . وفي الأصل : « يعمل به عليه » ، والوجه ما أثبت
من نثار الأزهار .

(٧) كَرَّ : عطف ، أي مال في سيره . ل ، وكذا نثار الأزهار : « كسر » .

(٨) كذا في ل . وفي ط ، س : « حتى يرحل » وهذا تحريف وتصحيف .

(الغمر والمجرب من الحمام)

وفي الحمام الغمر والمجرب . وهم لا يُخاطرون بالأغمار لوجهين : أحدهما أن يكون الغمر عريقاً^(١) فصاحبه يضمن به ، فهو يريد أن يدرّبه ويمرّنه^(٢) ثم يكلفه بعد الشيء الذي اتّخذه له ، وبسببه^(٣) أصطنعه [واتّخذه] . وإمّا أن يكون الغمر مجهولاً ، فهو لا يتعنى^(٤) ويُشقى نفسه ، ويتوقع^(٥) الهداية من الأغمار الجاهيل .

وخصلة أخرى : أن المجهول إذا رجع مع الهدى^(٦) المعروفة ، فحمله معها إلى الغاية^(٧) فجاء سابقاً ، لم يكن له كبير ثمن حتى تتلاحق به^(٨) الأولاد . فإن أنجبَ فيهنّ صار أباً^(٩) مذكوراً ، وصار نسباً^(١٠) يرجع إليه ، وزاد ذلك في ثمنه .

(١) العريق : المعروف ، وبه سمى عريق القوم : أى رئيسهم . وأراد به المعروف النسب . وفى ل : « عريقاً » ، من قولهم : فلان عريق النسب .

(٢) ل : « وهو على أن يدرّبه أو يمرّنه » .

(٣) هذه الكلمة وكذلك كلمة « اتّخذه » قبلها ، ساقطتان من ل .

(٤) يتعنى : ينصب ، أى يتعب . ط ، س : « يبق » تحريف ما فى ل .

(٥) ط ، س : « وتتوقع » ، وهو خطأ .

(٦) انظر الجزء الثانى من الحيوان ص ٧٩ التنبيه الثالث .

(٧) فحمله ، ضمير الفاعل عائد إلى صاحب الحمام ، وضمير المفعول راجع إلى المجهول من

الحمام ، وضمير « معها » عائد إلى « الهدى » . وفى س : « معه » ويصح

فإن « الهدى » جمع هداد كما سبق فى الجزء الثانى . والأفضل ما أثبت

من ط ، ل .

(٨) ل : « له » وكلاهما جائز .

(٩) ط ، س : « أبداً » وهو تحريف ما أثبت من ل .

(١٠) ط : « نسياً » .

فأَمَّا المَجْرَبُ غير الغمر ، فهو الذى قد عرفوه الورود والتحصُّب^(١) ؛
لأنه متى لم يقدر على أن ينقض حتى يشرب الماء من بطون الأودية^(٢)
والأنهار والغدران ، ومناقع^(٣) المياه ، ولم يتحصَّب^(٤) بطلب
بُزُورِ البرارى ، وجعاع وعطش - التمس مواضع الناس . وإذا
مرَّ بالقرى والعُمران^(٥) سقط ، وإذا سقط أخذ بالبائس^(٦)

(١) المراد بالورود ورود الماء . وفى ط ، س « بالورود » ولا يصح ؛ لأن
« عرف » لاتعنى بالباء ، إلا فى معنى آخر ، فيقال : عرفه يزيد ، أى سماه
زيد ، وعرفه بكذا : أى وسمه به . انظر اللسان . والتحصب ، بالحاء الميملة :
خروج الحام إلى الصحراء لطلب الخب ، وإنما يريدونه على ذلك ليعتاد البعد عن
المدن حتى لا يقع فى أيدي الناس . ط : « والتحصب » ، س : « والتخضب »
وصوابهما فى ل .

(٢) كذا فى س . وفى ط : « من بطون أوساط الأودية » . وفى ل : « من
أوساط الأودية » .

(٣) المناقع : جمع منقع كجمع ، وهو الموضع يستنقع فيه الماء . وفى ط ، س :
« مواقع » ، وليس من لغة الجاحظ .

(٤) انظر التنبيه الأول من هذه الصفحة . ط : « يتخضب » س : « يتخضب »
محرفتان عما فى ل .

(٥) المراد بالعمران : المواضع العامرة بالناس . ل : « العمران » ولا وجه له .

(٦) كتب إلى حضرة المحقق الكبير الأب أنستاس مارى السكرملى ، بما يأتى :

« البابا بگر » بباء موحدة تحتية ، يليها ألف فياء مثناة ساكنة ، فكاف فارسية
مثناة مكسورة ، فياء مثناة تحتية ساكنة فراء - : كلمة فارسية مركبة من : باى
وهو نوع من الطير يسمى بالعربية : بوهة ، وبالفرنسية : Effraie naine
وبالإلمية : باوا . ومن « گير » ، ومعناها جاذب . ومحصل اللفظين : جالب البوهة
ويراد بذلك مصيدة تحبك بالخيال عيوننا كعيون شبكة صيد السمك ، وتجعل على
شكل سلة كبيرة تقلب على فيها . وقد دبر فيها بابان : باب خارجى أو أصلى ،
وباب داخلى ، أو فرعى . فالباب الخارجى ، أو الأصلى ، يراه كل ناظر إليه . أما
الداخلى فيكون فى مثل دهليز يمتد من الباب الخارج ، ويفتح على يمين الطائر
الداخلى إليه أو على يساره . فيدخل الطائر من الباب الأول ، ثم إذا صار فى =

وبالقفاعة^(١) وبالملقف^(٢) وبالتدبيق^(٣) وبالذشاخ^(٤) ، ورمى أيضا بالجلاهي^(٥) ، وبغير^(٦) ذلك من أسباب الصيد .

والحمام طائرٌ مُلقى غير موقى^(٧) ، وأعداؤه كثير ، وسباع الطير تطلبه أشد الطلب . وقد يترفع مع الشاهين^(٨) ، وهو للشاهين أخوف . فالحمام

= الدهليز يبحث عن الباب الآخر فيجده على يمينه ، أو يساره ، حسبما دبر في أول صنع المصيدة ، فإذا وجده ولجه ذاهبا إلى بطن السلة ليجد الطائر الذى يطلبه . فإذا دخل ، ثم حاول الخروج عائداً إلى موطنه الأول لايتهدى إلى الباب الداخلى لأنه مزور عن الخارج ، فيقبض عليه أسيرا ، أو محاولا التخلص من مأزقه . ووضعت البوطة لتكون ملوaha لسائر الطير ، فإن هذا الملوah يضطرب فتراه بعض إخوته الطير ، فتدخل لتنتقذه من ورطته ، أو لترافقه في أسره ، أو لتشاطره طعامه ، أو لتصيب شيئاً من نعمه . فيؤخذ المخدوع بهذه الحيلة اللطيفة الدقيقة على فهم الطائر ، بدون أن يجرح المصيد » اهـ .

(١) القفاعة كرمانة : شئ يتخذ من جريد النخل ، ثم يغذف به على الطير فيصا . يغذف : يسبل .

(٢) آلة من آلات الصيد . ط ، س : « باللقف » .

(٣) التدبيق : الاصطيد بالدبق . والدبق ، بكسر الدال : غراء يصاد به الطير .

(٤) الذشاخ : وأكثرهم يكتبونها « الدوشاخ » كلمة فارسية مركبة من (دو) أى اثنين ، و (شاخ) أى شعبة ، أو طرف أو رأس . ومحصل معناها : ذو الشعبتين أو ذو الرأسين أو ذو الطرفين . وأكثر ما تكون هذه الآلة من حديد ، يصاد بها السمك ، فى دجلة والفرات . واسمها معروف هناك إلى يومنا هذا . كتب بذلك إلى حضرة المحقق الأكبر الأب أنستاس مارى الكرمل . قلت : وهذه الكلمة هى فى ط ، س : « وبالفتح » وصواب نصها من ل .

(٥) الجلاهي : البندق الذى يرمى به الصيد . فارسي معرب . ل : « وبالرمى بالجلاهي » .

(٦) ل : « وغيره » .

(٧) ملقى : أى يلقى عنتا من الناس والطير . وغير موقى : غير مصون من الأذى .

ط ، س : « والحمام أنيس » الخ .

(٨) يترفع معه : أراد يطير معه طيراً سريعاً .

أَطِيرُ مِنْهُ وَمِنْ جَمِيعِ سَبَاعِ الطَّيْرِ ، وَلَسَكِنَّهُ يُذْعَرُ فَيَجْهَلُ بَابَ الْمَخْلَصِ
وَيَعْتَرِيهِ مَا يَعْتَرِي الْحَارَّ مِنَ الْأَسَدِ إِذَا رَأَاهُ ^(١) ، وَالشَّاةُ إِذَا رَأَتْ الذَّبَّابَ ،
وَالْفَارَةَ إِذَا رَأَتْ السَّنَّورَ .

(سُرْعَةُ طَيْرَانِ الْحَمَامِ)

وَالْحَمَامُ أَشَدُّ طَيْرَانًا مِنْ [جَمِيعِ] سَبَاعِ الطَّيْرِ ، إِلَّا فِي انْقِضَاضِ
وَالْحِدَارِ ^(٢) ؛ فَإِنَّ تِلْكَ تَنْحَطُّ انْحِطَاطَ الصَّخُورِ . [وَ] ^(٣) مَتَى التَّقْتِ أُمَّةٌ ^(٤)
مِنْ سَبَاعِ الطَّيْرِ ، أَوْ جُفَالَةٌ ^(٥) مِنْ بَهَائِمِ الطَّيْرِ ، أَوْ طِرْنٌ عَلَى عَرَقَةٍ ^(٦) وَخَيْطٍ
مَمْدُودٍ ، فَكُلُّهَا يَعْتَرِيهَا عِنْدَ ذَلِكَ التَّقْصِيرُ عَمَّا ^(٧) مَا كَانَتْ عَلَيْهِ ، إِذَا طَارَتْ ^(٨)
فِي غَيْرِ جَمَاعَةٍ .

(١) قَالُوا : إِنَّهُ يَفِرُّ إِلَى الْأَسَدِ مِنْهُ .

(٢) ل : « إِلَّا فِي الْانْقِضَاضِ وَالْانْكَدَارِ » . وَالْانْكَدَارُ بِمَعْنَى الْانْقِضَاضِ .

(٣) هَذِهِ الزِّيَادَةُ الْضَرُورِيَّةُ مِنْ ل ، س .

(٤) الْأُمَّةُ ، بِالضَّمِّ : الْجَمَاعَةُ ، كَمَا فِي اللَّسَانِ . ل : « رَامَةٌ » س : « وَامَةٌ » ط :

« وَامَةٌ » ، وَصَوَابُ ذَلِكَ كُلُّهُ مَا أُثْبِتَ .

(٥) الْجُفَالَةُ ، بِالْجِيمِ : الْجَمَاعَةُ ، وَفِي ط ، س : « حَفَالَةٌ » بِالْخَاءِ الْمَهْمَلَةِ ،

وَهِيَ بِمَعْنَى الْحَثَالَةِ : الرَّدِيُّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ . وَلَيْسَ مُرَادًا هُنَا ، فَهِيَ مَصْحُفَةٌ عَمَّا فِي ل .

(٦) الْعَرَقَةُ ، بِالتَّحْرِيكِ : السُّطْرُ مِنَ الطَّيْرِ ، جَمْعُهُ عَرَقٌ ، بِالتَّحْرِيكِ أَيْضًا . وَفِي ط ،

س : « غَرَقَةٌ » وَلَا تَصِحُّ . وَ « طِرْنٌ » مُحَرَّفَةٌ فِي الْأَصْلِ فَهِيَ فِي ط ، س : « طَرَفٌ »

وَفِي ل : « كَنٌ » ، وَقَدْ جَعَلْتُهَا كَمَا تَرَى .

(٧) ط ، س : « عِنْدَ » ، تَحْرِيْفٌ .

(٨) ل : « إِذْ كَانَتْ » .

ولن ترى جماعة طير أكثر طيراناً إذا كثرت من الحمام ؛ فإنهم كلما
التفتن وضاق موضعهن كان أشد لطيرانهن . وقد ذكر ذلك التايغة الذبياني
في قوله :

وَاحْكُمْ كَحُكْمِ فَتَاةِ الْحَى إِذْ نَظَرَتْ

إلى حمامٍ شرعٍ واردٍ الشمد^(١)

يحفه جانباً نيقٍ ويتبعه^(٢)

مثل الزجاجة لم تكحل من الرمد^(٣)

قالت : ألا ليتما هذا الحمام لنا إلى حمامنا ونصفه فقد^(٤)

فحسبه فالفوه كما حسبت تسعاً وتسعين لم تنقص ولم يزد^(٥)

فكملت مائة فيها حمامتها وأسرعت حسبة في ذلك العدد^(٥) ٦٨

(١) احكم : كن حكيماً . وأراد بفتاة الحى : زرقاء اليمامة . و « شرع » هى رواية الأصمعى
كما فى الخزنة (٤ : ٣٠٠ بولاق) . والشرع : التى شرعت فى الماء . والرواية
المعروفة : « سراع » بالمهمله ، جمع سريعة . وهذه أوجه ؛ فإن بالاولى يكون
التكرار ؛ إذ الشرع هن الواردات . والتد : الماء الثقيل . والحمام وما أشبهه
من أسماء الأجناس يجوز أن يعتبر جمعاً ومفرداً .

(٢) النيق ، بالكسر : الجبل أو أعلاه . و « يتبعه » روى فيها « تتبعه » من الإتياع
كما فى الخزنة ، وشرح التبريزى للمعلقات . والفاعل فى الرواية الأولى هو كلمة :
« مثل » وفى الثانية الضمير المستكن الراجع إلى « فتاة الحى » . وأراد به « مثل
الزجاجة » عيني الزباء . يقول : هى صافية كما صفت الزجاجة . و « لم تكحل من
الرمد » أى لم ترمد فتكحل ، كقوله :

* على لاحب لايتهلى بمناره *

(٣) للنحويين كلام طويل فى هذا البيت ، تجده فى مراجع النحو فى الكلام على « ليت » .

وانظر الكلام على « ونصفه » فى الخزنة . وقد بمعنى حسب .

(٤) حسبه : عدوه .

(٥) كان الحمام الذى رأت ستا وستين ، وهو ونصفه مع حمامتها مائة .

قال الأصمعيُّ : لما أراد مَدِيحَ الحاسب وسرعةَ إصابته ، شَدَّدَ الأمرَ وضيقه عليه ؛ ليكونَ أحمَدَ له إذا أصاب ؛ فجَعَلَهُ حَزَرَ^(١) طيراً ، والطَّيرُ أخفُّ من غيره ، ثُمَّ جَعَلَهُ حماماً والحمامُ أسرعُ الطَّيرِ ، وأكثرُها اجتهداً في السرعةِ^(٢) إذا كثُرَ عددُهنَّ ؛ وذلكَ أَنَّهُ يَشْتَدُّ^(٣) طيرانُهُ عندَ المسابِقةِ والمنافسةِ . وقال : يحفِّه جَانِبَا نَيْقٍ ويتبعه ، فأراد أنَّ الحمامَ إذا كان في مَضِيقٍ من الهواءِ كان أسرعَ منه إذا اتَّسعَ عليه الفضاءُ .

(غايات الحمام)

وصاحب الحمام قد كان يدرب ويتمرّن ويُنزِل في الزَّجَال ، والغايةُ يومئذٍ واسط^(٤) . فكيف يصنَع اليومَ بتعريفه الطَّرِيقَ وتعريفه الوُروُدَ والتحصُّب^(٥) ، مع بُعد الغاية ؟ !^(٦) .

(١) الحزر ، بالزاي الساكنة : التقدير .

(٢) « وأكثرها اجتهداً في السرعة » ساقط من ل .

(٣) ل : « وكثر العدد لأن الحمام » .

(٤) تسمى واسط الحجاج ، سميت بذلك لأنها توسّطت بين البصرة والكوفة ، فيبينها وبين كل واحدة منهما خمسون فرسخاً . وبدلها في ط ، س : « أقصر » .

(٥) التحصب : خروج الحمام إلى الصحراء لطلب الحب . ط : « التحصب » ل ،

س : « التحصب » ، مصحفتان .

(٦) هذه الجملة ساقطة من ل .

(ما يختار للزَّجَل من الحَمَام)

والبغداديون يختارون للزَّجَال من الغايةِ الإناث ، والبصريُّون يختارون الذُّكور . فحجَّةُ البغداديين أن الذَّكر إذا سافر وبَعُدَ عهده بَقَمَطَ الإناث ، وتاقَتْ نفسُهُ إلى السَّفَاد ، ورأى أنشاه في طريقه ^(١) ، ترك الطَّلَبَ إن كان بَعُدَ في الجَوْلَان ؛ أو ترك السَّيرَ إن كان وقع على القَصْد ، ومالَ إلى الأنثى وفي ذلك الفسادُ ^(٢) كُلُّهُ .

وقال البَصْرِيُّ : الذَّكْرُ أحنُّ إلى بيته لمكان أنشاه ، وهو أشدُّ متناً وأقوى بدناً ، وهو أحسنُّ اهتداء . فنحنُ لا ندعُ تقديمَ الشئِ القائمِ إلى معنى قد يعرضُ وقد لا يعرضُ .

(نصيحة شدفويه في تربية الحَمَام)

وسمعتُ شدفويه السَّائِحِي ^(٣) من نحو خمسين سنة ، وهو يقول لعبد السلام بن أبي عمار ^(٤) : اجعل كعبةَ حمامِك في صَحْنِ دارِك ، فإنَّ الحَمَامَ إذا كان متى خرج من بيته إلى المعلاة لم يصل إلى معلاته إلَّا بجمع النَّفْسِ والجناحين ، وبالنهوضِ ومكابدةِ الصعود — اشتدَّ متنته ، وقوى

(١) ل : « في طريقه ومجيئه » .

(٢) ط فقط : « السَّفَاد » محرف .

(٣) كذا في ل . وفي ط ، س : « مرفوحة السَّائِحِي » .

(٤) كذا في ل . وفي ط ، س : « أبي العمان » .

جناحه ولحمه . ومتى أرادَ بيتهَ فاحتاج^(١) إلى أن ينتكس ويحيى منقضاً -
كانَ أقوى على الارتفاع في الهواء بعد أن يروى^(٢) . وقد تعلمون أنَّ
الباطنيين أشدَّ [متناً] من الظاهريين^(٣) ، وأنَّ النُّقُرسَ لا يُصِيبُ الباطنيَّ
في رجله^(٤) ليس ذلك إلاَّ لأنَّه يصعد إلى العلالي^(٥) فوق السكناديج^(٦)
درجةً بعد درجة ، وكذلك نزوله . فلو درَّبتَ الحمامَ [على]^(٧) هذا الترتيب
كانَ أصوب . ولا يعجِبُنِي تَدْرِيبُ العاتق وما فوق العاتق^(٨) إلاَّ من الأماكن
القريبة ؛ لأنَّ العاتقَ كالفتاةِ العاتق ، وكالصبيِّ الغرير ، فهو لا يَعْدِمُهُ ضعفُ
البدن ، وقلةُ المعرفة ، وسوءُ الإلف . ولا يُعجِبُنِي أن تتركوا الحمامَ حتَّى

(١) ط : « فاحتاج » ، تحريف ما في س ، ل .

(٢) كلمة « الهواء » هي في ط ، س : « الهوى » محرفة . وكلمة « بعد »
ساقطة من ل .

(٣) كذا جاءت كلمتا : « الباطنيين » و « الظاهريين » في ل . وإن كان وجهه
في العربية : « الباطنيات » و « الظاهريات » . إما لأن الجاحظ أراد أن ينقل كلام
« شذويه » كما وقع ، وإما لأنه نزل الحمام منزلة العاقل ، فجمعه جمع العاقلين .
وفي ط : س : « الباطنتين » و « الظاهرتين » وهو لا جرم تحريف .
والباطني : نسبة إلى الباطن ، وهو الذي تكون تربته في باطن بيت مكنون قد مهدت
له في داخله كناديج : أى درجات يصعد عليها إلى قمروصه . والظاهري : نسبة إلى
الظاهر ، والمراد به ما كان صعوده إلى قمروصه من ظاهر البيت فيصعد إليه بالطيران
لإلصاعود التدريجي كما يصنع الباطني .

(٤) ل : « لا يصيب الباطني في رجله » .

(٥) العلالي : جمع عليّة ، بالضم والكسر ، وهي الغرفة .

(٦) السكناديج : جمع كندجة : معرب كندة بالضم ، وهي خشبة عظيمة يستخدمها
الباني في بناء الجدران والطبقان ، انظر الألفاظ الفارسية ١٣٨ . وضبطت :
« الكندجة » في القاموس بفتح الكاف والذال ، ضبط قلم . والمراد بها الدرجات
التي يصعد عليها الحمام . وفي ط : « السكساويج » ، محرفة .

(٧) ليست بالأصل .

(٨) العاتق من الحمام : فرغه ما لم يستحكم . ل : « المتق » في الموضعين .

إذا صار في عدد المسانِّ واكتهل ، وولّد البطونَ بَعْدَ البطونِ ، وأخذ ذلك من قوّة شبابِهِ ، حملتموه على الزَّجَلِ ، وعلى التَّمْرينِ ، ثُمَّ رميتم به أقصى غايةٍ .
لَا ، ولكنَّ التّدريبَ مع الشبابِ ، وانتهاء الحِدّة^(١) ، وكمال القوّة ، ٦٩
من قبل أن تأخذ القوّة في التَّقْصانِ . فهو يلقن بقربه من الحداثة^(٢) ،
ويُعرّف بخروجه من حدّ الحداثة^(٣) . فابتدئوا به التّعليمَ والتّمْرينَ في هذه
المنزلة الوسطى .

(الوقت الملائم لتّمرين فراخ الحمام)

وَهُمْ إذا أرادوا أن يمرّنوا^(٤) الفراخَ أخرجوها وهي جائعة ، حتى إذا ألّقوا إليها الحبَّ أسرعّت النزول . ولا تُخرَحُ والريّح عاصف ، فتخرج قبل المغربِ وانتصافِ النهار . وحذّاقهم لا يخرجونها مع ذكورة الحمام ؛ فإنّ الذُّكورةَ يعترّيها النّشاطُ والطّيران والتّباعدُ ومجاورةُ القبيلة . فإن طارت الفراخُ معها سقطتْ على دُورِ الناسِ . فرياضتها شديدة ، وتحتاج إلى معرفةٍ وعنايةٍ ، وإلى صبرٍ ومُطاوَلَةٍ ؛ لأنّ الذي يُراد منها إذا احتيج^(٥) إليه بعد هذه المقدّمات كان أيضاً من العجَبِ العجيبِ .

(١) س : « مع ائتهائه الحدة والشباب » .

(٢) كذا في ل : وفي ط ، س : « بقوته مع الحداثة » .

(٣) ل : « الحلاثة » ، تحريف .

(٤) ل : « يثبتوا » .

(٥) ل : « جنن » .

(حوار يعقوب بن داود مع رجل في اختيار الحمام)

وحدَّثني بعض من أثقُ به أنَّ يعقوب بن داود ، قال لبعض من دخلَ عليه - وقد ذهب عني اسمه ونسبته ، بعد أن كنتُ عرفته - : أما ترى كيف أخلفَ ظنُّنا وأخطأ رأيُنا ، حتَّى عمَّ ذلك ولم يخصَّ ؟ ! أما كان في جميع من اصطنعناه واخترناه ، وتفرَّسنا فيه الخير وأردناه^(١) به - واحد^(٢) تكفيننا معرفته^(٣) [مؤنة] الاحتجاجِ عنه ، حتَّى صرْتُ لا أفرِّع^(٤) إلَّا بهم ، ولا أعاب^(٥) إلَّا باختيارهم ! ! قال : فقال له رجل إنَّ الحمام يُختار من جهة النَّسب ، ومن جهة الخِلقة ، ثمَّ لا يرضى له أربابُه بذلك حتَّى ترتبه وتنزله وتدرِّجه^(٦) ، ثمَّ تمحَّل الجماعةُ منه^(٧) بعد ذلك التَّرتيب والتَّدرُّب إلى الغاية ، فيذهب الشُّطْرُ ويرجع الشُّطْرُ ، أو شيءٌ بذلك أو قريب^(٨) من ذلك . وأنت عمدتَ إلى حمامٍ لم تنظر في أنسابها ولم تتأمَّل مخيلة الخير في خلقها^(٩) ثمَّ لم ترضَ حتَّى ضربتَ بها بكرَّة^(١٠) واحدةٍ

(١) ط ، س ، « أردنا به » .

(٢) ط : « واحدًا » ، وإنما هو اسم كان أو فاعلها .

(٣) ل : « معرفته » محرفة ، وبعد هذه الكلمة واو حذفها .

(٤) كذا في ل ، س . وهو الصواب . وفي ط : « أفرع » .

(٥) ط ، س : « أداب » محرف .

(٦) كذا في ط ، س ، وفي ل : « حتَّى يرتبوه وينزلوه » .

(٧) ط ، س « معه » وتصحيحه من ل .

(٨) ط ، س : « شبيها » و « قريباً » والوجه الرفع كما في ل .

(٩) المخيلة : موضع الظن ، فهي كالملطنة . انظر اللسان . ط ، س : « مخيلة

موضع الخير » وفيها أيضاً : « في خلقها » .

(١٠) ط ، س : « ضربة » ، تحريف ما في ل .

إلى الغاية^(١) ، فليس بعَجَبٍ ولا مُنْكَرٍ^(٢) ألا يرجع إليك واحدٌ منها ، وإنما كان العَجَبُ في الرجوع ، فأما في الضلال فليس [في] ذلك عَجَبٌ^(٣) . وعلى أنه لو رجع منها^(٤) واحدٌ أو أكثرُ من الواحدِ لكان خطؤك موقراً عليك ، ولم ينتقصه خطأٌ من أخطأ ؛ لأنه ليس من الصواب أن يجيء طائراً من الغاية على غير [عرقٍ ، وعلى غير] تدريب .

باب

ومن كرم الحمام الإلف والأنس والنزاع والمشوق . وذلك يدلُّ على ثبات العهد ، وحفظ ما ينبغي أن يُحفظ ، وصون ما ينبغي أن يصان وإنه نُحِلِّقُ صدق^(٥) في بني آدم فكيف إذا كان ذلك الخلق^(٦) في بعض الطير .

وقد قالوا : عَمَّرَ الله البلدان بحبِّ الأوطان^(٧) .

قال ابن الزبير : ليس النَّاسُ بشيءٍ مِنْ أَقسامهم^(٨) أَفْنَعَ منهم بأوطانهم !

(١) كذا في ط ، س . وفي ل : « واحدة الغايات » .

(٢) ط ، س : « فليس ذلك بعجيب ولا بمنكر » الخ .

(٣) ط ، س : « فليس ذلك بعجيب ولا بمنكر » .

(٤) ط ، س : « منهن » .

(٥) خلق صدق ، بالإضافة ، أي نعم الخلق . وبالوصف ، أي الخلق الكامل . « نحبي صدق » ، تحريف .

(٦) ل : « فكيف بذلك الحق » .

(٧) القول في الحنين إلى الأول من رسائل الجاحظ ٢ : ٣٨٩ مع نسبته إلى عمر بن الخطاب .

(٨) أقسام : جمع قسم ، بالكسر : وهو الحظ والنصيب : ل : « لشيء » تحريف . ط ، س : « في أقسامهم » ، ووجه ما أثبت من ل .

وأخبر الله عزَّ وجلَّ عن طوائف النَّاسِ في حبِّ الأوطان ، فقال : ﴿ قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا ^(١) ﴾ وقال : ﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ ^(٢) ﴾ .

وقال الشاعر :

وكنْتُ فيهم كمْطُورٍ ببلدته فسرَّ أنَّ جمَعَ الأوطانَ والمطرا ^(٣)
فتجدُهُ يُرْسَلُ مِنْ مَوْضِعٍ فيجىء ؛ ثمَّ يخرج من بيته إلى أضيق موضع
ولمَّا رخام ^(٤) ونقان ^(٥) فيرسل من أبعد من ذلك فيجىء . [ثم يصنع به مثلاً
ذلك المزارع الكثيرة ، ويزاد في الفراسخ] ، ثم يسكون جزاؤه ^(٦) أن يغمر
به ^(٧) [من] ^(٨) الرقعة إلى لؤلؤة ^(٩) فيجىء . ويُسترق من منزل

(١) هذا القول حكاية عن بني إسرائيل ، وكانوا طلبوا من نبي لهم - وهو يوشع ، أو شمعون ، أو أشمويل - أن يعين لهم أميراً يتولى قيادتهم في حرب العمالة وكان العمالة قد أجلوا الإسرائيليين وسبوا أولادهم . وكان النبي قال لهم : « هل عسيتم إن كتب عليكم القتال أن لا تقاتلوا » - يقول ذلك متوقفاً عنهم عن القتال - فأجابوه بما في هذه الآية . انظر التفاسير .

(٢) قال العسكري في ديوان المعاني (٢ : ١٨٧) تعقيباً على هذه الآية : « فجعل خروجهم من ديارهم كفاء قتلهم لأنفسهم » .

(٣) أنشده في الحنين إلى الأوطان . وأخذ ابن المولى هذا المعنى فقال (ديوان المعاني ٢ : ١٩٠) :

كمطور ببلدته فأضحى غنيا عن مطالعة السحاب

(٤) هو اسم موضع ، ولم أحقه . وفي ط فقط : « زحام » .

(٥) نقان ، بضم النون ويكسر : اسم جبل في بلاد أرمينية . وفي ط ، س : « قنار » : وفي ل : « نقاد » وهو تحريف ما أثبت .

(٦) كذا في ل . وفي ط : « الحرارة » ! وفي س : « الجراوة » .

(٧) يغمر به : أي يدفع به . س : « يغمر » تصحيف .

(٨) التكلة من ل ، س .

(٩) لؤلؤة : قلعة قرب طرسوس .

صاحبه^(١) فيقصُّ ، وَيَغْبُرُ هناك حولاً وأكثرَ من الحول ، فحينَ يَنْبِت جناحُه يحنُّ إلى إلفه وَيَنْزِع إلى وطنه ، وإن كان الموضعُ الثَّانِي أنفعَ له ، وأنعمَ لباله . فِيَهَبُ فضلاً ما بينهما لموضعِ تربيته وسكنه ؛ كالإنسان الذي لو أصاب في غير بلادِه الرِّيفَ لم يقعْ ذلك في قلبه ، وهو يعالجهم^(٢) على أن يُعطَى عَشْرَ ما هو فيه^(٣) في وطنه .

ثمَّ ربَّما باعه صاحبه ، فإذا وجد مَخْلَصاً رجع إليه ، حتَّى ربَّما فَعَلَ ذلك مراراً . وربَّما طار دَهْرُهُ وجالَ في البلادِ ، وألفَ الطَّيْرانَ والتَّغْلُبَ في الهواء ، والتَّنَظَّرَ إلى الدنيا ، فيبدو لصاحبه^(٤) فيقصُّ جناحَه ويُلقِيه في دِريَاس^(٥) ، فينبِت جناحُه ، فلا يَذْهَبُ عنه ولا يَتَغَيَّرُ له . نَعَمْ ، حتَّى ربَّما جَدَفَ^(٦) وهو مقصوصٌ ، فإمَّا صار إليه ، وإمَّا بلغَ عذراً .

(١) يَسْتَرِقُ : من الاستراق ، وهو السرقة . ل : « يسرق » وفيها أيضاً « نزل » مكان « منزل » ، وهما بمعنى .

(٢) يعالجهم : يمارسهم . وفي ل : « يصالحهم » .

(٣) ل : « عشر ذلك » .

(٤) يُقال بدا له في الأمر : نشأ له فيه رأى .

(٥) الدِريَاس بالسكس : السكن .

(٦) جَدَفَ الطائر : طار وهو مقصوص الجناحين كأنه يرد جناحه إلى خلفه . وهذه

الكلمة محرفة في الأصل ، فهي في ط ، س : « جد » ، وفي ل : « حذف » .

(قص جناح الحمام)

ومتى قصَّ أحد جناحيه كان أعجزَ له عن الطيران ، ومتى قصَّهما جميعاً كان أقوى له عليه ، ولكنه لا يُبْعِد ، لأنَّه إذا كان مقصوصاً من شقٍّ واحدٍ اختلفَ خلقه ، ولم يَعتَدِلْ وزنه ، وصارَ أحدهما هوائياً والآخر أرضياً . فإذا قصَّ الجناحان جميعاً طار ، وإن كان مقصوصاً فقد بلغ بذلك التعديل من جناحيه ^(١) أكثرَ مما كان يبلغ [بهما] إذا كان أحدهما [وافياً] والآخر مبتوراً ^(٢) .

فالكلبُ الذى تدَّعون له الإلفَ وثباتَ العهد ، لا يبلغُ هذا . وصاحبُ الدِّبِكِ الذى لا يفخرُ ^(٣) للدِّبِكِ بشيءٍ من الوفاء والحفاظ والإلف ، أحقُّ بآلاً يعرِّض فى هذا الباب .

قال : وقد يكونُ الإنسان شديدَ الخُصْر ، فإذا قُطِعَتْ إحدى يديه فأراد العَدُوَّ كان خطؤه أقصر ، وكان عن ذلك القصدِ والسَّنِ أذهب ، وكانت غايةً مجهوده أقربَ ^(٤) .

(١) فى الأصل : « جناحه » .

(٢) ط ، س : « إذا قصَّ أحدهما وترك الآخر وافياً » .

(٣) أى لا يجد شيئاً من وفاء الدبِك يستطيع أن يفخر به .

(٤) ل : « أنقص » .

(حديث نبأته الأقطع)

وخبرني كم شئت^(١) ، أن نبأته الأقطع [وكان] من أشداء الفتيان^(٢) وكانت يده قطعت^(٣) من دوين المنكب ، وكان ذلك في شقه الأيسر ؛ فكان إذا صار إلى القتال وضرب بسيفه ، فإن أصاب الضريبة ثبت ، ٧١ وإن أخطأ سقط لوجهه ؛ إذ لم يكن جناحه^(٤) [الأيسر] يمسكه ويثقله حتى يعتدل بدنه .

(أجنحة الملائكة)

وقد طعن قوم في أجنحة الملائكة ، وقد قال الله تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ ﴾ . وزعموا أن الجناحين كاليدين ، وإذا كان الجناح اثنين أو أربعة كانت معتدلة ، وإذا كانت ثلاثة

(١) ل ، ط : « من شئت » . وانظر ماسبق في ص ١٧٨ وكذا ٤ : ٤٦ و ٥ : ٣٧٤

وكتاب البغال من رسائل الجاحظ ٢ : ٢٦٤ .

(٢) في الأصل : « من أشداء الفتيان أن نبأته الأقطع » ، وقد رددت الكلمات الثلاث الأولى إلى موضعها ، كما زدت « وكان » لينتظم الكلام .

(٣) ل : « وكانت قطعت » .

(٤) الجناح ، ليس خاصا بالطير ، بل يقال أيضا : جناح الإنسان : أى يده ، أو عضده أو إبطه .

كان^(١) صاحبُ الثلاثةِ كالجادف^(٢) من الطَّير ، الذى أحدُ جناحيه مقصوص ، فلا يستطيع الطَّير أن لعدم التعديل . وإذا كان أحدُ جناحيه وافياً والآخرُ مقصوصاً ، اختلفَ خلقه وصار بَعْضُهُ يذهب إلى أسفل والآخر إلى فوق .

وقالوا : إنّما الجناحُ مثل اليد ، ووجدنا الأيدى والأرجلَ فى جميع الحيوان لا تكونُ إلّا أزواجاً . فلو جعلتمُ لِكُلِّ واحدٍ منهم مائةَ جناحٍ لم تُنْكِرْ ذلك . وإن جعلتموها أنقصَ بواحدٍ أو أكثرَ بواحدٍ لم نجوزهُ . قيل لهم : قد رأينا من ذوات الأربع ما ليس له قرن ، ورأينا ماله قرنانِ أملسان ، ورأينا ماله قرنان لها شُعَبٌ فى مقاديم القرون^(٣) ، ورأينا بعضها جُمّاً ولأخواتها قرون ، ورأينا منها ما لا يقال لها جُمٌّ لأنّها ليست لها شكلُ ذوات القرون ، ورأينا لبعض الشاءِ عِدَّةَ^(٤) قرونٍ نابتةٍ فى عظم الرأسِ أزواجاً وأفراداً ، ورأينا قرونًا جوفاً فيها قرون ، ورأينا قرونًا لاقرونَ فيها ، ورأيناها مُصمّمةً ، ورأينا بعضها ينصلُّ قرْنُهُ فى كلِّ سنة ، كما تسَلَخُ الحيةُ جلدها ، وتنفضُ الأشجارُ ورقها ، وهى قُرون الأيائل . وقد زعموا أنَّ للحِجارِ الهندى^(٥) قرناً واحداً .

(١) كذا فى ط . وفى ل ، س : « صار » .

(٢) الجادف : الذى يطير وهو مقصوص . وفى ط : « كالحاذق » وفى ل ، س : « كالجاذف » ، وصوابهما ما أثبت .

(٣) ط : « مقادير » وتصحيحه من ل ، س .

(٤) ط : « لبعض الساعدة » وتصحيحه من ل ، س .

(٥) الحمار الهندى هو السكركدن ، وحيد القرن . والذى سماه بالحمار الهندى هو أرسطو فى كتابه (الحيوان) . قال الجاحظ فى الحيوان (٧ : ٤٠) : « وقد ذكره صاحب المنطق فى كتاب الحيوان ، إلا أنه سماه بالحمار الهندى » .

وقد رأينا طائراً شديداً الطيران بلا ريشٍ كأنخفاش ، ورأينا طائراً لا يطير وهو وافي الجناح ، ورأينا طائراً لا يمشي وهو الزرّزور . ونحن نؤمن بأن جعفر الطيّار ابن أبي طالب ، له جناحان يطير بهما في الجنان ، جُعلا له عوضاً من يديه اللتين قطعنا على لواء المسلمين في يوم مؤتة ^(١) . وغير ذلك من أعاجيب أصناف الخلق .

فقد يستقيم - وهو سهلٌ جائزٌ شائعٌ مفهوم ، ومعقول قريبٌ غير بعيد أن يكون إذا وُضع طباع الطائر على هذا الوضع الذي تراه ألا يطير ^(٢) إلا بالأزواج . فإذا وُضع على غير هذا الوضع ، وركّب غير هذا التركيب صارت ثلاثة أجنحة وفوق ^(٣) تلك الطبيعة . ولو كان الوطواط في وضع أخلاطه ^(٤) وأعضائه وامتزاجاته ^(٥) كسائر الطير ، لما طار ^(٦) بلا ريش .

(١) كان يوم مؤتة في الثامنة من الهجرة بين المسلمين والروم . وكان قد حمل لواء المسلمين زيد بن حارثة فقتل ، فحمله جعفر بيمينه فقطعت ، ثم بشماله فقطعت ، فاحتضنها بعضديه فقتل وخر شهيداً ، فحمل اللواء بعده عبد الله بن رواحة فقتل أيضاً . وكان جعفر أيضاً يلقب بذي الهجوتين : هجرة الحبشة والمدينة . وانظر الإصابة ٦١٦٢ وجمهرة أنساب العرب لابن حزم ٦٨ - ٦٩ .

(٢) ط : « لا يسير » . س : « لا تطير » وتصحيحه من ل .

(٣) وفوق ، كرّسول ، بمعنى ملائمة موافقة . ومثلها وفق ، بالفتح . انظر اللسان (وفق) ومعنى الكلام أن الأجنحة الثلاثة تكون موافقة لهذا التركيب الشاذ .

(٤) كذا في ل . وفي ط ، س : « وضع في أخلاطه » .

(٥) ط ، س : « وامتزاجه » .

(٦) كذا في ل . وفي ط ، س : « كان » .

(الطير الدائم الطيران)

وقد زعم البحريون أنهم يعرفون^(١) طائراً لم يسقط قط ، وإنما يكون سقوطه من لدن خروجه من بيضه [إلى] أن يتم^(٢) قصب ريشه ، ثم يطير ٧٢ فليس له رزق إلا من بعوض الهواء وأشباه البعوض ؛ إلا أنه قصير العمر سريع الانحطام .

(بقية الحديث في أجنحة الملائكة)

وليس بمستنكر أن يُمزج^(٣) الطائر ويُعجن غير عجنه الأول^(٤) [فيعيش ضعف ذلك العمر] . وقد يجوز أيضاً أن يكون موضع الجناح الثالث بين^(٥) الجناحين ، فيكون الثالث للثاني كالثاني للأول ، وتكون كل واحدة من ريشة عاملة في التي تليها من ذلك الجسم^(٦) ، فتستوى في القوى وفي الحصص .

(١) كذا في ل . وفي ط ، س : « وقد زعم البحريون أن » . وهذا الطائر الذي حكى عنه الجاحظ ، تحدث عنه القزويني في عجائب المخلوقات ١٠٣ عند كلامه على بحر الصين ، ولم يسمه .

(٢) ط ، س : « تم » .

(٣) كذا في ل . وفي ط : « يمزج » . وفي س : « يمزج » ، محرفة .

(٤) س : « غير عجنه الأول » .

(٥) ل : « من » ، تحريف .

(٦) ل : « البدن » .

ولعلَّ الجناح الذى أنكره الملحدُ الضَّيِّقُ العَظَنُ^(١) أن يكونَ مركزُ قوادمِهِ فى حاقِّ الصُّلبِ^(٢) .

ولعلَّ ذلكَ الجناحَ أن تكونَ الريشةُ الأولى منه معينةً للجناحِ الأيمنِ والثانيةُ معينةً للجناحِ الأيسرِ . وهذا مما لا يضيقُ عنه الوهمُ ، ولا يعجزُ عنه الجوازُ^(٣) .

فإذا كان ذلكَ ممكناً^(٤) فى معرفة العبدِ بما أعاره الربُّ جلَّ وعزَّ ، كان ذلكَ فى قدرةِ الله أجوز . وما أكثرَ من يضيقُ صدرُهُ لقلَّةِ علمه !

(أعضاء المشى لدى الحيوان والإنسان)

وقد علموا أنَّ كلَّ ذى أربعٍ فإنَّه إذا مشى قدَّم إحدى يديه ، ولا^(٥) يجوز أن يستعملَ اليَدَ الأخرى ويقدمها بَعْدَ الأولى حَتَّى يستعملَ الرَّجْلَ المخالِفةَ لتلكَ اليَدَ : إنَّ كانتَ اليَدُ المتقدِّمةُ اليمْنى حَرَّكَ الرَّجْلَ اليسرى ، وإذا حَرَّكَ الرجلَ اليسرى لم يحركِ الرَّجْلَ اليمْنى — وهى أَقْرَبُ إليها^(٦) وأشبهُ بها — حَتَّى يحركِ اليَدَ اليسرى . وهذا كثير .

(١) الضيق العطن : الضيق الصدر ، السريع الغضب . وأصل العطن مريض الإبل والغنم حول الماء . ط ، ل : « لضيق العطن » .

(٢) حاق الصلب : وسطه .

(٣) كذا فى ل . وفى ط ، س : « الجواب » .

(٤) ل : « مكيفا » ، وهو تحريف .

(٥) ل : « وقد » ، وهو تحريف يفسد المعنى .

(٦) كذا فى ل ، س . وهو الصواب . وفى ط : « اليد » .

[و^(١)] في طريقٍ أخرى فقد يقال : إنَّ كلَّ إنسانٍ فإنما رُكِبَتْهُ
في رجله ، وجميعَ ذواتِ الأربعِ فإنما رُكِبها في أيديها . وكلُّ شيءٍ
ذی كفَّ وبنان كالإنسان ، والقرد ، والأسد ، والضَّب ، والدَّب ، فكفَّه
في يده . والطَّائر كفَّه في رجله .

(استعمال الإنسان رجله فيما يعمل به في العادة بيديه)

وما رأيتُ أحداً ليس له يَدٌ إلَّا وهو يعمل برجله ما كان [يعمل^(٢)]
بيديه ، وما أقف على شيءٍ من عمل الأيدي إلَّا وأنا قد رأيتُ قوماً
يتكلفونه بأرجلهم .

ولقد رأيتُ واحداً منهم راهنَ على أن يُفرِّغ برجله ما في
دَسْتِجَةٍ^(٣) نبيذ في قناني رِطْلِيَّاتٍ وَفُقَاعِيَّاتٍ^(٤) ، فراهنوه ، وأزعجني
أمرُ فتركتَه عند ثقاتٍ لا أشكُّ في خبرهم ، فزعموا أَنَّهُ وَفَى وزاد . قلت :

(١) الزيادة من س .

(٢) التكلف من ل ، س .

(٣) الدسْتِجَة : واحدة الدسْتِج ، وهي - كما في تاج العروس - : آنية تحول باليد
وتنقل . فارسي معرب : « دسْتِ » . وأصل « دسْتِ » في الفارسية بمعنى اليد .
انظر الألفاظ الفارسية ٦٣ .

(٤) رطلیات، أى تسع للواحدة منها رطلا . والفقاعیات : ضرب من القوارير صغار ،
ولم أجد لها نصاً يفمرها .

قد عَرَفْتُ قَوْلَكُمْ « وَفِي » فَمَا مَعْنَى قَوْلِكُمْ « زَادَ » . قالوا : هو أَنَّهُ لو صَبَّ
من رَأْسِ الدَّسْتِيحَةِ حَوَالِي أَفْوَاهِ الْقَنَانِيِّ كَمَا يَعْجِزُ عَنْ ضَبْطِهِ جَمِيعُ أَصْحَابِ
الْكَمَالِ فِي الْجَوَارِحِ ، لَمَا أَنْكَرْنَا ذَلِكَ . وَلَقَدْ فَرَّغَ مَا فِيهَا فِي جَمِيعِ الْقَنَانِيِّ
فَمَا ضَبَّعَ أَوْقِيَّةً وَاحِدَةً .

(قِيَامُ بَعْضِ النَّاسِ بِعَمَلِ دَقِيقٍ فِي الظَّلَامِ)

وخبَّرَنِي الْحَزَامِيُّ^(١) عَنْ خَلِيلِ أَخِيهِ^(٢) ، أَنَّهُ مَتَى شَاءَ أَنْ يَدْخُلَ
فِي بَيْتٍ لَيْلًا بِلَا مُصْبَاحٍ ، وَيَفْرَغَ [قُرْبَةً]^(٣) فِي قَنَانِيٍّ فَلَا يَصْبُغُ إِسْتَارًا^(٤)
وَاحِدًا فَعَلَهُ .

و [لو] حَكَى لِي الْحَزَامِيُّ هَذَا الصَّنِيعَ عَنْ رَجُلٍ وُلِدَ أَعْمَى أَوْ عَمِيَ
فِي صَبَاهُ ، كَانَ يَعْجِبُنِي مِنْهُ أَقْلٌ . فَأَمَّا مَنْ تَعَوَّدَ أَنْ يَفْعَلَ مِثْلَ ذَلِكَ وَهُوَ
يَبْصُرُ فَمَا^(٥) أَشَدَّ عَلَيْهِ أَنْ يَفْعَلَهُ وَهُوَ مَغْمَضُ الْعَيْنَيْنِ . فَإِنْ كَانَ أَخُوهُ قَدْ
كَانَ يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ إِذَا غَمَضَ عَيْنَيْهِ فَهُوَ عِنْدِي عَجَبٌ . وَإِنْ كَانَ يَبْصُرُ
فِي الظُّلْمَةِ فَهُوَ قَدْ أَشْبَهَ فِي هَذَا الْوَجْهِ السَّنُورَ وَالْفَأْرَ ؛ فَإِنَّ هَذَا عِنْدِي عَجَبٌ

(١) هو أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ كَاسِبٍ ، كَانَ مُعَاوِرًا لِلْجَاوِزِ ، وَقَدْ أَفْرَدَ

لَهُ حَدِيثًا فِي الْبُخْلَاءِ ٤٧ - ٥٤ . وَفِي ط ، س : « الْحَزَامِيُّ » وَفِي ل :

« الْحَزَامِيُّ » .

(٢) ل : « مُلِكٌ » .

(٣) الزِّيَادَةُ مِنْ س . وَبَدَّلَهَا فِي ل : « قَرَابَةٌ » مُحَرَّفَةٌ .

(٤) الْإِسْتَارُ : ثَلَاثَةُ أَخْصَاسِ الْأَوْقِيَّةِ ؛ إِذَا الْأَوْقِيَّةُ إِسْتَارَ وَثَلَاثًا إِسْتَارَ .

(٥) ل : « يَبْصُرُهُ » .

آخر ، وغرائب الدنيا كثيرة عند كل من كان كلفاً بتعارفها ، وكان له في العلم أصل ، وكان بينه وبين التبيين^(١) نسب .

(اختلاف أحوال الناس عند سماع الغرائب)

وأكثر الناس لا تجدهم إلا في حالتين : [إما في حال]^(٢) إعراض عن التبيين وإهمال للنفس^(٣) ، وإما في حال^(٤) تكذيب وإنكار وتسرع إلى أصحاب الاعتبار وتتبع الغرائب ، والرغبة في الفوائد . ثم يرى بعضهم أن له بذلك التكذيب فضيلة^(٥) ، وأن ذلك باب من التوقي ، وجنس من استعظام الكذب ، وأنه لم يكن كذلك إلا من حاق الرغبة^(٦) في الصدق . وبئس الشيء عادة الإقرار والقبول . والحق^(٧) الذي أمر الله تعالى به ورغب فيه ، وحث عليه [أن ننكر من الخبر ضربين : أحدهما ما تناقض واستحال ، والآخر ما امتنع في الطبيعة ، وخرج من طاقة الحلقة . فإذا خرج الخبر من هذين البابين ، وجرى عليه] حكم^(٨) الجواز ، فالتدبير^(٩) في ذلك التثبت

(١) التبيين : التفهم . وفي ط س : « التبيين » ، وتوجيه من ل . و « نسب »

هي في الأصل : « نصيب » ، والوجه ما أثبت . انظر (١ : ٣ س ٤) .

(٢) الزيادة من ل ، س .

(٣) ط ، س : « النفس » .

(٤) ط : « حاله » وأثبت ما في ل ، س .

(٥) ط ، س : « فوائد » .

(٦) حاق الرغبة : شدتها . ط : « حاز الرغبة » وصوابها في ل ، س .

(٧) ط ، س : « أو تبين الشيء معاندة للإقرار وقهراً بالحق و » ، مكان :

« وبئس الشيء » . . الخ ، وهو تحريف ما أثبت من ل .

(٨) ط ، س : « ذكر » .

(٩) ط ، س : « والترتيب » ، محرفة .

وَأَنْ يَكُونَ الْحَقُّ فِي ذَلِكَ هُوَ ضَالَّتْكَ ، وَالصَّدَقُ هُوَ بُغَيْتُكَ ، كَانَتْ
مَآكَانَ ، وَقَعَ مِنْكَ بِالْمُوَافَقَةِ ، أَمْ وَقَعَ مِنْكَ بِالْمَكْرُوهِ . وَمَتَى لَمْ تَعْلَمْ أَنَّ
ثَوَابَ الْحَقِّ وَثْمَةَ الصَّدَقِ أَجْدَى عَلَيْكَ مِنْ تِلْكَ الْمُوَافَقَةِ لَمْ تَقَعِ ^(١) عَلَى أَنْ
تُعْطِيَ التَّثْبُتَ حَقَّهُ .

(تَشْبِيهِ رَمَادِ الْأَثَانِ بِالْحَمَامِ)

قال : وهم يصفون الرماد الذي بين الأثافي بالحمامة ، ويجعلون الأثافي
أظناراً لها ، للانحناء الذي في أعالي تلك الأحجار ، ولأنها كانت معطّفاتٍ
عليها وحانياتٍ على أولادها . قال ذو الرُّمَّة :
كَأَنَّ الْحَمَامَ الْوُرْقَ فِي الدَّارِ جَثَّمَتْ عَلَى خَرَقٍ بَيْنَ الْأَثَانِ جَوَازِلُهُ ^(٢)
شَبَّهَ الرَّمَادَ بِالْفَرَاحِ قَبْلَ أَنْ تَنْهَضَ . وَالْجُثُومَ فِي الطَّيْرِ ^(٣) مِثْلَ الرُّبُوضِ
فِي الْغَنَمِ . وَقَالَ الشَّيْخُ :
وإِثْرَ رَمَادٍ كَالْحَمَامَةِ مِثْلَ وَنُؤْيَيْنِ فِي مَظْلُومَتَيْنِ كُدَاهِمَا ^(٤)

(١) ل : « لم تقو » .

(٢) ط : « أجثم » مكان « جثمت » ، وهو تحريف صوابه في ل ، س والديوان ٤٦٥ . وروى في
أمال المرتضى ٣ : ١٢١ : « وقمت » . قال المرتضى : « شبه الأثافي بالحمام الورق ،
وجعلها ظنوراً لتعطفها على الرماد . وشبه الرماد بفرخ خرق قد سقط ريشه .
والجوازل : الفراخ ، واحدها جوزل » .

(٣) ل : « الخليل » ، وهو تحريف ظاهر .

(٤) إرث رماد : أى أصله . والنؤى بالضم : حفيرة تحفر حول الخباء يجعل ترابه حاجزاً
لمنع المطر . والمظلومة : الأرض حفرت ولم تكن حفرت قبل ذلك . والكدى :
جمع كدية بالضم ، وهى الأرض الغليظة . والرواية في ديوان الشيخ : « ونؤيان » .
وقبل البيت :

أقامت على ربعيها جارتا صفا كيتا الأعالي جونتنا مصطلامها

وبعده :

أقاما لليل والرباب وزالتا بذات السلام قد عفا طلاهما

وقال أبو حية :

[مِنْ الْعَرَصَاتِ غَيْرِ مَخْدٍ نُؤْيِ كِبَاقِي الْوَحْيِ خُطٌّ عَلَى إِمَامٍ ^(١)
وغيرِ خِوَالِدٍ لَوْحْنٍ حَقِّي بِهِنَّ عَلَامَةٌ مِنْ غَيْرِ شَامٍ] ^(٢)
كَأَنَّ بِهَا حَمَامَاتٍ ثَلَاثًا مَثَلْنَ وَلَمْ يَطِرْنَ مَعَ الْحَمَامِ
وقال العرجي :

وَمَرِيطُ أَفْرَاسٍ وَخَيْمٌ مُصَرَّعٌ وَهَابٌ كَجُثْمَانِ الْحَمَامَةِ هَامِدٌ ^(٣)
وقال البعيث :

وَسَفْعٌ ثَوَيْنَ الْعَامَ وَالْعَامَ قَبْلَهُ وَسَخَقَ رَمَادٍ كَالنَّصِيفِ مِنَ الْعَصَبِ ^(٤)

(بعض ما قيل من الشعر في نوح الحمام ، وفي بيوتها)

وقالوا في نوح الحمام ، قال جِرَان الْعُود :

٧٤ واستقبلوا وادياً نوحُ الحمامِ بِهِ كَأَنَّهُ صَوْتُ أَنْبَاطٍ مَثَاكِيلٍ ^(٥)

(١) المخذ : موضع الخد ، وهو الشق . والوحى : الكتابة . والإمام : الكتاب .
وفي القرآن الكريم : « يوم ندعو كل أناس بإمامهم » أى كتابهم .

(٢) لوحن : غيرتهن النار . وعنى بالخوالد الأثافي لأنهن يبقين بعد هجرة أصحابهن
ودروس ربوعهم . والشام : جمع شامة ، وهو الأثر الأسود في البدن ، أو الأرض .

(٣) الخيم : أعواد تنصب في القيط وتجعل لها عوارض وتظلل بالشجر فتكون أبرد
من الأخبية . وقبل : هى عيدان يبنى عليها الخيام . والهَاب : الرقيق الدقيق المرتفع ،
وأراد به الرماد .

وقبل البيت كما في ديوان العرجي ١١٧ :

فَوَادِكْ أَنْ يَهْتَاجَ لِمَا بَدَا لَهُ رَسُومُ الْمَغَافِ وَالْأَثَافِ الرَوَاكِدِ

(٤) النصيف : ماله لونان . والعصب : ضرب من البرود اليمنية ، يعصب غزلها
أى يجمع ويشد ، ثم يصيغ وينسج فيأتى موشياً ، ابقاء ما عصب منه أبيض
لم يأخذه صبيغ .

(٥) ط : « وديا » .

وقالوا في ارتفاع مواضع بُيوتها وأعشاشها . قال الأعشى :

ألم تر أن العرض أصبح بطنه نخيلاً وزرعاً نابتاً وفصافصاً^(١)
وذا^(٢) شُرُفات يقصر الطرف دونه ترى للحمام الورق فيه قرامصاً^(٣)
وقال عمرو^(٤) بن الوليد :

فنبذتُ من مساكن قومي والقصور التي بها الآطامُ
كلَّ قصرٍ مشيدٍ ذى أواسٍ تنغى على ذراه الحمام^(٥)
والحمام أيضاً ربما سكن أجواف^(٦) الركايا ، ولا يكون ذلك إلا
للوحشى منها ، وفي البير التي لا تُورد . قال الشاعر :
بدلو^(٧) غير مُكربَةٍ أصابت^(٨) حماماً^(٩) في مساكنه فطاراً
يقول : استقى يسفرت^(١٠)ه من هذه البئر ، ولم يستق بدلو . وهذه
بئر قد سكنها الحمام لأنها لا تُورد .

-
- (١) الفصافص : جمع فصفص أو فصفصة ، بكسر الفاءين من كل منهما ، وهى رطب التفت .
(٢) ط ، س : « وذى » .
(٣) القرامص : جمع قرهوص ، بضم القاف ، وهو عش الحمام . وقد حذف ياء القراميص للشعر .
(٤) ل : « عمر » ، وهو تحريف ما أثبت من ط ، س . وانظر تحقيق السابق في التنبيه الثانى ص ٢٠٨ حيث تجد ترجمته .
(٥) سبق الكلام في شرح الشعر وأصله ص ٢٠٨ .
(٦) ط ، ل : « أجواف » جمع جرف ، والمراد به الحفرة في جدار الركية .
(٧) ط : « بدلو » وصوابه في ل ، س .
(٨) كذا في ل : وهو الصواب . وفي ط : س : « أطابت » . والمكربة : ذات الكرب بالتحريك ، وهو حبل الدلو .
(٩) ط : « حماما » وهو تطبيع .
(١٠) السفرة : ما يوضع فيه المسافر طعامه ، وأكثر ما يكون ذلك جلداً مستديراً . ط : « بملغوة » س : « بملغوة » .

وقال جهم بن خلف (١) :

وقد هاج شوقى أن تغت حمامة مطوقة ورقاء تصدح في الفجر
هتوف تبكى ساق حُرٍّ ، ولن ترى لها دَمعةً يوماً على خدِّها تجرى
تغنت (٢) بلحنٍ فاستجابت لصوتها نوائحُ بالأصيف (٣) في فنِّ السدر (٤)
إذا فترت كرت بلحنٍ شج لها (٥)

يهيج (٦) للصبِّ الحزين جوى الصَّدرِ
دعتهنَّ مطرابُ العشيات والضُّحى بصوتٍ يهيجُ المستهَامَ على الذِّكرِ
فلم أرَ ذا وجدٍ يزيدُ صباةً عليها ، ولا شكلى تبكى على بكر (٧)
فأسعدنَّها بالنوح حاء كائنما شربنَ سُلَافاً من معتقةِ الخمر (٨)
تجاوبنَ لحناً في الغُصون كأنَّها نوائحُ مَيّتٍ يلتدمنَ لدى قبر (٩)
بسرةٍ وادٍ من تبالةٍ مُونِقٍ كسا جانبيه الطلحُ واعتمَّ بالزَّهر (١٠)

(١) جهم بن خلف المازنى : راوية عالم بالغريب والشعر في زمان خلف والأصمى ، وله شعر في الحشرات والجراح من الطير . الفهرست ٤٧ ليسك ٧٠ مصر . ط ، س : « بن ضابى » وأثبت ما فى ل .

(٢) ل : « فغنت » والأجزل ما أثبت من ط ، س .

(٣) الأصيف : جمع صيف . ط ، س : « بالأصناف » ل : « بالأصيف » وهما تصحيف .

(٤) السدر : شجر النبق . وقد أراد بكلمة « فن » الأفنان : أى الأغصان ، أطلق المفرد وأراد الجمع وذلك كثير في كلامهم .

(٥) ط ، س : « شجونها » .

(٦) ط ، س : « تهيج » .

(٧) يزيد صباة ، أى تكون صبايته أشد وأعنف من صبايتها . ط ، س : « على وكر » والوجه ما أثبت من ل .

(٨) ل : « فأسعدتها بالعوج » ! وجعلهن قد شربن الخمر لما كان لهن من شدة الصوت ؛ فعل العريبد .

(٩) يلتدمن ، من الالتدام ، وهو ضرب المرأة صدرها في النياحة .

(١٠) تبالة : موضع ببلاد اليمن ، حيث الشجر والنضرة . والطلح : شجر عظام . ط ، س : « الزهر » .

(استطراد لغوى)

ويقال : هدر الحمام يهدر . قال : ويقال فى الحمام الوحشى من القمارى والفواخيت والدباسبى وما أشبه ذلك : قد هدل يهدل هديلاً . فإذا طرب قيل غرد يغرد تغريداً . والتغريد يكون للحمام والإنسان ، وأصله من الطير . وأما أصحابنا فيقولون : إنَّ الجمل يهدر ، ولا يكون باللام ، والحمام يهدل ٧٥ وربما كان بالراء .

وبعضهم يزعم أنَّ الهديلَ من أسماء الحمام الذكر . قال الراعى وأسمه عبيد بن الحصين - :
كهدهد كسر الرماة جناحه يدعو بقارعة الطريق هديلاً (١)

(ساق حرّ)

وزعم الأصمعى أنَّ قوله : « هتوف تبكى ساق حرّ » إنما هو حكاية صوت وحشي الطير من هذه النواحيات . وبعضهم يزعم أنَّ « ساق حرّ » هو الذكر ، وذهب إلى قول الطرمّاح فى تشبيه الرّماد بالحمام ، فقال :
بين أظآرٍ بمظلومةٍ كسراةِ السّاقِ ساقِ الحمامِ (٢)

(١) الهداهد : الهدهد . وقد شبه بذلك الهدهد الذى كسر جناحه ، رجلاً أخذ المصدق إبله . وقبل البيت :

أخلوا حولته فأصبح قاعداً لا يستطيع عن الديار حويلاً
يدعو أمير المؤمنين ودونه خرق تجر به الرياح ذيولاً
وهو من قصيدة طويلة عدة أبياتها تسعة وثمانون ، ذكر منها البغدادى فى الخزائنة (٣ : ١٣١ سلفية) أربعة وعشرين .

(٢) الأظآر : الأثافي . والمظلومة : الأرض حفرت فى غير موضع حفر . والسراة : الظهر . ط ، س : « كسرات » تحريف . والساق : الحمام . وقصيدة البيت فى ديوان الطرمّاح ٩٥ - ١١٠ . والبيت فى ص ٩٦ . والقصيدة من بحر المديد يصح فى رويها الإمكان والكسر ، كما فى تكملة الصاغاني .

(صفة فرس)

وقال آخر^(١) يصف فرساً :

يَنْجِيهِ مِنْ مِثْلِ حَمَامٍ^(٢) الْأَغْلَالِ رَفَعُ يَدٍ عَجَلَى وَرَجَلَ شِمَالًا
* تَظْمَأُ مِنْ تَحْتُ وَتُرَوَّى مِنْ عَالٍ^(٣) *

الأغلال^(٤) : جمع غَلَلٍ ، وهو الماء الذى يجرى بين ظهري الشجر^(٥)

قال : والمعنى : أن الحمام إذا كان يريد الماء فهو أسرع لها . وقوله : شمالاً
أى خفيفة .

باب^(٦)

ليس فى الأرض جنسٌ يعتريه الأوضاح والشَّيات ، ويكون فيها
المصمّت والبهيم أكثر ألواناً ، [و] من أصناف التَّحَاسِين^(٧) ما يكون
فى الحمام ، فإما ما يكون أخضر مصمّتا ، [وأحمر مصمّتا] ، وأسود

(١) هو دكين الراجز ، كما فى اللسان (غلل) .

(٢) يقول : ينجى هذا الفرس من خيل سراع فى الغارة كالحمام الواردة . ل :

« حمام » تصحيف .

(٣) تظمأ : أى تكون متوترة ليس فيها رهل ، وذلك محمود فى الفرس . وفى الأصل :

« يظمأ » . وتروى : أى يكثر لحمها . من عال : من أعلى .

(٤) قبل هذه الكلمة فى ط ، س كلمة : « حمام » وليس يتطلبها الكلام .

(٥) بين ظهري الشجر : وسطه . ومثله بين ظهرائيه .

(٦) هذه الكلمة ساقطة من ل ، وبدلها : « وقال صاحب الحمام » .

(٧) التحاسين : جمع تحسين . وفى ط : « التحاسين » ، وهو تصحيف .

مصممتا ، [وأبيض مصممتا ^(١)] ، وضروبا من ذلك ، كلها مصممة . إلا أن الهداية للخضر والنمر ^(٢) . فإذا ابيض الحمام [كالقيقع] فثله من الناس الصقلابي ^(٣) ، فإن الصقلابي ^(٣) فطير ^(٤) خام ^(٥) لم تنضجه الأرحام ؛ [إذ كانت الأرحام] في البلاد التي شمسها ضعيفة .

وإن اسود ^(٦) الحمام فإنما ذلك احتراق ، ومجازة لحد النضج . ومثل [سود الحمام ^(٧)] من الناس الزنج ؛ فإن أرحامهم تجاوزت حد الإنضاج إلى الإحراق ، وشيئت ^(٨) الشمس شعورهم فتقبضت . والشعر إذا أذيتته من النار تجعد ، فإن زدته تفلل ^(٩) ، فإن زدته احترق .

وكما أن عقول سودان الناس وحرائرهم دون عقول السمر ، كذلك يبيض الحمام وسودها دون الخضر في المعرفة والهداية .

(١) الزيادة من ل ، س . والمراد بالمصمت : الخالص .

(٢) النمر : جمع أتمر ، وهو ما فيه نمرة بيضاء وأخرى سوداء .

(٣) كذا جاء . والوجه « صقلابي » ، نسبة إلى صقلاب ، وهو موضع بصقلية ، وآخر بين بلغار والقسطنطينية .

(٤) فطير : لم ينضج . وفي ط : « قطر » وتصحيحه من ل ، س .

(٥) الحام : أصل معناه الدبس الذي لم تمسه النار ، وكذلك الجلد لم يدبغ أو لم يبالغ في دبغه ، وهي كلمة معربة . ط ، س : « خاص » تحريف .

(٦) ط : « أسود » وهو خطأ .

(٧) بدل هذه الزيادة المثبتة من ل ، كلمة « به » في ط ، س .

(٨) شبيطت : أحقرت . ط : « كشطت » س : « نشطت » تحريف ما أثبت من ل .

(٩) يقال شعر مقلقل : شديد الجمودة . في الأصل : « تقلقل » وهو تصحيف .

(استطراد لغوى)

وأصل الخضره إنما هو لون الرِّيحان والبقول^(١) ، ثمَّ جعلوا بعدُ الحديدَ أخضرَ ، والسماءَ خضراءَ ، حتَّى سَمَّوا بذلك الكُحْلَ واللَّيْلَ . قال الشَّامُخُ بْنُ ضَرَارٍ :

٧٦ وَرُحْنٌ رَوَاحاً مِنْ زَرُودٍ فَنَازَعَتْ زُبَالَةً جَلْبَاباً مِنَ اللَّيْلِ أَخْضَرَا^(٢)
وقال الرَّاجِزُ :

حَتَّى انْتَضَاهُ الصُّبْحُ مِنْ لَيْلٍ خَضِرٍ^(٣) مثلَ انْتِضَاءِ الْبَطْلِ السَّيْفِ الذِّكْرُ^(٤)
* نَضُو هُوًى بِالٍ عَلَى نِضْوٍ سَفَرٍ^(٥) *

وقال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ . فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ . مُدْهَمَّتَانِ ﴾ ، قال : خضروان من الرُّى سوداوان .
ويقال : إنَّ العراقَ إنما سَمَّى سَوَاداً بِلَوْنِ السَّعَفِ الَّذِي فِي النَّخْلِ ، وَمَائِهِ .

والأسودان : الماء والتمر . والأبيضان : الماء واللبن . والماء^(٦)
أَسْوَدُ إِذَا كَانَ مَعَ التَّمْرِ ، وَأَبْيَضُ إِذَا كَانَ مَعَ اللَّبَنِ .

(١) ل : « إنما هو للرِّيحان والبقول » .

(٢) بدل هذا البيت جميعه في ط ، س : « فنازعت جلبابا من الليل أخضراً » ، وأثبت البيت كاملا من ل . على أن صواب روايته : « وراحت رواحا » لأنه في صفة ناقة واحدة كما في الديوان ص ٣١ ومقابلها وكما في رسائل الجاحظ ٧٠ . وزرود : رمال بين الثعلبية والخزيمية . وزباله ، بالضم : منزل بطريق مكة من الكوفة .
(٣) الرواية في رسائل الجاحظ : « حتى انتضاني » .

(٤) السيف الذكر : الجيد الحديد الشديدها . ل : « الليل الذكر » تحريف .

(٥) عني بالنضو البالي : الراكب . وبالنضو الآخر : مركبه من الإبل .

(٦) ل : « فلما » .

ويقولون : سَوْدُ البطون وحُمَر السُّكْلَى^(١) ، ويقولون : سود الأكباد يريدون العداوة ، وأن الأحقاد قد أحرقت أكبادهم^(٢) . ويقال للحافر أسود البطن ، لأنَّ الحافر لا يكون في بطونها شحم^(٣) .

ويقولون : نحن بخيرٍ ما رأينا سَوَادَ فلان بين أظهرنا ، يريدون شخصه . وقالوا : بل يريدون ظله .

فأما خَضَرَ مُحَارِب^(٤) ، فإنما يريدون السُّودَ^(٥) وكذلك : خَضَرَ غَسَّان . ولذلك قال الشاعر :

إِنَّ الخَضَارِمَةَ الخَضَرَ الَّذِينَ غَدَوْا أَهْلَ الْبَرِيصِ ثَمَانٍ مِنْهُمْ الْحَكَمُ^(٦)
ومن هذا المعنى قول القرشي^(٧) في مديح نفسه :

(١) الكلى : جمع كلية . وفي الأصل : « سود البطن حمر الكلا » ، وذا تحريف وتشويه .

(٢) كذا في ل . وفي ط ، س : « كالأحقاد أحرقت الأكباد » ، تحريف .

(٣) كذا في ل ، س . وفي ط : « لأن الحوافر لا يكون في بطونها شحم » .

(٤) هم بنو محارب بن خصيفة بن قيس عيلان .

(٥) كذا في ل . وفي ط ، س : « السودد » وليس مراداً ، وجاء في الرسائل ٧٢ ساسي : « وقد فخرت خضر محارب بأنها سود ، والسود عند العرب الخضر » .

(٦) الخضارمة : جمع خضرم ، بكسر الخاء والراء — وهو السيد الحمول . وفي الأصل : « الخضارمة » وصوابه في رسائل الجاحظ . والبريص ، بالصاد المهملة : اسم نهر دمشق ، حيث ملك الغساسنة . وفي الأصل : « البريص » بالصاد المعجمة ، خطأ تصويبه من الرسائل . وفي الرسائل : « نمانى » ، أى ارتفع نسبى إليه .

(٧) هو عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي كما في رسائل الجاحظ ٧١ أو الفضل ابن العباس اللهبي ، كما في الرسائل أيضاً والكمال ١٤٣ ليسك ومعجم المرزبانى ٣٠٩ وكتايات الجرجاني ٥١ والأضداد ٣٣٥ . وهذه الأخيرة هى التسمية الصحيحة . وابن الأنباري في الأضداد يرى أن معنى الخضرة السخاء والعتاء .

وأنا الأخضرُ مَنْ يَعْرِفُنِي أَخْضَرُ الْجُلْدَةِ فِي بَيْتِ الْعَرَبِ
وإذا قالوا : فلان أخضر القفا ، فإنما يعنون به أنه قد ولدته سوداء .
وإذا قالوا : فلان أخضر البطن ، فإنما يريدون أنه حائك ، لأنَّ الحائكَ
بطنه لطول^(١) النزاقه بالخشبة التي يطوى عليها الثوب يسود .

(عداوة العروضي للنظام)

وكان سبب عداوة العروضي^(٢) لإبراهيم النظام ، أنه كان يسميه
الأخضر البطن ، والأسود البطن ؛ فكان يكشفُ بطنه للناس — يريدُ
بذلك تكذيبَ أبي إسحاق — حتى قال له إسماعيل بن غزوان : إنما يريد
أنك من أبناء الحاكّة ! فعاداه لذلك .

(استطراد لغوى)

فإذا قيل أخضر للنواجذ ، فإنما يريدون أنه من أهل القرى ، ممن
يأكل الكُرَّاث والبصل .
وإذا قيل للشّور : خاضب ؛ فإنما يريدون أنّ البقل قد خَضَبَ أظلافه
بالخضرة . وإذا قيل للظلم : خاضب ، فإنما يريدون^(٣) حمرةً وظيفيه^(٤)

(١) ل : « لأن بطن الحائك » . والحائك : النساج .

(٢) اسمه عبد الله ، كما ورد في البخلاء ص ٥٥ ، وهو من معاصري الجاحظ .

(٣) كذا في س . وفي ط ، ل : « يرون » .

(٤) الوظيف : مستدق الذراع والساق . ل : « وظيفه » . ط : « وظيفه »

وهذه تحريف .

فإنهما يَحْمَرَّانِ فِي الْقَيْظِ ، وَإِذَا قِيلَ لِلرَّجُلِ خَاضِبٌ ، فَإِنَّمَا يَرِيدُونَ الْحِنَاءَ
فَإِذَا كَانَ خَضَابُهُ بغيرِ الْحِنَاءِ قَالُوا : صَبَغَ ^(١) وَلَا يُقَالُ خَضِبَ .

وَيَقُولُونَ فِي شَبِيهِهِ بِالْبَابِ الْأَوَّلِ : الْأَحْمَرَانِ : الذَّهَبُ وَالزَّعْفَرَانُ
وَالْأَبْيَضَانِ : الْمَاءُ وَاللَّبَنُ ، وَالْأَسْوَدَانِ : الْمَاءُ وَالتَّمْرُ .

وَيَقُولُونَ : أَهْلَكَ النَّسَاءُ الْأَحْمَرَانِ ^(٢) : الذَّهَبُ وَالزَّعْفَرَانُ ، وَأَهْلَكَ
النَّاسَ الْأَحْمَارَ : الذَّهَبَ ، وَالزَّعْفَرَانُ ، وَاللَّحْمَ ، وَالْحَمْرَ .
وَالْجَدِيدَانِ : اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ، وَهُمَا الْمُلَوَّنَانِ ^(٣) .

وَالْعَصْرُ : الدَّهْرُ ، وَالْعَصْرَانِ : صَلَاةُ الْفَجْرِ وَصَلَاةُ الْعِشَاءِ ^(٤) ،
وَالْعَصْرَانِ : الْغَدَاةُ وَالْعِشَاءُ ، قَالَ الشَّاعِرُ ^(٥) :

وَأَمْطَلَهُ الْعَصْرَيْنِ حَتَّى يَمْلَأَنِي

وَيَرْضَى بِنِصْفِ الدِّينِ وَالْأَنْفُ رَاغِمٌ

(١) ط ، س : « صَبَغَ » وَصَوَابُهُ فِي ل .

(٢) كَذَا فِي ل ، وَهُوَ الصَّوَابُ . وَفِي ط : « الْأَحْمَرَانِ » وَفِي س :
« الْأَحْمَارُ يَرَادُ » . وَانْظُرْ جَنَى الْجَنَّتَيْنِ لِلْمَحْبِيِّ ١٦ - ١٧ .

(٣) كَذَا فِي ل وَهُوَ الصَّوَابُ . وَفِي ط ، س : « لَوْنَانِ » .

(٤) جَاءَ فِي الْحَدِيثِ : « حَافِظُ عَلَى الْعَصْرَيْنِ » أَيْ صَلَاةُ الْفَجْرِ وَصَلَاةُ الْعَصْرِ ، وَسَمَّيَا
الْعَصْرَيْنِ لِأَنَّهُمَا يَقَعَانِ فِي طَرَفِي الْعَصْرَيْنِ ، وَهُمَا اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ . وَجَاءَ أَيْضًا تَفْسِيرُهُ
فِي الْحَدِيثِ : « قِيلَ : وَمَا الْعَصْرَانِ ؟ قَالَ : صَلَاةُ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَصَلَاةُ قَبْلَ
غُرُوبِهَا » . وَكَلِمَةُ : « الْفَجْرُ » هِيَ فِي الْأَصْلِ « الْعَصْرُ » مُحَرَّفَةٌ . وَ« صَلَاةُ
الْعِشَاءِ » بِدَلْهَا فِي ط ، س : « الْعِشَاءُ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ أَيْضًا .

(٥) هُوَ عُبَيْدُ بْنُ الْأَبْرَصِ الْأَسَدِيُّ كَمَا فِي حِمَاةِ الْبَحْتَرِيِّ ٤١٥ . وَقَبْلَهُ :

أَلَيْنَ إِذَا لَانَ الْغَرِيمُ وَالْتَوَى إِذَا اشْتَدَّ حَتَّى يَدْرِكَ الدِّينَ قَاتِلِي

(٦) رَوَى : « وَأَنْطَلَهُ » فِي أَمَالِي الْمُرْتَضَى (٢ : ٣٨) وَهِيَ لَفَةٌ . وَكَلِمَةُ « رَاغِمٌ »

هِيَ فِي ط : « زَاغِمٌ » وَتَصْحِيحُهُ مِنْ ل ، س وَاللَّسَانُ وَالْأَضْدَادُ ١٧٥

وَمَخَاضِرَاتُ الرَّاغِبِ (١ : ٢٢٩) حَيْثُ تَجَدُّ نَظَائِرُ هَذَا الْمَعْنَى .

ويقال : « البائعان بالخيار » وإنما هو البائع والمشتري^(١) ، فدخل
المبتاع في البائع .

وقال الله عز وجل : ﴿ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا
تَرَكَ ﴾ ، دخلت الأم في اسم الأبوة ، كأنهم يجمعون على أنه^(٢) الاسمين
وكمقوله : ثبيرين^(٣) ، والبصرتين^(٤) . وليس ذلك بالواجب ؛ وقد قالوا :
سيرة العمرين ، وأبو بكرٍ فوقَ عمر ، قال الفرزدق :
أَخَذْنَا بِآفَاقِ السَّمَاءِ عَلَيْكُمْ لَنَا قَمَرَاهَا وَالنَّجُومُ الطَّوَالِعُ
وَأَمَّا قَوْلُ ذِي الرُّمَّة :

وليلٍ كجلبابِ العروسِ ادرعته بأربعةٍ والشخصُ في العينِ واحدٌ^(٥)
فإنه ليس يريد لونَ الجلباب ، ولكنَّه يريدُ سُبُوغَه .

(١) ل : « فإنما هو بائع ومشتري » .

(٢) أنه الاسمين : أشهرهما وأعرفهما . وفي ط ، س : « ابنه » وصوابه في ل .

(٣) ثبيران : هما ثبير وحراء كما في المزهري (٢ : ١٢٢) ، وهما جبلان متقابلان من
جبال مكة ، وفي ثانيهما الغار المشهور . وبديل ما أثبت من ل في كل من ط ،
س : « كالبحرين والمسلمين والزهدمين » .

(٤) البصرتان : البصرة والكوفة ، والأولى أقدم من الثانية .

(٥) ادرعته : لبسته كما يلبس الدرع . وقد فسر ذو الرمة الأربعة التي شخصها واحد
في العين ، أي التي يراها الناظر شخصا واحداً ، بقوله بعده :

أحم علاقي وأبيض صارم وأعيس مهري وأروع ما جد

فالأحم العلاقي ، بكسر العين ، هو الرجل . والأحم : الأسود . والعلاقي : المنسوب
إلى علاق : رجل من الأزدي صانع للرجال . والأبيض الصارم عني به سيفه القاطع .
والأعيس : الذي خالط بياضه شقرة . وعني بجملة . والمهري : منسوب إلى مهرة بن
حيدان . والأروع : الذي يعجبك حسنه . وعني نفسه .

وللشعر حديث في ديوان المماني (٢ : ٣٤٢) والعمدة (٢ : ٢٩)
والصناعتين ٢٢١ .

(جواب أعرابيّ)

قال : وكذلك قول الأعرابيّ حين قيل له : بأيّ شيء تعرف حملَ شاتيك ؟ قال : « إذا استفاضت خاضرتها ، ودجت شعرُها »^(١) . فالدّاجي هاهنا اللابس .

قال الأصمعيّ ومسعود [بن فيد^(٢)] الفزارى : ألا ترونّه يقول : « كان ذلك وثوبُ الإسلامِ داجٍ » . وأما لفظ الأصمعيّ فإنّه قال : كان ذلك منذُ دجا الإسلام . يعنى أنّه ألبس كلَّ شيء^(٣) .

(شَيَاتِ الحِمَامِ)

ثمّ رجع بنا القول إلى ذكر شَيَاتِ الحِمَامِ .

وزعموا أنّ الأوضحَ كلّها ضَعَفٌ ، قليلها وكثيرها ، إلّا أنّ ذلك بالحِصَصِ على قدر الكثرة والقلّة ، كذلك هى فى جميع الحيوانِ سواءً مستقبلُها ومستدبرُها . وذلك ليس بالواجبِ حتى لا يغادر شيئاً ألَبَتَهُ ؛ لأنّ الكَلْبَةَ السَّلَوقِيَّةَ البيضاءً أكرمُ وأصيدُ ، وأصبرُ من السَّوداءِ^(٤) . والبياضُ فى النَّاسِ على ضروب : فالمعيب منه بياضُ المُغْرَبِ^(٥)

(١) انظر ٥ : ٤٨٢ .

(٢) هذه الزيادة المثبتة من ل ، هى فى الأصل « قيد » بالتّاف . وصوابه ما أثبت .

(٣) أى قوى وانتشر ، كما فى اللسان (دجا) .

(٤) ط ، س : « السواد » ، وصوابه فى ل .

(٥) المغرب بضم الميم وفتح الراء : ما كل شيء منه أبيض . ط : « البياض المغرب » وتصحيحه من ل ، س .

والأشقر والأحمر أقلُّ في الضعف والفساد ، إذا^(١) كان مشتقاً من بياض
البَهَقِ والبرَصِ والبرَش [والشيب] .

والمغربُ عند العرب لا خير فيه ألبتة . والفقيع^(٢) لا يُنجِب ، وليس
عنده إلا حسنُ بياضه ، عند من اشتبهى ذلك .

(سوابق الخليل)

وزعم ابن سلام الجُمحى أنَّه لم يرقطُ بقاء ولا أبلق [جاء] سابقاً .
وقال الأصمعيُّ : لم يسبق الحَلَبَةُ أهضمُ قطُّ ؛ لأنهم يمدحون المُجفَّرَ^(٣) من
الخليل ، كما قال^(٤) :

٧٨ خِيطٌ عَلَى زَفْرَةٍ فَتَمَّ وَلَمْ يَرْجِعْ إِلَى دِقَّةٍ وَلَا هَضَمٍ^(٥)
ويقولون : إِنَّ الفَرَسَ بَعُنُقِهِ وَبَطْنَهُ .

وخبرني بعض أصحابنا ، أنَّه رأى فرساً للمامون بقاء سبقت الحلبه .
وهذه نادرة غريبة .

(١) كذا في ل ، س . وفي ط : : « وإذا » .

(٢) الفقيع : الأبيض من الحمام .

(٣) المجفَّر ، بضم الميم وفتح الفاء : الواسع الجفرة بالضم ، وهى وسط الفرس .

(٤) هو النابغة الجعدي ، كما في أدب السكاتب ٨٩ والاقتضاب ٣٣٠ .

(٥) يقول : كأنه زفر زفرة امتلاً جوفه بها ثم خيط على ذلك فلم تلحقه دقة ولا هضم .

والهضم (بالتحريك) : استقامة الضلوع وانضمام أعالي البطن . وهذا البيت ساقط
من ل . وقد أصلحته من اللسان والمصدرين السابقين . وهو في ط : س
محرف هكذا :

خِيطٌ عَلَى زَفْرَةٍ قَمْ وَلَمْ يَرْجِعْ إِلَى دَرَقَةٍ وَهَضَمٍ

(نظافة الحمام ونفع ذرقه)

والحمام طائر ألوف مألوف ومحَبَّب ، موصوفٌ بالنَّظافة ، حتى إنَّ ذرقه لا يعاف^(١) ولا تنن له ، كسَلَّاح^(٢) الدَّجَّاج والدَّيَّسَكَة . وقد يُعالج بذرقه صاحبُ الحصاة . والفَلَّاحون يجدون فيه أكثرَ المنافع . والحَبَّاز يُلقي الشيء منه في الخمير لينتفخ العجينُ ويعظمَ الرغيف ، ثمَّ لا يستبينُ ذلك فيه . ولذرقه غلاتٌ ، يعرف ذلك أصحاب الحَجَر . وهو يصلحُ في بعض وجوه الدَّبْع .

باب^(٣)

[وقال صاحبُ الديك] : الحمامُ طائرٌ لئيمٌ قاسى القلب ، وإن برَّ بزعمهم^(٤) ولدَ غيرِه ، وصنَّعَ به كما يصنع بفرخه ، وذلك أنهما يحضنان كلَّ بيض ، ويزقان كلَّ فرخ ، وما ذاك منهما إلَّا في الفَرَط .

(لؤم الحمام)

فأمَّا لؤمه فن^(٥) طريق الغيرة ، فإنَّه يرى بعينه الذَّكَرَ الذى هو أضعف منه ، وهو يطردُ أنشاه ويكسحُ بذنبه حَوْلهَا ، ويتطوَّس^(٦) لها

(١) لا يعاف : لا يكره .

(٢) السَلَّاح ، بالضم : النجوى .

(٣) ليست فى ل .

(٤) كذا فى ط ، س . وفى ل : « وإن برعم بیره » ، وليس يستقيم هذا .

(٥) كذا فى ل . وبدها فى ط س : « فى » وأثبت الصواب .

(٦) التطوَّس : التَّزِين . ويراد به هنا إبداء المحاسن فى الشكل والحركة .

ويستميلها ، وهو يرى ذلك بعينه - ثم لم نر قط ذكراً واثباً ذكراً عند مثل ذلك .

فإذا قلت : إنّه يشتدّ عليه ويمنعه إذا جثمت ^(١) له وأراد أن يعلوها ؛ فكلّ ذكر وأنثى هنالك يفعل ذلك ، وليس ذلك من الذكر الغريب من طريق الغيرة ، ولكنّه ضربٌ من البُخل ومن النفاسة ^(٢) . وإذا لم يكن من ذكرها إلّا مثل ما يكون من جميع الحمام علم أنّ ذلك منه ليس من طريق الغيرة . [وأنا رأيت النواهض تفعل ذلك ، وتقطع على الذكر بعد أن يعلو على الأنثى] .

قال : وأمّا ما ذكرتم من أن الحمام معطوفٌ على فراخه ما دامت محتاجةً إلى الزّق ، فإذا استغنت نُزِعَتْ منها الرحمة ، فليس ذلك كما قلتم . الحمام طائرٌ ليس له عهد ؛ وذلك أنّ الذكرَ ربما كانت معه الأنثى السنين ، ثمّ تنقل عنه وتوارى [عنه] شهراً واحداً ، ثمّ تظهر له مع زوجٍ أضعف منه ، فيراها طولَ دهره وهي إلى جنب بيته وتماريده ^(٣) فكأنّه لا يعرفها بعد معرفتها الدَّهرَ الطويل ^(٤) ، وإمّا غابت عنه الأيّام اليسيرة . فليس يوجّه ^(٥) ذلك الجهل الذي يُعامل به فراخه بعد أن كبرت ، إلّا على

(١) جثمت : لزمت مكانها أو وقعت على صدرها . وبدلها في ط : « اجتمعت » .

(٢) النفاسة ، هنا ، من نفس عليه ، بكسر الفاء : حسده ، أو لم يره أهلاً .

(٣) التماريد : جمع تمارد بالكسر ، وهو بيت صغير في بيت الحمام لمبيضه . ط : « وبمرآه » . س : « بمرداته » وهذه محرفة .

(٤) ل : « بعد معرفة » . ل : س : « العمر الطويل » .

(٥) كذا الصواب في ل ، س . وفي ط : « يوجد » .

الغباوة وسوء الذكر ، وأن الفرخ حين استوى ريشه وأشبه غيره من الحمام
جهل الفصل (١) الذى بينهما .

فإن كان يعرف أنثاه وهو يجدها مع ذكرٍ ضعيف وهو مسلمٌ لذلك ٧٩
وقانعٌ به ، وقليلُ الاكتراث به ، فهو من لؤمٍ فى أصل الطبيعة .

(قسوة الحمام)

قال : وبابٌ آخر من لؤمه : القسوة ، وهى ألأُم اللؤم ، وذلك أن الذكر
ربما كان فى البيت طائرٌ ذكرٌ قد اشتدَّ ضعفه ، فينقر رأسه والآخرُ
مستخذٍ (٢) له ، قد أمكنه من رأسه خاضعاً له ، شديد الاستسلام لأمره ،
فلا هو يرحمه لضعفه وعجزه عنه ، ولا هو يرحمه لخضوعه ، ولا هو يميلُ (٣)
وليس له عنده وتر . ثم ينقر يافوخه حتى ينقب عنه ، ثم لا يزال ينقر
ذلك المكان بعد النقب حتى يخرج دماغه فيموت بين يديه .

فلو كان ممّا يأكل اللحم واشتهى الدماغ كان ذلك له عذراً ؛ إذ لم
يعد ما طبع الله عليه سباع الطير .

فإذا رأينا من بعض بهائم الطير من القسوة ما لا نرى من سباع الطير
لم يكن لنا إلا أن نقضى عليه من اللؤم على حسب مباينته لشكل

(١) الفصل بالصاد المهملة : أى الفرق . ط ، س : « الفضل » وليس بشئ .

(٢) مستخذ ، بالذال : خاضع . س فقط : « مستخذ » ، وهو تصحيف .

(٣) ل : « ولا يميل » .

الهيمة ، ويزيد^(١) في ذلك على ما في جوارح الطير من^(٢)
السَّبعية .

(أقوال لصاحب الديك في الحمام)

وقال صاحب الديك^(٣) :

زعم أبو الأصبع بن ربيع^(٤) قال : كان رَوْحُ أبو همام صاحب
المعمى ، عند مثنى بن زهير ، فبينما هو يوماً وهو معه في السطح إذ جاء
جماعة فصعدوا . فلم يلبث أن جاء آخرون ، ثم لم يلبث أن جاء مثلهم ، فأقبلَ
عليهم فقال : أىُّ شئٍ جاء بكم ؟ وما الذى جَمَعَكُم اليوم ؟ قالوا : هذا اليومُ
الذى يرجع فيه مَزَاجيلُ الحمام من الغاية . قال : ثمَّ ماذا ؟ قالوا : ثمَّ
نَتَمَتَّعُ بالنَّظَرِ إليها إذا أقبلت . قال : لَكِنِّى أتمتَّع بتغميض العين إذا أقبلت ،
وترك النَّظَرَ إليها !! ثمَّ نزل وجلس وحده .

(التلهى بالحمام)

وقال مثنى بن زهير ذاتَ يوم : ما تَلَهَّى النَّاسُ بشئٍ مثل الحمام ،
ولا وجدنا شيئاً مما يتخذهُ النَّاسُ ويلعبُ بِهِ ويلهَى بِهِ ، يخرج من أبواب

(١) ل : « وزيده » .

(٢) ط ، س : « مثل » وصوابه في ل .

(٣) هذه الجملة ليست في ط ، س . وبدلها كلمة « باب » .

(٤) ماعدل ل : « أبو الأصبع بن ربيع » . وانظر ص ١٠٩ .

الهزل إلى أبواب الجَدِّ - كالحمام - وأبو إسحاق^(١) حاضر - فغاظه ذلك ،
 وكظم على غيظه . فلمَّا رأى مَثْنًى سكوته عن الردِّ عليه طَمِعَ فيه فَمَالَ :
 يَبْلُغُ وَاللَّهِ مِنْ كَرَمِ الْحَمَامِ وَوَفَائِهِ ، وَثَبَاتِ عَهْدِهِ ، وَحَنِينِهِ إِلَى أَهْلِهِ ، أَتَنِي
 رَبِّمَا قَصَصْتُ الطَّائِرَ^(٢) بعد أن طار عِنْدِي دَهْرًا ، فَتَنَبَّتَ جَنَاحَهُ
 كَنَبَاتِهِ الْأَوَّلِ ، لَمْ يَدْعُهُ سُوءُ صَنْعِي إِلَيْهِ إِلَى الذَّهَابِ عَنِّي . وَلَرَبِّمَا يَعْتُهُ
 فَيَقْصُهُ الْمُبْتَاعُ حِينًا ، فَمَا هُوَ إِلَّا أَنْ يَجِدَ فِي جَنَاحِهِ قُوَّةً عَلَى النُّهُوضِ
 [حَتَّى أَرَاهُ^(٣)] أَتَانِي جَادِفًا أَوْ غَيْرَ جَادِفٍ^(٤) . وَرَبِّمَا فَعَلْتُ ذَلِكَ بِهِ مَرَارًا
 كَثِيرَةً ، كُلَّ ذَلِكَ لَا يَزْدَادُ إِلَّا وَفَاءً .

٨٠

قال أبو إسحاق : أَمَّا أَنْتَ فَأَرَاكَ دَائِبًا تَحْمَدُهُ وَتَذُمُّ نَفْسَكَ . وَلَئِنْ
 كَانَ رَجُوعُهُ إِلَيْكَ مِنَ الْكُرْمِ إِنَّ إِيْخْرَاجَكَ لَهُ مِنَ اللَّؤْمِ ! وَمَا يُعْجِبُنِي
 مِنَ الرَّجَالِ مَنْ يَقْطَعُ نَفْسَهُ لَصَلَةِ طَائِرٍ ، وَيَنْسَى مَا عَلَيْهِ فِي جَنْبِ مَالِ الْبَيْمَةِ .
 ثُمَّ قَالَ : خَبَّرَنِي عَنْكَ حِينَ تَقُولُ : رَجَعَ إِلَى مَرَّةٍ بَعْدَ مَرَّةٍ ، وَكَلِمَا زَهْدَتْ
 فِيهِ كَانَ فِيَّ أَرْغَبَ ، وَكَلِمَا بَاعَدْتَهُ كَانَ لِي أَطْلَبُ ؛ إِلَيْكَ جَاءَ ، وَإِلَيْكَ حَنَّ
 أَمْ إِلَى عُسَّةِ الَّذِي دَرَجَ مِنْهُ ، وَإِلَى وَكْرِهِ الَّذِي رُبِّيَ فِيهِ ؟ ! أَرَأَيْتَ أَنْ لَوْ
 رَجَعَ إِلَى وَكْرِهِ وَبَيْتِهِ ثُمَّ لَمْ يَجِدْكَ ، وَأَلْفَاكَ غَائِبًا أَوْ مَيِّتًا ، أَكَانَ يَرْجِعُ
 إِلَى مَوْضِعِهِ الَّذِي خَلْفَهُ ؟ ! وَعَلَى أَتْلُكَ تَتَعَجَّبُ مِنْ هِدَايَتِهِ ، وَمَا لَكَ فِيهِ

(١) هو إبراهيم بن سيار النظام شيخ الجاحظ .

(٢) في الأصل : « قصصت الطائر دهرًا » . وكلمة : « دهرًا » مقحمة بلا ويب .

(٣) ليست بالأصل ، وزدتها تحكلة للكلام .

(٤) جَدَفَ الطَّائِرُ جَدُوفًا : طار وهو مقصوص .

مقالٌ غيره . فأماً شكرُك على إرادته لك ، فقد تبينَ خطَاؤُك^(١) فيه ،
وإنما بقى الآن حسنُ الاهتداء ، والحنينُ إلى الوطن .

(مشابهة هداية الحمام لهداية الرخم)

وقد أجمعوا على أَنَّ الرَّخَمَ من لثام الطير وبغاثها ، وليست من عتاقها
وأحرارها ، وهى من قواطع الطير ، ومن موضع مَقْطَعِهَا إلينا^(٢) [ثم]
مرجعها إليه من عندنا ، أَكْثَرُ وَأَطْوَلُ من مقدارِ أبعدِ غاياتِ حمامكم . فإن
كانتْ وقتَ خُرُوجِها من أوطانها إلينا خرجتْ تَقْطَعُ الصَّحَارَى والبرارى
والجزائرَ والغياضَ والبحارَ والجبالَ ، حتَّى تصيرَ إلينا فى كلِّ عامٍ—فإن قلتَ
إنَّها ليستْ تخرجُ إلينا على سَمْتٍ ولا على هِدَايَةٍ ولا دَلَالَةٍ ، ولا على أَمَارَةٍ
وعَلَامَةٍ ، وإنما هَرَبَتْ من الثَّلُوجِ والبرَدِ الشديدِ ، وعلمتْ أَنَّها تحتاجُ إلى
الطَّعْمِ ، وأنَّ الثَّلَجَ قد ألبَسَ ذلكَ العالمَ ، فخرجتْ هاربةً فلا تَزَالُ فى هربها
إلى أن تصادفَ أرضاً خِصْباً^(٣) دفناً ، فتقيمُ عندَ أدنى ماتجد — فما تقولُ فيها
عند رجوعها ومعرفتها بأخسارِ الثَّلُوجِ عن بلادها ؟ ! أليست قد اهتدت^(٤)
طريقَ الرجوعِ ! ؟ ومعلوم عند أهل تلك الأطراف ، وعند أصحاب التَّجَارِبِ

(١) الخطاء ، كسحاب ، مثل الخطأ .

(٢) ط ، س : « إلى » ، وصوابه فى ل .

(٣) يقال : أرض خصب وخصبه بكسرهما ، وخصبه بالفتح . بدلها فى ل :

« بيضاء » وليس بشيء .

(٤) يقال هو يهْدِي الطريق ويَهْدِي الطريق بمعنى يعرفه .

وعند القانص ، أن طَيْرَ كُلِّ جَهَةٍ إِذَا قَطَعَتْ رَجَعَتْ إِلَى بِلَادِهَا وَجِبَالِهَا وَأَوْكَارِهَا ، وَإِلَى غِيَاضِهَا وَأَعَشَّتِهَا ^(١) . فتجد هذه الصِّفَّةَ فِي جَمِيعِ الْقَوَاطِعِ مِنَ الطَّيْرِ ، كَرَامِهَا كُلِّئَامِهَا ^(٢) ، وَبِهَائِمِهَا كَسِبَاعِهَا . ثُمَّ لَا يَكُونُ اهْتِدَاؤُهَا عَلَى تَمَرِينَ وَتَوَطِينَ ، وَلَا عَنْ تَدْرِيبٍ وَتَجْرِبٍ ، وَلَمْ تَلْقَنْ ^(٣) بِالْتَّعْلِيمِ ، وَلَمْ تَثْبُتْ بِالتَّدْبِيرِ وَالتَّقْوِيمِ . فَالْقَوَاطِعُ لِأَنْفُسِهَا تَصِيرُ إِلَيْنَا ، وَلِأَنْفُسِهَا تَعُودُ إِلَى أَوْكَارِهَا . وَكَذَلِكَ الْأَوَابِدُ مِنَ الْحَمَامِ ، لِأَنْفُسِهَا تَرْجِعُ . وَإِلْفُهَا لِلْوَطَنِ إِلْفٌ مُشْتَرَكٌ مَقْسُومٌ عَلَى جَمِيعِ الطَّيْرِ . فَقَدْ بَطَلَ جَمِيعُ مَا ذَكَرْتُ .

(قواطع السمك)

ثم قال : وأعجبُ من جميعِ قواطعِ الطَّيْرِ قواطعُ السَّمَكِ ، كَالْأَسْبُورِ ^(٤) وَالْجَوَافِ ^(٥) وَالْبَرَسْتُوجِ ^(٦) ، فَإِنَّ هَذِهِ الْأَنْوَاعَ تَأْتِي دِجْلَةَ الْبَصْرَةِ مِنْ

(١) لم أر هذا الجمع لغير الجاحظ . والمعروف عشاش وعششة وأعشاش .

(٢) ط ، س : « ولثامها » وصوابه ما أثبت من ل .

(٣) كذا في ط ، س . وفي ل : « ولم تعل » .

(٤) فصيلة الأسبور ، أسماك بحرية مشهورة ، منها المرجان ، والسرغوس ، والسرب والكحلان ، ونحوها . معجم المعلوم ٢٣٢ . ولم أهد إلى ضبطه لأنه ليس من ألفاظ المعاجم المشهورة . وبديل هذه الكلمة في ط ، س : « الأشبور » وبدون إلحاق كاف التشبيه في أوله ، وهو تحريف . وجاء الكلام عليه في عجائب المخلوقات ١١٤ .

(٥) الجواف بالواو ، بوزن غراب ، كما في القاموس : ضرب من السمك . وقال صاحب عجائب المخلوقات : « ووصفه مثل وصف الأسبور » . وهذه الكلمة جاءت محرفة في س وعجائب المخلوقات بلفظ « الجراف » . وفي ط بلفظ « الجوان » وصوابه في القاموس و ل .

(٦) البرستوج ، هو في القاموس : « البرشتوك كسقنقور : سمك بحري » قلت : هو =

٨٦ أقصى البحار ، تستعذبُ الماء في ذلك الإِبَّان ، كأنها ، تتحمَّضُ بحلاوة الماء وعذوبته ، بعدَ مُلوحةِ البحر ؛ كما تتحمَّضُ الإبلُ فتطلب الحَمْضَ - وهو ملحٌ - بعدَ الخلَّة - وهو ماحلاً وعذب .

(طلب الأسد للملح)

والأسدُ إذا أَكْثَرَتْ مِنْ حَسَوِ الدِّمَاءِ - والدِّمَاءُ حلوةٌ - وأَكَلِ اللَّحْمِ واللَّحْمُ حلو - طلبتِ المِلْحَ لتستلحَ^(١) به ، وتجعله كالحمض بعدَ الخلَّة .
ولولا حُسْنُ موقعِ المِلْحِ لم يُدْخِلْهُ النَّاسُ فِي أَكْثَرِ طَعَامِهِمْ .
والأسدُ يخرج للتملح ، فَلَا يَزَالُ يَسِيرُ حَتَّى يَجِدَ مَلَّاخَةً^(٢) . وربَّما اعتادَ الأسدُ مكاناً فيجده ممنوعاً ، فَلَا يَزَالُ يَقْطَعُ الْفَراسِخَ الْكَثِيرَةَ بَعْدَ ذَلِكَ^(٣) فإذا تملَّحَ رجع^(٤) إلى موضعيهِ وَغَيْضَتِهِ وَعَرِينِهِ ، وَغَابَهُ وَعَرِيَّتُهُ^(٥) ، وإن كان الذي قُطِعَ خمسين فرسخاً .

= معرب « پرستوك » ، وهو لفظ فارسي معناه الخطاف واحد الخطاطيف ، ولعل سبب تسميته بذلك أنه يشبه الخطاف في أنه من القواطع كما أن الخطاف من القواطع . وفي عجائب المخلوقات ١١٤ : « وحاله كحال الخطاطيف وغيرها من الطيور ينتقل من مكان إلى مكان » . « وذكر البحريون أن البرستوج في الوقت الذي يوجد في البصرة لا يوجد بالزنج ، وفي الوقت الذي يوجد في الزنج لا يوجد في البصرة » . ط : « البرستوج » تصحيف .

- (١) كذا في ل . وفي ط ، س : « تستملح » .
- (٢) الملاحظة : مثبت الملح أي معدنه . وأفعال هذه الجملة في س مبدوءة بالتاء ، فتقرأ « الأسد » بهذه جمعاً ، أي بضم الهمزة وإسكان السين .
- (٣) كذا في ل ، س . وفي ط : « وبعد ذاك » والواو مقحمة .
- (٤) س : « عاد » .
- (٥) الغاب : جمع غابة ، وهي الأجمة . والأوفق في هذه الكلمة أن تكون « وغابته »

(مجيء قواطع السمك إلى البصرة)

ونحن بالبصرة نعرف الأشهر التي يقبل إلينا فيها هذه الأصناف^(١) وهي تقبل مرتين في كل سنة ، ثم نجدُها في إحداهما أُسَمَنَ^(٢) الجنس فيقيم كلُّ جنس منها عندنا شهرين إلى ثلاثة أشهر ، فإذا مضى ذلك الأجل ، وانقضت عِدَّةُ^(٣) ذلك الجنس ، أُقبِلَ^(٤) الجنس الآخر . فهم^(٥) في جميع أقسام شهور السنة من الشتاء والرَّبيع ، والصَّيف والخريف ، في نوعٍ من السمك غير النوع الآخر . إلَّا أن البرستوج^(٦) يُقبِل إلينا قاطعاً من بلاد الزنج^(٧) ، يستعذب الماء من دجلة البصرة ، يعرف ذلك جميعُ الزنج والبحريين .

= بالإفراد ليتساق الكلام ، ولكن هكذا وردت في ل . وفي ط ، س : « محرابه » ، وهو تحريف ظاهر . والعريسة ، بكسر العين وتشديد الراء المكسورة : مأوى الأسد ، ومثلها « العريس » بالضبط المتقدم ، وجاءت بهذه في ط ، س .

(١) كذا في ل . وبدل الكلمتين الأخيرتين في ط ، س : « الأشبور وأصناف السمك » ، وكلمة « الأشبور » مصحفة سبق الكلام فيها ص ٢٥٩ .

(٢) بهد هذا اللفظ في ط فقط كلمة « الجنس » ، وليس لها وجه .

(٣) عدته أى عدد أيامه . وفي الكتاب العزيز : « ولتكلوا العدة » ط ، س : « مدة » .

(٤) ط : « قبل » صوابه في ل ، س .

(٥) فهم : أى فأهل البصرة . س « فيهم » تحريف .

(٦) ط : « البرستوج » ، وهو تصحيف نهبت عليه ص ٢٥٩ — ٢٦٠ .

(٧) بلاد الزنج ، يراد بها مايعرف الآن ببلاد الصومال الإيطالي وما جاورها من الجنوب

وأكبر بلادهم هي (مقدشو) كما ورد في معجم البلدان برسم (بحر الزنج) .

ولا تزال هذه المدينة عامرة إلى وقتنا هذا . وهي عاصمة بلاد الصومال .

(بَعْدُ بِلَادِ الزَّنْجِ وَالصِّينِ عَنِ الْبَصْرَةِ)

وهم يزعمون أنَّ الذي بين البصرة والزَّنج ، أبعَدُ مما بين الصِّينِ وبينها^(١)

وإنما غلطُ ناسٍ فزعموا أنَّ الصِّينَ أبعدُ ، لأنَّ بحرَ الزَّنجِ^(٢) حفرةٌ واحدةٌ عميقة^(٣) واسعة ، وأمواجه عظام ، ولذلك البحرُ ريحٌ تهبُّ من عُمانَ إلى جهةِ الزَّنجِ شهرين ، وريحٌ تهبُّ من بلادِ الزَّنجِ تريدُ جهةَ عُمانَ شهرين ، على مقدَّارٍ واحدٍ فيما بينَ الشَّدةِ واللَّينِ ، إلَّا أنَّها إلى الشَّدةِ أقربُ ، فلما كان البحرُ عميقاً والريُّ قويَّةً ، والأمواجُ عظيمةً ، وكان الشَّراعُ لا يحطُّ ، وكان سيرهم مع الوتر ولم يكن مع القوس^(٤) ، ولا يعرفون الخبَّ والمكلاً^(٥) ، صارت الأيَّامُ التي تسير فيها السُّفنُ إلى الزَّنجِ أقلَّ .

(١) أى وبين البصرة . ط ، س : « بينهما » ، وصوابه في ل .

(٢) بحر الزنج ، هو الجانب الغربى من المحيط الهندى ، المجاور لبلاد الزنج . وانظر ٢٦١ .

(٣) ل : « عميقة » وصوابه في ط ، س .

(٤) المراد بالوتر والوتر الهندسى ، وهو الخط الذى يصل بين طرفى القوس . والوتر أبداً أقل من قوسه .

(٥) الخب ، بالكسر : اضطراب أمواج البحر . والمكلا ، كمظم : المرفأ .

يقول : لا يضطرب بهم الموج فيلجئهم إلى الرسو بجوار الساحل . ط : س :

« الجيب الميل » ، وهما على الصواب الذى أثبت في ل .

(البرستوج)

قال : والبرستوج^(١) سَمَكٌ يَقْطَعُ أمَواجَ الماءِ ، وَيَسِيحُ^(٢) إلى البصرة
عَنِ الزَّنْجِ ، ثُمَّ يَعُودُ مَافْضَلَ عَنْ صَيْدِ النَّاسِ إلى بلادِهِ وبِحرِهِ . وذلك أَبْعَدُ
مِمَّا بَيْنَ البصرة إلى العَلِيقِ^(٣) المَرارَ الكَثيرة . وهم [لا]^(٤) يصيدون من
الْبَحْرِ فيما بَيْنَ البصرة إلى الزَّنْجِ^(٥) من البرستوج^(٦) شَيْئاً [إِلَّا] في إِبَانِ
مَجِيئِهَا إلَيْنَا ورجوعِهَا عَنَّا^(٧) ، وإِلَّا فالبحرُ مِنْهَا فارِغٌ خالٍ .
فَعامةُ الطَّيْرِ أعجَبُ مِنْ حمامِكُمْ ، وعامةُ السَّمَكِ أعجَبُ مِنَ الطَّيْرِ .

(هداية السمك والحمام)

والطَّيْرُ ذو جناحين ، يَخْلُقُ في الهواءِ ، فله سُرْعَةُ الدَّرَكِ وبلوغُ الغايةِ
بالطيران^(٨) ، وله إدراكُ العالمِ بما فيهِ بعلاماتٍ وأماراتٍ^(٩) إذا هو ٨٢

(١) ط : « والبرستوج » وصوابه في ل ، س . وانظر التحقيق في ص ٢٥٩ — ٢٦٠ .

(٢) كذا في ل ، ط . وفي س : « يسبح » بالموحدة .

(٣) كذا في ل ، وانظر ماسبق في ص ٢١٥ . ط : « العين » س : « العَلين » .

(٤) الزيادة من ل ، س .

(٥) في ط فقط بهذه الكلمة : « ولا نرى » .

(٦) ط : « البرستوج » وهو تصحيف انظر له ص ٢٥٩ — ٢٦٠ .

(٧) ل : « عنها » تحريف .

(٨) ط ، س : « والطيران » .

(٩) ل : « بعلاماته وأماراته » .

حَلَقَ^(١) في الهواء ، وعلا^(٢) فوق كل شيء . والسَّمَكَةُ تَسْبِجُ في غَمْرِ الْبَحْرِ والماء^(٣) ، ولا تَسْبِجُ في أعلاه . ونَسِيمُ الهواء الذي^(٤) يعيشُ به الطيرُ لو دامَ على السَّمَكِ ساعةً مِنْ نهارٍ لَقَتَلَهُ^(٥)

وقال أبو العنبر^(٦) : قال أبو نَخِيلَةَ الرَّاجِزِ^(٧) وَذَكَرَ السَّمَكُ :

تَغْمُهُ النُّشْرَةُ^(٨) والنَّسِيمُ فَلَا يَزَالُ مُغْرَقًا^(٩) يَعُومُ
فِي الْبَحْرِ وَالْبَحْرُ لَهُ تَخْمِيمٌ^(١٠) وَأُمُّهُ الْوَالِدَةُ الرَّءُومُ
* تَلْهَمُهُ جَهْلًا وَمَا يَرِيمُ *

(١) تحليق الطائر : ارتفاعه في طيرانه . ل : « تحلق » ، ولم أجد هذه إلا في تحلق

القمر : صارت حوله دوار ، وتحلق القوم : جلسوا حلقة حلقة .

(٢) علا : ارتفع . ط : « على » تحريف .

(٣) ل : « غمر الماء » . وتجذ أنى ضبطت « تسبح » من التسميح ، وهو مراد

الجاحظ ، جاء في نقل الدمي : « قال الجاحظ : السمك يسبح الله في غمر الماء »
وانظر ما نقله عن صفوة الصفوة .

(٤) ط : « والذي » وصوابه في ل ، س والدميري .

(٥) قال الدمي معترضاً : « وما ذكره الجاحظ من كون النسيم يضر بالسمك فليس

على إطلاقه ، فإن الغزالي قد استثنى منه نوعاً لا يضره النسيم فقال : ومن السمك
نوع يطير على وجه البحر مسافة طويلة ثم ينزل » .

(٦) ط ، س : « ابن أبي العنبر » ل : « أبو العس » . وجاء في معجم المرزباني ٥١٣ :

« أبو العنبر بن أبي نخيلة ، ويقال هو أبو العبير » .

(٧) أبو نخيلة الراجز سبقت ترجمته في (٢ : ١٠٠) . في الأصل : « بن أبي نخيلة

الراجز » ، وقد أبدلته بما ترى .

(٨) ط : « النشرة » وصوابه في ل ، س واللسان (نشر) .

(٩) س : « معرقاً » وتصحيحه من ط ، ل واللسان .

(١٠) ط ، س والدميري : « حميم » ، وصوابه في ل واللسان .

يقول : النشرة والنسيم الذى يُحيى جميع الحيوانات ، إذا طال عليه
الْحُمُومُ^(١) وَاللَّخْنُ وَالْعَفْنُ ، والرُّطوباتُ الغليظة ، فذلك يَغْمُ السَّمَكُ
ويَكْرُبُهُ ، وأُمُّه التى ولدته تأكله ؛ لأنَّ السَّمَكَ يأكلُ بعضه بعضاً ، وهو
فى ذلك لَا يَرِيمُ هذا الموضع^(٢) .

وقال رؤبة^(٣) :

والحوت^(٤) لَا يَكْفِيهِ شَيْءٌ يَلْتَهُمُهُ يُصْبِحُ عَطْشَانٌ وَفِي الْمَاءِ فَهٌ^(٥)
يصف طباعه واتّصاله بالماء ، وأنه شديد الحاجة إليه ، وإن كان
غَرِقاً [فيه^(٦)] أبداً .

(١) الحُموم : العفن . ط ، س : « الحُموم » وتصحيحه من ل واللسان .

(٢) رام الموضع يريمه : تركه .

(٣) فى محاضرات الراغب (١ : ٣٠٤) نسبة الرجز إلى جرير والصواب ما هنا .
والبيتان من أرجوزة طويلة لرؤبة أولها كما فى ديوانه ١٤٩ ، وشرح شواهد المغنى ١٢٠ :
* قلت لوزير لم تصله مريمه *

(٤) الرواية الصحيحة : « كالحوت » . انظر المحاضرات وشرح شواهد المغنى . وقد
روى البكرى الأرجوزة فى أراجيز العرب ١٣٩ - ١٥٥ . وقبل هذا البيت :
* أناك لم يخطىء به ترسمه *

يعنى نفسه . ويخاطب أبا جعفر المنصور مادحاً .

(٥) استشهد به ابن سيدة فى المخصص (١ : ١٣٦) على أنه اضطر فقال « فه » وقال :
« وهذا الإبدال إنما هو فى الأفراد » ، أى إبدال عين الكلمة بميم ، وكان ينبغى
أن يقول : « فوه » ، ولا يصح النطق بكلمة « فم » إلا حين أفرادها
عن الإضافة . قال البكرى : « يقول : إنه لا يروى حتى يلقى الممدوح » .

(٦) الزيادة من ل ، س .

(شعر في الهجاء)

وأنشدني محمد بن يسير لبعض المدنيين^(١) ، يهجو رجلاً ، وهو قوله :
لو رأى في السقف فرجاً لنزاً حتى يموتاً^(٢)
أو رآه وسط بحر صار فيه الدهر حوتاً^(٣)
قال : يقول في الغوص في البحر ، وفي طول اللبث فيه .^(٤)

(شعر في الضفدع)

وقال الذكواني ، وهو يصف الضفدع :
يدخل في الأشداق^(٥) ماء ينصفه كما ينق^(٦) والنقيق يتلفه
قال : يقول : الضفدع لا بصوت ، ولا بهيئاً له ذلك حتى يكون في فيه
ماء ، وإذا أراد ذلك أدخل فكه الأسفل في الماء ، وترك الأعلى حتى
يبلغ الماء نصفه .

(١) الصواب أن الشعر لأبي نواس ، وليس في هجاء رجل ، بل في غرض آخر .
انظر الكنايات للجرجاني ٣٧ ومعاهد التنخيص (١ : ٣٤) وأخبار
أبي نواس ٣٥ .

(٢) نزا : وثب . وفي الأصل : « لنزا » وصوابه في أخبار أبي نواس . وفي المعاهد :
« لنزى » تحريف كتابي . وفي الكنايات : « لرق » .

(٣) ل : « صار للغطاط » ، وصوابها « للنعاط » . المعاهد : « صار للإنعاط » .

(٤) هذا التفسير ساقط من ل .

(٥) في الأصل « الأشداق » ، ولم أر هذا الجمع ، وأثبت ما في الديري وعيون الأخبار

(٢ : ٩٧) .

(٦) ط ، س : « كما » ، تحريف . وانظر ٥ : ٥٣٢ .

والمثل الذى يَتَمَثَّلُ بِهِ النَّاسُ : « فَلَانٌ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُجِيبَ خُصُومَهُ
لَآنَ فَاهُ مَلَانُ مَاءٍ » . وقال شاعرهم^(١) :

وما نسيت مكان الأمرِكِ بِذا يَأْمَنُ هَوَيْتُ وَلَسْكَنُ فِي فِى مَاءٍ^(٢)
وَلَمَّا جَعَلُوا ذَلِكَ مِثْلًا^(٣) ، حِينَ وَجَدُوا الْإِنْسَانَ إِذَا كَانَ فِي فَهِ مَاءٌ
عَلَى الْحَقِيقَةِ لَمْ يَسْتَطِعْ^(٤) الْكَلَامَ . فهو تأويلُ قولِ الذَّكْوَانِي :

* يُدْخِلُ فِي الْأَشْدَاقِ مَاءً يَنْصُفُهُ *

بفتح الياءِ وضمَّ الصَّادِ ، فَإِنَّهُ ذَهَبَ إِلَى قَوْلِ الشَّاعِرِ^(٥) :

وَكُنْتُ إِذَا جَارَى دَعَا لِمَضُوفَةٍ أَشْمَرُ حَتَّى يَنْصُفَ السَّاقَ مِزْرَى^(٦) ٨٣
[المضوفة : الأمر الذى يشفقُ منه] .

وكقول الآخر^(٧) :

* فَإِنَّ الظَّنَّ يَنْصُفُ أَوْ يَزِيدُ *

وهذا ليس من الإنصاف الذى هو العَدْلُ ، وَلَمَّا هُوَ مِنْ بَلُوغِ
نِصْفِ السَّاقِ .

(١) هو أبو نواس من أبيات فى الديوان ٣٥٩ .

(٢) كذا فى ط ، س . وفى ل : « بِذا * من الوشاة » . وفى الديوان : « وما جهلت
مكان لاشريك به * من الوشاة » .

(٣) كذا فى ل وهو الصواب . وفى ط ، س : « مثله » .

(٤) ط : « يستطيع » ، وهو خطأ .

(٥) هو أبو جندب المذلى ، كما فى اللسان (نصف) .

(٦) تكلم فى هذا البيت ابن الأنبارى فى الأضداد ١١٣ وابن سيده فى المخصص

(١٢ : ١٢٥) والبغدادى فى الخزانة (٣ : ٣٢١ بولاق) .

(٧) هو أبو الفضة قاتل أحمر بن شيط ، كما سبق فى ٦٠ . وصدره :

* فَلَا يَأْتِكُمْ خَبْرُ يَقِينِ *

وَأَمَّا قَوْلُهُ :

* كَيْمَا^(١) يَنْقُ وَالنَّقِيقُ يُتْلِفُهُ *

فإنه ذهبَ إلى قول الشاعر^(٢) :

ضَفَادِعُ فِي ظِلْمَاءِ لَيْلٍ تَجَاوَبَتْ فَدَلَّ عَلَيْهَا صَوْتَهَا حَيَّةَ الْبَحْرِ

(معرفة العرب والأعراب بالحيوان)

وقلَّ معنى سَمِعْنَاهُ فِي بَابِ مَعْرِفَةِ الْحَيَوَانِ مِنَ الْفَلَسَفَةِ ، وَقَرَأْنَاهُ فِي كِتَابِ الْأَطْبَاءِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ - إِلَّا وَنَحْنُ قَدْ وَجَدْنَاهُ^(٣) [أَوْ] قَرِيبًا مِنْهُ فِي أَشْعَارِ الْعَرَبِ وَالْأَعْرَابِ ، وَفِي^(٤) مَعْرِفَةِ أَهْلِ لَغَتِنَا وَمِلَّتِنَا . وَلَوْلَا أَنْ يَطُولَ الْكِتَابُ لَذَكَرْتُ ذَلِكَ أَجْمَعًا^(٥) . وَعَلَى أَتَى قَدْ تَرَكْتُ تَفْسِيرَ أَشْعَارٍ كَثِيرَةٍ ، وَشَوَاهِدٍ عَدِيدَةٍ^(٦) مِمَّا لَا يَعْرِفُهُ إِلَّا الرَّأْيِيَةُ النَّحْرِيرُ^(٧) ؛ مِنْ خَوْفِ التَّطْوِيلِ .

(١) ط ، س : « كَمَا » ، وَصَوَابُهُ فِي ل .

(٢) هُوَ الْأَخْطَلُ كَمَا فِي الْبَيَانِ (١ : ٢٧٠) وَالْحَيَوَانِ (٥ : ١٥٤) . وَلِلْبَيْتِ قِصَّةٌ

طَرِيفَةٌ فِي الْعَقْدِ (٢ : ١٤) وَمَعَاهِدِ التَّنْصِيفِ (٢ : ١٩٩) وَالْكُنَايَاتِ ٧٢ .

(٣) ط ، س : « وَجَدْنَاهُ » .

(٤) ل : « فِي » وَالْوَجْهَ مَا أَثْبَتَ مِنْ ط ، س .

(٥) ط ، س : « لَذَكَرْتُ لَكَ الْجَمِيعَ » .

(٦) كَذَا فِي ل . وَفِي ط ، س : « مَعَ شَوَاهِدٍ كَثِيرَةٍ » .

(٧) النَّحْرِيرُ : الْحَاذِقُ الْفُطْنُ الْبَصِيرُ بِكُلِّ شَيْءٍ . ط ، س : « إِلَّا الرُّوَاةَ لِلتَّحَرُّزِ »

تَحْرِيفٌ مَا أَثْبَتَ مِنْ ل .

(حمام النساء وحمام الفراخ)

وقال أفليمون^(١) صاحبُ الفِراسة : اجعل حمامَ النساءِ المسرَّولاتِ العِظامَ الحِسانَ ، ذواتِ الاختِيالِ والتَّبَخُّرِ والهُدِيرِ ؛ واجعل حمامَ الفِراخِ ذواتِ الأنسابِ الشريفة^(٢) والأعراقِ السَّكرِمةِ ، فإنَّ الفِراخَ لَنَمَّا تَكْثُرُ عن حُسْنِ التَّعَهُدِ ، ونِظَافَةِ القِرامِيسِ^(٣) والبُرُوجِ . واتَّخِذْ لهنَّ بَيْتاً مَحْفُوراً عَلَى خِلْقَةِ الصَّوْمَةِ ، مَحْفُوراً مِنْ أَسْفَلِهِ^(٤) إِلَى مَقْدَارِ ثُلَاثِي حِيطَانِهِ بِالتَّمَارِيدِ^(٥) ، وَلِتَكُنْ وَاسِعَةً وَلِيَكُنْ بَيْنَهَا حِجَازٌ^(٦) . وَأَجُودُ ذَلِكَ أَنْ تَكُونَ تَمَارِيدُهَا مَحْفُورَةً فِي الْحَائِطِ^(٧) عَلَى ذَلِكَ الْمَثَالِ ، وَتَعَهُدَ الْبُرُجُ بِالْكَنَسِ وَالرَّشِّ^(٨) [فِي زَمَانِ الرَّشِّ] ، وَلِيَكُنْ مَخْرُجُهُنَّ مِنْ كَوٍّ^(٩) فِي أَعْلَى

(١) ط ، س : « أفليمون » بالقاف ، تصحيف ما في ل .

(٢) ط ، س : « من غير ذوات الأنساب » وكلمة « غير » تفسد الكلام . ولفظ « الشريفة » ساقط من ل .

(٣) القرموص : العُش يبيض فيه الحمام . قال الأب أنستاس ماري : هي يونانية بلا أدنى ريب ، من : Kheramos,ou ومعناه الحفرة والأفحوص والقلت والوجار وهي مشتقة من فعل أصله عندهم Kha .

(٤) ط ، س : « أوله » .

(٥) التماريد : جمع تمراد بالكسر ، وهو بيت صغير في بيت الحمام لمبيضه .

(٦) حِجَاز ، بالكسر : حاجز . ط فقط : « أحجاز » وهو تحريف .

(٧) كَذَا فِي ل وَهُوَ الصَّوَابُ . وَفِي ط ، س : « والحائط » .

(٨) ل : « بالكسح » وهو بمعنى الكنس . وكلمة « الرش » هي في ط : « الريش » وصوابها في ل ، س .

(٩) الكو : الخرق في الحائط ، ومثله الكوة بضم الكاف وفتحها ، جمعه كوى وكواء . ط : « من كون » ولا يستقيم الجمع مع سياق الكلام .

الصَّوْمَةُ ، وليكن مقتصدًا في السَّعَةِ والضَّيِّقِ ، بقدر ما يدخل منه ويخرج
[مند] الواحد [بعد الواحد] . وإن استطعت أن يكون البيت بقرب مزرعة
فافعل . فإن أعجزك المنسوب منها فالتمس ذلك بالفِرَاسَةِ التي لا تخطئ .
وقلما يُخطئ المتفرس .

قال : وليس كلُّ الهدى ^(١) تقوى على الرجعة من حيث أرسلت ؛
لأن منها ما تفضل قوته على هدايته ، ومنها البطيء وإن كان قويًا ،
ومنها السريع وإن كان ضعيفًا ، على قدر الحنين والاعتزام ^(٢) . ولا بدَّ
لجميعها من الصَّرامة ، ومن التعليم أولًا والتَّوطين آخرًا .

(انتخاب الحمام)

وقال : جماع الفِرَاسَةِ لا يخرج ^(٣) من أربعة أوجه : أولها التقطيع ،
والثاني الحبسة ، والثالث الشمائل ، والرابع ^(٤) الحركة .

فالتقطيع : انتصاب العنق والحلقة ، واستدارة الرأس من غير عظمٍ
ولا صِغَرٍ ، مع عظم القرطمتين ^(٥) ، واتساع المنخرين ، وانهرات الشدقين

(١) الهدى سبق الكلام عليها في (٢ : ٧٩) . ط ، س : « وقال ليس » الخ .

(٢) ط ، س : « على قدر التحقيق والاعتزام » والوجه ما أثبت من ل .

(٣) الجماع ، كرمات : مجتمع أصل الشيء . ط ، س : « جميع الفِرَاسَةِ لا يخرج »

(٤) في الأصل : « والرابعة » وهو خطأ . وفي س أيضًا : « والثانية »
« والثالثة » وليس بشيء .

(٥) القرطمتان بكسر القاف والطاء : نقطتان على أصل منقار الحمامة .

وهذان من أعلام الكرم في الخيل ؛ للاسترواح^(١) وغير ذلك . ثم حسن خلقة العينين ، وقصر المنقار في غير دقة^(٢) ثم اتساع الصدر وامتلاء^{٨٤} الجؤجؤ ، وطول العنق ، وإشراف المنكبين ، وطول القوادم في غير إفراط ، ولحوق بعض الخوافي ببعض ، وصلابة العصب^(٣) في غير انتفاخ ولا يُبس واجتماع الخلق في^(٤) غير الجعودة والكرآزة ، وعظم الفخذين ، وقصر الساقين والوظيفين ، [وافتراق^(٥) الأصابع] ، وقصر الذنب وخفته ، من غير تفنين وتفرق^(٦) . ثم توقد الحذقتين ، وصفاء اللون . فهذه أعلام الفراسة في التقطيع .

وأما أعلام المجسة ، فوثاقة الخلق ، وشدة اللحم ، ومثانة العصب ، وصلابة القصب ، ولين الريش في غير رقة^(٧) وصلابة المنقار في غير دقة .

وأما أعلام الشئال ، فقلة الاختيال ، وصفاء البصر^(٨) وثبات النظر

(١) الاسترواح : التشمم . ل : « وهذان من أعلام الكرم في الاسترواح » تحريف .

(٢) ط ، س : « رقة » بالراء . وأثبت ما في ل ونهاية الأرب ١٠ : ٢٧٠ والمخصص ٨ : ١٧٠ .

(٣) ط ، س : « القصب » وتصحيحه من ل ونهاية الأرب .

(٤) ل : « من » .

(٥) في الأصل - وهو هنا ل - : « اقتدار » وتصحيحه من نهاية الأرب .

(٦) التفنين أصله في الثوب أن يبلى فيتقزز بعضه من بعض . ل : « تفنن » وأثبت صوابه من ط ، س : والمصدرين السابقين .

(٧) في الأصل : « دقة » بالبدال ، وأثبت ما في المخصص والنهاية .

(٨) ط ، س : « البطن » وصوابه من ل والمرجعين السابقين .

وشدة الحذر ، وحسن التلّفت^(١) ، وقلة الرعدة عند الفزع ، وخفة النهوض إذا طار ، وترك المبادرة إذا لقط .

وأما أعلام الحركة ، فالطيران^(٢) في علو ، ومدّ العنق في سمو ، وقلة الاضطراب في جو السماء ، وضمّ الجناحين في الهواء^(٣) ، وتدافع الركض في غير اختلاط ، وحسن القصد في غير دوران ، وشدة المدّ في الطيران . فإذا أصبته جامعاً لهذه الخصال^(٤) فهو الطائر الكامل . وإلا فبقدر ما فيه من المحاسن تكون هدايته وفرأته .

(أدواء الحمام وعلاجها)

قال : فاعلموا أنّ الحمام من الطير الرقيق ، الذي تسرع إليه الآفة ، وتعرّوه الأدوية^(٥) ، وطبيعته الحرارة واليبس . وأكثر أدوائه الخنّان والسكباد ، والعطاش ، والسل ، والقمل^(٦) . فهو يحتاج إلى المسكن البارد

(١) في الأصل : « التقلب » وهو تحريف عجيب ، صوابه في المخصص والنهاية . وقد زاد المخصص في أعلام الحجة خصالاً أخرى كثيرة فانظرها .

(٢) س : « فبالطيران » تحريف .

(٣) في الأصل : « في جو السماء » ، فيكون تكراراً ركيكاً . وأثبت ما في المخصص والنهاية .

(٤) ل : « الصفة » . المخصص والنهاية : « الصفات » .

(٥) ل : « تعتوره » .

(٦) الخنّان : داء في الحلق . والسكباد ، كغراب : وجع السكبد . والعطاش ، كغراب أيضاً وبالشين المعجمة : داء لا يروى صاحبه . وهى في ط ، س : « العطاش » مصحفة . والقمل ، بالتحريك : كثرة القمل .

والنَّظِيفُ ، وإلى الحبوبِ الباردة كالعَدَسِ والماشِ^(١) والشَّعِيرِ المنخولِ .
والقُرْطُمُ له بمنزلة اللحم للإنسان ؛ لما فيه من قوَّة الدَّسَمِ .

فمَّا يُعَالَجُ بِهِ السَّكَادُ : الزَّعْفَرَانُ والسكر الطَّبْرَزْدُ^(٢) ، وماء الهندبا ،
يجعل في سُكَّرَجَةٍ^(٣) ، ثُمَّ يُوجَرُ^(٤) ذلك أو يَمَجُّ في حلقة مجاً وهو
على الرِّيقِ .

ومَّا يُعَالَجُ بِهِ الْخَنَانُ أَنْ يَلَيَنَّ لِسَانَهُ يوماً أو يومين بدُّهُنِ البنفسجِ ،
ثُمَّ بِالرَّمَادِ والملحِ ، يُدْلَكُ بهما^(٥) حَتَّى تَنْسَلَخَ الْجِلْدَةُ الْعُلْيَا^(٦) التي غَشِيَتْ
لِسَانَهُ^(٧) . ثُمَّ يَطْلَى بِعَسَلٍ وَدُهْنٍ وَرَدٍ^(٨) ، حَتَّى يَبْرَأَ .

ومَّا يُعَالَجُ بِهِ السَّلُّ أَنْ يُطْعَمَ الْمَاشَ الْمُقَشُّورَ ، وَيَمَجُّ في حلقة من
الْبَنِّ الحليبِ ، وَيُقَطَّعَ من وَظِيفِيهِ عِرْقَانِ ظَاهِرَانِ في أسفل ذلك ، مما
يلى الفصل [من باطن] .

(١) الماش : حب صغير أخضر اللون براق له عين كعين اللوبيا ، وشجرته كشجرة
اللوبيا . المعتمد ٣٢٦ .

(٢) السكر الطبرزد : الأبيض الصلب ، معرب تبرزد ، تبر بمعنى الفأس ، وزد بمعنى
ضرب ، لأنه كان يدقق بالفأس . الألفاظ الفارسية ١١١ . ط : « والطبرزد »
تحريف .

(٣) السكرجة : الإناء الصغير . وأكثر ما يوضح فيه الكوامخ ونحوها .

(٤) يوجر ذلك : أى يصب في حلقة ليلعه . ط : « يؤجر » ، تحريف .

(٥) عيون الأخبار : « هما » .

(٦) ط : « الجلدة العليا » ، وصوابه في ل ، س و عيون الأخبار ٢ : ٩١ .

(٧) ط ، س : « عشت على لسانه » ، وتصحيحه من ل و عيون الأخبار .

(٨) كذا في ل : و عيون الأخبار . وفي ط ، س : « الورد » .

وَمَا يَعَالِجُ بِهِ الْقَمَلُ أَنْ يُطْلَى أَصُولُ رِيْشِهِ بِالزَّبْيَقِ الْخَلَّلِ ^(١) بَدْهَنِ
الْبِنْفَسَجِ ، يَفْعَلُ بِهِ ذَلِكَ مَرَّاتٍ حَتَّى يَسْقُطَ قَلْبُهُ ؛ وَيُكْنَسُ مَكَائُهُ
الَّذِي يَكُونُ فِيهِ كَنْسًا نَظِيفًا .

(تعليم الحمام وتدريبه)

وقال : اعلم أَنَّ الحمامَ والطيرَ كُلَّهَا لَا يَصْلُحُ التَّغْمِيرُ ^(٢) بِهِ مِنَ الْبُعْدِ .
وهدأيته على قَدْرِ التَّعْلِيمِ ، وعلى قَدْرِ التَّوْطِينِ . فَأَوَّلُ ذَلِكَ أَنْ يُخْرَجَ إِلَى ^(٣)
ظَهْرِ سَطْحٍ يعلو عليه ، وَيُنْصَبَ عَلَيْهِ عِلْمٌ يَعْرِفُهُ ، وَيَكُونُ طَيْرَانُهُ لَا يَجَاوِزُ
مَحَلَّتَهُ ، وَأَنْ يَكُونَ عِلْفُهُ ^(٤) بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ ، يُلْقَى لَهُ فَوْقَ ذَلِكَ السَّطْحِ ، قَرِيبًا
٨٥ مِنْ عِلْمِهِ الْمَنْصُوبِ لَهُ ، حَتَّى يَأْلَفَ الْمَكَانَ وَيَتَعَوَّدَ الرُّجُوعَ إِلَيْهِ . وَلَكِنْ

(١) في مفاتيح العلوم ١٤٩ : « التحليل أن تجعل المنعقدات مثل الماء » . وهذه
الكلمة جاءت في ل : « المنحل » . وجاء في عيون الأخبار : « ودواء
القمل أن تطلّى أصول ريشه بالزنبق المخلوط بدهن البنفسج » . وكلمة « الزنبق »
محرقة صوابها « الزنبق » كما ورد في النسخة الألمانية من عيون الأخبار ، يؤيد
ذلك ماورد في المعتمد ١٢٨ في الكلام على الزنبق : « وإذا قتل كان جيدا
للجرب والقمل » ، وما جاء في تذكرة داود في الكلام عليه أيضاً : « ويقتل القمل
إذا جعل في الزيت والحناء ودهن به » .

(٢) التغمير : مصدر غمر به تغميراً : دفعه وأرسله .

(٣) كذا في ل . وفي ط ، س : « وأولى ذلك أن يخرج على » ، وما أثبت أشبه .

(٤) العلف ، أصله طعام الدواب ، ولم يعهد استعماله للطير . ل : « غلفه » تصحيف ،
كما أن كلمة « أن » ساقطة من ل .

لَيَنْظُرُ^(١) مِنْ أَىِّ شَيْءٍ يَتَّخِذُ الْعِلْمُ ؟ فَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ أَسْوَدَ ، وَلَا يَكُونَ شَيْئاً تَرَاهُ مِنَ الْبُعْدِ أَسْوَدَ . وَكَلِمَا^(٢) كَانَ أَعْظَمَ كَانَ أَدَلَّ .

وَلَا يَنْبَغِي أَنْ يَطِيرَ وَزَوْجَتَهُ مَعاً ، وَلَكِنْ يَنْتَفِئُ أَحَدُهُمَا وَيَطِيرُ الْآخَرُ ، وَيُخْرِجَانِ إِلَى السَّطْحِ جَمِيعاً ، ثُمَّ يَطِيرُ الْوَاقِي الْجَنَاحَ ؛ فَإِنَّهُ يَنَازِعُ إِلَى زَوْجَتِهِ . وَإِذَا عَرَفَ الْمَسْكَانَ ، وَدَارَ^(٣) وَرَجَعَ ، وَأَلِفَ ذَلِكَ الْمَوْضِعَ ، وَنَبَتَ رِيشُ الْآخَرِ ، صَنَعَ بِهِ كَذَلِكَ .

وَأُجُودَ مِنْ ذَلِكَ أَنْ يُخْرِجَا إِلَى السَّطْحِ وَهُمَا مَقْصُوصَانِ ، حَتَّى يَأْلِفَا ذَلِكَ الْمَوْضِعَ ، ثُمَّ يَطِيرَ أَحَدُهُمَا قَبْلَ صَاحِبِهِ ، وَيُصْنَعُ بِالثَّانِي كَمَا صُنِعَ بِالْأَوَّلِ .

وَمَا أَشْبَهَ قَوْلَهُ هَذَا بِقَوْلِ مَاسْرُجِيهِ ؛ فَإِنَّهُ وَصَفَ فِي كِتَابِهِ ، طَبَاعَ جَمِيعِ الْأَلْبَانِ ، وَشُرْبَهَا لِلدَّوَاءِ^(٤) ، فَلَمَّا فَرَّغَ مِنَ الصِّفَةِ قَالَ : وَقَدْ وَصَفْتُ لَكَ حَالَ^(٥) الْأَلْبَانِ فِي أَنْفُسِهَا ، وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى مَنْ يَسْقِيكَ اللَّبَنَ ؛ فَإِنَّكَ بَدَأَ^(٦) تَحْتَاجُ إِلَى تَنْظِيفِ جَوْفِكَ^(٧) ، وَتَحْتَاجُ إِلَى مَنْ يَعْرِفُ مَقْدَارَ عِلَّتِكَ مِنْ قَدْرِ اللَّبَنِ ، وَجِنْسِ عِلَّتِكَ مِنْ جِنْسِ اللَّبَنِ^(٨) .

(١) ط ، س : « يَنْظُرُ » .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « وَكُلَّ مَا » وَهُوَ خَطَأٌ .

(٣) ط ، س : « وَدَارَهُ » ، وَوَجْهَهُ فِي ل .

(٤) الْمُرَادُ بِكَامَةِ : « الدَّوَاءُ » التَّدَاوَى .

(٥) ل : « وَصَفْتُ لِلرِّجَالِ » ، تَحْرِيفٌ مَا أَثْبَتَ مِنْ ط ، س .

(٦) بَدَأَ : أَىْ أَوَّلًا . ل : « بِدَيْثًا » . ط : « أَبْدَأَ » وَهَذِهِ مَحْرَقَةٌ تَقْسِدُ الْمَعْنَى .

(٧) ط ، س : « ثَوْبِكَ » ، وَصَوَابُهُ فِي ل .

(٨) كَذَا فِي ل . وَفِي ط ، س : « مَنْ يَعْرِفُ مَقْدَارَ عِلَّتِكَ مِنْ جِنْسِ اللَّبَنِ ، وَجِنْسِ اللَّبَنِ مِنْ جِنْسِ عِلَّتِكَ » .

(حوار مع نجار)

ومثلُ ذلك قول نجارٍ كان عندي ، دعوته لتعليقِ بابٍ ثمينٍ كريمٍ
فقلت له : إنَّ إحكامَ تعليقِ البابِ شديدٌ ، ولا يحسنه من مائةِ نجارٍ نجارٌ
واحد . وقد يُذكر بالحدُّق في نجارةِ السَّقُوف^(١) والقِباب ، وهو لا يكملُ
لتعليقِ^(٢) بابٍ على تمامِ الإحكامِ [فيه . والسَّقُوف] ، والقِباب عند
العامةِ أصعب :

ولهذا أمثال : فمن ذلك أنَّ الغلامَ والجاريةَ يشويانِ الجدَى والحملَ
ويحكمانِ الشئ^(٣) ، وهما لا يُحكمانِ شئً جنبٍ . ومن لا عِلْمَ له يظنُّ أنَّ شئً
البعضُ أهونُ من شئٍ الجميع !

فقال لي : قد أحسنتَ حينَ أعلمتَنِي أنَّكَ تبصِرُ العملَ ، فإنَّ معرفتي
بمعرفتك تمنعني من التشفيقِ^(٤) . فعَلَّمْتَهُ فَأَحْكَمَ تَعْلِيْقَهُ ؛ ثمَّ لم يكنْ عندي
حَلَقَةٌ لوجهِ البابِ إذا أردتُ إصْفَاقَهُ ، فقلت له : أكره أن أحبسَكَ^(٥) إلى

(١) ط ، س : « السِوْف » ، وهو تحريف .

(٢) تعليقِ الباب : نصبه وتركيبه ، كما في اللسان . ط ، س : « لا يكمل تعليق »
وما أثبت من ل أجزل .

(٣) ط ، س : « وهما يحكمان الشئ » وأثبت ما في ل .

(٤) كذا في ل ؛ بالفاء ثم القاف بينهما ياء . وهو من شفق النساج الملحفة تشفيقا : جعلها
شفقا - بالتحريك - في النسج . وشفق النسج : رديئه . وفي ط ، س :
« التشقيق » بقافين بينهما ياء ، وليس بشئ . وفيهما أيضا : « تمنع » .

(٥) ل : « أكره حبسك » ط ، س : « أكره أن أجلسك » ، وجعلت
القول كما ترى .

أن يذهب الغلام إلى السوق ويرجع . ولكن انقلب إلى موضعها^(١) . فلما ثقبه وأخذ حقه ولأنى ظهره للانصراف ، والتفت إلى فقال : قد جودتُ الثقب ، ولكن انظر أيُّ نجارٍ يدقُّ فيه الزرَّة^(٢) ؛ فإنه إن أخطأ بضربة واحدة شقَّ الباب — [والشق عيب] — فعلمتُ أنه يفهمُ صناعتهُ فهماً تاماً .

(قص الحمام ونتفه)

وبعض الناس إذا أراد أن يعلم زوجاً قصصهما ولم ينتفهما^(٣) . وبين النتفِ والقصِّ بَوْنٌ بعيد . والقصُّ [كثير القصِّ] لا يُوجعُ ولا يُقرِّحُ مُغارِزَ قصب الرِّيش^(٤) ، والنتفُ يُوهن المنكبين^(٥) . فإذا نتف الطائرُ مراراً لم يقوَ على الغاية ، ولم يزلْ واهنَ المنكبين . ومتى أبطأ^(٦) عليه فتفه وقد جفَّت أصوله وقربت من الطَّرْح كان أهونَ عليه ، وكلما كان النباتُ أطراً^(٧) كان أضرباً ٨٦

(١) كذا في ط . وفي ل : « موضعه » تحريف ؛ فالضمير عائذ إلى الحلقة . س : « في موضعها » .

(٢) في الأصل : « الرزة » . وجاء في لسان العرب (زرر) : « ويقال للحديدة التي تجعل فيها الحلقة التي تضرب على وجه الباب لإصفاقه : الزرة ، قاله عمرو بن بحر » .

(٣) كذا في ط ، س ، وهو الصواب . وفي ل : « إذا أراد أن يلقى زوجا يعلمهما كتفهما » .

(٤) بدل هذا في ط ، س : « لا يرجع بالنتف » ، تحريف ونقص ظاهر .

(٥) ط ، س : « لا يوهن المنكبين » ، وهو عكس المعنى المراد لاجرم .

(٦) في الأصل : « أخطأ » ، والوجه فيه ما أثبت .

(٧) أطراً : من الطروء ، وهو ظهور الشيء فجأة . وفي ل : « أطراً » بدون هز =

عليه . وإنه ليلبغ من مضرته ، أن الذَّكَرَ لا يجيدُ الإلقاحَ ، والأنثى لا تجيدُ القبول . وربما نغت الأنثى وقد احتشت بيضاً ، وقد قاربت أن تبيض ، فتبطلُ بعد وقتها الأيام ؛ وربما أضرَّ ذلك بالبيض .

(زجل الحمام)

قال : وإذا بلغ الثاني مبلغ الأول في استواء الريش ، والاهتداء إلى العلم ، طيراً جميعاً ، ومُنِعَا من الاستقرار ؛ إلا أن يظن بهما الإعياء والكلال . ثم يُوطَّنُ^(١) لهما المزاجلُ برّاً وبحراً ، من حيث يبصران إذا هما ارتفعا في [الهواء] السَّمتَ ونفسَ العلم ، وأقصى ما كانا يريانه^(٢) منها عند التباعد في الدوران والجولان . فإذا رجعا من ذلك المكانِ مرَّاتٍ زُجلا^(٣) من أبعد منه - وقد كانوا مرَّةً يعجبهم أن يزجلا من جميع التوطينات ، مالم تبعُد ، مرتين [مرتين] - فلا يزالان كذلك حتى يبلغا الغاية ، ويكون أحدهما محتسباً إذا أرسل صاحبه ؛ ليتذكَّره فيرجعَ إليه . فإن^(٤) خيفَ عليه أن

= من طرا يطرو طروا بالمعنى المتقدم ، أو من طرى كفرح : أى صار طريا غصا .
وتكون صواب كتابة ما في ل : « أطرى » .

(١) كذا في ل . وفي ط ، س : « وتوطن » .

(٢) ط ، س : « يريا » وصوابه في ل .

(٣) زجلا : أى أرسل على بعد . ط ، س : « رجعا » ، وهو تحريف ما في ل .

(٤) ط ، س : « وإن » .

يكون قد ملَّ زوجته ، عرضت عليه زوجةً أخرى [قبل الزَّجل] ؛ فإذا تسنَّمتها^(١) مرَّةً حيلَ بينه وبينها يومه ذلك ، ثمَّ عرضوها عليه قبل أن يُحمَلَ^(٢) ، فإذا أطاف^(٣) بها مُنَحَّيت عنه ، ثمَّ مُحمَل إلى الزَّجل ؛ فإنَّ ذلك أسرعَ له .

وقال : اعلّموا أنَّ أشدَّ المَزَاجِلِ ماقلَّتْ أعلامُه ، كالصَّحارى والبحار .
قال : والطير تختلفُ في الطَّباعِ اختلافاً شديداً : فمنها القويُّ ، ومنها الضعيفُ ، ومنها البطيءُ ، ومنها السريعُ ، ومنها الذَّهولُ ، ومنها الذَّكورُ ، ومنها القليلُ الصَّبرِ على العطشِ ، ومنها الصَّبورُ . وذلك لا يخفى فيهنَّ عند التَّعليمِ والتَّوطينِ ، في سرعةِ الإجابة والإبطاء . فلا تُبْعَدَنَّ^(٤) غايَةَ الضَّعيفِ والذَّهولِ والقليلِ الصَّبرِ على العطشِ ، ولا تزجُلَنَّ ما كان منشؤه في بلاد الحرِّ في بلاد البردِ ، ولا ما كان منشؤه في بلاد البردِ في بلاد الحرِّ ؛ إلَّا ما كان بعد الاعتیاد . ولا يصبرُ على طول الطيران في غير هوائه [وأجوائه طائرٌ] إلَّا بطول الإقامة في ذلك المسكان ، ولا تستوى حاله وحال من لا يعدُّ هَوَاءَهُ^(٥) والهَوَاءُ الذى يقربُ من طِباعِ هوائه .

(١) تسنَّمتها : علاها . وفى ل : « تجنَّمتها » ، وهى صحيحة وبمعنى الأولى . ومنه الحديث « فلزمتها حتى تجنَّمتها » .

(٢) أى يحمل على الزجل . ل : « يمل » س : « تحمل » وهما تحريف ما فى ط .

(٣) أطاف بها : قاربها . ط ، س : « طاف » بمعنى دار . وما أثبت من ل أشبه .

(٤) ط : « تبعدون » ، صوابه فى ل ، س .

(٥) كذا فى ل وهو الصواب . وفى س : « يفلدو دواء » و ط :

« يفلدو دواء » .

(تعليم الحمام ورود الماء)

قال : ولا بدَّ أن يُعَلَّمَ الورودَ ، فإذا أَرَدَتْ به ذلك فأوْرِدْهُ العيونَ والغُدْرانَ والأنهارَ ، ثُمَّ حُلْ^(١) بينه وبين النَّظَرِ إلى الماء ، حتى تكفَّ بصره بأصابعك عن جهة الماء واتَّساع المورد ، إلَّا بقدر ما كان يشربُ فيه من المساقى ، ثُمَّ أَوْسِعْ له إذا عَبَّ قليلاً بقدر ما لا يَرُوءه ذلك المنظر^(٢) وليكن معطشاً ؛ فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أن يشرب . تفعلُ به ذلك مراراً ، ثُمَّ تفسحُ له المنظرَ أولاً أولاً ، حتَّى لا يُنْكِرَ ما هو فيه . فلا تزالُ بِهِ حتَّى يعتادَ الشُّربَ بغيرِ سِترة^(٣) .

(امتثناميه وامتيحاشه)

٨٧

قال : واعلم أنَّ الحمامَ الأهلَى الذى عايشَ النَّاسَ ، وشربَ من المساقى وَلَقَطَ فى البيوتِ يَخْتَلُ^(٤) بالوَحدة ، وَيَسْتَوْحِشُ^(٥) بالغُرْبَةِ .

(١) ط : « خل » وهو عكس المعنى المراد . وأثبت ما فى ل ، س .

(٢) كذا فى ل . وفى ط ، س : « النظر » . وفى س أيضاً : « يردعه »

مكان : « يروى » وهو تحريف .

(٣) كذا فى ط ، س ؛ وهى صحيحة . والسترة ، بالضم ، بمعنى الستارة ، وهو

ما يستر به . وفى ل : « ستر » .

(٤) يَخْتَلُ : يضعف . ط ، س : « يَخِيل » ، تصحيف ما فى ل .

(٥) ط ، س : « ومستوحش » ، صوابه فى ل .

قال : واعلم أنّ الوحشَ يستأنس ، والأهلى يستوحش ^(١) :

قال : واعلم أنّه ينسى التأديبَ إذا أهمل ، كما يتأدّب بعد الإهمال .

(ترتيب الزجل)

وإذا زَجَلَتْ فلا تُخْطَرُفَ به ^(٢) من نصف الغاية إلى الغاية ، ولكن
رتّب ذلك ؛ فإنّه ربّما اعتادَ المجيء من ذلك البُعد ، فتي ^(٣) أرسلته من
أقربَ منه تحيّر ، وأرادَ أن يبتدئَ أمره ابتداءً . وهم اليومَ لا يفعلون ذلك ؛
لأنّه إذا بلغ الرّقّة أو فوقَ ذلك شيئاً [فقد] صار عُقْدَةً ^(٤) ، وصار له ثمنٌ
وغلّة . فهو لا يرى أن يُخاطر بشيءٍ له قدر . ولكنّه إن جاء من هيتَ
أدربَ ^(٥) [به] ؛ لأنّه إن ذهب لم يذهب شيءٌ له ثمن ، ولا طائرٌ له رياسة ؛

(١) ط ، س : « يستوحش بالغبرة » ، والكلمة الأخيرة مقحمة .

(٢) خطرف : أسرع . ومثله « تخطرف » . وفي ل : « تخطرف » .

(٣) كذا في ل . وفي ط ، س : « وإن » .

(٤) للعقدة ، أصلها : الضيعة والمقار الذي اعتقده صاحبه ملكاً .

(٥) هيت ، بالكسر : بلدة على الفرات من نواحي بغداد فوق الأنبار . وبدلها في

ط ، س : « حيث » ، وهو تحريف . و « أدرب » هو من أدرب القوم : إذا

دخلوا الدرب . والدرب هنا كل مدخل إلى بلاد الروم ، وإلى تلك الدروب كان

يزجل الحمام من البصرة . يريد أنه متى عرف منه الهداية من المكان القريب

أمكن أن يزجل إلى المكان البعيد . جاء في ط ، س : « درب » . وهو

نقص وتشويه صوابه في ل .

وليس له اسم ولا ذكر ؛ وإن جاء جاء شيء كبير وخطير^(١) ، وإن جاء من الغاية فَقَدْ حَوَى به ملكاً . على هذا [هم] اليوم^(٢) .

وقال : لا ترسل الزَّاق^(٣) حتى تستأنف [به] الرياضة^(٤) ولا تدعْ ماتِعُهُ للزَّجال^(٥) أن يحصن بيضاً ، ولا يحجم عليه ، فإن ذلك مما ينقضه^(٦) ويُفتِّحه^(٧) ، ويعظم له رأسه ، لأنّه عند ذلك يسمّن وتكثر رطوبته ، فتتدفّ الحرارة تلك الرطوبة الحادة العارضة إلى رأسه ، فإن ثقب^(٨) البيضَ وزقَّ وحضن ، احتجّت إلى تضميره واستئنف^(٩) سياسته . ولكنْ إنْ بدا لك أن تستفرخه^(١٠) فأنقلْ بيضه إلى غيره ، بعد أن تعلّمه بعلامةٍ تعرفه بها إذا انصدع .

-
- (١) خطير : ذو خطر وشرف . ل : « فإن ذهب ذهب شيء ليس له كبير خطر » ، فيكون تكراراً لما سبق . والوجه ما أثبت من ط ، س .
- (٢) ط : « على هذا اليوم » س : « على هذا هو اليوم » . ل : « على هدام اليوم » وصحته بما ترى .
- (٣) الزاق : الذي يزق فراخه ، أى يطعمها بمنقاره . ط ، س : « المزاق » وليس لها وجه هنا . والوجه ما أثبت من ل .
- (٤) ط ، س : « حتى تستأنف الرياضة له » .
- (٥) للزجال : للرجل . وجاء في ل : « للزجل » .
- (٦) ينقضه : بمعنى يضمف قوته . ط ، س : « ينقضه » وليست من لغة الجاحظ .
- (٧) كذا في ل . وهو بمعنى يسمنه . روى عن ابن السكيت : ناقة مفاتيح ، وأينق مفاتيح : سمان . وفي ط ، س : « يتبجه » ولست أثبتها .
- (٨) كذا في ل . وفي ط ، س : « ثقب » وهما بمعنى .
- (٩) ل : « استينان » وليس بشيء .
- (١٠) تستفرخه : تطلب منه الفراخ ، يقال : استفرخ الحمام : اتخذها للفراخ . ط ، س : « تستفرغه » وصوابه في ل .

(علاج الحمام الفزع)

وإن أصاب الحمام أيضاً فَزَعٌ وَذُعْرٌ ؛ عن طلب شئٍ من الجوارح له ، فَإِيَّاكَ أَنْ تُعِيدَهُ إِلَى الزَّجَلِ حَتَّى تَرْضِمَهُ وَتُسْتَفْرِخَهُ^(١) ؛ فَإِنْ ذَلِكَ الذُّعْرَ لَا يَفَارِقُهُ وَلَا يَسْكُنُ حَتَّى تَسْتَأْنِفَ بِهِ التَّوطينَ .

(طريقة امتهـكثار الحمام)

وإن أردتَ أَنْ تَسْتَكْثِرَ مِنَ الْفِرَاحِ فَأَعْزِلِ الذُّكُورَةَ عَنِ الْإِنَاثِ شَهْرًا أَوْ نَحْوَهُ ، حَتَّى يَصُولَ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ ، ثُمَّ اجْمَعْ بَيْنَهُمَا ؛ فَإِنَّ بَيْضَهَا سَيَكْثُرُ وَيَقِلُّ سَقَطُهُ وَمُرُوقُهُ . وَكَذَلِكَ كُلُّ أَرْضٍ أُثْبِرَتْ ، وَكَذَلِكَ الْحَيَالُ^(٢) لَمَّا كَانَ مِنَ الْحَيَوَانِ حَائِلًا . قَالَ الْأَعَشَى :

مِنْ سَرَاةِ الْمِهْجَانِ صَلَبَبَهَا الْعُضُّ وَرَعَى الْحِمَى وَطُولُ الْحَيَالِ^(٣)

(١) ترضمه ، هكذا وردت في ط ، س . وفي القاموس : « رضمت الطير : ثبتت » فلعلها بمعنى تثبته وتقره . وبدلها في ل : « تريحه » . و « تستفرخه » هي في ط ، س : « تستفرغه » . وانظر التنبيه الأخير من الصفحة السابقة .

(٢) الحيال : مصدر حالت الناقة تحيل : لم تحمل . ل : « وكذلك الحيال من الحيوان » .

(٣) يقول : هي من خيار الإبل البيض ، قد شددها رعى العض — بضم العين ، وهو النوى المرضوخ ، أو القت — وكذلك رعيها في الحمى — وهو مكان في نجد — وخلوها من الحمل زمنا طويلا . وكلمة « العض » هي في الأصل : « العرض » محرفة ، وصوابها في ديوانه ٦ والمعلقات بشرح الزوزني ١٨٨ وكذا في اللسان (مادق : عضض ، حيل) .

وقال الحارث بن عبادٍ وجعل ذلك مثلاً :

قَرَّبَا مَرْبِطَ النَّعَامَةِ مِنِّي لَقِحتُ حَرْبٌ وائل عن حِيَالٍ^(١)

(حديث أفليمون عن نفع الحمام)

وقال أفليمون^(٢) صاحب الفراسة ، لصاحبه : وأنا محدثك عن نفع الحمام بحديثٍ يزيدك رغبةً فيها : وذلك أَنَّ مَلِكَيْنِ طلب أحدهما مُلْكَ صاحبه ، وكان المطلوبُ أَكْثَرَ مَالاً وأَقَلَّ رَجَالاً ، وأُخْصِبَ بلاداً ، وكانت بينهما مسافةٌ من الأرضِ بعيدة ، فلما بلغه ذلك دعا خاصَّته فشاوَرَهُمْ ٨٨ في أمره وشكاً إليهم خوفه على مُلْكِهِ ، فقال له بعضهم : دامت لك أيُّها المَلِكُ السلامةُ ، ووُقيتَ المسكروه ! إِنَّ الذي تَأَقَّتْ له نفسك قد يُحْتَالُ له باليسيرِ من الطمع ، وليسَ مِنْ شأنِ العاقلِ التَّغْيِيرُ ، وليس بعد المناجزة بقيَّة ، والمناجزُ لا يدري لمن تكون الغلبةُ ، والتمسكُ بالثقةِ خيرٌ من الإقدام على الغرر .

(١) النعامة : فرس الحارث بن عباد . وعنى بحرب وائل تلك الحروب الكثيرة التي كانت أبداً مشتتة بين ابني وائل وهما تغلب وبكر . وقد قال الحارث الشعر الآتي لما قتل ابنه بجير ، قتله مهلهل التغلبي ، فلما قالوا له : إن ابنك قتل ! قال : إن ابني لأعظم قتيل بركة ؛ إذ أصلح الله به بين ابني وائل . فقيل له : إنه لما قتل قال مهلهل : بؤ بشع نعل كليب ! فعند ذلك أدخل الحارث يده في الحرب . وقال الشعر . انظر الكامل ٣٧١ ليسك والعقد (٣ : ٣٥٢) . واليوم الذي شهده الحارث بن عباد البكرى هو (يوم قضة) . انظر خبره في العقد ومعجم البلدان .

(٢) كذا في ل . وفي ط ، س : « أفليمون » وهو تصحيف .

وقال بعضهم : دَامَ لك العزُّ ، ومُدَّ لك في البقاء ! ليسَ في الذُّلِّ دَرَكٌ ولا في الرُّضا بالضمِّ بَقِيَّةٌ ، فالرَّأْيُ اتِّخَاذُ الحُصُونِ وإِذْكَاءُ العُيُونِ ، والاستعدادُ للقتالِ ؛ فَإِنَّ الموتَ في عَزٍّ خَيْرٌ من الحياة في ذُلٍّ (١) ! .

وقال بعضهم : وَقِيَّتَ وَكُفِّيْتَ ، وأُعْطِيْتَ فَضْلَ المَزِيدِ ! الرَّأْيُ طلبُ المصاهرة له (٢) والخِطْبَةُ إليه ؛ فَإِنَّ الصَّهْرَ سَبَبُ أَلْفَةٍ تَقَعُ به الحُرْمَةُ ، وتَثْبِتُ بِهِ المودَّةُ ، وَيَحُلُّ به صاحِبُهُ المحلَّ الأدنى (٣) . ومنْ حَلَّ من صاحبه هذا المحلَّ لم يَحُلَّه مما عَرَاه (٤) ، ولم يَمْتَنِعْ من مناوأة من ناواه (٥) . فالتَّمَسَّ خِلَاطَتُهُ ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَعْدَ الخِلَاطَةِ عداوَةٌ ، ولا مَعَ الشَّرْكَةِ مَبَايَنَةٌ !

فقال لهم (٦) الملك : كُلُّ قَدِ أشارَ برأْيٍ ، ولكلُّ مَدَّةٍ ، وأنا ناظِرٌ في قولِكُمْ ، وباللهِ العِصْمَةِ ، وبشكره تَمَّ النِّعْمَةُ . وأظْهَرَ الخِطْبَةَ إلى الملكِ الذي فَوْقَهُ ، وأرسلَ رُسُلًا ، وأهدى هدايا ، وأمرَهُمْ بِمِصْنَعَةٍ جَمِيعَ مَنْ يَصِلُ إِلَيْهِ ، ودسَّ رجالًا من ثِقَاتِهِ ، وأمرَهُمْ بِاتِّخَاذِ الحِمَامِ في بلاده وتَوَطُّبِنِهَا واتَّخَذَ أيضًا عِنْدَ نَفْسِهِ مِثْلَهُنَّ ، فرفَعَهُنَّ من غَايَةٍ إلى غَايَةٍ . فجعلَ هؤلاء يرسلون من بلادِ صاحبِهِمْ ، وجعلَ مَنْ عِنْدَ الملكِ يرسلون من بلادِ (٧)

(١) ل : « فَإِنَّ المحاماة عن العز خير من الحياة في ذل » .

(٢) كذا في ل . وفي ط ، س : « الرَّأْيُ أَنْ تَطْلُبَ مصاهرته » .

(٣) ط ، س : « محل الأولياء » .

(٤) عراه : اعتراه . والمراد أَنه يخبره بكل ما يعروه ويطلعه على دخيلته . ط :

« لم يَحُلْ ما عَزَاه » س : « لم يَحُلْ بما عداه » وأثبت ما في ل .

(٥) كذا في ل . وناواه : تسهيل ناواه . والمناوأة : المعادة . ط ، س :

« ولم يَمْتَنِعْ مِنْهُ بِشَيْءٍ اِمْتَنَعَ مِنْهُ » .

(٦) في الأصل : « له » . والوجه ما أثبت .

(٧) كذا في ل . وهو ما تقتضيه المقابلة . وفي ط ، س : « عند » .

الملك ، وأمرهم^(١) بمكاتبتيه بنخب كل يوم ، وتعليق الكتب في أصول
أجنحة الحمام^(٢) . فصار لا يخفى عليه شيء من أمره . وأطمعه الملك في التزويج
واستفرده^(٣) وطاوله ، وتابع [بين] الهدايا ، ودس لحرسه رجالاً يلاطفونهم
حتى صاروا يبيتون بأبوابه معهم . فلما كتب أصحابه إليه بغررتهم وصل الخبر
إليه من يومه ، فسار إليه في جند قد انتخبهم ، حتى إذا كان على ليلة أو بعض
ليلة ، أخذ بمجامع الطرق ، ثم يبتهم^(٤) ووثب أصحابه من داخل المدينة
وهو وجنده من خارج^(٥) ، ففتحوا الأبواب وقتلوا الملك . وأصبح قد غلب
على تلك المدينة ، وعلى تلك المملكة ، فعظم شأنه ، وأعظمته الملوك ،
وذكر فيهم بالخزم والكيّد .
ولئما كان سبب ذلك كله الحمام ! .

(١) كذا على الصواب في ل . وفي ط ، س : « وأمره » .

(٢) هذا الصواب من ل ، وفي ط ، س : « في أول أذنان الحمام » ! .

(٣) ل : « استفرزه » ط : « استغفره » وصوابه في س . واستفرده : أراد

أرسل إليه رسلاً ، وفي القاموس : « وأفرده : عزله ، وإليه رسولا : جهزه » .

وفي اللسان : « وأفرده : عزلته ، وأفردت إليه رسولا » .

(٤) يبتهم : أوقع بهم ليلاً .

(٥) كذا في ل . وفي ط : « وهو من خارج وجنده » س : « وهو

من الخارج وجنده » .

(حديث آخر له في نفع الحمام)

قال : وأحدثك عن الحمام أيضاً بحديث آخر في أمر النساء والرجال وما يصاب من اللذّة فيهنّ ، والصّواب في معاملتهنّ . قال : وذلك أنّ رجلاً أتاني مرّة فشكا إلىّ حاله في فتاة علّقها فتزوّجها^(١) ، وكانت جارية [غراً] حسناء ، وكانت بكرّاً ذات عقلٍ وحياء ، وكانت غريرةً فيما يحسن ٨٩ النّساء من استمالته أهواء الرّجال ، ومن أخذها بنصيبها من لذّة النساء فلما دخل بها^(٢) امتنعت عليه ، ودافعت^(٣) عن نفسها ، فزاوها بكلّ ضربٍ كان يحسنه من لطفٍ ، وأدخل عليها من نساءه ونساءها من ظنّ^(٤) أنّها تقبلُ منهنّ ، فأعيتهنّ ، حتى همّ^(٥) برفضها مع شدّة وجده بها ، فأتاني فشكا ذلك إلىّ مرّة ، فأمرته أن يُفردّها ويخلّيها من الناس ، فلا يصلّ إليها أحدٌ ، وأن يُضعفَ لها الكرامة في اللّطف والإقامة لما يصلحها من مطعم ومشرب وملبس وطيب وغير ذلك ، مما تلهو به امرأة^(٦) وتُعجبُ به ، وأن يجعلَ خادمها أعجميّةً لا تفهمُ عنها ، وهي في ذلك عاقلة ، ولا تفهمُها إلّا

(١) ل : « فزوجه إياها » .

(٢) ط ، س : « عليها » .

(٣) ل : « ودفعت » .

(٤) ط ، س : « يظن » .

(٥) كذا في ل . أى عزم على ذلك . وفي ط ، س : « اهتم » ، أى أحزنه رفضها إياه .

(٦) كذا في س ، وفيه جزالة . وفي ط ، ل : « تلهو المرأة به » .

بالإيماء^(١) ؛ حتى^(٢) تستوحشَ إليها وإلى كل من يصل^(٣) إليها من النساء
[و^(٤)] حتى تشتهيَ أن تجِدَ مَنْ يراجعها الكلامَ وتشكو إليه وحشة
الوحدة ، وأنَّ يَدْخُلَ عليها أزواجاً من الحمام ، ذوات^(٥) صورةٍ حسنة ،
وتخيّل وهدير^(٦) فيصيرُهنَّ في بيتٍ نظيف ، ويجعلُ لهنَّ في البيت تماريد^(٧)
وبين يَدَي البيت حجرةً نظيفة ، ويفتحَ لها من بيتها باباً فيصِرْنَ نُصَبَ
عينها فتلهُو بهن وتنظرُ إليهنَّ ، ويجعلُ دخوله^(٨) عليها في اليوم دَفْعَةً
لايزيدها^(٩) فيه على النَّظَرِ إلى تلك^(١٠) الحمام ، والتسلي بهنَّ ، والاستدعاء
لهنَّ إلى الهدير ساعةً ، ثم يخرج^(١١) ، فإنَّها لاتلبث أن تنفكِرَ في صنيعهنَّ
إذا رأتُ حالهنَّ ؛ فإنَّ الطَّبيعة لاتلبثُ حتى تحرِّكها ، ويكون أوفقُ
المقاعدها الدنوّ منهنَّ^(١٢) ، وأغلبُ الملامى عليها النَّظَرُ إليهنَّ ؛ لأنَّ الحواسَّ
لا تؤدّي إلى النَّفس شيئاً من قِبَل السَّمْعِ ، والبَصَرِ ، والذَّوقِ ، والشمِّ

(١) ط ، س : « بالإشارة » وهما بمعنى .

(٢) ط ، س : « ولا » وهو خطأ .

(٣) ل : « يقبل » .

(٤) ليست بالأصل . والكلام في حاجة إليها .

(٥) ط ، س : « ذات » .

(٦) التخيل هنا من الخيلاء . وفي ط ، س : « تخيل » ، وهى هنا بمعنى الخلق
في الاستمالة .

(٧) ط ، س : « ويحمل لهن » ، وصوابه في ل . والتماريد : جمع تمراد بالكسر
وهو بيت صغير في بيت الحمام لمبيضه .

(٨) ط ، س : « وتجعل دخوله » .

(٩) ط ، س : « لا تزيدها » .

(١٠) كذا في ل . وفي ط ، س : « ذلك » وهما صحيحتان . والحمام يذكر ويؤنث .

(١١) ط ، س : « تخرج » .

(١٢) س : « لهن » .

والجسّة^(١) إلا تحرك من العقل في قبول ذلك أو رده ، والاحتياال في إصابته أو دفعه ، والكراهية^(٢) له أو الشرور به بقدر ماحرك النفس منه . فإذا رأيت الغالب عليها الدنوّ منهنّ ، والتأمل لهنّ ، فأدخل عليها امرأة مجرّبة غزلة تأنس بها ، وتفطنها^(٣) لصنيعهنّ ، وتعجبها منهنّ ، وتستميل فبكرتها إليهنّ ، وتصف لها موقع اللذة على قدر ماترى من تحريك الشهوة . ثم أخرج المرأة عنها ، وحاول الدنوّ منها ، فإن رأيت كراهية^(٤) أمسكت وأعدت المرأة إليها ، فإنها لا تلبث أن تمسكك . فإن فعلت ماتحب وأمكنتك بعض الإمكان ، ولم تبلغ ما تريد فأخبرني بذلك .

قال : وقلت له : مر المرأة فلتسألها عن حالها في نفسها ، وحالك . عندها ، فلعل فيها طبيعة من الحياء تمنعها^(٥) من الانبساط ، ولعلها [غرّ] لا يلمس ما قبلها من الخرق^(٦) . [ففعل ، وأمر المرأة أن تكشفها عن ذات نفسها ، فشكت إليها الخرق] ، فأشارت^(٧) عليها بالمتابعة ، وقالت : اعتبرى ٩٠ بما ترين من هذا الحمام ؛ فقد ترين الزوجين كيف يصنعان ! قالت : قد

(١) ل : « من قبل سمع ، أو بصر ، أو ذوق ، أو شم ، أو محبة » .

(٢) ط ، س : « الكراهة » ، وهما بمعنى .

(٣) تفطنها : تجعلها تعطن . ط ، س : « توفظها » .

(٤) ط ، س : « كراهة » .

(٥) ط ، س : « منعها » .

(٦) ط : « لا تلمس ما قبلها على ما قبلها من الخرق » س : « لا تلمس ما قبلها من الخرق »

ل : « لا يلمس ما قبلها بالخرق » ، وجعلت الكلام كما ترى . والخرق ، بالتحريك : الحياء .

(٧) ط ، س : « وأشارت » .

تَأَمَّاتُ ذَلِكَ فَعَجِبْتُ مِنْهُ ، وَلَسْتُ أَحْسِنُهُ ! فَقَالَتْ لَهَا : لَا تَمْنَعِي يَدَهُ
وَلَا تَحْمِلِي عَلَى نَفْسِكَ الْهَيْمَةَ ^(١) ، وَإِنْ وَجَدْتِ مِنْ نَفْسِكَ شَيْئاً تَدْعُوكِ إِلَيْهِ
لَذَّةً فَاصْنَعِيهِ ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ يَأْخُذُ بَقَلْبِهِ ، وَيَزِيدُ فِي مَحَبَّتِكَ ، وَيَحْرُكُ ذَلِكَ مِنْهُ
أَكْثَرَ مِمَّا أَعْطَاكَ . فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ نَالَ حَاجَتَهُ وَذَهَبَتِ الْحَشْمَةُ ، وَسَقَطَتِ الْمُدَارَاةُ ^(٢)
فَكَانَ سَبَبُ الصَّنْعِ لَهَا ، وَالخُرُوجُ مِنَ الْوَحْشَةِ إِلَى الْأُنْسِ ^(٣) ، وَمِنْ الْحَالِ
الدَّاعِيَةِ إِلَى مَفَارِقَتِهَا إِلَى الْحَالِ الدَّاعِيَةِ إِلَى مَلَازِمَتِهَا ، وَالضَّنُّ بِهَا ^(٤) - الْحَمَامُ ^(٥) .

(الخوف على النساء من الحمام)

وَمَا أَكْثَرَ مِنَ الرِّجَالِ ، مَنْ لَيْسَ يَمْنَعُهُ مِنْ إِدْخَالِ الْحَمَامِ إِلَى نِسَائِهِ
إِلَّا هَذَا الشَّيْءُ الَّذِي حَثَّ عَلَيْهِ صَاحِبُ الْفِرَاسَةِ ؛ وَذَلِكَ أَنَّ تِلْكَ الرُّؤْيَا
قَدْ تَذَكَّرَ وَتَشَبَّهَنِي وَتَمَحَّنَ ^(٧) . وَأَكْثَرُ النِّسَاءِ بَيْنَ ثَلَاثَةِ أَحْوَالٍ : إِمَّا
امْرَأَةً قَدْ مَاتَ زَوْجُهَا ، فَتَحْرِيكُ طِبَاعِهَا خِطَارَ ^(٨) بِأَمَانَتِهَا وَعَنْمَافِهَا . وَالْمُغْيِبَةُ ^(٩)

(١) ل : « له » .

(٢) ل : « وسقطت الحشمة ، وذهبت المداراة » .

(٣) ل : « الأنسة » ، وهى بالتحريك بمعنى الأنس . والأنس : ضد الوحشة .

(٤) بدل هذه العبارة الطويلة فى ط ، س : « ومن حال الفرة إلى حال الاتفاق » .

(٥) بعد هذا اللفظ فى س كلمة : « باب » ، وأراها مقحمة .

(٦) س : « وتشبهنى » ، وتصحيحه من ل ، س .

(٧) تمحن : تصيب بالحنة ، أى البلية . ل : « تحن » .

(٨) الخطار ، بالكسر : مصدر خاطر : إذا ركب الخطر . ط : « خطر » ل ، :

« إخطار » .

(٩) امرأة مغيب ومغيبة ومغيب بضم الميمات ، وكسر الغين فى الأوليين وإسكانها فى الثالثة : غاب عنها زوجها .

في مثل هذا المعنى . والثالثة : امرأة قد طال لُبُّها مع زوجها ؛ فقد ذهب الاستطراف ، وماتت الشهوة . وإذا رأت^(١) ذلك تحرك منها كلُّ ساكن وذكرَت ما كانت عنه بمندوحة .

والمرأة سليمة الدين والعرض والقلب^(٢) ، ما لم تهيجس في صدرها الخواطر ، ولم تنوهم حالات اللذة وتحرك^(٣) الشهوة . فأما إذا وقع ذلك فعزُّها أضعفُ العزم ، وعزُّها على ركوب الهوى^(٤) أقوى العزم .
فأما الأبقارُ الغريرات فهنَّ إلى أن يؤخذن بالقراءة في المصحف^(٥) ، ويُمْتَثَل لهن حتى^(٦) يصرنَّ إلى حال التشيخ^(٧) والجبن والكزازة^(٨) ، وحتى لا يسمعن من أحاديث الباه والغزل قليلاً ولا كثيراً - أحوجُّ .

(١) ل « أرادت » ولا تصح . والمراد : رأت فعل الحمام .

(٢) ل : « والصدر » .

(٣) ل : « وتخير » ، وليس بشيء .

(٤) ط : « ركوبها لهوى » .

(٥) س : « مصحف » .

(٦) كذا الصواب في ط ، س . وفي ل : « إلا أن » .

(٧) التشيخ : مصدر شيخ : صار شيخاً . والمراد أن تطرأ عليهن طباع الشيخوخة وما لها من ركانة وتزمت . ل : « الشح » .

(٨) الكزازة : البخل . ط ، س : « الغرارة » ، وهى بالفتح بمعنى الغفلة وقلة التجربة .

(نادرة لمجوز سنديّة)

ولقد ركبت عجزاً سنديّةً ظهرَ بعيرٌ ، فلما أقبلَ بها [هذا] البعيرُ
وأدبرَ وطمر^(١) ، فمخضها مرّةً مخضَ السقاء^(٢) ، وجعلها مرّةً كأنّها ترهز^(٣)
فقالَت بلسانها — وهى سنديّةٌ أعجميّةٌ — أخزى الله هذا الدّمل^(٤) ؛ فإنّه
يذكرُ بالسّرّ^(٥) ! تريد : أخزى الله هذا الجمل ، فإنّه يذكرُ بالشر . حدثنا
بهذه النّادرة^(٦) محمّد بن عبّاد بن كاسب .

(نادرة لمجوز من الأعراب)

وحدّثنا ربّيعيُّ الأنصاريُّ : أن عجزاً من الأعرابِ جَلستُ في طريق
مكة إلى فتيانٍ يشربون نبيذاً [لهم] ، فسقوها قدحاً فطابت نفسها ،

(١) طمر : وثب .

(٢) المخض : التحريك الشديد . كلمة « مرّة » ساقطة من ل . وكلمة : « مخض » جاءت
في ط ، س : بالخاء المهملة ، وتصحيحها من ل .

(٣) رهزها : حركها فارتهزت هى .

(٤) فى الأصل : « الزمل » وصوابه بالذال ، كما صرح بذلك الجاحظ فى البيان
(١ : ٧٤) .

(٥) ط ، س ؛ « بالشر » بالشين ، وصوابه بالمهملة كما فى ل والبيان . جاء
فى البيان : « فجعلت الشين مينا والجيم ذالا » . وانظر نظائر هذه الالكنة
فى البيان (١ : ٧١ - ٧٤) .

(٦) ط ، س : « بهذا النادر » .

وتبسمت ؛ ثُمَّ سَقَوْهَا قَدْحًا آخَرَ فَأَحْمَرَّ وَجْهَهَا وَضَحِكَتْ ، فَسَقَوْهَا قَدْحًا
ثَالِثًا فَقَالَتْ : خَبِّرُونِي عَنْ نَسَائِكُمْ بِالْعِرَاقِ ، أَيُشْرَبَنَّ مِنْ هَذَا الشَّرَابِ ؟ فَقَالُوا :
نَعَمْ . فَقَالَتْ : زَيْنَ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ !

(عقاب خصي)

وزعم إبراهيم الأنصاريُّ المعتزليُّ أنَّ عباسَ بنَ يزيدَ بنَ جريرٍ دخلَ
مقصورةً لبعضِ جَوَارِيهِ ، فأبصرَ حمامًا قد قَطَّ حمامةٌ ، ثُمَّ كَسَحَ بِذَنْبِهِ
ونَفَشَ ريشه ، فقال : لمن هذا الحمام ؟ فقالوا : لفلانٍ خادِمِكَ - يَعْنُونَ ^(١)
خَصِيًّا لَهُ - فَقَدَّه فَضَرَبَ عُنُقَهُ .

٩١

(قول الحطيئة في الغناء)

و [قد] قال الحطيئةُ لفتيانٍ من بني قُرَيْعٍ ^(٢) - و [قد] كانوا رُبعًا
جَلَسُوا بِقُرْبِ خَيْمَتِهِ ، فَتَغَنَّى ^(٣) بَعْضُهُمْ غِنَاءَ الرَّكْبَانِ - فقال : يا بني قُرَيْعِ !
إِيَّايَ وَالْغِنَاءَ ؛ فَإِنَّهُ دَاعِيَةُ الزَّنى ^(٤) !

(١) ط ، س : « يريدون » .

(٢) بنو قُرَيْع كانوا من مدحهم الحطيئة ، فرفع شأنهم . كان يقال لهم بنو أنف الناقة
فيغضبون ، حتى قال الحطيئة :

قوم هم الأنف والأذنان غيرهم ومن يسوى بأنف الناقة الذنبا

فصارا يتباهون بهذه النسبة . العدة (١ : ٢٥ - ٢٦) . ط : « قُرَيْع » ،
تحريف ما في ل ، س .

(٣) ط ، س . « فيغنى » .

(٤) ط ، س : « إلى الزنا » .

(أبو أحمد التمار وصاحب حمام)

وَأَمَّا أَبُو أَحْمَدُ التَّمَارُ الْمُنْكَلَمُ ، فَإِنَّهُ شَاهَدَ صَاحِبَ حَمَامٍ فِي يَوْمٍ مَجَىءٍ حَمَامِهِ
 مِنْ وَاسِطٍ ، وَكَانَتْ وَاسِطٌ يَوْمَئِذٍ الْغَايَةِ ، فَرَأَاهُ كُلُّهَا أَقْبَلَ طَائِرٌ مِنْ حَمَامِهِ
 نَعْرَ^(١) وَرَقَصَ ، فَقَالَ لَهُ : وَاللَّهِ إِنِّي لَأَرَى^(٢) مِنْكَ عَجَبًا ؛ أَرَأَيْكَ تَفْرَحُ بِأَنْ
 جَاءَكَ^(٣) حَمَامٌ مِنْ وَاسِطٍ ، وَهُوَ ذَلِكَ الَّذِي كَانَ ، وَهُوَ الَّذِي جَاءَ ، وَهُوَ
 الَّذِي اهْتَدَى ؛ وَأَنْتَ لَمْ تَجِبْ وَلَمْ تَهْتَدِ ؛ وَحِينَ جَاءَ مِنْ وَاسِطٍ ، لَمْ يَجِبْ
 مَعَهُ بَشْيٌ مِنْ خَبَرِ أَبِي حَمْزَةَ ، وَلَا بَشْيٌ مِنْ مَقَارِضِ^(٤) وَاسِطٍ ، وَبَزْيُونِ^(٥)
 وَاسِطٍ ، وَلَا جَاءَ مَعَهُ أَيْضًا بَشْيٌ مِنْ خِطْمِي^(٦) ، وَلَا بَشْيٌ مِنْ جَوْزِ

(١) نعر نعرًا ونعارة : صاح . ط ، س : « سر » .

(٢) في الأصل : « لا أرى » .

(٣) ط ، س : « بأزجال » ، وصوابه من ل .

(٤) لم أر واحد هذه الكلمة . وفي القاموس : المقارض : أوعية الخمر ، والجرار الكبار .

(٥) في القاموس : « البزبون كجرد حل وعصفور : السندس » . والسندس : ضرب من

دقيق الديباج . وهو مركب من « بز » و « يون » أى يشبه « البز » . و « يون »

لغة في « كون » بالفارسية . الألفاظ الفارسية ٢٢ . ط « بزبون » س :

« بزبوه » وهى على الصواب الذى أثبت في ل .

(٦) الخطمى بكسر الخاء وفتحها : ثبت له زهر شبيه بالورد ، وتسمى شجرته

« كثيرة المنافع » . المعتمد ٩١ . واسمه العلمى Malvarotundifolia . ويعرف

أيضا بالحبازى البرية . وكتب الفقه الإسلامى تردد ذكر هذا الثبت في باب الجنائز ؛

إذ أن من خواصه جودة تنظيف الشعر ، وهو بمنزلة الصابون . انظر مثلا مسكين

٤٩ - ٥٠ . ل « خطى » مع حذف كلمة « واسط » قبلها .

ولا بشيء من زبيب^(١) . وقد مرَّ بكسكر^(٢) ، فأين كان عن جداء كسكر ،
ودجاج كسكر^(٣) ، وسمك كسكر ، وصحناء^(٤) كسكر ، وربيثاء^(٥) كسكر
[وشعير كسكر؟!] ذهب صحيحاً نشيطاً ، ورجع مريضاً كسلان ، وقد غرمت
ما غرمت^(٦) !! فقل لي : ما وجه فرحك ؟ فقال : فرحي أنني أرجو أن أبيع
بخمسين ديناراً . قال : ومن يشتريه منك بخمسين ديناراً ؟ قال : فلان ، وفلان .
فقام ومضى إلى فلان^(٧) فقال : زعم فلان أنك تشتري منه^(٨) حماماً جاء
من واسط بخمسين ديناراً ؟ قال : صدق . قال : فقل لي^(٩) لم تشتريه

(١) ل : « وشيء من جوز ، وشيء من زبيب » .

(٢) دجاج كسكر سبق الكلام فيه (٢ : ٢٤٨) . وقد أبدت عجبى هناك من تقدير
ثمنه ، لكن وجدت ياقوتا يؤيد ما ذكره في كسكر بما ذكره في (واسط)
أيضاً حيث قال : « رأيت فيها — يعني واسطاً — كوز زبد بدرهمين
واثنى عشرة دجاجة بدرهم ، وأربعة وعشرين فروجا بدرهم » . ط ، س :

« عن دجاجها » .

(٣) الصحناء والصحناء ، ويمدان ويكسران : إدام يتخذ من السمك الصغار والملح .
القاموس والمعتمد ١٩٧ . قال داود : « لاتعرف إلا بالعراق ، ويقرب منها ما يعمل
بمصر ويسمى : الملوحة » . ط : « وصحناءها » تحريف وأثبت ما في ل .
وفي س : « وصحناء كسكر » . وانظر ٦ : ٨٤ — ٨٥ .

(٤) في مفاتيح العلوم ١٠٠ : « الربيثاء ، والصحناء ، والصير : السميكات تعمل
من السمك الصغار والملح » . وبدل هذه الكلمة في ط ، س : « سعة »
وهو نبت طيب الرائحة .

(٥) ط ، س : « وقد عرفت ما عرفت » .

(٦) ط ، س : « إلى فلان وفلان » وصوابه ما أثبت من ل .

(٧) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(٨) س : « قال فقل له » ، وصوابه ما أثبت من ل ، وفي ط : « فقال له » .

بِخَمْسِينَ دِينَارًا ؟ قَالَ : لِأَنَّهُ جَاءَ مِنْ وَاسِطٍ . قَالَ : فَإِذَا جَاءَ مِنْ وَاسِطٍ فَلِمَ تَشْتَرِيهِ بِخَمْسِينَ دِينَارًا ؟ قَالَ : لِأَنِّي أَبِيعُ الْفَرَخَ مِنْهُ بِثَلَاثَةِ دَنَانِيرَ ، وَالْبَيْضَةَ بِدَيْنَارَيْنِ . قَالَ : وَمَنْ يَشْتَرِي مِنْكَ ؟ قَالَ : مِثْلُ فَلَانٍ وَفَلَانٍ . فَأَخَذَ نَعْلَهُ وَمَضَى إِلَى فَلَانٍ ، فَقَالَ : زَعِمَ فَلَانٌ أَنَّكَ تَشْتَرِي مِنْهُ فَرَخًا مِنْ طَائِرٍ جَاءَ مِنْ وَاسِطٍ بِثَلَاثَةِ دَنَانِيرَ ، وَالْبَيْضَةَ بِدَيْنَارَيْنِ . قَالَ : صَدَقَ . قَالَ : فَقُلْ لِي : لِمَ تَشْتَرِي فَرَخَ ثَلَاثَةِ دَنَانِيرَ ؟ قَالَ : لِأَنَّ أَبَاهُ جَاءَ مِنْ وَاسِطٍ . قَالَ : وَلِمَ تَشْتَرِيهِ بِثَلَاثَةِ دَنَانِيرَ إِذَا جَاءَ أَبُوهُ مِنْ وَاسِطٍ ؟ قَالَ : لِأَنِّي أَرْجُو أَنْ يَجِيءَ مِنْ وَاسِطٍ . قَالَ : وَإِذَا جَاءَ مِنْ وَاسِطٍ فَأَيُّ شَيْءٍ يَكُونُ ؟ قَالَ : [يَكُونُ أَنْ] أَبِيعَهُ بِخَمْسِينَ دِينَارًا . قَالَ : وَمَنْ يَشْتَرِيهِ مِنْكَ بِخَمْسِينَ دِينَارًا ؟ قَالَ : فَلَانٌ . فَتَرَكَهُ وَمَضَى إِلَى فَلَانٍ ، فَقَالَ : زَعِمَ فَلَانٌ أَنَّ فَرَخًا مِنْ فَرَاخِهِ إِذَا جَاءَ أَبُوهُ مِنْ وَاسِطٍ اشْتَرِيَتْهُ أَنْتَ مِنْهُ بِخَمْسِينَ دِينَارًا^(١) . قَالَ : صَدَقَ . قَالَ : وَلِمَ تَشْتَرِيهِ بِخَمْسِينَ دِينَارًا ؟ [قَالَ : لِأَنَّهُ جَاءَ مِنْ وَاسِطٍ . قَالَ : وَإِذَا جَاءَ مِنْ وَاسِطٍ لَمْ تَشْتَرِيهِ بِخَمْسِينَ دِينَارًا ؟] قَالَ : فَأَعَادَ عَلَيْهِ مِثْلَ قَوْلِ الْأَوَّلِ^(٢) . فَقَالَ : لَارْزُقَ اللَّهُ مَنْ يَشْتَرِي حَمَامًا جَاءَ مِنْ وَاسِطٍ بِخَمْسِينَ دِينَارًا ، وَلَا رِزْقَ اللَّهُ [إِلَّا] مَنْ لَا يَشْتَرِيهِ بِقَلِيلٍ وَلَا بِكَثِيرٍ^(٣) .

(١) كلمة « أبوه » ساقطة من ل . وكذا « أنت منه بخمسين دينارًا » .

(٢) ل : « مثل قوله الأول » ، وصوابه في ط ، س .

(٣) كلمة « دينارًا » ساقطة من ل . و « يشتريه » هي في ط : « يشريه » وشرى تكون بمعنى اشترى .

(نوادير لأبي أحمد التمار)

وأبو أحمد هذا هو الذى قال - وهو يعظ بعض المسرفين - لو أن رجلاً ٩٢
كانت عنده ألف ألف دينار ثم أنفقها كلها لذهبت [كلها] . وإنما سمع
قول القائل : لو أن رجلاً عنده ألف ألف دينار فأخذ منها ولم يَصْعَ عليها
لكان خليفاً أن يأتي عليها ^(١) .

وهو القائل فى قصصه : ولقد عظم [رسول الله صلى الله عليه وسلم]
حق الجار ، وقال فيه قولاً أستحى والله من ذكره !

وهو الذى قال لبعضهم ^(٢) : بلغنى أن فى بستانك أشياء تهمى ، فأحب
أن تهب لى منه أمراً من أمر الله عظيم ^(٣) .
وكان زجلاً ^(٤) قبل أن يكون تماراً .

وزعم سليمان الزجال ^(٥) وأخوه ثابت ، أنه قبل أن يكون تماراً ^(٦) قال يوماً -
وذكر الحمام ، حين زهد فى بيع الحمام ؛ وذكر بعض الملوك - فقال :
أمّا فلان فإنه لما بلغنى أنه يلعب بالحمام سقط من عيني !

(١) ط ، س : « على أكثرها » .

(٢) ل : « للهفتى » .

(٣) ل : « بلغنى أن فى أرضك أشياء تهمنا فهب لى منه أمراً من أمر الله عظيماً » .

(٤) الزجال هنا : الذى يتاجر فى حمام الزاجل ، كما يظهر من الكلام . ل :
« جدالاً » تحريف .

(٥) ل : « الجدال » . وما كتبت من ط ، س أوفق ؛ لما سأتقى
من الكلام .

(٦) التمار : بائع التمر . والكلام من مبدأ « قبل » ساقط من ل

والله سبحانه وتعالى أعلم^(١) .

[تمّ القول في الحمّام ، والحمد لله وحده] .

باب

القول في أجناس الذّبان^(٢)

بسم الله ، وبالله [والحمد لله] ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلا بالله ، وصلى الله

على سيّدنا محمد النّبىّ الأُمّى وعلى آله وصحبه وسلّم ، وعلى أبرار عِتْرَتِهِ^(٣)
الطّيبين الأخيار^(٤) .

أوصيك أيّها القارئ المتفهم ، وأيّها المستمع المنصت المصيخ^(٥) ، ألاّ تحقّر
شيئاً أبداً لصغر جثّته ، ولا تستصغر قدره لقلة ثمن .

(١) هذه الجملة ساقطة من ل .

(٢) كلمة « باب » وكذا « أجناس » ساقطتان من ل .

(٣) العترة ، بالكسر : نسل الرجل ، ورهطه ، وعشيرته الأذنون من مضى وغبر .
ل ، ط : « عشيرته » .

(٤) يبدو أن الفقرة من أولها دخيلة على الكتاب ، فليست من أسلوب صاحبنا .

(٥) المصيخ : المستمع . وبدلها في ط ، س : « المتصفح » . وكيف يكون
المستمع متصفحاً ؟ ! .

(دلالة الدقيق من الخلق على الله)

ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ الْجَبَلَ لَيْسَ بِأَدَلَّ عَلَى اللَّهِ مِنَ الْخِصَاءِ ، وَلَا الْفَلَكَ الْمَشْتَمِلَ عَلَى عَالَمِنَا هَذَا بِأَدَلَّ عَلَى اللَّهِ مِنْ بَدَنِ الْإِنْسَانِ . وَأَنَّ صَغِيرَ ذَلِكَ وَدَقِيقَهُ كَعَظِيمِهِ وَجَلِيلِهِ . وَلَمْ تَفْتَرِقِ الْأُمُورُ فِي حَقَائِقِهَا ، وَإِنَّمَا افْتَرَقَ الْمَفْكَرُونَ فِيهَا ، وَمَنْ أَهْمَلَ النَّظَرَ ، وَأَغْفَلَ مَوَاضِعَ الْفَرْقِ ، وَفُصِّلَ الْحُدُودَ .

فَإِنْ قَبِلَ تَرْكُ النَّظَرِ ، وَمَنْ قَبِلَ قَطْعَ النَّظَرِ ، وَمَنْ قَبِلَ النَّظَرَ مِنْ غَيْرِ وَجْهِ النَّظَرِ ، وَمَنْ قَبِلَ الْإِخْلَالَ بِبَعْضِ الْمَقَدَّمَاتِ ، وَمَنْ قَبِلَ ابْتِدَاءَ النَّظَرِ مِنْ جِهَةِ النَّظَرِ ، وَاسْتِمَامَ النَّظَرِ مَعَ انْتِظَامِ الْمَقَدَّمَاتِ - اخْتَلَفُوا .

فَهَذِهِ الْخِصَالُ هِيَ جَمَاعُ هَذَا الْبَابِ ، إِلَّا مَا لَمْ نَذْكُرْهُ مِنْ بَابِ الْعَجْزِ وَالنَّقْصِ ؛ فَإِنَّ الَّذِي امْتَنَعَ مِنَ الْمَعْرِفَةِ مِنْ قَبْلِ النُّقْصَانِ الَّذِي فِي الْخِلْقَةِ^(١) يَابُّ عَلَى حِدَةٍ .

وَإِنَّمَا ذَكَرْنَا بَابَ الْخَطَأِ وَالصَّوَابِ ، وَالتَّقْصِيرِ وَالتَّكْمِيلِ . فَإِيَّاكَ أَنْ تَسِيءَ الظَّنَّ بِشَيْءٍ مِنَ الْحَيَوَانِ لِاضْطِرَابِ الْخَلْقِ ، وَلِتَفَاوُتِ التَّرَكِيبِ ، وَلِأَنَّهُ مَشْنُوءٌ فِي الْعَيْنِ ، أَوْ لِأَنَّهُ قَلِيلُ النَّفْعِ وَالرَّدِّ ؛ فَإِنَّ الَّذِي تَظُنُّ^(٢) أَنَّهُ أَقْلُهَا نَفْعًا لِحَلِّهِ أَنْ يَكُونَ أَكْثَرَهَا رَدًّا . فَإِلَّا يَكُنْ^(٣) ذَلِكَ مِنْ جِهَةِ عَاجِلِ أَمْرِ الدُّنْيَا ،

(١) ط ، س : « الَّذِي بَابُهُ فِي الْخِلْقَةِ » . وَكَلِمَةُ « بَابُهُ » مَقْحَمَةٌ .

(٢) ط ، س : « يَظُنُّ » ، وَتَقْرَأُ بِالْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ .

(٣) ط : « إِنْ لَا يَكُونُ » س : « لَا يَكُونُ » وَتَصَحِيحُهُ وَفْقَ مَا فِي ل .

٩٣ كان ذلك في آجل أمر^(١) الدين . [وثواب الدين] وعقابه باقيان ، ومنافع الدنيا فانية زائلة ؛ فلذلك قدّمت الآخرة على الأولى .

فإذا رأيتَ شيئاً من الحيوان بعيداً من المعاونة ، وجاهلاً بسبب^(٢) المكائفة^(٣) ، أو كان مما يشتدُّ ضرره ، وتشتدُّ الحراسة منه ، كذوات الأنياب من الحيات والذئاب^(٤) وذوات الخالب من الأسد والثور ، وذوات الإبر والشعر من العقارب والدّبر ، فاعلم أنّ مواقع^(٥) منفعتها من جهة الامتحان ، والبلوى . ومن جهة ما أعد الله عزّ وجلّ للصّابرين ، ولمن فهم عنه ، و [لمن]^(٦) علم أنّ الاختيار والاختبار [لا]^(٧) يكونان والدنيا كلّها شرٌّ صرفٌ أو خيرٌ مخض ؛ فإنّ ذلك لا يكون إلّا بالمزاوجة بين المكروه والمحبوب ، والمؤلم والملدّ ، والمحقر والمعظم ، والمأمون والخوف . فإذا كان الحظّ الأوفرّ في الاختبار والاختيار^(٨) ، وبهما يُتوسل إلى ولاية الله عزّ وجلّ ، وآيد^(٩) كرامته ، وكان ذلك إنما^(١٠) يكون في الدار الممزوجة من

(١) ط ، س : « ثواب » .

(٢) س : « بسبيل » ط : « لسبيل » وهذه تحريف الأولى . وأثبت ما في ل .

(٣) المكائفة ، بالنون : المعاونة . كافه : عاونه . ل : « المكائفة » بالناء . ولم أجدها .

(٤) ط : « الذبان » ، وهو تحريف عجيب ، صوابه في ل ، س .

(٥) ليست في ل ، س .

(٦) الزيادة من ل ، س .

(٧) الزيادة من س . والكلام بعده إلى كلمة « ذلك » ساقط من ل .

(٨) ط ، س : « والاعتبار » ، والوجه ما أثبت من ل .

(٩) الآيد : الدائم . وبدلها في ط ، س : « وإلى » .

(١٠) ل : « لا » ، وهو تحريف يفسد المعنى .

الخير والشرّ ، والمشاركة والمرّكبة بالنّفع^(١) والضرّ ، المشوبة باليُسْر والعُسْر -
فليعلم موضع النّفع في خلق العقرب ، ومكان الصّنع في خلق الحيّة ، فلا
يحقرن الجرجس^(٢) والفرّاش والذّرّ والذّبان^(٣) ولتقف حتّى تتفكّر في الباب
الذى رميتُ إليك بجملته ، فإنّك ستكثيرُ حمداً لله عزّ وجلّ ، على
خلق الهمج والحشرات ، وذوات السّوم والأنياب ، كما تحمده على خلق
الأغذية من الماء والنّسيم .

فإن أردت الزّراية والتّحقير ، والعداوة والتّصغير ، فاصرف ذلك كلّهُ
إلى الجنّ والإنس ، واحقرّ منهم كلّ مَنْ عَمِلَ عملاً من جهة الاختيار^(٤)
يستوجب به الاحتقار ، ويستحقّ به غاية المقت من وجهه ، والتّصغير
من وجهه .

فإن أنت أبغضت من جهة الطبيعة^(٥) ، واستثقلت من جهة الفطرة
ضربين من الحيوان : ضرباً يقتلك بسمه ، وضرباً يقتلك بشدة أسرهِ^(٦) لم
تلم . إلا أنّ عليك أن تعلم أنّ خالقهما لم يخلقهما لأذاك^(٧) ، وإنما خلقهما لتصبر
على أذاهما ، ولأنّ تنال بالصّبر الدرجة التى يستحيل أن تنالها [إلا] بالصّبر^(٨) .

(١) ل : « ومكان النفع في صنع الحية » .

(٢) الجرجس ، بكسر الجيمين : البعوض الصغار . ويقال أيضاً : القرّس ، بوزنه .

(٣) الذرّ : صغار النمل . و « الذبان » بالكسر : جمع « الذباب » . وبهذه جاءت
في ط ، س .

(٤) ط ، س : « الاختيار » وهو تحريف ما في ل .

(٥) ل : « فإن أنت بنية الطبيعة » وهو كلام مشوه .

(٦) الأسر : شدة الخلق والخلق . ط : « أسرهِ » تحريف .

(٧) ط : « لذلك » . وما أثبت من س ، ل أوفق .

(٨) ط ، س : « التى تستحق أن تنالها بالصبر » ، ومؤدى العبارةين واحد .

والصبرُ لا يكونُ إلَّا على حالٍ^(١) مكروه . فسواءٌ عليك [أ] كان المكروه سبُعًا وثائبًا ، أو كان مَرَضًا قاتلًا . وعلى أنَّك لاتدرى ، لعلَّ النزَع ، والعلَزَّ والحشرجة^(٢) ، أن يكون أشدَّ من لدغ^(٣) حية ، وضغمة سبيع^(٤) . فإلَّا تسكنُ له حُرقة كحرق النار^(٥) وألم كالم الدهق^(٦) ، فلعلَّ هناك من السَّكْرَب ما يكون موقعه من النَّفس فوق ذلك .

وقد علمنا أنَّ النَّاس يُسمُّون^(٧) الانتظار لوقع السيف على [صليفاً^(٨)] العنق جهْدَ البلاء ؛ وليس ذلك الجهد من شكل لدغ النار ، ولا من شكل ألم الضرب بالعصا . فافهم فهِمَّكَ اللهُ مواقع النفع كما يعرفها أهلُ الحكمة ، وأصحاب الأحساس الصحيحة .

ولا تذهب في الأمورِ مذهبَ العامة ، وقد جعلَكَ اللهُ تعالى من الخاصة ، فإنَّكَ مسئولٌ عن هذه الفضيلة ؛ لأنَّها لم تجعلْ لعبا^(٩) ، ولم تتركْ

(١) حال ، أى حاضر . ل : « عاجل » .

(٢) النزع : قلع الحياة . والعلز بالتحريك : هلع يصيب المحتضر . والحشرجة : الغرغرة عند الموت .

(٣) ط ، س : « لدغ » وصوابه في ل .

(٤) هاتان ساقطتان من ل . والضغمة : العضة . وسمى الأسد ضيغما لذلك .

(٥) كذا في ل . وفي ط : « فلا يكون حرقه كحرق اللسع » وفي س : « فلا يكون لك حرقه كحرق اللسع » ، محرفتان .

(٦) الدهق ، بالتحريك : خشيتان يغمز بهما الساق ، فارسيته : أشكبه .

(٧) ل : « لايسمون » ، وكلمة « لا » تفسد المعنى .

(٨) الصليف ، كأمير : عرض العنق .

(٩) ل : « لغوا » .

هَمَلًا . وَاَصْرِفْ بُغْضَكَ إِلَى مُرِيدِ ظَلَمِكَ ^(١) ، لَا يَر_اقِبْ فِيكَ إِلَّا وَلَا ذِمَّةً ،
وَلَا مُودَةً ، وَلَا كِتَابًا وَلَا سُنَّةً . وَكَلِمَا زَادَكَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نِعْمَةً اَزْدَادًا ^(٢)
عَلَيْكَ حَقًّا ، وَلَكَ بُغْضًا . وَفِرَّ كُلَّ الْفِرَارِ وَاهْرُبْ كُلَّ الْهَرَبِ ، وَاحْتَرَسْ
كُلَّ الْاِحْتِرَاسِ ، مَنْ لَا يَر_اقِبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ؛ فَإِنَّهُ لَا يَخْلُو مِنْ أَحَدٍ أَمْرِينَ ،
إِمَّا أَنْ يَكُونَ لَا يَعْرِفُ رَبَّهُ مَعَ ظُهُورِ آيَاتِهِ وَدَلَالَاتِهِ ، وَسُبُوغِ آلَائِهِ ، وَتَتَابُعِ
نِعَائِهِ ، وَمَعَ بَرَهَانَاتِ رُسُلِهِ ، وَبَيَانِ كِتَابِهِ ؛ وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ بِهِ عَارِفًا وَبَدِينَهُ ^(٣)
مَوْقِنًا ، وَعَلَيْهِ مَجْتَرَأًا ، وَبُحْرَمَاتِهِ مُسْتَخَفًّا . فَإِنْ كَانَ بِحَقِّهِ جَاهِلًا فَهُوَ بِحَقِّكَ
أَجْهَلُ ، وَلَهُ أَنْ تَكْفُرَ . وَإِنْ كَانَ بِهِ عَارِفًا وَعَلَيْهِ مَجْتَرَأًا فَهُوَ عَلَيْكَ أَجْرَأُ ، وَلِحَقْوَقِكَ
أَضْيَعُ ^(٤) وَلَا يَأْدِيكَ أَكْفَرُ .

فَأَمَّا خَلْقُ الْبَعُوضَةِ وَالنَّمْلَةِ وَالْفَرَاشَةِ وَالذَّرَّةِ وَالذَّبَّانِ ^(٥) وَالْجَمْعَلَانِ ،
وَالْيَعَاسِيْبِ وَالْجُرَادِ — فَإِيَّاكَ أَنْ تَهَآوَنَ بِشَأْنِ هَذَا الْجُنْدِ ، وَتَسْتَخَفَّ ^(٦) بِالْآلَةِ
الَّتِي فِي هَذَا الذَّرْعِ ^(٧) ؛ فَارَبَّتْ أَمَةٌ قَدْ أَجْلَاهَا عَنْ بِلَادِهَا ^(٨) النَّمْلُ ، وَنَقَلَهَا

(١) س : « لِمَنْ يَرِيدُ ظَلَمًا » .

(٢) ط فقط : « اَزْدَادُوا » .

(٣) س : « وَبَذَنِيهِ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ .

(٤) ط ، س : « وَلَخَقَّكَ » . وَ « أَضْيَعُ » تَفْضِيلٌ مِنْ أَضَاعَ . وَفِي التَّفْضِيلِ
مِنْ أَفْعَلٍ مَذَاهِبُ ثَلَاثَةٌ : الْمَنْعُ مَطْلَقًا ، وَالْجَوَازُ مَطْلَقًا ، وَالْمَنْعُ إِنْ كَانَتْ الْهَمْزَةُ
لِغَيْرِ النِّقْلِ .

(٥) الذَّبَّانِ : جَمْعُ ذَبَابٍ . ط ، س : « وَالذَّبَابِ » .

(٦) ط : « تَسْتَخَفُّ » تَحْرِيفٌ صَوَابُهُ فِي ل ، س .

(٧) الذَّرْعُ : الْخَلْقُ . وَفِي الْأَصْلِ : « الذَّر » .

(٨) ل : « مَسَاكِنَهَا » .

عن مساقطِ رءوسِها الذُّرَّ ، وأهلِكت بالفأر^(١) ، وجُرِدَت بالجرَادِ ، وعُذِّبَت بالبعوض ، وأفسَدَ عيشها الذَّبَّانُ ؛ فهي جُنْدٌ إِنْ أَرَادَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ يَهْلِكَ بها قومًا بَعْدَ طُغْيَانِهِمْ وَتَجَبُّرِهِمْ وَعُتُوِّهِمْ ؛ لِيَعْرِفُوا أَوْ لِيُعْرِفَ بِهِمْ أَنَّ كَثِيرَ أَمْرِهِمْ ، لَا يَقُومُ بِالْقَلِيلِ مِنْ أَمْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ . وفيها بَعْدُ مُعْتَبَرٌ لِمَنْ اعْتَبَرَ ، ومَوْعِظَةٌ لِمَنْ فَكَّرَ ، وصَلَاحٌ لِمَنْ اسْتَبَصَرَ^(٢) ، وبلَوَى ومُخَنَّةٌ ، وعَذَابٌ وَنِقْمَةٌ ، وَحُجَّةٌ صَادِقَةٌ ، وآيَةٌ وَاضِحَةٌ^(٣) ، وَسَبَبٌ إِلَى الصَّبْرِ وَالْفِكْرَةِ . وهما جِمَاعُ الْخَيْرِ فِي بَابِ الْمَعْرِفَةِ وَالِاسْتِبَانَةِ^(٤) ، وَفِي بَابِ الْأَجْرِ وَعِظَمِ الْمَثُوبَةِ^(٥) . وَسَنَدُ كَرِّ جَمَلَةٍ مِنْ حَالِ الذَّبَّانِ ، ثُمَّ نَقُولُ فِي جَمَلَةٍ مَا يَحْضُرُنَا مِنْ شَأْنِ الْغُرَبَانِ وَالْجَعْلَانِ .

(أمثال في الفراش والذباب)

ويقال^(٦) في موضع الذَّمِّ والهجاء : « مَا هُمْ إِلَّا فَرَّاشُ نَارٍ وَذِبَّانُ طَمَعٍ » . وَيَقَالُ : « أَطْيَشُ مِنْ فَرَّاشَةٍ ، وَأَزْهَى مِنْ ذِبَّانٍ » .

(١) إشارة إلى حادثة سيل العرم . زعموا أن السبب فيه فأرة ، قال الجاحظ : « لا يشك الناس في أن أرض سبأ وجنتها إنما خربت حين دخلها سيل العرم ، وأن الذي فجر المياه فأرة » . ثمار القلوب ٣٢٨ . ط ، س : « بالقراد » وليس بشيء .

(٢) ل : « معتبر وموعظة وصلاح » .

(٣) سقط الكلام من ل ، من مبدأ : « وحجة » .

(٤) ط : « والإبانة » .

(٥) « وعظم المثوبة » ساقطة من ل .

(٦) ل : « قالوا : يقال » .

وقال الشاعر :

كَأَنَّ بَنِي ذُؤَيْبَةَ رَهْطَ سَلَمَى فَرَاشٌ حَوْلَ نَارٍ يَصْطَلِينَا

يُطْفِنَ بَحْرَهَا وَيَقَعْنَ فِيهَا وَلَا يَدْرِينَ مَاذَا يَتَّقِينَا

والعرب تجعل الفراش والنحل والزناير والدبر كلها من الذبان .

وأما قولهم ^(١) : « أَزْهَى مِنْ ذُبَابٍ » فَلَاَنَّ الذُّبَابَ يَسْقُطُ عَلَى أَنْفِ الْمَلِكِ ^(٢)

الجبَّار ، وعلى موقٍ عينيه ^(٣) ليأكله ، ثم يطرده فلا ينطرد ^(٤) .

٩٥

(معانٍ وأمثلة في الأنف)

والأنف هو النخوة وموضع التجبر .

وكان من شأن البطارقة ^(٥) وقواد الملوك إذا أنفوا [من شيء] أن ينخروا

كما ينخِر الثور عند الذبح ، والبرذون عند النشاط .

(١) ل : « قوله » .

(٢) ل : « الملوك » ، وهو تحريف .

(٣) موق العيين : طرفها مما يلي الأنف . وللعيين موقان . ولكنه أفرد ، وذلك

جائز في العربية . ومنه قوله تعالى : « بدت لها سواتهما » بالإفراد ، في قراءة

الحسن . انظر همع الهوامع (١ : ٥١) .

(٤) كذا في ل . وفي ثمار القلوب ٣٩٥ : « ثم يطرد فلا ينطرد » . وفي ط ، س

« فيطرده ولا ينطرد » .

(٥) البطريق ، ككبريت : القائد من قواد الروم تحت يده عشرة آلاف رجل .

وهو معرب من الرومي : Patricius .

والأنف هو موضع الخنزروانة والشَّعْرَةِ^(١) . وإذا تكبَّرت النَّاقَةُ بعد أن تَلْقَحَ فَإِنَّهَا^(٢) تَزُمُّ بِأَنْفِهَا .

والأصيد : الملك الذى تراه أبداً من كِبَرِهِ ماثلاً للوجه . وشُبَّهَ بالأسد فقليل أصيد ؛ لأنَّ عُنُقَ الأسد من عَظْمٍ واحد ، فهو لا يلتفتُ إلَّا بِكُلِّهِ ، فلذلك يقال لِلْمُتَكَبِّرِ : « إِنَّمَا أَنْفُهُ فِي أَسْلُوبٍ » ، ويقال : أَرغَمَ اللهُ أَنْفَهُ وَأَذَلَّ مَعِطِسَهُ ! و [يقال] : ستفعل ذلك وَأَنْفُكَ راغِم ! والرَّغَام : التراب . ولولا كذا وكذا^(٣) لَهَشَّمْتَ أَنْفُكَ . فَإِنَّمَا يَخْصُصُونَ بِذَلِكَ الأنف ؛ لأنَّ الكبر إليه يضاف^(٤) : قال الشاعر^(٥) :

يَا رَبَّ مَنْ يُبْغِضُ أَذْوَادَنَا رُحْنٌ عَلَى بَغْضَائِهِ وَاغْتَدَيْنَ^(٦)
لَوْ نَبَتَ الْبَقْلُ عَلَى أَنْفِهِ لَرُحْنٌ مِنْهُ أَصْلًا قَدْ أَبِينِ^(٧)

(١) الخنزروانة ، بالخاء والزاي مضمومتين بينهما نون ساكنة : الكبر ، ومثله النمرة ، كهزمة ، وبالتحريك .

(٢) ل : « فَإِنَّمَا » .

(٣) ل : « ولولا كذا » .

(٤) كذا الوجه في ل ، س . وفي ط : « يضاف إليه » .

(٥) هو عمرو بن قيس ، كما في أمالي ابن الشجرى (٢ : ٣١١) .

(٦) الأذواد : جمع ذود ، وهو القطيع من الإبل . وأراد بقوله : « على بغضائه » أنهم يرعين ويرتوون ، ولا يستطيع العدو منعهن لقدرة صاحبهن وعزته . وكلمة « بغضائه » هي في ط : « بغضائه » وفي س : « بمصائه » ، وصوابها من ل وأمالي ابن الشجرى ، ومحاضرات الراغب (٢ : ٦٣) .

(٧) الأصل ، بضمين : الأصيل ، وهو العشى أى آخر النهار . وبعضهم قال : إن الأصل جمع أصيل . وليس بشيء . وأبين ، يقول : قد أبين الطعام من كثرة مارعين فأشبهن شهواتهن . ط ، س : « أتين » وصوابه في ل . والرواية في المحاضرات : « رعين » . وجاء في ط ، س : « رحن إليه » وتصحيحه من ل والمحاضرات .

ويقال « بعير مذبوب » إذا عرض له ما يدعو^(١) الذَّبَّانَ إلى السُّقُوطِ عليه . وهم يعرفون الغُدَّةَ^(٢) إذا فُشَتْ أو أَصَابَتْ بعيراً بِسُقُوطِ الذَّبَّانِ عليه .

(احتيال الجمالين على السلطان)

وبسقوط^(٣) الذَّبَّانِ على البعير يحتال الجَمَّال للسلطان ، إذا كان قد تسخَّرَ إِبِلَهُ^(٤) وهو لذلك كاره ، وإذا كان في جماله الجملُ النفيسُ أو الناقةُ السَّكرِيةُ^(٥) ؛ فإنه يعمدُ إلى الخَضْمِ خاض^(٦) فيصبُّ فيه شيئاً من دِيسٍ^(٧) ثم يَطْلِي به ذلك البعير ، فإذا^(٨) وجد الذَّبَّانَ رِيحَ الدِّبْسِ تساقطَنَ عليه ، فيدَّعى عند ذلك أَنَّ به غُدَّةً^(٩) ويجعلُ الشاهدَ له عندَ السلطانِ^(١٠) ما يَوجد عليه من الذَّبَّانِ ! فما أكثر ما يتخلصون بكراهم أموالهم^(١١) بالحيلِ من أيدي

(١) ل : « داء يدعو » .

(٢) الغدة بالضم : طاعون الإبل . ط ، س : « العرة » ، وهى بالضم بمعنى الجرب . ولا تستقيم هذه مع بقية الكلام .

(٣) كذا في ل وهو الصواب . وفي ط ، س : « ولسقوط » .

(٤) يقال سخره تسخيراً ، وتسخره كذلك : كلفه عملاً بلا أجره . ط ، س : « يسخر إبله » وأثبت ما في ل .

(٥) ل : « فإذا كان فيها جمل نفيس أو ناقة كريمة » .

(٦) الخضم خاص : نفط أسود رقيق تهنأ به الإبل الجربى .

(٧) الدبس ، بالكسر وبكسرتين : غسل التمر ، وغسل النحل . والأول المعنى .

(٨) ط ، س : « وإذا » .

(٩) كذا في ل . وفي ط ، س : « عرة » . وانظر التنبيه الثاني من هذه الصفحة وفي ل : « فتدعى عند ذلك أنه » . وفيه تحريف .

(١٠) كلمة : « له » ساقطة من ل .

(١١) يتخلصون : ينجون . ل : « يخلصون » وهما بمعنى . ل ، س :

السُّلْطَانُ ، ولا يظنُّ ذلك السُّلْطَانُ إِلَّا أَنَّهُ متى شاء أَنْ يبيعَ مائةَ أعرابيٍّ بدرهم فَعَلَ . والغَدَّةُ ^(١) عندهم تُعَدَّى ، وطِبَاعُ الإِبِلِ أَقْبَلُ شَيْءٌ لِلأَدْوَاءِ الَّتِي تُعَدَّى ، فيقول الجمالُ عِنْدَ ذلك للسُّلْطَانِ : لو لم أخفُ على [الإِبِلِ إِلَّا] بعيرى هذا المِغْدُ أَنْ يُعَدَّى لَمْ أَبَال ^(٢) ، وَلِسَكْنَى أَخَافُ إِعْدَاءَ الغُدَّةِ ومُضَرَّتَها فى سائرِ مالى ! فلا يزالُ يستعطفُه بذلك ، ويحتالُ له به ^(٣) حَتَّى يَخْلَى سَبِيلَهُ .

(نفور الذِّبَّانِ من بعض الأشياء)

ويقال إِنَّ الذِّبَّانَ لَا يَقْرُبُ قِدْرًا فِيهِ كَمَاءٌ ، كما لَا يَدْخُلُ سَامٌ أَبْرَصٌ ^(٤) بيتاً فِيهِ زعفران .

(الخوف على المكلوب من الذِّبَّانِ)

ومن أَصابه عَضُّ الكلبِ الكَلْبِ حَمَوْا وَجْهَهُ من سقوطِ الذِّبَّانِ عَلَيْهِ . قالوا : وهو أَشَدُّ عَلَيْهِ من دَيْبِ الدُّبِّ ^(٥) على البعير .

= « من كرائم » والوجه ما أثبت من ط .

(١) ط ، س : « والعة » . وانظر التنبيه الثانى من الصفحة السابقة .

(٢) المغد ، هو من أغد البعير : أصابته الغدة ، أى الطاعون . ط ، س : « المعر »

ولم أجد لها وجهاً تصح به وكلمة « يعدى » هى فى س : « يعر » وليست

مرادة . ل : « لم أبِل » وهما صحيحتان .

(٣) كذا فى ل . وفى ط ، س : « ويحتال له ويميله » .

(٤) ل : « كما لاتدخل » ، والوجه ما أثبت من ط ، س .

(٥) الديب : المشى الخفيف . ل : « سقوط » . والنبر ، بالكسر ، سيفسره

الجاحظ بعد هذا .

(النُّبْر)

والتُّبْر دويَّبَةٌ إذا دبَّت على البعير ، تورَّم ، وربما كان ذلك سببَ هلاكه .

قال الشاعر وهو يصف ^(١) سمن إبله ، وعِظَم أبدانها :
حمر تحقَّنت النجيل كأثما بجلودهنَّ مدارجُ الأنبار ^(٢)

(مميزات خلقية لبعض الحيوان)

وليس في الأرض ذبابٌ إلَّا وهو أقرح ^(٣) ، ولا في الأرض بعيرٌ إلَّا ٩٦
وهو أعلم ^(٤) ، كما أنه ليس في الأرض ثورٌ إلَّا وهو أفطس .

وفي أن كلَّ بعير أعلمُ يقولُ عنتره :

وحليل غانية تركتُ مجدلاً تمكو فريصته كشدق الأعم ^(٥)

(١) ل : « يذكر » .

(٢) « حمر » في اللسان : « جردا » . وتحقَّنت النجيل : امتلأت أجوافها به . ط ، س : « تحقَّنت الخيل » ، وتصحيحه من ل واللسان . والنجيل : خير الحمض كله وألينه على السائمة . والحمض : ما ملح وأمر من النبات : والأنبار : جمع نبر بالكسر وقد مر تفسيره . ومدارجه : مواضع دروجه ، أى مشيه .

(٣) « أقرح » ، وهو من القرحة . وكل ذباب في وجهه قرحة . انظر أمثال الميداني (٢ : ٤٠٣) . ط ، ل : « أقحح » والوجه ما أثبت ؛ إذ هو الصفة الخلقية التي تسير السياق . وانظر عيون الأخبار ٢ : ٧٥ وفيه « كل ذباب أقرح » . وانظر كذلك العقد ٦ : ٢٣٦ تأليف .

(٤) الأعم : مشقوق الشفة العليا .

(٥) حليل : بمعنى زوج . ط ، س : « حليل » والصواب في ل ، مجدلا : ملقيا على الجدالة وهي الأرض . تمكو فريصته : تصفر . والفريصة : لحمه في وسط الجنب عند منبض القلب ، وهي ترتعد عند الفزع . قال التبريزي : « كأن هذه الطعنة في سعتها شدة الأعم » . وكأن الجاحظ يفهم هذا المعنى كما سيأتى بعد سطر . وأنا أقول : إنه في هذا البيت ما شبهها بشدة الأعم في السعة ، بل أراد أن صوت الدم الدافق من هذه الطعنة ، يحكى الصوت الصادر من شدة البعير . وهذا لا يمنع أن بعض الشعراء أراد في شعره هذا المعنى الذى أدركه التبريزي والجاحظ .

كأنه^(١) قال : كشدق البعير ؛ إذ كان كل بعير أعلم .
والشعراء يشبهون الضربة بشدق البعير ، ولذلك قال الشاعر^(٢) :
كم ضربة لك تحكي فأقراسية من المصاعب في أشداق شنع^(٣)
وقال الكميت :

* مَشَافِرَ قَرَحَى أَكْلَنَ الْبَرِيرَا^(٤) *

وإذا قيل الأعم ، علم أنه البعير ، كما أنه إذا قيل الأقرح^(٥) علم أنه
الذئبان . قال الشاعر :

ولأنت أطيش ، حين تغدو سادراً حذر الطعان ، من القدوح الأقرح^(٦)
يعني الذئبان لأنه أقرح^(٧) ، ولأنه أبداً يحكُّ بإحدى ذراعيه على

(١) كذا في ل ، وهو الوجه . وفي ط ، س : « كما أنه » .

(٢) هو النمر بن تولب كما في البيان (١ : ٥٥) .

(٣) تحكى فاه : تماثله . والقراسية : الضخم الشديد من الإبل ، ذكرراً كان أو أنثى ، وهو في الذكور أغلب . والمصاعب ، واحدها مصعب ، وهو الفعل . في أشداقه : أراد في شدقيه ، ومثل هذا جائز . في الأصل : « في أشداقها » ، والوجه ما أثبت من البيان ؛ إذ أن المراد بالقراسية هنا الفعل .

(٤) قرحى : جمع قريح ، وهو هنا المصاب بالقرحة في فيه ، فيعدل لذلك مشفره . والبرير : الأول من ثمر الأراك . وهذا عجز بيت ، صدره كما في الحيوان ٥ : ٦٠٢ :
* تشبه في الهام آثارها *

(٥) في الأصل : « الأقدح » .

(٦) السادر : الراكب رأسه . و « حذر الطعان » كذا في ط ، س ، وفي ل « حذر العظام » ، والرواية المعروفة : « رعن الجنان » كما في أمثال الميداني (١ : ٤٠٣) وثمار القلوب ٣٩٥ واللسان والتاج (قدح) . والجنان : القلب . والقدوح : الذي يحك ذراعاً بذراع ، يحكى فعل القصادح الذي يطلب النار . والأقرح : الذي في وجهه قرحة . وفي الأصل وكذا اللسان : « الأقدح » ، خطأ ، صوابه في الثمار وأمثال الميداني .

(٧) في الأصل : « أقدح » . وانظر التنبيه السائف .

الأخرى كأنه يقدر بعودى مَرخٍ وعَفار^(١) ، أو عرجون ، أو غير ذلك مما يقدر به .

(أخذ الشعراء بعضهم معاني بعض)

ولا يعلم في الأرض شاعرٌ تقدّم في تشبيهٍ مُصيبٍ تامّ ، وفي معنى غريبٍ عجيب ، أو في معنى شريف كريم ، أو في بديعٍ مُخترع ، إلّا وكلُّ مَنْ جاء من الشعراء مَنْ بَعْدَهُ أو معه ، إن هو لم يعد^(٢) على لفظه فيسرق بعضه أو يدعيه بأسره ، فإنّه لا يدعُ أن يستعين بالمعنى ، ويجعل نفسه شريكاً فيه ؛ كالمعنى^(٣) الذى تنازعهُ الشعراء فتختلف ألفاظهم ، وأعاريفُ أشعارهم ، ولا يكونُ أحدٌ منهم أحقَّ بذلك المعنى من صاحبه . أو لعله [أن] يجحد أنه سمع بذلك المعنى قطُّ ، وقال إنّه خطرَ على بالى من غير سماع ، كما خطرَ على بال الأوّل . هذا إذا قرّعوه به . إلّا ما كان من عنتره في صفة الذباب ؛ فإنّه وصفه فأجاد صفته^(٤) فتحامى معناه جميعُ الشعراء

(١) المَرخ ، بالفتح : شجر من العضاء خشبه كثير الورى سريعه . والعفار ، كسحاب : شجر خوار . ومن المَرخ يتخذ الزنده ، وهى السفلى ، ومن العفار يتخذ الزند وهو الأعلى ، ويقدر بهما . قال :

إذا المَرخ لم يور تحت العفار وذن بقدر فلم تعقب

ط : « يعود من مرخ ، أو عفار » ، س : « يعود في مرخ أو عفار » وتصحيحه من ل .

(٢) كذا الصواب في ل . وفي ط ، س : « يقدر » .

(٣) ل : « وكالمعنى » .

(٤) ط ، س : « وصفه » .

فلم يعرض له أحد منهم^(١) . ولقد عَرَضَ له بعضُ المحدثين ممن كان يحسنُ القول ، فبلغ من استسكراهه لذلك المعنى ، ومن اضطرابه فيه ، أنه صار دليلاً على سوء طبعه في الشعر^(٢) . قال عنترة :

جَادَتْ عَلَيْهَا كُلُّ عَيْنٍ ثَرَّةً فَتَرَكْنَ كُلَّ حَلِيقَةٍ كَالدَّرْهِمِ^(٣)
فَتَرَى الذُّبَابَ بِهَا يَغْنَى وَحْدَهُ هَزِجاً كَفِعْلِ الشَّارِبِ الْمَتَرِّمْ
غَرْدًا يَحْكُ ذِرَاعَهُ بِذِرَاعِهِ فِعْلَ الْمَكْبِ عَلَى الزَّنَادِ الْأَجْذَمِ
قال : يريد فعل الأَقْطَعِ الْمَكْبِ عَلَى الزَّنَادِ . والأَجْذَمُ : المقطوع

٩٧ اليدين . فوصف الذُّبَابَ إذا كان واقعاً ثمَّ حَكَّ إحدى يديه بالأخرى ، فشَبَّهَهُ عند ذلك برجلٍ مقطوع اليدين ، يقدحُ بعودين . ومتى سقط الذُّبَابُ فهو يفعل ذلك .

ولم أسمع في هذا المعنى بشعر أرضاه غير شعر عنترة .

(قول في حديث)

وقد كان عندنا في بنى العلوئية^(٤) شيخٌ منهم مُنْكَرٌ^(٥) ، شديد المعارضة [فيه توضيح] ، فسمعتني أقول : قد جاء في الحديث : « إِنَّ تَحْتَ جَنَاحِ

(١) ط ، س : « فلم يعرضوا له » .

(٢) لست أدري الآن من عني الجاحظ بقوله ، ولم أجد الشعر الذي أشار إليه .

(٣) أراد بالعين الثرة : السحابة الغزيرة المطر ، وجعل الحديقة كالدرهم في استدارته لا قدره .

(٤) ط : « العروبة » والأشبه ما أثبت من ل ، س .

(٥) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(٦) التوضيح : التخنيث . وفي الحديث : « إن رجلاً من خزاعة يقال له هيت ، فيه توضيح » أى تخنيث .

الدُّبَابِ اليمين شفاءً وَتَحْتَ جَنَاحِهِ الْأَيْسَرُ^(١) سَمًّا . فإذا سقط في إناءٍ
أو في شرابٍ أو في مَرَقٍ فاغمسوه فيه ؛ فإنه يرفعُ عند ذلك الجناحَ الذي
تَحْتَهُ^(٢) الشفاء ، ويحطُّ [الجناح] الذي تَحْتَهُ السمَّ . فقال : بأبي أنتَ وأُمِّي
هذا يجمع العداوةَ والمكيدةَ !

(قصة تميمي مع أناس من الأزدي)

وقد كان عندنا أناسٌ من الأزدي ، ومعهم ابن حزن^(٣) ، وابن حزن
هذا عدويٌّ من آل عموج^(٤) ، وكان يتعصب^(٥) لأصحابه من بني تميم
وكانوا على نبذٍ ، فسقطَ ذبابٌ في قَدَحٍ بعضهم ، فقال له الآخر : غطِّ^(٦)
التميمي ، ثم سقط آخر في قَدَحٍ بعضهم ، فقال الباكون^(٧) : غطِّ التميمي !
فلَمَّا كان في الثالثة قال ابن حزن : غطِّه فإنَّ كان تميميًّا رَسَبَ ، وإن كان
أزديًّا طفا . فقال صاحب^(٨) المنزل : ما يسرُّني أَنَّهُ كان نقصكم حرفا^(٩) . وإنما
عَنِيَ أَنَّ أَرْدَ عُمَانِ مَلَّا حُونَ .

(١) س : « اليمنى » و « اليسرى » . والجناح مذكر .

(٢) ل : « فيه » .

(٣) ط ، س : « حذر » في المواضع الثلاثة . وأثبت ما في ل .

(٤) ط ، س « عدوى » : نسبة إلى عدوى ، بفتح أوله وثانيه وفتح اللام
والقصر ، وهى قرية بالبحرين تنسب إليها السفن . وأثبت ما في ل . وهو منسوب
إلى بني العدوية السالف ذكرهم ، وهم من تميم ، كما في المعارف ٣٥ . و « آل عموج »
هى فى ط ، س : « أهل تنوخ » .

(٥) فى الأصل : « يتعصب » .

(٦) ل : « بعضهم » .

(٧) ل : « رب » .

(٨) كذا فى ل . وفى ط : « كان قال بعضهم مرقا » ، محرف . وفى س :
« كان قال بعضكم حرفا » .

(ضروب الذَّبَّانِ)

والذَّبَّانِ (١) ضروبٌ سوى ما ذكرناه (٢) من الفَرَّاشِ والنَّحْلِ والزَّنَابِيرِ .
فمنها الشَّعْرَاءُ (٣) ، وقال الراجز :

* ذَبَّانٌ شَعْرَاءٌ وَبَيْتٌ مَازِلٌ (٤) *

وللكلاب ذبابٌ على حِدَةٍ يَتَخَلَّقُ مِنْهَا وَلَا يُرِيدُ سِوَاهَا (٥) . ومنها
ذَبَّانٌ (٦) الكَلَابِ وَالرِّيَاضِ . وَكُلُّ نَوْعٍ مِنْهَا يَأْلَفُ مَا خَلَقَ مِنْهُ . قَالَ
أَبُو النَّجْمِ :

مُسْتَأْسِدٌ ذَبَّانُهُ فِي غَيْطَلٍ يَقْلَنُ لِلرَّائِدِ أَعَشَبَتْ أَنْزَلَ (٧)

(١) الذبان بالكسر : جمع ذباب . ط ، س : « والذباب » .

(٢) ل : « ما ذكر » .

(٣) الشعراء ، بفتح الشين وكسرهما ، وبالعين المهملة الساكنة : ذباب أزرق ،
أو أحر ، يقع على الإبل ، والحمير ، والكلاب ، فيؤذيها أذى شديداً ، واسمه العلمي :

. Hippodoscidae

(٤) « بيت مازل » كذا في الأصل وسيأتي في ص ٣٩٠ : « وصيف مازل » . وفي

نهاية الأرب (١٠ : ٢٩٩) : « ونبت مائل » . وقبلة :

* تذب عنها بأثيث ذائل *

(٥) ط ، س : « يخلق منها ولا يريد سواها » .

(٦) ط ، س : « ذباب » .

(٧) مستأسد : هو من استأسد النبت : إذا بلغ وقوى والتف ، أراد كثرت وتكاثرته .

ويروى : « مستأسداً » . والغيطل : الشجر الكثير الملتف ، وكذلك العشب . وأرجوزة

أبي النجم هذه طويلة نادرة ، عدة أخطاها ١٩١ شطرا .

وقد نشرت في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق (٨ : ٤٧٢ - ٤٧٩)

سنة ١٩٢٨ . وكان رؤبة يسميها : أم الرجز .

(شعرٌ ومثل في طنين الذباب)

والعربُ تسمي طنينَ الذَّبَّانِ والبعوضِ غِنَاءً . وقال الأخطلُ
في صفة الثَّور :

فَرَدًّا تَغْنِيهِ ذَبَّانُ الرِّيَاضِ كَمَا غَنَّى الْغَوَاةُ بِصَنْجٍ عِنْدَ أُسْوَارِ^(١)
وقال حَضْرَمِيُّ بنِ عامِرٍ في طنينِ الذباب :

ما زالَ إِهْدَاءُ الْقَصَائِدِ بَيْنَنَا شَتَمَ الصَّدِيقِ وَكَثْرَةَ الْأَلْقَابِ
حَتَّى تَرَكْتُ كَأَنَّ أَمْرَكَ بَيْنَهُمْ فِي كُلِّ مَجْمَعَةٍ طِنِينُ ذُبَابِ^(٢)
ويقال : « ما قولى هذا عندك إلا طنينُ ذُبَابِ^(٣) » .

(سفاد الذباب وأعمارها)

وللذُّبابِ وقتٌ تهيجُ فيه للسِّفَادِ^(٤) ، مع قصرِ أعمارها . وفي الحديث :
« أَنَّ مُعَمَّرَ الذَّبَابِ أَرْبَعُونَ يَوْمًا » ، ولها أيضاً وقتٌ هَيِجٌ في^(٥) أَكْلِ النَّاسِ

(١) ط : « فرد » . والصنج ، بالفتح : آلة موسيقية وترية . ط ، س :
« بصيح » ، وهى تصحيف ما أثبت من ل . والأسوار : واحد الأساورة ، وهم
قواد الفرس ، أو قوم من العجم نزلوا بالبصرة قديماً .

(٢) ط و ثمار القلوب ٣٩٧ : « في كل مجتمع » .

(٣) طنين الذباب ، يضرب المثل به للسلام يستهان ولا يبالي به . ثمار القلوب ر في ل :
« كطينين ذباب » .

(٤) ل : « وقت هيج للسفاد » .

(٥) ل : « على » .

وعَضُّهم ، وشَرَبَ دِمَائِهِمْ . و [إنما يعرض هذا] الذَّبَّانَ في (١) [البيوت عند قرب أَيَّامِها ؛ فَإِنَّ هَلَاكِهَا يكون بعد ذلك وشيكاً . والذَّبَّانَ] في وقتٍ من الأوقات من خُتُوف الإبل والدواب .

(عِلَّةُ شِدَّةِ عَضِّ الذَّبَابِ)

والذَّبَابُ والبَعُوضُ من ذوات الخراطيم ؛ ولذلك اشتدَّ عَضُّها وقويتْ على خَرَقِ الجلودِ الغِلاظِ . وقال الراجز [في وصف البعوضة] :
 ٩٨ مثل السِّفَاةِ دَائِمٌ طَنِينُهَا (٢) رَكَّبَ في خُرطومِها سِكِّينَها

(ذوات الخراطيم)

وقالوا : ذوات الخراطيم من كلِّ شيءٍ أقوى عَضًّا ونَابًا وفَكًّا ؛ كالذئبِ والخنزير ، والكلب . وأمَّا الفيل فَإِنَّ خُرطومَه هو أنفه ، كما أَنَّ لكلِّ شيءٍ من الحيوان أنفًا ، وهو يده ، ومنه يُعْنَى (٣) وفيه يجرى الصَّوْتُ ، كما يُجرى الزَّامِرُ الصَّوْتُ في القَصْبَةِ بالنَّفْخِ . ومتى تضاعفَ الهَوَاءُ صَوْتًا على قَدَرِ الضَّغْطِ ، أو على قَدَرِ الثَّقَبِ (٤) .

(١) زدت هذه الكلمة لحاجة الكلام إليها .

(٢) السِّفَاةُ : واحدة السِّفَاةِ ، وهو شوك البهي والسنبُل ، أو كل الشوك . والرجز

رواه أبو علي في الأمل (٣ : ١٢٩) . وجاءت روايته عند الدميري : « مثل

السفاة دائماً طنينها » . وانظر ٥ : ٤٠٢ .

(٣) كذا على الصواب في ل . وفي ط ، س : « يضنى » .

(٤) ل : « السبب » ، وصوابه في ط ، س .

(أمثال من الشعر في الذباب)

والذباب : اسم الواحد ، والذَّبَّان : اسم الجماعة . وإذا أرادوا التصغير والتقليل ضربوا بالذَّبَّان المثل . قال الشاعر ^(١) :

رَأَيْتُ الْخَبْزَ عَزَّ لَدَيْكَ حَتَّى حَسِبْتُ الْخَبْزَ فِي جَوْ السَّحَابِ
وَمَا رَوَّحَتْنَا لِنَذْبَ عَنَّا وَلَسْكَنْ خِفَتْ مَرْزِيَةِ الذُّبَابِ ^(٢)

وقال آخر ^(٣) :

لَمَّا رَأَيْتُ الْقَصْرَ أُغْلِقَ بَابُهُ وَتَعَلَّقَتْ هَمْدَانُ بِالْأَسْيَابِ ^(٤)
أَيَقَنْتُ أَنَّ إِمَارَةَ ^(٥) ابْنِ مِضَارِبٍ ^(٦)

لم يبق منها قَيْسُ أَيْرٍ ^(٧) ذَبَابٍ

(١) هو أبو الشمقمق كما في عيون الأخبار (٢ : ٣٦ و ٣ : ٣٤٧) . وجاء في البخلاء ٥٩ : « وكان أبو الشمقمق يعيب في طعام جعفر بن أبي زهير ، وكان له ضيفا ، وهو مع ذلك يقول » ، وأنشد البيهقي ، كما أعادهما في ١٠٦ . وقد نسب البيت الثاني مع سابق له غير المروى هنا ، إلى أبي الشيص . انظر محاضرات الراغب (١ : ٣١٨) . وإلى أبي نواس كما في المحاسن والأضداد ٥٠ والمحاسن والمساوي (٢ : ٢٠٣) . وهو بدون نسبة في العقد (٦ : ١٩١ تأليف) .

(٢) المرزقة ، بفتح الميم والراء الساكنة بعدها زاي مكسورة ؛ من رزأه : أى أصاب منه شيئا . سهلت الهمزة هنا ، وجاءت بالهمز في البخلاء وديوان المعاني (١ : ١٨٧) . ورويت في العقد (٤ : ٢٢٥) : « بن دب الذباب » . والدب بالفتح : مصدر دب : مشى على هيئته .

(٣) هو عبد الله بن همام السلولي ، كما سيأتي في (٦ : ٧٦) .

(٤) همدان : قبيلة يمنية . ط ، س : « بالأسلاب » وأثبت ماقى ل والجزء السادس وثمارة القلوب ٣٩٨ .

(٥) ط ، س : « إثارة » ، وتصحيحه من ل والجزء السادس وثمارة القلوب .

(٦) كذا في ل والجزء السادس . ط ، س : « مجرب » وفي الثمار : « ابني مقرب » .

(٧) قيس ، بالكسر : قدر . والكلمة التي بعدها هي في ط : « بن » س : « ابن » وتصحيحه من ل والجزء السادس والثمار .

قال بعضهم : لم يذهب إلى مقدار أيّره^(١) ، وإنما ذهب إلى مثل قول ابن أحر :
 ما كنت عن قومي بمهتضم^(٢) لو أن معصياً له أمرٌ

كلّفتني مَخَّ^(٣) البعوض فقد أقصرت لأُنْجَحُ ولا عُذْرُ^(٤)

(ما يَلْغُ من الحيوان وما لا يَلْغُ)

قال : وليس شيء مما يطيرُ يَلْغُ في الدّم ، وإنما يَلْغُ في الدماء من السّباع ذوات الأربع . وأمّا الطّيرُ فإنّها تشربُ حَسَوًا ، أو عِبّةً بعد عِبّة . ونُغْبَةً بعد نُغْبَة . وسباع الطّير قليلة الشّرب للماء ، والأسد كذلك . قال أبو زُبَيْد الطائي^(٥) :

تذبُّ عنه كَفُّهَا رَمَقٌ طيراً عَكُوفاً كزُورِ العُرسِ^(٦)

(١) ط ، س : « أيّره » ، وصوابه في ل والثمار .

(٢) ل : « بذاهلة » .

(٣) ط ، س : « متخ » وصوابه من ل والثمار . و « كلّفتني مخ البعوض » مثل يضرب لمن يكلفك الأمور الشاقة . أمثال الميداني (٢ : ٨٤) .

(٤) النجج ، بالضم : النجاج : ط : « ولا عُذْر » وتصحيحه من ل والثمار .

(٥) تقدّمت ترجمته في (٢ : ٢٧٤) .

(٦) يقول : إن كفه التي بها بقية من حياة ، تدفع الذباب التي تحاول أن تظل عاكفة عليه مقيمة ؛ لتأكل منه . وهي في تجمعها كأنه زور العرس قد اجتمعوا له . والعرس : وليمة الزواج ، وقد ضم الراء للشعر . والزور : جمع زائر . وهذا تمثيل جيد بارع . ط : « كذود » وأراها تصحيفاً : والبيتان في صفة أسد صريع ، كما في الأغاني (١١ : ٢٦) حيث تجد القصيدة . وأنشدتها ابن الشجري في حماسه ص ٢٧٣ .

إذا ونى 'ونية' دَلَفَنَ له فهنَّ مِنْ والغِ ومُنْتَهَسِرٌ^(١)
 قال : والطَّيرُ لا تَلْعُ ، وإنما يَلْعُ الذِّبابُ . وجعله من الطَّيرِ ، وهو وإن
 كان يطير فليس ذلك من أسمائه . فإذا قد جاز أن يستعير له اسم الطائر ،
 جاز أن يستعير للطير ولْعُ السَّباعِ فيجعلَ حَسَوها ولْعًا ، وقال الشاعر :
 سراع إلى ولْعِ الدماءِ رماحهم وفي الحرب والهيجاءِ أُسْدُضَرَاغِمُ^(٢)

(خصلتان محمودتان في الذباب)

قال وفي الذباب خَصْلَتَانِ من الخصال المحمودة : أمَّا إحداهما فَقَرَبُ الحيلة
 لصرف أذاها ودفع مكروهاها^(٣) ؛ فمن^(٤) أراد إخراجها من البيت فليس بينه
 وبين أن يكون البيتُ على المقدارِ الأوَّلِ من الضيَّاءِ والسكِنِ^(٥) [بعد
 إخراجها] مع السَّلامة من التأذي بالذبان - إلَّا أن يُغْلَقَ البابُ ، فإنَّهم
 يتبادَرْنَ إلى الخروج ، ويتسابقنَ في طلب الضوء والهرب من الظلمة ، فإذا
 أرخى السَّترُ وفتح البابُ عاد الضَّوءُ وسلمَ أهله من مكروهِ الذباب . فإنَّ
 كان في الباب شقٌّ^(٦) ، وإلَّا جافى المغلقُ أحدَ البابين عن صاحبه^(٧)

(١) وفي : أبطأ ، أى عن ذب تلك الطيور ودفعها . دلف : مشى مشية المقيد .

(٢) ل : « سريع » س : « سود ضراغم » ويصح إذا قصرت « الهيجاء »

وتكون صحة كتابتها على هذا الوجه : « والهيجا أسود ضراغم » .

(٣) ط : « مكروها » وصوابه في ل ، س .

(٤) ل : « لمن » .

(٥) الكن بالكسر : الستر . ط ، س : « ولكن » ، والوجه ما أثبت من ل

(٦) لم يذكر الجواب .

(٧) ط ، س : « وإلا جاء في المغلق أحد - س : إحدى - البابين من صاحبه »

وتصحيحه من ل . وجافى : أبعد .

ولم يطبقه [عليه ^(١)] إطباقاً . وربما خرجن من الفتحة الذى يكون بين أسفل الباب والعتبة . والحيلة فى إخراجها والسلامة من أذاها يسيرة ^(٢) ، وليس كذلك البعوض ؛ لأن البعوض إنما يشتد أذاه ، ويقوى سلطانه ، ويشتد كلبه ^(٣) فى الظلمة ، كما يقوى سلطان الذباب ^(٤) فى الضياء ، وليس يمكن الناس أن يدخلوا منازلهم من الضياء ما يمنع عمل البعوض ؛ لأن ذلك لا يكون إلا بإدخال الشمس ، والبعوض لا يكون إلا فى الصيف ، وشمس الصيف لا صبر عليها . وليس فى الأرض ضياء انفصل من الشمس إلا ومعه نصيبه من الحر ، وقد يفارق الحر الضياء ^(٥) فى بعض المواضع ، والضياء لا يفارق الحر فى مكان من الأماكن .

فإمكان الحيلة فى الذباب يسير ، وفى البعوض عسير !
والفضيلة الأخرى : أنه لولا أن الذبابة تأكل البعوضة [و] تطلبها وتلتمسها على وجوه حيطان البيوت ، وفى الزوايا ، لما كان لأهلها فيها قرار !

(الحكمة فى الذباب)

وذكر محمد بن الجهم — فيما خبرنى عنه بعض الثقات — أنه قال لهم ذات يوم : هل تعرفون الحكمة التى استفدناها فى الذباب ^(٦) ؟ قالوا : لا .

(١) الزيادة من س .

(٢) ط ، س : « يسير » وتصحيحه من ل .

(٣) كلبه ، بالتحريك : شدة رغبته فى الغض .

(٤) كذا فى ل ، س . وفى ط : « الذباب » .

(٥) ط : « أيضاً » ، وتصحيحه من ل ، س .

(٦) ل « الخبر الذى استفدناه فى الذباب » .

قال : بلى ، إنها تأكل البعوض وتصيده وتلقطه وتغنيه^(١) : وذلك
أنى كنت أريد القائلة^(٢) ، فأمرت بإخراج الدُّبَابِ وطَرَحَ السِّتْرَ وإغلاقِ
الباب^(٣) قبلَ ذلك بساعة . فإذا خرجن حصل في البيت البعوضُ ، في سلطان
البعوض^(٤) و [موضع] قوّته . فكننتُ أدخلُ إلى القائلة فيأكلني
البعوضُ أكلاً شديداً . فأتيتُ ذاتَ يومٍ المنزلَ في وقتِ القائلة ، فإذا
ذلك البيتُ مفتوحٌ ، والسِّتْرُ مرفوعٌ ، وقد كان الغلمانُ أغفلوا ذلك
في يومهم ، فلما اضطجعتُ للقائلة لم أجِدْ من البعوض شيئاً^(٥) وقد كان
غضبي اشتدَّ على الغلمان^(٦) ، فنمتُ في عافية . فلما كان من الغد عادوا
إلى إغلاقِ البابِ وإخراجِ الدُّبَابِ ، فدخلتُ ألتبسُ القائلة ، فإذا البعوضُ
كثيرٌ . ثمَّ أغفلوا^(٧) إغلاقَ البابِ يوماً آخر ، فلما رأيته مفتوحاً شتمتهمُ
فلماً صرتُ إلى القائلة لم أجِدْ بعوضةً واحدةً ، فقلت في نفسي [عند ذلك] : ١٠٠
أراني قد نمتُ في يَوْمِي [الإغفالِ وَ] التَّضْيِيعِ ، وامتنعَ مِنِّي النَّوْمُ في أَيَّامِ
التَّحْفُظِ والاحتراسِ . فلمَ لا أجربُ تركَ إغلاقِ البابِ في يومٍ هذا . فإن نمتُ^(٨)

(١) كذا في ل ، س . وفي ط : « وتصيدها وتلقطها وتغنيها » ، وهما صحيحتان .

(٢) القائلة : النوم في القائلة ، وهو نصف النهار .

(٣) ط : « فأغلاق الباب » ، وهو تحريف . والإشارة بكلمة « ذلك » الآتية إلى القائلة .

(٤) ط ، س : « وقوى سلطانه » .

(٥) ل : « لم أجِدْ البعوض كثيراً » .

(٦) ط ، س : « وقد كان الغضب يشتد على الغلمان » .

(٧) في الأصل « أغلقوا » ، والوجه ما أثبت . وانظر ماسياًق بعد سطر .

(٨) كذا على الصواب في ل ، س . وفي ط : « تمت » .

ثلاثة أيام^(١) لا ألقى من البعوض أذى مع فتح الباب ، علمتُ أنَّ الصَّواب في الجمع بين الذَّبَّانِ و [بين^(٢)] البعوض ؛ فإنَّ الذَّبَّانِ [هـى التى] تُفنيه^(٣) ، وأنَّ صلاحَ أمرنا فى تقريبِ ما كُنَّا نباعد . ففعلتُ ذلك ، فإذا الأمر قد تمَّ . فصرنا إذا^(٤) أردنا إخراجَ الذَّبَّانِ أخرجناها بأيسرِ حيلة ، وإذا أردنا إفناء البعوض أفينها [على أيدي الذَّبَّانِ بأيسرِ حيلة] .
فهاتان خَصْلَتان من مناقب الذَّبَّانِ .

(طِبُّ الْقَوَابِلِ وَالْعَجَازِ)

وكان محمد بن الجهم^(٥) يقول : لانتهاونوا بكثيرٍ ممَّا ترون^(٦) من علاجِ القوابِلِ والعجَازِ ، فإنَّ كثيراً من ذلك إنما وقع لإيهن^(٧) من قدماءِ الأطباءِ ؛ كالذَّبَّانِ يُلْقَى فى الإِمْدِ ويسحق معه ، فيزيد [ذلك^(٨)] فى نورِ البصرِ ، ونفاذ^(٩) النظرِ ، وفى تشديد^(١٠) مراكز [شعر^(١١)] الأشْفار^(١٢) فى حافاتِ الجفونِ .

(١) ل : « يومين » .

(٢) من س .

(٣) كذا فى ل . وفى ط ، س : « يفنيه » .

(٤) ط ، س : « إن » .

(٥) ل : « وكان ابن الجهم » .

(٦) ط : « تريدون » وتصحيحه من ل ، س وعيون الأخبار (٢ : ١٠٤)

والعقد (٦ : ٢٤٥) .

(٧) ط ، س : « إيهيم » ، وهى على الصواب فى ل وعيون الأخبار .

(٨) من ل وعيون الأخبار .

(٩) كذا فى ل وعيون الأخبار . وفى ط ، س : « ويقوى » .

(١٠) ط ، س : « ويشد » .

(١١) من ل ، س .

(١٢) الأشْفار جمع شفر بالضم ، ويفتح ، وهو أصل منبت الشعر فى الجفن .

(نفع دوام النظر إلى الخضره)

وقلت له مرّة : قيل لماسرجويه : ما بال الأكرّة^(١) وسكّان البساتين ، مع أكلهم الكراث والتمر ، وشربهم ماء السّواقي على المالح^(٢) أقلّ النَّاس خُفْشَانَا [وعِمَيَانَا] ومُعْشَانَا^(٣) وعورا ؟ قال : إني فكّرت في ذلك فلم أجده له علّة إلّا طول وقوع أبصارهم على الخضره .

(من لا يتقرّز من الذّبان والزناير والدّود)

قال ابن الجهم : ومن أهل السّفالة^(٤) ناسٌ يأكلون الذّبان ، [وهم] لا يرمدون . وليس لذلك أكلوه^(٥) وإنماهم كأهل خراسان الذين يأكلون فراخ الزّناير ، والزّناير ذبان ، وأصحاب الجبن الرّطب يأخذون الجبنة التي قد نغلت^(٦) دوداً ، فيسكتها [أحدهم^(٧)] حتّى يخرج ما فيها من الدّود في راحته ، ثمّ يقمّحها كما يقمّح السّويق^(٨) . وكان الفرزدق يقول : ليت أنهم دفعوا إلى

(١) الأكرّة : جمع أكار ، وهو الحراث .

(٢) كذا . وفي عيون الأخبار (٢ : ١٠٨) : « وشربهم الماء الحار على السك المالح » .

(٣) الأخفش : الضيق العينين ، أو الذي ضعف بصره خلقة ، أو الذي فسد جفنه بلا وجع . ط ، س : « خفشانا وعشيانا » . والأعشى : الذي لا يبصر ليلاً .

(٤) السّفالة ، بالضم من بلاد الزنج .

(٥) ط : « أكلوا » .

(٦) نغلت : فسدت .

(٧) ليست بالأصل ، والكلام في حاجة إليها .

(٨) قح السويق ، كفرح : استفه . والكلام من : « يأخذون » إلى هنا ، ساقط من ل .

نصيب من الذبان ضربة واحدة ، بشرط أن آكله لراحة الأبد منها^(١) . وكان كما زعموا^(٢) شديد التقذر لها [والتقرُّز]^(٣) منها .

(دعوتان طريفتان لأحد القصاص)

وقال ثُمّامة : تساقط^(٤) الذبان في مرق بعض القصّاص وعلى وجهه فقال : كثيرٌ الله بكنّ القبور !
وحكى ثُمّامة عن هذا القاصّ أنه سمعه بعبّادان^(٥) يقول في قصّصه :
اللهمّ منّ علينا بالشهادة ، وعلى جميع المسلمين !

(قصّة في عمر الذُّباب)

وقال لي المسكّيُّ مرّة : إنّما عمر الذّبّان أربعون يوماً . قلت^(٦) : هكذا جاء في الأثر . وكنا يومئذ بواسط في أيّام العسكر^(٧) وليس بعد أرض

(١) ضمير « آكله » للتصيب ، وضمير « منها » للذبان . ل : « منه » والتذكير والتأنيث جائزان .

(٢) ل : « وكان زعموا » .

(٣) هذه من س . وكلمة « لها » ساقطة من ل .

(٤) كذا في ل والبيان (٢ : ٣١٧) وفي ط ، س والمقد (٤ : ٢٠٠) : « وقع » .

(٥) عبّادان : جزيرة في دجلة ، قرب مصبها . وفي المقد : « ببغداد » .

(٦) كذا في ل . وفي ط ، س : « أربعين » ، ولا تصح هذه إلا بجعل « عمر » فعلا .

(٧) ل : « العساكر » . وانظر ماورد في ص ٣٤٧ .

الهند أكثر ذباباً من واسط ، ولربما رأيت الحائط وكان عليه مسحا^(١)
شديد السواد من كثرة ما عليه من^(٢) الذبان . فقلت للمكي : أحسب الذبان
يموت^(٣) في كل أربعين يوماً ، وإن شئت ففي^(٤) أكثر ، وإن شئت ففي أقل .
ونحن كما ترى ندوسها بأرجلنا ، ونحن ها هنا مقيمون من أكثر من أربعين
يوماً^(٥) ، بل منذ أشهر [وأشهر] ، وما رأينا ذباباً واحداً ميتاً . فلو كان ١٠١
الأمر على ذلك لرأينا الموتي كما رأينا الأحياء . قال : إن الذبابة إذا أرادت أن
تموت ذهبت إلى بعض الخربات^(٦) . قلت : فإننا قد دخلنا كل خربة^(٧)
في الدنيا ، ما رأينا فيها قط ذباباً ميتاً .

(المكي)

وكان المكي طبيباً^(٨) طيب الحجاج ، ظريف الحيل^(٩) ، عجيب العلل
وكان يدعى كل شيء على غاية الإحكام ، ولم يُحكَمْ شيئاً قط ، [لا] من

(١) المسح ، بالكسر : الكساء من الشعر ، جمه أمساح ومسوح . قال أبو ذؤيب :

ثم شرين بنيط والجمال كأ
ن الرش منهن بالآباط أمساح

(٢) ط ، س : « من كثرة الذبان الذي عليه » .

(٣) ل : « أحسب أن الذبابة تموت » .

(٤) ط ، س : « في » .

(٥) ط ، س : « منذ أربعين يوماً » .

(٦) الخربات : جمع خربة ، كفرجة ، وهي موضع الخراب . ط ، س : « الخرايب »

وصوابه ما أثبت . ل : « الخرابات » ، ولم أر هذا الجمع ولا مفردة .

(٧) ط ، س : « خربة » ، وهي على الصواب في ل .

(٨) طبيباً ، أي ظريفاً فذكها . وانظر هذا الجزء ص ٦ . س : « طبيباً » .

(٩) ل : « كثير الحيل » .

الجليل ولا من الدقيق . وإذ قد جرى ذكره فسأحدثك ببعض أحاديثه ،
وأخبرك عن بعض عله ؛ لِتَلْهَى^(١) بها ساعة ، ثمَّ نعوذْ إلى [بقية]
ذكر الذَّبَّان .

(نَوَادِرُ الْمَكِّيِّ)

ادعى هذا المكيُّ البَصَرَ بالبراذين ، ونظَرَ إلى برذونٍ واقف ، قد
ألقى صاحبه [في] فيه اللجام ، فرأى فأسَ اللجام^(٢) وأين بلغَ منه ، فقال
لى: العجب ! كيف لا يذرعُه القيء ، وأنا لو أدخلت إصبعي [الصغرى]
في حلقى لما بقيَ في جوفى شيءٌ إلَّا خرج ؟ ! قلت : الآنَ علمتُ أنَّك
تُبصر^(٣) ! ثمَّ مكث البرذونُ ساعةً يلوکُ لجامه ، فأقبل علىَّ فقال لى :
كيف لا يبرُدُ أسنانه ؟ ! قلت : إنما يكون [علم هذا] عند البصراءِ مثلك !
ثمَّ رأى البرذونُ كلَّما لاک اللجامَ والحديدة^(٤) سال لعابُه على الأرض
فأقبل علىَّ وقال : لولا أنَّ البرذونَ أَفْسَدُ الخلق عقلاً لكان ذهنه قد
صفا^(٥) ! قلت له : قد كنت أشكُّ في بصرك بالدَّوَابِّ ، فأما بعدَ هذا فلستُ
أشكُّ فيه !

(١) ل : « لتلهى » ، وحذف التاء في مثل هذا جائز .

(٢) فأس اللجام : الحديدة القائمة في الحنك .

(٣) ل : « بصير » .

(٤) لاكه يلوکه لوکا : عضه . ل : « كلما لاک الحديدة » .

(٥) كذا في ل . وفي ط ، س : « فقال لى إن البرذون أَفْسَدُ الخلق عقلاً ، ولولا

ذلك لكان ذهنه قد صفى » .

وقلت له مرّة ونحن في طريق بغداد: ما بالُ الفرسخِ في هذه الطريق يكون
فرسخين ، والفرسخ يكون أقلّ من مقدار نصفِ فرسخ ؟ ! ففكّر طويلاً ثمّ
قال : كان كِسرى يُقَطِّعُ للنّاس الفراسخ ، فإذا صانعٌ صاحبُ القطيعة
زادوه ، وإذا لم يصانعْ نقصوه !

وقلت له مرّة : علمتُ أنّ الشّاري^(١) حدّثني أنّ المخلوع^(٢) بعث إلى
المأمون بجوابٍ فيه سَمِسم ؛ كأنّه يخبرُ أنّ عنده من الجند بعددِ ذلك [الحبّ]
وأنّ المأمون بعث إليه بديكٍ أعور ، يريد أنّ طاهر بن الحسين^(٣) يقتلُ هؤلاء
كلّهم ، كما يلقط الدّيك الحبّ ! قال : فإنّ هذا الحديث أنا ولّدته . ولكن
انظر كيف سار في الآفاق ؟ !
وأحاديثه وأعاجيبه كثيرة .

(١) ل : « السّيارى » .

(٢) المخلوع هو محمد الأمين بن هارون الرشيد ، وهو أخو المأمون .

(٣) طاهر بن الحسين ، كان السّاعد الأيمن للمأمون . ولما خلع المأمون بيعة أخيه
الأمين أرسل طاهراً إلى محاربته ، فوجه الأمين على بن عيسى لملاقاة طاهر ، فلقيه
بالرى فقتله طاهر سنة ١٩٥ . وتقدم طاهر إلى بغداد وأخذ ما في طريقه من البلاد
وحاصر بغداد والأمين بها ، فقتله سنة ١٩٨ ، وحل رأسه إلى خراسان ووضع
بين يدي المأمون ، وعقد للمأمون على الخلافة . ولد طاهر سنة ١٥٩ وتوفى سنة
٢٠٧ . وكانت له عين واحدة ، ففي ذلك يقول عمرو بن بانه :

ياذا اليمينين وعين واحده نقصان عين وعين زائده

(معارف في الذباب)

ثمَّ رجع بنا القولُ إلى صلة كلامنا في الإخبار عن الذَّبَّانِ .
 فأَمَّا سَكَّانُ بلاد الهند فإنَّهم لا يطأُخون قِدْرًا ، ولا يعملون حَلْوَى ^(١)
 ولا يكادون يأكلون إلَّا ليلًا ؛ لِما يتهافت من الذَّبَّانِ في طعامهم . وهذا يدلُّ
 على عفَنِ التُّربة ونَحْنِ الهواء .
 ولِلذَّبَّانِ يعاسيبٌ وجِحْلانٌ ^(٢) ، ولكن ليس لها قائدٌ ولا أمير .
 ولو كانت هذه الأصناف التي يحرسُ بعضها بعضاً ، وتتخذ رئيساً يدبِّرُها
 ويحوطها ، إنَّما أخرج ^(٣) ذلك منها العقلُ دونَ الطَّبع ، وكالشئِ يخصُّ^١
 ١٠٢ به البعض دون الكل ^(٤) — لكان الذَّرُّ [وَالنَّمْلُ] أَحَقَّ بذلك من
 السِّكْرَاكِيِّ والغَرَانِيقِ ^(٥) والثَّيْرَانِ ، ولِسَكَّانِ الفيلِ أَحَقَّ به من البعيرِ ؛
 لأنَّه ليس للذَّرِّ قائدٌ ولا حارسٌ ، ولا يعسوبٌ يجمعها ويحميها بعضَ المواضع ،
 ويوردها بعضاً .

(١) في الأصل: « الحلوا » ، وإنما هي « الحلوى » تقصر وتمد .

(٢) الجِحْلان ، بتقديم الجيم المكسورة على الحاء : جمع جحل بالفتح ، وهو العظيم من اليعاسيب . واليعاسيب هي كبار الذباب كما نقل الدميري عن الجاحظ . ونقظ « الجحلان » جاء في الأصل بتقديم الحاء ، وهو تصحيف .

(٣) ل ، س : « خرج » .

(٤) ل : « دون البعض » ، ومؤدى العبارتين واحد .

(٥) الغرانيق : جمع غرنيق ، بضم الغين وفتح النون ، وهو طائر أبيض طويل العنق من طير الماء . ويطلق في العراق على ما يسمى بالإوز العراقي .

وكلُّ قائِدٍ فهو يعسوبُ ذلك الجنسِ المَقُودِ . وهذا الاسمُ مستعارٌ من
فحل النَّحل وأمير العَسَّالات^(١) .

وقال الشاعر^(٢) وهو يعنى الثَّور :

كما ضُربَ اليعسوبُ إذ عافَ باقِرُ وما ذنبُه إذ عافَتِ الماءَ باقِرُ

وكما قال علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، فى صلاح الزَّمان^(٣) وفساده :
« فإذا كان ذلك ضُربَ يعسوبُ الدِّينِ بذَنبِه^(٤) » .

وعلى ذلك المعنى قال حين مرَّ بعبد الرحمن بن عَتَّاب [بن أسيد]^(٥)
قتيلاً يوم الجمل : « لهُنى عليكَ يَعْسوبُ قريش ! جدَعْتَ أنْفى وشَفَيْتَ
نفسى ! » .

قالوا : وعلى هذا المعنى قيل : « يعسوب الطُّفاوة^(٦) » .

(١) العسالات : النحل التى تخرج العسل .

(٢) هو الهيبان للفهمى ، كما سبق فى (١ : ١٩) .

(٣) ط ، س : « الذبان » ، وهو تحريف طيب ، صوابه فى ل .

(٤) يعسوب الدين : سيد الناس ورئيسهم فى الدين . وضرب ، أى ضرب فى الأرض
مسافراً أو مجاهداً . وبذنبه أى أتباعه الذين يتبعونه على رأيه . وللعبارة معان آخر
تكفل بها صاحب اللسان .

(٥) عبد الرحمن بن عتاب ، أحد الرواة الذين ولدوا فى آخر عهد الرسول . وقد شهد
وقعة الجمل مع عائشة ، والتقى هو والأشتر فقتله الأشتر ، وقيل قتله جندب بن زهير
ورآه على وهو قتيلى فقال ما قال . الإصابة ٦٢٢٠ والمعارف ١٢٣ . و « أسيد » ضبط
فى الإصابة ٥٠٣٨٣ . والاشتقاق ٧٨ بتحقيقنا بفتح إلمزة . قال ابن دريد : « وأسيد : فعيل من
قوهم أسد يأسد أسداً إذا صار كالأسد . وفى اللسان (عسب) بضمها على هيئة التصغير ، تحريف .
(٦) الطفاوة ، بالضم ؛ حى من قيس عيلان . وليت شعرى من سمى بهذا اللقب .

(أقذر الحيوان)

وزعم بعض الحكماء أنه لا ينبغي أن يكون في الأرض شيء من الأشياء أنتن من العذرة ، فكذاك لا شيء أقذر من الذبّان والقمل . وأمّا العذرة فلولا أنها كذلك لكان الإنسان مع طول رؤيته لها ، وكثرة شمها من نفسه في كلّ يوم صباحاً ومساءً ، لقد كان ينبغي أن يكون قد ذهب تقذّره له على الأيام ^(١) ، أو تمحق ^(٢) ، أو دخله ^(٣) النقص . فبأنها ستين عاماً وأكثر وأقلّ على مقدار واحد [من النتن] في أنف الرجل ومنهم من وجدناه بعد مائة عام كذلك ^(٤) ، وقد رأينا الميران ^(٥) والعادات وصنيعها في الطبائع ، وكيف تهوّن الشديد ، وتقلّل الكثير . فلولا أنها فوق كلّ شيء من النتن ، لما ثبتت هذا الثبات ، ولعرض لها ما يعرض لسائر النتن . وبعد فلو كان إنما يشم شيئاً خرج من جوف غيره ولم

(١) ط ، س « أن يكون ذلك قد أذهب تقذّره له على الأيام » . ل : « أن يكون

ذلك قد ذهب على الأيام » ، وقد عدلت القول بما ترى

(٢) تمحق : امحى وذهب . ط ، س : « يمحى » ، وأثبت ما في ل .

(٣) ط ، س : « يدخله » .

(٤) ل : « في أنف من وجده ألف عام كذلك » .

(٥) لم أر الميران بمعنى التعود والإلف . ووجدته مصدراً لما رنت الناقه مرانا ، إذا ظهر

أنها قد لقحت ولم يكن بها لقاح . وأما المعنى الأول فلفظه المرون والمرونة والمرانة .

ط ، س : « المرات » تحريف .

يُخْرِجُ مِنْ جَوْفِ نَفْسِهِ ، لَسْكَانَ ذَلِكَ أَشْبَهَهُ . فَإِذْ قَدْ ثَبَتَ فِي أَنْفِهِ عَلَى هَذَا الْمَقْدَارِ ^(١) ، وَهُوَ مِنْهُ دُونَ غَيْرِهِ ، وَحَتَّى صَارَ يَجِدُهُ أَنْتَنَ مِنْ رَجِيعِ [جَمِيعِ] الْأَجْنَاسِ - فَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا لَمَّا قَدْ خُصَّ بِهِ مِنَ الْمَسْكُورِهِ .

وَكَذَلِكَ الْقَوْلُ فِي الْقَمَلِ الَّذِي إِنَّمَا يُخْلَقُ مِنْ عَرَقِ الْإِنْسَانِ ، وَمِنْ رَائِحَتِهِ ، وَوَسَخِ جِلْدِهِ ، وَبَخَارِ بَدَنِهِ . وَكَذَلِكَ الذَّبَّانُ الْخَالِطَةُ لَهُمْ فِي جَمِيعِ الْحَالَاتِ ، وَالْمَلَابِسَةُ لَهُمْ دُونَ جَمِيعِ الْهَوَامِّ وَالْهَمَجِ وَالطَّيْرِ وَالْبَهَائِمِ وَالسَّبَاعِ حَتَّى تَكُونَ أَلْزَمَ مِنْ كُلِّ مَلَاذِمٍ ، وَأَقْرَبَ مِنْ كُلِّ قَرِيبٍ ؛ حَتَّى مَا يَمْتَنَعُ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ بَدَنِ الْإِنْسَانِ ، وَلَا مِنْ ثَوْبِهِ ، وَلَا مِنْ طَعَامِهِ ، وَلَا مِنْ شَرَابِهِ ، [حَتَّى لَزِمَهُ لَزُومًا] لَمْ يَلْزِمَهُ شَيْءٌ ^(٢) قَطُّ كَلْزُومِهِ ، حَتَّى إِنَّهُ يَسَافِرُ السَّقَرِ الْبَعِيدَ مِنْ مَوَاضِعِ الْحِصْبِ ، فَيَقْطَعُ الْبَرَارِيَّ وَالْقِفَارَ الَّتِي لَيْسَ فِيهَا وَلَا بِقَرْبِهَا نَبَاتٌ وَلَا مَاءٌ وَلَا حَيَوَانٌ ، ثُمَّ مَعَ ذَلِكَ يَتَوَخَّى عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَى الْغَائِطِ فِي تِلْكَ الْبَرِّيَّةِ أَنْ يَفَارِقَ أَصْحَابَهُ ، فَيَتْبَاعِدُ فِي الْأَرْضِ ، وَفِي صَحْرَاءِ ١٠٣ خُلُقَاءِ ^(٣) ، فَإِذَا تَبَرَّزَ فَتَى وَقَعَ بَصَرُهُ عَلَى بَرَارِيهِ رَأَى الذَّبَّانَ سَاقِطًا عَلَيْهِ . فَقَبَّلَ ذَلِكَ مَا كَانَ يَرَاهُ . فَإِنْ كَانَ الذَّبَّانُ شَيْئًا يَتَخَلَّقُ لَهُ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ فَهَذِهِ أَعْجَبُ مَا رَأَاهُ وَمَا أَرَدْنَا ^(٤) ، وَأَكْثَرَ مِمَّا قُلْنَا . وَإِنْ كَانَ قَدْ كَانَ سَاقِطًا عَلَى الصُّخُورِ الْمُلْسِ ، وَالْبِقَاعِ الْجُرْدِ ، فِي الْيَوْمِ الْقَائِظِ ، وَفِي الْهَاجِرَةِ

(١) ط ، س : « عَلَى هَذَا الْمَقْدَارِ مِنَ النَّتَنِ » .

(٢) ط ، س : « وَلَا مِنْ شَرَابِهِ لَمْ يَلْزِمَ شَيْئًا » وَلَهُ وَجْهٌ .

(٣) الْخُلُقَاءُ : الْمُصِيتَةُ الَّتِي لَا نِيَّاتَ فِيهَا ، الْمُلْسَاءُ . ل : « صَخْرَةٌ مِلْسَاءٌ » .

(٤) ط فَقَطْ : « أَرَدْنَاهُ » . ل : « أَعْجَبَ مَا أَرَدْنَا » .

التي تشوي كل شيء ، وينتظر مجيئه - فهذا أعجب مما قلنا . وإن كانت قد تبعته من الأمصار ، إما طائفة^(١) معه ، وإما ساقطة عليه ، فلما تبرز انتقلت عنه إلى برازه ، فهذا تحقيق لقولنا إنه لا يلزم الإنسان شيء لزوم الذباب ؛ لأن العصافير ، والخطاطيف ، والزرارير ، والسنانير ، والكلاب وكل شيء يألف الناس ، فهو يقيم مع الناس . فإذا مضى الإنسان في سفره ، فصار كالمستوحش^(٢) ، وكالتازل بالفقار ، فكل شيء أهلى يألف الناس فإنما هو مقيم على [مثل] ما كان من إلفه لهم ، لا يتبعهم من دور الناس إلى منازل الوحش ؛ إلا الذبان .

قال : فإذا كان الإنسان يستقذر الذبان في مرقه وفي طعامه هذا الاستقذار ، ويستقذر القمل مع محله من القرابة والنسبة هذا الاستقذار فعلم أن ذلك لم يكن إلا لما خص به من القدر . وإلا فبدون هذه القرابة وهذه الملابسة ، تطيب الأنفس عن كثير من المحبوب .

(إلحاح الذباب)

قال : وفي الذبان خبر آخر : وذلك أنهم ربما تعودن المبيت على خوص فسيلة وأقلاها^(٣) من فسائل الدور ، أو شجرة ، أو كلة^(٤) ، [أو]

(١) ط ، س : « سائرة » والوجه ما أثبت من ل .

(٢) المستوحش : ضد المستأنس . ط س : « كالمستوحش » .

(٣) الفسيلة ككريمة : الذخلة الصغيرة . والأقلاها : جمع قلب ، بالضم ، وهو شحمة النخلة أو أجود خصوصها .

(٤) الكلة ، بالكسر : الستر الرقيق ، والغشاء الرقيق يتوق به من البعوض .

ط ، س : « أو بلة » .

باب ، أو سقف بيت ، فيُطْرَدْنَ إذا اجتمعن لوقتهنَّ عند المساء^(١) ليلتين أو ثلاث ليال ، فيتفرقن أو يهجرن ذلك المكان في المُسْتَقْبَلِ ، وإن كان ذلك المكان قريباً ، وهو لمن معرّض ، ثم لا يدعُن أن يلتصقن مبيتاً غيره . ولا يعرض لمن من اللجاج في مثل ذلك ، مثل الذي يعرض لمن من كثرة الرجوع إلى العينين والأنف بعد الذبِّ والطرد ، وبعد الاجتهاد في ذلك .

(أذى الذباب ونحوها)

وقال محمد بن حرب^(٢) : ينبغي أن يكون الذبّان سُماً ناقعاً ؛ لأنَّ كُلَّ شيءٍ يشتدُّ أذاه باللمس من غيره ، فهو بالمداخلة والملابسة أجدرُّ أن يؤذى . وهذه الأفاعى والثعابين والجرارات^(٣) قد تمسُّ جلودها ناساً فلا تضرُّهم^(٤) إلا بأن تلبس إبرة العقرب وناب الأفعى الدَّم . [ونحن] قد نجد الرجل يدخل في خرق أنفه ذباباً ، فيجول في أوله من غير أن يجاوز [ما حاذى]

(١) ط ، س : « العشاء » .

(٢) هو أبو علي محمد بن حرب الهلالي ، كان من أعلام متكلمي الخوارج ، وكان من البلغاء الأبيناء ، وكتب للأمين . انظر الفهرست ٢٥٨ ، ١٨٢ . وقد روى عنه الجاحظ في غير ما موضع من البيان .

(٣) الجرارات : ضرب من العقارب صغار تجرر أذناها ، وهن أشد العقارب فتكاً . ط ، س : « والجرار » ، وهى على الصواب في ل .

(٤) ط : « ولا تضرهم » محرفة .

روثة أنفه وأرنبتة^(١) فيخرجه الإنسان من جوف أنفه بالنفخ وشدة النفس ولم يكن له هنالك لبثٌ ، ولا كان منه عضوٌ ، وليس إلا ما مس^(٢) بقوائمه ١٠٤ وأطراف جناحيه ، فيقع [في^(٣)] ذلك المكان من أنفه ، من الدغدغة والأكال^(٤) والحكة ، ما لا يصنع الخردل^(٥) وبصل الثرجيس ، ولبن الثين . فليس يكون ذلك منه إلا وفي طبعه من مضادة طباع الإنسان ما لا يبلغه مضادة شيء وإن أفرط .

قال : وليس الشأن في أنه لم ينخس^(٦) ، ولم يجرح ، ولم يخز^(٧) ولم يعص ، ولم [يغمز] ، ولم يחדش . وإنما هو على قدر منافرة الطباع للطباع ، وعلى قدر القرابة والمشاكلة .

(١) روثة الأنف : طرف الأرنبة . والأرنبة : طرف الأنف . ط ، س : « روث أنفه » ، وصحته في ل .

(٢) ط : « بما » ، وهذه الكلمة وما قبلها ساقطتان من س .

(٣) الزيادة من ل ، س .

(٤) الأكال ، بالضم : الحكة .

(٥) الخردل : نبت يسمى بمصر (الكبر) بالتحريك ، يخرج كثيراً مع البرسيم ، وله بذر حار . ومن طريق ماروي داود ، أن أهل مصر يأكلونه مع الشواء في عيد الأضحى . وبديل هذه الكلمة في ل : « الحرب » ، صوابها « الحرف » كقفل ، وهو حب الرشاد .

(٦) كذا في ل . وفي ط ، س : « يخمش » .

(٧) ط ، س : « يغمز » .

(الأصوات المكروهة)

[و] قد نجد الإنسان يغمّ بِتَنَقُّضٍ^(١) الفتيلة وصوتها عند قرب انطفاء النار ، [أ] ولبعض البلبل يكون قد خالط الفتيلة ، ولا يكون الصوت بالشديد^(٢) ، ولكن الغمّام به ، والتكره له ، يكون في مقدار ما يعتريه من أشدّ الأصوات . ومن ذلك المكروه الذى يدخل على الإنسان من غطيط النائم ، وليست تلك الكراهة لعلّة الشدّة والصّلاية ، ولكن من قبل الصّورة والمقدار ، وإن لم يكن من قبل الجنس^(٣) . وكذلك صوت احتكاك الآجرّ الجديد ببعضه ببعض ، وكذلك شجر الآجام على الأجراف^(٤) ؛ فإنّ النفس تكرهه كما تكره صوت الصّاعقة . ولو كان على ثقة من السّلامة من الاحتراق ، كما احتفل بالصّاعقة ذلك الاحتفال . ولعلّ ذلك الصوت وحده ألا يقتله^(٥) . فأما الذى نشاهد اليوم الأمر عليه ، فإنه متى قرب منه قتله . ولعلّ ذلك إنّما هو لأنّ الشئ إذا اشتدّ صدمته^(٦) فسحّ القوة

(١) تنقضت الفتيلة : صوتت . وهذه الكلمة محرفة في الأصل ، فهى في ط :

« بتنقض » ، وفي س ، ل : « بتنفض » .

(٢) ط : « بالثر » وتصحيحه من ل ، س .

(٣) ط : « إذا لم يكن من قبل الجنس » .

(٤) الآجام : جمع أجرة ، وهى الشجر الكثير الملتف . والأجراف : جمع جرف بالضم

وبضمين ، وهو ما أكل السيل من أسفل شق الوادى والنهر .

(٥) ل : « ولعلّ ذلك الصوت أن لو خالطه لم يقتله » .

(٦) ط ، س : « صوته » .

أو لعلَّ الهواء الذي فيه ^(١) الإنسان والمحيط [به] أن يحمى ويستحيل ناراً ^(٢) ؛
للذي قد شارك ذلك الصَّوت من النَّار . وهم لم يجدوا الصَّوت ^(٣) شديداً جداً
إلاَّ ما خالطَ منه النَّار .

(ما يقتاتُ بالذُّباب)

وقال ابن حرب : الذُّبَّان قوتُ خلقٍ كثيرٍ من خلق الله عزَّ وجلَّ ،
وهو قوتُ الفراريج ، والخفافيش ، والعنكبوت ، والخلد ^(٤) ، وضروبٍ
كثيرةٍ من الهمج ، همج الطير ، وحشرات السَّباع ^(٥) . فأما الطَّير والسُّودَانِيَّات ^(٦) ،
والْحَصَانِيَّات ^(٧) ، والشَّاهْمُرَكَات ^(٨) ، وغير ذلك من أصنافِ الطَّير ؛ وأما
الضُّبَاع - فإِنَّهَا تَأْكُلُ الجيف ، وتدعُ في أفواهاها فُضُولاً ، وتفتحُ أفواهاها

(١) ل : « في » .

(٢) كذا في ل واللسان (صق ٦٧) . وفي س : « يستحر » وفي ط : « ويستخر » .

(٣) ط ، س : « وهم لم يجدوا الصوت من النار » . والوجه ما أثبت من ل .

(٤) الخلد ، بالضم ويفتح : دابة عمياء صماء ، سيتحدث عنها الجاحظ في (٦ : ٤١١)

(٥) كذا .

(٦) السودانيات : الزراير . ل : « وكالسودانيات » تحريف .

(٧) في القاموس : « الحصانيات : طير » . ط س : « الحصانيات » ، تصحيف

صوابه في ل .

(٨) الشاهمرك ، ويقال الشاهمرج كما ورد في المخصص (٨ : ١٥٢) : كل طائر طويل

الساقين . بهذا فسرهُ شيخ المحققين الأب أنستاس ماري في رسالة إلى . وقال : « هو بالفرنسية :

Echassier ، وبالمعنى المتقدم في الفارسية » . قلت : قد ضبطت هذه الكلمة

وفسرت خطأ في (١ : ٢٨) . وقد عده الجاحظ من الحيوان آكل الحيات

(١ : ٢٨ ، ٦ : ١٢٤) .

للذَّبَّانِ ، فإذا احتشَّتْ ضَمَّتْ عليها . فهذه إنما تصيد الذَّبَّانَ بنوعٍ واحدٍ ، وهو الاختطافُ والاختلاسُ ، وإعجالها عن الوثوب إذا تَلَقَّطته بأطراف المناكير ، أو كبعض ما ذكرنا من إطباق الفم عليها .

(صيد اللَّيْث للذَّبَّاب)

فأما الصَّيْدُ الذي ليس للكلب ، ولا لَعَنَاق الأرض ^(١) ، ولا للفهد ، ولا لشيءٍ من ذوات الأربع مثله في الحَذَق والَحْتَل والمداورة ، وفي صواب اللوْثَبَةِ ، وفي التسلُّد وسرعة الخطف ، [فليس ^(٢)] مثل الذي يقال له الليث وهو الصَّنَف المعروف من العناكب بصيد الذَّبَّان ^(٣) ؛ فَإِنَّكَ تجده إذا عين الذَّبَّانَ ساقطاً ، كيف يَلْطَأ ^(٤) بالأرض ، وكيف يسكِّن جميعَ جوارحه للوْثَبَةِ ، وكيف يُوَخِّر ذلك إلى وقت الغرَّة ، وكيف يريها أنه عنها لاهٍ ؛ ١٠٥ فَإِنَّكَ ترى من ذلك شيئاً لم تر مثله من فهدٍ قط ، وإن كان الفهدُ موصوفاً منعوتاً .

(١) عناق الأرض : دابة نحو الكلب الصغير تصيد صيداً حسناً . الحيوان (٦ : ٣٥٢)

في الأصل : « لعناق » بالفاء ، وهو خطأ .

(٢) ليست بالأصل . والكلام في حاجة إليها .

(٣) ل : « وهو صنف من العناكب » .

(٤) لطاءً بالأرض ، كنع وفرح : لصق . ط ، س : « يلتطى » .

واعلم أنه قد ينبغي ألا يكون في الأرض شيء أصيد منه ؛ لأنه لا يطير ،
ولا يصيد إلا ما يطير ! ويصيد طائراً شديداً الحذر ، ثم يصيد صياداً ! لأن
الذباب يصيد البعوض . وخديعتك للخداع أعجب ، ومكرك بالماكر أغرب !
فكذلك يكون صيد هذا الفن ^(١) من العنكبوت .

(صيد الوزغ والزناير للذباب)

وزعم الجرداني ^(٢) أن الوزغ تختل الذبان ، وتصيدُها صيداً حسناً
شبيهاً بصيد اللبث .

قال : والزنبور حريص على صيد الذبان ، ولكنه لا يطعم فيها إلا أن
تكون ساقطة على خرء ، دون كل تمر وعسل ؛ لشدة عجبها بالخمر ، وتشاغلها
به ! فعند ذلك يطعم فيه الزنبور ويصيده .

وزعم الجرداني ^(٣) وتابعه كيسان : أن الفهد إنما أخذ ذلك عن الليث . ومتى
رآه ^(٤) الفهد يصيد الذبان حتى تعلم منه ؟ ! فظننت أنهما قلداً في ذلك بعض
من إذا مدح شيئاً أسرف فيه .

(١) الفن : الضرب والنوع . ل : « الفز » ، وهو تحريف .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من ل . وبدلها في س : « الجرداني » .

(٣) س : « الجرداني » . ل : « الجرداني » .

(٤) ل : « وحتى » ، وهو تحريف .

(تقليد الحيوان للحيوان وتعلمه منه)

ويزعمون أَنَّ السَّبَّعَ الصَّيَّودَ إِذَا كَانَ مَعَ سَبْعٍ هُوَ أَصْبَدُ مِنْهُ ، تَعَلَّمَ مِنْهُ وَأَخَذَ عَنْهُ . وَهَذَا لَمْ أَحَقِّقْهُ . فَأَمَّا الَّذِي لَا أَشْكُ فِيهِ فَأَنَّ الطَّائِرَ الْحَسَنَ الصَّوْتِ الْمَلْحَنَ ، إِذَا كَانَ مَعَ نَوَائِحِ [الْمَطِيرِ] ^(١) وَمَغْنِّيَاتِهَا ، فَكَانَ بِقَرَبِ الطَّائِرِ ^(٢) مِنْ شِكْلِهِ ، وَهُوَ أَحْذَقُ مِنْهُ [وَأَكْرَزُ] ^(٣) وَأَمَّهَرُ ، جَاوِبُهُ وَحَكَاهُ ، وَتَعَلَّمَ مِنْهُ ، أَوْ صَنَعَ شَيْئًا يَقُومُ مَقَامَ التَّعَلُّمِ .

(تعليم البراذين والطير)

وَالْبَرْدُونَ يُرَاضُ فَيَعْرِفُ مَا يَرَادُ مِنْهُ ، فَيَعِينُ عَلَى نَفْسِهِ . وَرَبَّمَا اسْتَأْجَرُوا لِلطَّيْرِ رَجُلًا يَعْلَمُهَا . فَأَمَّا الَّذِي رَأَيْتُهُ أَنَا فِي الْبَلَابِلِ ، فَقَدْ رَأَيْتُ رَجُلًا يُدْعَى لَهَا فَيَطَارِحُهَا مِنْ شَكْلِ أَصْوَاتِهَا .

(ما يَخْتَرَعُ الْأَصْوَاتَ وَاللَّحُونَ مِنَ الطَّيْرِ)

وَفِي الطَّيْرِ مَا يَخْتَرَعُ الْأَصْوَاتَ وَاللَّحُونَ الَّتِي لَمْ يُسَمِعْ بِمِثْلِهَا قَطُّ مِنَ الْمُؤَلِّفِ لِلَّحُونِ مِنَ النَّاسِ ؛ فَإِنَّهُ رَبَّمَا أَنْشَأَ لِحَنًا لَمْ يَمُرَّ عَلَى أَسْمَاعِ ^(٤) الْمَغْنِّينَ قَطُّ .

(١) ليست بالأصل .

(٢) ط : « يقرب » .

(٣) أكرز بمعنى أحذق .

(٤) ط : « سماع » .

وأكثر ما يجدون ذلك من الطير في القمارى ، وفي السودانيات^(١) ، ثم في الكرازية^(٢) . وهي تأكل الذبان أكلاً ذريعاً .

(اللجوج من الحيوان)

ويقال إن اللجاج في ثلاثة أجناس من بين جميع الحيوان : الخنفساء ، والذباب ، والدودة الحمراء ؛ فإنها في إبان ذلك تروم الصعود إلى السقف ، وتمر على الحائط الأملس شيئاً قليلاً فتسقط وتعود ، ثم لا تزال تزداد شيئاً ثم تسقط ، إلى أن تمضى إلى باطن السقف ، فربما سقطت ولم يبق عليها إلا مقدار إصبع ، ثم تعود .

(لجاج الخنفساء واعتقاد المغاليس فيها)

والخنفساء ثقيل قبل الإنسان فيدفعها ، فتبعد بقدر تلك الطردة والدفعة ثم تعود أيضاً ، فيصنع بها أشد من تلك ثم تعود ، حتى ربما كان ذلك سبباً لغضبه ، ويكون غضبه سبباً لقتلها .

(١) السودانيات : الزراير .

(٢) الكرازية : جمع كراز ، كقبر ، وهو البازى . ط ، س : « الكرازة » وهو تحريف .

وما زالوا كذلك ، وما زالت كذلك ، حتى سقط إلى المفاليس ^(١) أن ١٠٦
الحنافس تجلب الرزق . وأن دنوها دليل على رزق حاضر : من صلة
أو جائزة ، أو ربح ، أو هدية ، أو حظ . فصارت الحنافس إن دخلت
في قمصهم ثم نفذت إلى سراويلاتهم لم يقولوا لها قليلاً ولا كثيراً . وأكثر
ما عندهم اليوم الدفَع لها ببعض الرفق . ويظن بعضهم أنه إذا دفعها ^(٢)
فعادت ، ثم دفعها ، فعادت ، ثم دفعها فعادت - أن ذلك كلما كان
أكثر ، كان حظُّه من المال الذي يؤمِّله عند مجيئها أجزَل ^(٣) .
فانظر ، أية واقية ، وأية حافظة ^(٤) ، وأى حارس ، وأى حصن أنشأه
لها هذا القول ^(٥) ! وأى حظ [كان] لها حين صدَّقوا [بهذا الخبر]
هذا التصديق ^(٦) ! والطَّمع هو الذى أثارَ هذا الأمرَ من مدافنه ^(٧) ، والفقر
هو الذى اجتذب ^(٨) هذا الطَّمع واجتلبه . ولكن الويل لها إن ألحَّت على
غنى عالمٍ ، وخاصةً إن كان مع جدِّته وعلمه حديداً عجولاً ^(٩) .

(١) المفاليس : جمع مفلس . ط ، س : « المقاييس » ولا تصح .

(٢) ل : « دفعها » فى مواضعها الثلاثة .

(٣) كذا فى ل . وفى ط ، س « أكثر » .

(٤) كذا فى ل ، س . وفى ط : « أية واقية دائمة حافظة » .

(٥) القول هنا بمعنى الاعتقاد . ط ، س : « وأى حصن إن شاء الله تعالى لها بهذا القول » ، ووجهه من ل .

(٦) كذا فى ل . س : « بهذا القول ذلك التصديق » .

(٧) ل : « موافقه » .

(٨) كذا فى ل . وفى ط ، س : « سبب » .

(٩) هذه العبارة ساقطة من ل . والجدة ، كعدة : الغنى واليسار . وفى الأصل :
« مع حذوئه » .

(اعتقاد العامة في أمير الذبّان)

وقد كانوا يقتلون الذبابَ الكبيرَ الشديدَ الطنين (١) الملحَّ في ذلك ،
الجهيرَ الصوت ، الذي تسميه العوامُ : « أمير الذبّان » ، فكانوا يحتالون
في صرفه (٢) وطرده [وقتله] ، إذا أكرههم بكثرةِ ظنينه وزجله وهماهم (٣)
فإنه لا يفتّر (٤) . فلما سقط إليهم أنه مبشّرٌ بقدومِ غائبٍ وُبرءٍ سقيم ، صاروا (٥)
إذا دخل المنزلَ وأوسعهم شراً ، لم يهجه أحدٌ منهم .

وإذا أرادَ الله عزَّ وجلَّ أن يُنسى في أجلٍ شيءٍ من الحيوان هياً لذلك
سبباً ، كما أنه إذا أراد أن يقصُر عمره [ويحينَ يومه] هياً لذلك (٦) سبباً .
فتعالى الله علواً كبيراً !

ثم رجع بنا القولُ إلى إلحاحِ الذبّان .

(١) كلمة « الكبير » ساقطة من ل . ولفظ « الطنين » هي في ط ، س :
« البطش » وتصحيحه من ل .

(٢) ل : « ضربه » وليس بشيء .

(٣) هماهم : جمع هممة ، والمراد بها الطنين .

(٤) أي لا يسكن ولا ينقطع عن الطنين . ط : « يغير » وصوابه في ل ، س .

(٥) ل : « صار » .

(٦) ط ، س : « له » .

(عبد الله بن سَوَّار وإلحاح الذُّباب)

كان لنا بالبصرة قاض يقال له عبدُ الله بنُ سَوَّار^(١) ، لم يرَ النَّاسُ حاكماً قطُّ ولا زَمِيئاً ولا رَكِيئاً^(٢) ، ولا وقوراً حليماً ، ضَبَطَ من نفسه ومَلَكَ من حركته مثلَ الذى ضَبَطَ ومَلَكَ . كان يصلىَّ الغداةَ فى منزله ، وهو قريب الدَّار من مسجده ، فيأتى مجلسه فيحتبى ولا يَسْكى ، فلا يزالُ منتصباً لا يتحرَّك له عضوٌ ، ولا يلتفت ، ولا يحلُّ حُبوتَه^(٣) ولا يحولُ رجلاً عن رجل^(٤) ، ولا يَعتمد على أحدٍ شِقِيه ، حتَّى كأنَّه بناءٌ مبنىٌ ، أو صخرةٌ منصوبة . فلا يزال كذلك ، حتَّى يقوم إلى صلاة الظهر ثمَّ يعودُ إلى مجلسه فلا يزال كذلك^(٥) حتَّى يقوم إلى العصر ، ثمَّ يرجع لمجلسه ، فلا يزال كذلك حتَّى يقوم لصلاة المغرب ، ثمَّ رُبما عاد إلى محلِّه ، بل كثيراً ما كان يكون ذلك إذا بقى عليه من قراءة العهود والشُّروط والوثائق ، ثمَّ يُصلىَّ العشاء [الأخيرة^(٦)] وينصرف . فالحق يقال : لم يَقُمْ

(١) هو عبد الله بن سوار (بالتشديد) بن عبد الله بن قدامة العنبرى البصرى . وسبقت ترجمة ولده سوار بن عبد الله بن سوار فى ٢ : ١٨٧ . والقصة رواها المرتضى فى فى أماليه ٤ : ٢٢ .

(٢) كلمة : « قط » ساقطة من ل ، كما سقطت « ولا » من ط ، س . والزيمت كسكيت : العظيم الوقار . والركين الرزين .

(٣) الحبوة ، بالفتح وتضم : أن يجمع الرجل بين ظهره وساقيه بعصامة ونحوها .

(٤) ط ، س : « ولا يحل رجلاً على رجل » وأثبت ما فى ل وثمار القلوب ٣٩٦ .

(٥) الكلام من مبدأ « حتَّى يقوم » ساقط من ل ، والثمار .

(٦) الزيادة من ثمار القلوب . والعشاء الأخيرة خلاف الأولى ، والأولى هى المغرب .

في طول تلك المدّة والولاية مرّةً واحدةً إلى الوضوء ، ولا احتاجَ إليه ،
 ١٠٧ ولا شربَ ماءً ولا غيره من الشراب . كذلك كان شأنه في طوال الأيام
 وفي قصارها ، وفي صيفها وفي شتائها^(١) . وكان مع ذلك لا يحرك يده ، ولا
 يُشير برأسه . وليس إلّا أن يتكلم [ثمّ يوجز ، ويبلغ بالكلام اليسير المعاني
 السكثيرة] ^(٢) . فبينما هو كذلك ذاتَ يوم وأصحابه حواليه ، وفي السّماطين^(٣)
 بينَ يديه ، إذ سقطَ على أنفه ذبابٌ فأطال المكث ، ثمّ تحوّل إلى مؤقٍ
 عينه^(٤) ، فرام^(٥) الصّبر في سقوطه على المؤق ، وعلى عضّه ونفاذِ خرطومه
 كما رام^(٦) من الصبر على سقوطه على أنفه من غير أن يحرك أرنبته ،
 أو يغضّ^(٧) وجهه ، أو يذبّ بإصبعه . فلمّا طال ذلك عليه من الذباب
 وشغله وأوجعه وأحرقه ، وقصدَ إلى مكانٍ لا يَحتمل التّغافل ، أطبقَ جفنه
 الأعلى على جفنه الأسفل فلم ينهض ، فدعاه ذلك إلى أن والى^(٨) بينَ الإطباقِ
 والفتح ، فتنحّى ريثماً سكنَ جفنه ، ثمّ عاد إلى مؤقه بأشدّ من مرّته الأولى
 فغمَسَ خرطومه في مكان كان قد أوهاه قبلَ ذلك ، فكان احتمالُه له

(١) كلمة : « في » ساقطة من ل في الموضعين .

(٢) الزيادة من ل ، وثمار القلوب .

(٣) السباط ، بالكسر : الصف .

(٤) في الأصل : « عينه » ، وأثبت ما في النّار . والمؤق : طرف العين مما يلي الأنف .

(٥) ل فقط : « فدام » ، وبكل من العبارتين يتجه المعنى .

(٦) ل فقط : « ودام » وانظر التّبيه السابق .

(٧) غمض وجهه : جعل به غمضاً ، وذلك بأن يقبض جلده . ط ، س : « يغض »

بمعنى يخفض . وفي النّار : « بعض » .

(٨) والى : تابع . ط ، س : « يوالى » وأثبت ما في ل والنّار .

أضعف ، وعجزه عن الصبر في الثانية أقوى^(١) ، فحرك أجفانه وزاد في شدة الحركة وفي فتح العين^(٢) ، وفي تتابع الفتح والإطباق ، فتنحى عنه بقدر ماسكنت حركته ثم عاد إلى موضعه ، فما زال يلح عليه حتى استفرغ صبره وبلغ مجهوده . فلم يجد بُدًّا من أن يذب عن عينيه بيده ، ففعل ، وعيون القوم إليه ترمقه ، وكأهم لا يروونه^(٣) ، فتنحى عنه بقدر مارد يده وسكنت حركته ثم عاد إلى موضعه ، ثم ألجأه إلى أن ذب عن وجهه بطرف كفه ، ثم ألجأه إلى أن تابع بين ذلك ، وعلم أن فعله كله بعين من حضره من أمثاله وجلسائه . فلما نظروا إليه قال : أشد أن الذباب ألح^(٤) من الخنفساء ، وأزهى من الغراب ! وأستغفر الله ! فما أكثر من أعجبته نفسه فأراد الله عز وجل أن يعرفه من ضعفه ما كان عنه مستورا ! وقد علمت أنني عند الناس من أزم الناس^(٥) ، فقد غلبني وفضحني أضعف خلقه ! ثم تلا قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ يَسْلُبْهُمْ الذَّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴾ .

(١) ط ، س : « وعجزه عن الصبر عليه في الثانية أقل » ، وصوابه في ل . ونحو منه ما في الثمار .

(٢) ط ، س : « وألح في فتح العين »

(٣) كلمة : « إليه » ليست في الثمار . وليس ما يمنع بقاءها . و « يروونه » هي في الأصل « يريدونه » ، وتصحيحه من الثمار .

(٤) كذا في الأصل : « ألح » بالحاء كما في أمثال الميداني ٢ : ١٨٠ . ويروى بالجيم ، كما في الثمار وكما سيأتي في ص ٥٠٠ .

(٥) أزم الناس : أى أشدهم وقاراً وسكوناً . ط : « أضعف » ووجهه في س ، ل . وفي الثمار : « أرزن » ، وكلمة « الناس » الأولى هي في ط ، س فقط : « نفس » . كما أن كلمة « من » ساقطة من س .

وكان بين اللسان ، قليلَ فضولِ الكلام ، وكان مهيباً في أصحابه ،
وكان أحدَ مَنْ لم يَطْعَنُ عليه في نفسه ، ولا في تعريض أصحابه للمَنَالَةِ (١) .

(قصة في إلحاح الذباب)

فأما الذي أصابني أنا من الذَّبَّانِ ، فإنِّي خَرَجْتُ أَمْشِي في المبارك (٢)
أريد دَيْرَ الربيع ، ولم أَقْدِرْ عَلَى دَابَّةٍ ، فَرُدْتُ في عَشْبٍ [أَشْبٍ] (٣)
ونباتٍ مُلتَفٍّ كثيرِ الذَّبَّانِ ، فسقط ذبابٌ من تلك (٤) الذَّبَّانِ عَلَى أَنْفِي ،
فطردته ، فتحولَ إلى عيني (٥) [فطردته ، فعاد إلى مُوقِ عيني] ، فزدتُ
في تحريكِ يَدَيَّ ففتَحَ عني بقدرِ شدةِ حركتي (٦) وذَبَّيْني عن عيني - ولِذَبَّانِ
الكَلَا والغِيَاضِ والرِّيَاضِ وَقَعٌ ليس لغيرها - ثُمَّ عَادَ إِلَى فَعَدْتُ عَلَيْهِ ، ثُمَّ
١٠٨ عَادَ [إِلَى] فَعَدْتُ بِأَشَدِّ مِنْ ذَلِكَ ، فلما عاد استعملتُ كُمِّي فَذَبَبْتُ بِهِ عَنْ
وَجْهِ ، ثُمَّ عَادَ ، وَأَنَا فِي ذَلِكَ أَحْتُ السَّيْرَ ، أَوَّمِلُ بِسُرْعَى انْقِطَاعِهِ عَنِّي (٧)
فلما عاد نَزَعْتُ طَيْلَسَانِي (٨) مِنْ عُنُقِي فَذَبَبْتُ بِهِ عَنِّي بَدَلِ كُمِّي ، فلما

(١) المَنَالَةُ : مصدر نلت أنال .

(٢) المبارك : اسم نهر بالبصرة احتفروه خالد بن عبد الله القسري . ويمشي فيه :

أَيَّ فِي شَاطِئِهِ . ط ، س : « مِنْ عِنْدِ ابْنِ الْمُبَارَكِ » .

(٣) أَشْبٍ : أَيُّ مُلْتَفٍّ . وَكَلِمَةُ « عَشْبٍ » سَاقِطَةٌ مِنْ ل .

(٤) ط ، س : « ذَلِكَ » .

(٥) كَذَا فِي ل . وَفِي ط ، س : « فَطَرَدْتُهُ فَلَمْ أَقْدِرْ فَتَحَوَّلَ إِلَى عَيْنِي » .

(٦) ل : « فَتَنَحَّى عَنْ قَدَرِ شِدَّةِ حَرَكَتِي » .

(٧) ل : « أَحْتُ السَّيْرَ » وَقَدْ سَقَطَ مِنْهَا « أَوَّمِلُ بِسُرْعَى » .

(٨) الطَيْلَسَانُ : كِمَاءٌ مَدُورٌ أَخْضَرٌ ، لَحْمَتُهُ أَوْ سِدَاهُ مِنْ صَوْفٍ ، يَلْبَسُهُ
الْخَوَاصُ مِنَ الْعُلَمَاءِ وَالْمَشَايِخِ ، وَهُوَ مِنْ لِبَاسِ الْعَجَمِ ، وَهُوَ لَفْظٌ مَعْرَبٌ
مِنْ تَالِسَانَ الْفَارَسِيَّةِ .

عَاوَدَ وَلَمْ أَجِدْ لَهُ حِيلَةً اسْتَعْمَلْتُ الْعَدُوَّ ، فَعَدَوْتُ مِنْهُ شَوْطاً [تَأَمَّاً] لَمْ
أَتَكَلَّفْ مِثْلَهُ مَذْ كُنْتُ صَبِيئاً ، فَتَلَقَّانِي الْأَنْدَلُسِيُّ فَقَالَ لِي : مَالِكُ يَا أَبَا عُمَانَ !
هَلْ مِنْ حَادِثَةٍ ؟ قُلْتُ : نَعَمْ ، [أَكْبَرُ الْحَوَادِثِ] ، أُرِيدُ أَنْ أَخْرَجَ مِنْ مَوْضِعٍ
لِلذَّبَّانِ عَلَى فِيهِ سُلْطَانٌ ! فَضَحِكُ حَتَّى جَلَسَ . وَانْقَطَعَ عَنِّي ، وَمَا صَدَّقْتُ
بِانْقِطَاعِهِ عَنِّي حَتَّى تَبَاعَدَ ^(١) جَدًّا .

(ذَبَّانُ الْعَسَاكِرِ)

وَالْعَسَاكِرُ أَبْدَأَ كَثِيرَةَ الذَّبَّانِ . فَإِذَا ارْتَحَلُوا لَمْ يَرَ الْمَقِيمُ بَعْدَ الظَّاعِنِ
مِنْهَا إِلَّا الْيَسِيرَ .

وَزَعِمَ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّهُمْ يَتَّبِعْنَ الْعَسَاكِرَ ، وَيَسْقُطْنَ عَلَى الْمَتَاعِ ، وَعَلَى
جِلَالِ ^(٢) الدَّوَابِّ ، وَأَعْجَازِ الْبَرَاذِينِ الَّتِي عَلَيْهَا [أَسْبَابُهَا ^(٣)] حَتَّى تَوْدِي إِلَى
الْمَنْزِلِ الْآخِرِ .

[وَ] قَالَ الْمَسْكِيُّ : يَتَّبِعُونَنَا لِيُؤْذِنَا ، ثُمَّ لَا يَرْكَبُونَ إِلَّا أَعْنَاقَنَا
وَدَوَابَّنَا ^(٤) !

(١) ل : « تباعدت » .

(٢) الجلال : جمع جل بالضم وبالفتح ، وهو ما تلبسه الدابة لتصان به .

(٣) كذا في س . وبدلها في ل : « أربابها » .

(٤) هذا حكاية من الجاحظ للفظ المسكي . وفيه استعمال ضمير العاقل لغيره .

(تخلق الذباب - ١ -)

ويقول بعضهم: بل إنما يتخلق من تلك العفونات والأبخر والآنفا،
فإذا ذهب فنت مع ذهابها^(١) ويزعمون أنهم يعرفون ذلك بكثرة
في الجنائب، وبقلة في الشائيل^(٢).

قالوا: وربما سدنا فم الآنية التي فيها الشراب بالصمام، فإذا
زرعناها وجدنا [هناك] ذباباً صغيراً.

وقال ذو الرمة^(٣):

وأيقن أن القنع صارت نطافه^(٤) فراشاً وأن البقل ذاو ويابس
[القنع: الموضع الذي يجتمع فيه نقران الماء^(٥)]. والفراش: الماء الرقيق
الذي يبقى في أسفل الحياض.

وأخبرني رجل من ثقف، من أصحاب النبيذ أنهم [ربما] فلقوا السفرجلة
أيام السفرجل للنقل^(٦) والأكل، وليس هناك من صغار الذبان شيء ألبتة

(١) كذا في ل. وفي ط، س: «فإذا ذهب ذلك خف».

(٢) الجنائب: جمع جنوب. وهي الرياح الجنوبية. والشائيل: جمع شمال، بالفتح، وهي
الرياح الشمالية. ل: «في الشمال».

(٣) يصف الحمر الوحشية. ديوانه ٣١٣.

(٤) النطاف: جمع نطفة، وهي هنا الماء الكثير. وتقال أيضاً للماء القليل،
بل هو الأكثر. ط، س: «نطافة» ووجهه في ل.

(٥) النقران: جمع نقر. و «يجتمع» هي في الأصل: «يجمع»، والتفسير بعده مخالف
للاستشهاد. وانظر ماسيق في ٥: ٤٠٤.

(٦) النقل بالفتح: ما يتنقل به على الشراب، وهو ما يعبث به الشارب على شرابه.

ولا يُعَدِّمُهُمْ أَنْ يَرَوْا عَلَى مَقَاطِعِ السَّفَرِ جُلَّ ذُبَاباً صَغَافِراً . وَرَبَّمَا رَصَدُوهَا وَتَأَمَّلُوهَا ، فَيَجِدُونَهَا تَعْظُمُ حَتَّى تَلْحَقَ بِالسَّكْبَارِ فِي السَّاعَةِ الْوَاحِدَةِ .

(حَيَاةُ الذُّبَابِ بَعْدَ مَوْتِهِ)

قال : وفي الذُّبَابِ طَبْعُ كَطَبْعِ الْجَعَلَانِ ، فَهُوَ طَبْعٌ غَرِيبٌ عَجِيبٌ . وَلَوْلَا أَنَّ الْعِيَانَ قَهَرَ أَهْلَهُ لَسَكَانُوا خَلْقَاءَ أَنْ يَدْفَعُوا الْخَبَرَ عَنْهُ ؛ فَإِنَّ الْجُعَلَ إِذَا دُفِنَ فِي الْوَرْدِ ^(١) مَاتَ فِي الْعَيْنِ ، وَفَنِيَتْ حَرَكَاتُهُ كُلُّهَا ، وَعَادَ جَامِداً تَارِزاً ^(٢) . وَلَمْ يَفْصِلِ النَّاطِرُ إِلَيْهِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجُعَلِ الْمَيِّتِ ، مَا أَقَامَ عَلَى تَأْمَلِهِ ^(٣) . فَإِذَا أُعِيدَ إِلَى الرُّوْثِ عَادَتْ إِلَيْهِ حَرَكَةُ الْحَيَاةِ مِنْ سَاعَتِهِ ^(٤) .

وَجَرَّبْتُ أَنَا [مِثْلَ] ذَلِكَ فِي الْخَنَفَسَاءِ ، فَوَجَدْتُ الْأَمْرَ فِيهَا قَرِيباً مِنْ صِفَةِ الْجُعَلِ ، وَلَمْ يَبْلُغْ كُلُّ ذَلِكَ [إِلَّا ^(٥)] لِقَرَابَةِ [مَا] بَيْنَ الْخَنَفَسَاءِ وَالْجُعَلِ . وَدَخَلْتُ يَوْمًا عَلَى ابْنِ أَبِي كَرِيمَةَ ، وَإِذَا هُوَ قَدْ أَخْرَجَ لِجَانَةِ ^(٦) كَانَ فِيهَا مَاءٌ مِنْ غَسَالَةِ أَوْسَاخِ الثِّيَابِ ، وَإِذَا ذِبَّانٌ كَثِيرَةٌ قَدْ تَسَاقَطْنَ فِيهِ مِنَ اللَّيْلِ فَهَوَّنَ ^(٧) . هَكَذَا كُنَّ ^(٨) فِي رَأْيِ الْعَيْنِ . فَغَبَرُنَ كَذَلِكَ

(١) ط : « المورِد » وصوابه في ل ، س . وانظر ما سبق في (٢ : ١١٢) .

(٢) التارِز : اليايس الذي لا روح فيه .

(٣) ل : « تأملها » ، ولكل وجه .

(٤) ل : « عاد إليه حركة الحيوان من ساعته » .

(٥) ليست بالأصل ، وبها يستقيم الكلام .

(٦) الإِجَانَةُ : الوعاء يغسل فيه الثياب . في الأصل : « من إِجَانَةٍ » ، والوجه حذف

« من » .

(٧) يقال مَوْتَتِ الدَّوَابُّ تَمَوُّيتًا : كَثُرَ فِيهَا الْمَوْتُ . انظر اللسان . ط ، س :

« فتن » .

(٨) كَذَا في ل ، س . وفي ط : « كَانَ » أى كَانَ الْأَمْرُ .

١٠٩ عَشِيَّتَهُنَّ وَلَيْلَتَهُنَّ ، وَالْغَدَ إِلَى انْتِصَافِ النَّهَارِ ، حَتَّى انْتَفَخْنَ وَعَفِنَ^(١)
 وَاسْتَرْخَيْنَ ؛ وَإِذَا ابْنُ أَبِي كَرِيمَةٍ قَدْ أَعَدَّ أَجْرَهُ جَدِيدَةً^(٢) ، وَفُتَاتَ أَجْرٍ
 جَدِيدٍ ، وَإِذَا هُوَ يَأْخُذُ الْخَمْسَ مِنْهُنَّ^(٣) وَالسَّتْ ، ثُمَّ يَضَعُهُنَّ عَلَى ظَهْرِ الْأَجْرَةِ
 الْجَدِيدَةِ ، وَيَذَرُهُنَّ عَلَيْهِنَّ مِنْ ذِفَاقِ ذَلِكَ الْأَجْرِ الْجَدِيدِ الْمَدْقُوقِ بِقَدَرٍ مَا يَغْمُرُهَا
 فَلَا تَلْبِثُ أَنْ يَرَاهَا^(٤) قَدْ تَحَرَّكَتْ ، ثُمَّ مَشَتْ ، ثُمَّ طَارَتْ ؛ إِلَّا أَنَّهُ
 طَيْرٌ أَنْ ضَعِيفٌ .

(ابن أبي كريمة وعود الحياة إلى غلامه)

وكان ابنُ أبي كريمة يقول : [لا] والله ، لادفنتُ ميئاً أبداً حَتَّى يَنْتَنَ !
 قلت : وكيف [ذاك] قال : إِنَّ غُلَامِي هَذَا نَصِيراً مَاتَ ، فَأَخَرْتُ دَفْنَهُ
 لِبَعْضِ الْأَمْرِ ، فَقَدِمَ أَخُوهُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ فَقَالَ : مَا أَظُنُّ أَخِي مَاتَ ! ثُمَّ أَخَذَ
 فَنِيلَتَيْنِ ضَخِمَتَيْنِ ، فَرَوَّاهُمَا دَهْنًا ثُمَّ أَشْعَلَ فِيهِمَا النَّارَ ، ثُمَّ أَطْفَأَهُمَا وَقَرَّبَهُمَا
 إِلَى مَنْخَرِيهِ ، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ تَحَرَّكَ . وَهَا هُوَ ذَا قَدْ تَرَاهُ ! قلتُ له : إِنْ أَصْحَابُ
 الْحُرُوبِ [وَالَّذِينَ يَغْسِلُونَ الْمَوْتَى] وَالْأَطِبَّاءُ ، عِنْدَهُمْ فِي هَذَا دَلَالَاتٌ وَعِلَامَاتٌ
 فَلَا تَحْمِلُ عَلَى نَفْسِكَ فِي وَاحِدٍ مِنْ أُولَئِكَ إِلَّا تَسْتُرُهُ بِالْدَفْنِ حَتَّى يَجِيفَ .

(١) ل : « وغضن » .

(٢) ل : « أجراً جديداً » .

(٣) ل : « منها » .

(٤) س : « تراها » ل : « تراها » .

والجوس يقربون الميت من أنف الكلب ، ويستدلون بذلك على أمره .
فعلمت أن الذي عايناه^(١) من الذبان قد زاد في عزمه .

(النُعر)

والنُعر : ضرب من الذبان ، والواحدة نُعرة . وربما دخلت في أنف
البعير أو السبع ، فيزُم بأنفيه^(٢) ؛ للذي يلتقي من المكروه بسببه . فالعربُ
تشبه ذا الكبر من الرجال إذا صمّر خده ، وزَمَّ بأنفه - بذلك البعير في تلك
الحال . فيقال عند ذلك : « فلان في أنفه نُعرة » ، وفي أنفه خنزوانة^(٣) .
وقال عمر^(٤) : « والله لا أقطعُ عنه أو أطير^(٥) نُعرته » .

ومنها القمّع ، وهو ضرب من ذبان الكلاء . وقال أوس^(٦) :
ألم تر أن الله أنزلَ مُزْنَه^(٧) وعَفَرُ الطَّيِّبِ في الكِنَاسِ تَقَمُّعُ^(٨)
وذلك مما يكون في الصيف وفي الحرّ .

(١) ل : « عاينه » .

(٢) زم البعير بأنفه : رفع رأسه لألم به . ط ، س : « فتورم أنفه »
وليس هنالك .

(٣) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(٤) لا أقطع عنه : لا أتركه . س : « اطر » وصوابه في ط ، ل ونهاية ابن الأثير .

(٥) هو أوس بن حجر . ديوانه ١١ .

(٦) المزن بالضم : السحاب ، أو أبيضه ، أو ذو الماء منه . والقطعة منه مزنة . وهذه
الأخيرة جاءت الرواية في الديوان .

(٧) العفر : جمع أعفر ، وهو الطيبى يعلو بياضه حمرة . والكناس مأواه . والتقمع :
أن تحرك رموسها لتطرد القمّع .

(أذى الذبان للدواب)

والذبان جند من جند الله شديد الأذى. وربما كان أضر من الدبر^(١)
 في بعض الزمان ، وربما أتت على القافلة بما فيها ؛ وذلك أنها تغشى^(٢)
 الدواب حتى تضرب بأنفسها الأرض - وهي في المفاوز - وتسقط ، فهلك
 أهل القافلة ؛ لأنهم لا يخرجون من تلك المفاوز على دوابهم . وكذلك تضرب
 الرعاء^(٣) بإبلهم ، والجمالون بجمالهم عن تلك الناحية ، ولا يستلکها^(٤)
 صاحب دابة ، ويقول بعضهم لبعض : بادروا قبل حركة الذبان ، وقبل
 أن تتحرك ذبان^(٥) الرياض والكلا !

والزناير لا تسكاد تدمي^(٦) إذا لسعت بأذنانها . والذبان تغمس
 خراطيمها في جوف لحوم الدواب ، وتخرق الجلود الغلاظ حتى تنزف الدم
 نزفا . ولها مع شدة الرقع سموم . وكذلك البعوضة ذات سم ، ولو زيد
 ١١٠ في بدن البعوضة وزيد في حرقه لسعها إلى أن يصير بدنها كبदन الجرارة^(٧) -
 فإنها أصغر العقارب^(٨) - لما قام له شيء ، ولكان أعظم بليّة من الجرارة

(١) الدبر ، بالفتح : جماعة النحل والزناير . ويقال بالكسر أيضاً .

(٢) س : « تمش » محرفة .

(٣) ل : « ولذلك ينصرف الرعاة » .

(٤) س : « يستلکها » .

(٥) جاء في ط ، س : « الذباب » و « ذباب » .

(٦) ط ، س « ترمي » وصوابه في ل .

(٧) الجرارة سبق تفسيرها في ص ٣٣٣ . ط : « الجرادة » وصوابها في ل ، س .

(٨) كذا الصواب في ل . وفي ط ، س : « أصغر من العقارب » .

النصيبية^(١) أضعافاً كثيرة . وربما رأيت الحمار وكأنه مُمَغَّر^(٢) أو معصفر .
ولأنهم^(٣) مع ذلك ليجلّلون حُرْمَهُمْ وَيُبْرِقِعُونَهَا ، وما يَدْعُونَ موضعاً إلاَّ
ستروه بجهدهم ، فربّما رأيت الحمير وعليها الرّجال [فيما بين عبّدى^(٤)
والمذار^(٥)] بأيديهم المناخس والمذاب^(٦) ، وقد ضربت بأنفسها الأرض^(٧)
واستسلمت للموت . وربما رأيت صاحب الحمير^(٨) إذا كان أجيراً يضربها
بالعصا بكلّ جهده ، فلا تنبعث .

وليس لجلد البقرة والحمار والبعير عنده خطر . ولقد رأيت ذُباباً سقط
على سالفة^(٩) حمار كان تحتي ، فضرب بأذنيه ، وحرك رأسه بكلّ

(١) ط : « الجرادة النصيبية » ، وتصحيحها من ل ، س . والنصيبية : نسبة إلى
نصيبين ، وهى مدينة من بلاد الجزيرة ، كما ذكر ياقوت . قالوا : وسبب كثرة
العقارب بها أن كسرى أنوشروان كان حاصرها فاستعصت عليه ، فأمر
أن تجمع له العقارب من قرية تسمى طيرانشاه ، فرماهم بها فى العرادات والقوارير ،
فتملاً القارورة وتدفع بالعرادة ، فإذا وقعت انكسرت فتخرج العقارب ، حتى ضج
أهلها وأسلموا له الأمر .

(٢) منغر : مصبوغ بالمغرة ، وهى بالفتح وبالتحريك : صبغ أحمر طينى ، وأجوده ما كان
من مصر . ط ، س : « منعر » ، ل : « منغر » وصوابه ما أثبت .

(٣) ط : س : « فإنهم » .

(٤) عبّدى ، كما فى معجم البلدان : اسم مصنعة كانت برستاق كسكر ، خرّبها العرب
وبقى اسمها على ما كان حولها من العمارة .

(٥) المذار ، بالذال : مدينة بين واسط والبصرة .

(٦) ما بعد المعقّفين ساقط من ل .

(٧) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(٨) ل : « المسكارى » . والمسكارى : الذى يكرّيك دابته . والكرا : الأجرة .

(٩) السالفة : ماتقدم من العنق .

جهده^(١) ، [و^(٢)] أنا أتأمله وما يقلع عنه ، فعمدْتُ بالسَّوطِ لأُحْيِيَهْ به^(٣) .
فنزاه عنه ، ورأيت مع نزوهٍ عنه الدَّم^(٤) وقد انفجر ؛ كأنَّه كان يشرب
الدَّم وقد سدَّ المخرج بفيه ، فلمَّا نَحَاه طلع .

(ونيم الذباب)

وتزعمُ العامَّةُ أَنَّ الذَّبَّانَ يَخْرَأُ [عَلَى] ماشاء^(٥) قالوا : لأنَّا نراه يخْرَأُ
عَلَى الشَّيْءِ الْأَسْوَدِ أَبْيَضَ ، وَعَلَى الْأَبْيَضِ أَسْوَدَ .

ويقال قد ونمَ الذَّبَابُ - في معنى خرى الإنسان - وعَرَّ الطَّائِرُ^(٦) ،
وصام النَّعَامُ ، وَذَرَقَ الْحِمَامُ . قال الشاعر^(٧) :

وَقَدْ وَنَمَ الذَّبَابُ عَلَيْهِ حَتَّى كَأَنَّ وَنِيْمَهُ نَقْطُ الْمِدَادِ^(٨)

وليس طولُ كَوْمِ البعيرِ إذا ركب النَّاقَةَ ، والخنزيرِ إذا ركب الخنزيرة ،
بأطولَ ساعةٍ من لَبِثِ ذَكُورَةٍ^(٩) الذَّبَّانِ عَلَى ظُهُورِ الْإِنَاثِ عِنْدَ السَّفَادِ .

(١) كذا في ل . وفي ط ، س : « وحك رأسه بكل جهة » .

(٢) الزيادة من ل ، س .

(٣) ل : « وما يقلع عنه الذباب فلما طراد ذلك يطرده عنه قصدت بالسوط لأُحْيِيَهْ به » .

(٤) كذا في ط ، س . وبדله في ل : « فغ نزوعه عنه نزا الدم » .
نزا : وثب .

(٥) ل : « على ماشاء » ، فتكون « ما » مصدرية .

(٦) كذا على الصواب في ل ، س . وفي ط « عرا » .

(٧) هو الفرزدق ، ذكر ذلك أبو العباس المبرد . الاقتضاب ٣٤٩ .

(٨) يروى : « لقد ونم » كما في المخصص (٨ : ١٨٦) ، وأدب الكاتب
١٣٤ والاقتضاب .

(٩) الذكورة : الذكور . ط : « ذكور » .

(تخلق الذباب - ٢ -)

والذباب من الخلق الذى يكون مرة من السّفاد والولاد^(١) ، ومرة من تعفن الأجسام والفساد الحادث فى الأجرام .

والباقلاء^(٢) إذا عتق شيئا فى الأنبار^(٣) استحال كله ذباباً^(٤) ، فربما أغفلوه فى تلك الأنبار فيعودون إلى الأنبار وقد تطاير من الكوى والحروق فلا يجدون فى الأنبار إلا القشور .

والذباب الذى يخلق من الباقلاء يكون دوداً ، ثم يعود ذباباً . وما أكثر ما ترى الباقلاء مثقباً فى داخله شيء كأنه مسحوق ، إذا كان الله قد خلق منه الذبان وصيره^(٥) . وما أكثر ما تجده فيه تام الخلق . ولو^(٦) تم جناحاه لقد كان طار .

(١) الولاد - بالكسر - أحد مصادر ولد يلد . ط ، س : « والولادة » .

(٢) الباقلى ، بكسر القاف وتشديد اللام وتخفف ، والباقلاء مخففة ممدودة هى الفول . هذه هى الباقلاء النبطية ، وأما الباقلاء المصرية فهى الترمس . والأولى هى المرادة ؛ لارتباط العراقيين بالأنباط .

(٣) الأنبار : بيوت الطعام التى يختزن فيها ، واحدها نبر بالفتح ؛ سميت بذلك لأن الطعام إذا وضع فيها انتبر : أى ارتفع . ومنه المنبر لارتفاعه . ط ، س : « الأقباء » فى كل موضع ترد فيه هذه الكلمة .

(٤) ل : « ذباناً » .

(٥) كذا فى ل . وفى ط ، س : « خلق فيه الذباب وطيره منه » .

(٦) ل : « ولم » تحريف .

(حديث شيخ عن تخلق الذباب)

وحدثني بعض أصحابنا عن شيخٍ من أهل الحَرِيبَةِ^(١) قال : كنت أحبُّ الباقلاء ، وأردت ، إمَّا البَصْرَةَ وإمَّا بغداد - ذهب عني حفظه - فصرتُ في سفينةٍ جَملها باقلاء ، فقلت في نفسي : هذا والله من الحظِّ وسعادة الجَدِّ ، ومن التَّوفيقِ والتَّسديدِ ، ولقد أربِع من وَقَع له مثل هذا^(٢) الذي [قد] وقع لي : أجلسُ في هذه السفينة على هذا الباقلاء ، فأكلُ ١١١ منه نِيًّا^(٣) ومطبوخًا ، ومقلَّوًا ، وأرضُ بعضَه وأطحنه^(٤) ، وأجعلُه مرقًا^(٥) وإدامًا ، وهو يَغْدُو^(٦) غداءً صالحًا ، ويُسَمِّنُ ، ويزيدُ في الباه^(٧) . فابتدأتُ فيما أَمَلْتُهُ ، ودفعنا السَّفِينَةُ ، فَأَنْكَرْتُ كَثْرَةَ الذَّبَّانِ . فلما كان الغدُ جاء منه ما لم أَقدِرْ معه على الأكلِ والشربِ . وذهبتِ القائلة وذهب الحديث ، وشُغِلْتُ بالذَّبِّ . على أَنَّهُمْ لَمْ يَكُنْ يَبْرَحَنَّ بِالذَّبِّ ، وَكَنَّ^(٨)

(١) الحَرِيبَةُ بالتصغير : موضع بالبصرة . ط ، س : « الجزيرة » وليس بشيء .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من ل . وأربِع : أخصب . ط ، س : « ربح » .

(٣) مسهل « نِيًّا » . واليَاء ، بالكسر : الذي لم ينضج .

(٤) الرض : الدق . س : « أحسنه » موضع « أطحنه » ، ولم أجده بمعنى الطحن ، وإن كان معروفًا في عاميتنا المصرية بمعنى الطحن .

(٥) س : « مذاقًا » .

(٦) كذا في س . وفي ل ، ط : « يَغْدُو » .

(٧) يقال الباه والباة : وفي الحديث : « من استطاع منكم الباءة فليتزوج » . جاء

في س : « الباءة » ، وفي ل : « يزيلني الماء » .

(٨) ط : « ولن » وتصحيحه من ل ، س .

أَكْثَرَ مِنْ أَنْ أَكُونَ أَقْوَى عَلَيْهِنَّ ؛ لِأَنِّي كُنْتُ لَا أُطْرِدُ مَائَةً حَتَّى يَخْلِفَهَا مَائَةٌ مَكَانَهَا . وَهُنَّ فِي أَوَّلِ مَا يَخْرُجْنَ مِنَ الْبَاقِلَاءِ كَأَنَّ بَهَنَ زَمَانَةً^(١) فَلَمَّا كَانَ طَيْرَانَهُنَّ أَسْوَأَ [كَانَ أَسْوَأَ]^(٢) لِحَالِي ، فَقُلْتُ لِلْمَلَّاحِ : وَيْلَكَ ! أَيُّ شَيْءٍ مَعَكَ حَتَّى صَارَ الذِّبَانُ يَتْبَعُكَ ! قَدْ وَاللَّهِ أَكَلْتُ وَشَرِبْتُ ! قَالَ : [أ] وَلَيْسَ تَعْرِفُ الْقِصَّةَ ؟ قُلْتُ : لَا وَاللَّهِ ! قَالَ : [هِيَ وَاللَّهِ] مِنْ هَذِهِ الْبَاقِلَاءِ ، وَلَوْلَا هَذِهِ الْبَلِيَّةُ لَجَاءَنَا^(٣) مِنَ الرُّكَّابِ كَمَا يَجِيئُونَ إِلَى جَمِيعِ أَصْحَابِ الْحُمُولَاتِ^(٤) . وَمَا ظَنَنْتُهُ^(٥) إِلَّا مِنْ قَدْ اغْتَضَرَ [هَذَا] لَلِّينِ الْكِرَاءِ ، وَحُبُّ التَّفَرُّدِ بِالسَّفِينَةِ . فَسَأَلْتُهُ أَنْ يَقْرِبَنِي إِلَى بَعْضِ الْفُرُصِ^(٦) ، حَتَّى أَكْتَرِيَ مِنْ هُنَاكَ إِلَى حَيْثُ أُرِيدُ ، فَقَالَ لِي : أَتَحِبُّ أَنْ أَزُودَكَ مِنْهُ ؟ قُلْتُ : مَا أَحَبُّ أَنْ أَلْتَقِيَ أَنَا وَالْبَاقِلَاءَ فِي طَرِيقٍ أَبَدًا !

(مِنْ كَرِهِ الْبَاقِلَاءِ)

وَلِذَلِكَ كَانَ أَبُو شَمْرٍ^(٧) لَا يَأْكُلُ الْبَاقِلَاءَ ، وَكَانَ أَخَذَ ذَلِكَ عَنْ مَعْلَمِهِ مَعْمَرِ أَبِي الْأَشْعَثِ^(٨) . وَكَذَلِكَ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُسْلِمَةَ بْنِ مُحَارِبٍ وَالْوَكَيْعِيُّ ، وَمُعَمَّرٌ ، وَأَبُو الْحَسَنِ الْمَدَائِنِيُّ ، بِرَهَةٍ مِنْ دَهْرِهِمْ .

(١) الزمالة ، بالفتح : العاهة والآفة .

(٢) التكاة من ل ، س .

(٣) ط : « لَجَأْنَا » وصوابه في ل ، س .

(٤) كَذَا فِي ل . وَفِي ط ، س : « إِلَى أَصْحَابِنَا » .

(٥) ط ، ل : « وَمَا أَظُنُّكَ » .

(٦) الْفُرْصُ : جَمْعُ فُرْصَةٍ بِالضَّمِّ ، وَهِيَ مَحْطُ السَّفِينَةِ . ل : « الْقَرَى » .

(٧) أَبُو شَمْرٍ هَذَا أَحَدُ أُمَّةِ الْقَدَرِيَّةِ الْمُرْجُتَةِ . وَآرَاؤُهُ فِي الْفَرْقِ بَيْنَ الْفَرْقِ ١٩٠ — ١٩٤ .

قَالَ فِيهِ الْجَاهِظُ : « وَكَانَ شَيْخًا وَقُورًا وَزَمِيمًا رَكِينًا » ، وَكَانَ ذَا تَصَرُّفٍ فِي الْعِلْمِ ،

وَمَذْكُورًا بِالْفَهْمِ وَالْحِلْمِ . الْبَيَانُ (١ : ٩١) . وَضَبَطَهُ السَّمْعَانِيُّ ٣٣٨ بِكسر الشين وسكون

الميم ، ومرة أخرى بكسر الشين وتشديد الميم المفتوحة .

(٨) معمر هذا أحد أئمة الاعتزال ، وكان من تلاميذه أبو الحسن المدائني ، وحفص الفرد =

وكان يقول : لولا أَنَّ الباقلاء عَفِنَ فاسدُ الطَّبعِ ، ردىءٌ يَحْتَرِ الدَّمَ
ويغلظُهُ ويورث السَّوداءَ وكلَّ بلاءٍ — لما وَلَدَ الذَّبَّانُ . والذَّبَّانُ أَفْذَرُ ما طار
ومشَى ! وكان يقول : كلُّ شَيْءٍ يَنْبَت منكوساً فهو ردىءٌ للذهن ، كالباقلَاء
والباذنجان .

وكان يزعم أَنَّ رجلاً هرب من غرمائه فَدَخَلَ فِي غَابَةِ باقلَاء ، فَتَسَتَّرَ
عَنهم بها ، فَأَرَادَ بَعْضُهُمْ إِخْرَاجَهُ وَالدُّخُولَ فِيهَا لَطْلِبِهِ ، فَقَالَ : أَحْكَمَهُمْ
وَأَعْلَمَهُمْ : كَفَاكُمْ لَهُ بِمَوْضِعِهِ شَرًّا !

وكان يقول : سمعت ناساً من أَهْلِ التَّجَرُّبَةِ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ : إِنَّهُ ^(١)
ما أَقَامَ أَحَدٌ أَرْبَعِينَ يَوْماً فِي مِنبَتٍ باقلَاءٍ وَخَرَجَ مِنْهُ إِلَّا وَقَدْ أُسْقِمَهُ سُقْمًا
لَا يَزِيلُ جِسْمَهُ .

وزعم أَنَّ الَّذِي مَنَعَ أَصْحَابَ الْأُذْهَانِ ^(٢) وَالتَّرِييَةَ بِالسَّمْسِمِ مِنْ أَنْ يَرْبُوا
السَّمَامِيسَ ^(٣) بَنَوُ الرِّبَاقِلَاءِ ، الَّذِي ^(٤) يَعْرِفُونَ مِنْ فسادِ طَبْعِهِ ^(٥) ، وَأَنَّهُ ^(٦) غَيْرُ

= ومعمر ، وأبو بشر ، وأبو بكر الأصب ، وأبو عامر عبد الكريم بن روح . فهرست
ابن النديم ١٤٧ مصر ١٠٠ ليسك . وذكر فيه باسم معمر بن الأشعث . لكن اتفاق
نسخ الحيوان على أنه أبو الأشعث ، ووروده ثلاث مرات في الجزء الأول من البيان
برسم أبي الأشعث ، يرجح كتابته كما أثبت .

(١) هذه ساقطة من ل .

(٢) ط ، س : « الأذهان » . والذهن بكسر الهمزة : الشحم .

(٣) السماسم ضبط في نسخ القاموس بضم السين ، وفسره بأنه طائر . قال شارحه :
« كذا هو بالضم في النسخ وصوابه بالفتح » . قلت : يظهر أنها هي « السمام »
واحدته سامة ، وهو طائر من الخطاطيف ، ومن أسمائه عصفور الجنة . انظر معجم
المعلوف ٢٤١ .

(٤) س : « الذين » ، تحريف .

(٥) ل : « طباعه » والطباع والطبع بمعنى ، يقال : هو ذو طباع حسن .

(٦) س : « فانه » .

مأمون على الدماغ وعلى الخيشوم والسماخ^(١) ، ويزعمون أن عمله [الذى عمله هو^(٢)] القصد إلى الأذهان بالفساد^(٣) .

وكان يزعم أن كل شئ^(٤) يكون رديئا^(٥) للعصب فإنه يكون رديئا للذهن ، ، وأن البصل [إنما كان] يفسد الذهن ؛ إذ كان رديئا للعصب ، [وأن البلاذر^(٦)] إنما صار يصلح العقل ويورث الحفظ ؛ لأنه صالح للعصب [.

وكان يقول : سواء على أكلت الذبان أو أكلت شيئا لا يولد إلا الذبان ، وهو لا يولد له [إلا هو] . والشئ لا يلد الشئ إلا وهو أولى الأشياء ١١٢ به ، وأقربها إلى طبعه^(٧) ، وكذلك جميع الأرحام ، وفيما ينتج أرحام الأرض^(٨) وأرحام الحيوان ، وأرحام الأشجار ، وأرحام الثمار ، فيما يتولد منها وفيها^(٩) .

(١) السماخ بالكسر : خرق الأذن ه جاء فى ط : « السماخ » ، وهما لفتان .

(٢) الزيادة من س .

(٣) ل : « الفصد » بدل « القصد » ، وهو تصحيف . وفيها أيضا : « إلى الذهن بالإفساد له » .

(٤) كذا فى ل . وفى ط ، س : « أن كل شئ ردىء » .

(٥) ط ، س : « رديا » بالتسهيل .

(٦) البلاذر ، ويقال البلاذر ، لفظه هندي . وهو ثمرة لونها إلى السواد على لون القلب وفى داخلها مادة إسفنجية بها شئ شبيه بالدم . ومن أسمائه : تمر الفؤاد ، وحب الفهم ، وثمر الفهم . وذكروا أنه يقوى الحفظ ، ولكن الإكثار منه يؤدى إلى الجنون . وانظر قصة تتعلق به فى الألفاظ الفارسية لأدى شير ص ٢٥ .

(٧) ل : « من طبعه » .

(٨) ل : « فيما تنتج من أرحام الأرض » .

(٩) « وأرحام الثمار . . الخ ساقط من ل .

(حديث أبي سيف المروور)

وبينما أنا جالسٌ يوماً في المسجد مع فتّيانٍ من المسجدين^(١) مما يلي أبواب بني سليم ، وأنا يومئذٍ حدث السن^(٢) إذ أقبلَ أبو سيف^(٣) المروور — وكان لا يؤذى أحداً ، وكان كثير الظرف من قوم سراة — حتى وقف علينا ، ونحن نرى في وجهه أثر الجِدِّ ، ثم قال مجتهداً : والله الذي لا إله إلا هو إن الخُرءَ حلّو . ثم والله الذي لا إله إلا هو [إنَّ الخُرءَ حلّو . ثم والله الذي لا إله إلا هو إنَّ الخُرءَ حلّو] ، يميناً بآتة^(٤) يسألني الله عنها يوم القيامة ! فقلت له : أشهد أنك لا تأكله ولا تذوقه ، فمن أين علمت ذلك ؟ فإن كنت علمت أمراً فعلّمنا ممّا علمك الله . قال : رأيت الذبّان يسقط على النبيذ^(٥) الحلّو ، ولا يسقط على الحازر^(٦) ، ويقع على العسل ولا يقع^(٧) على الخلّ ، وأراه على الخُرء أكثر منه على التّمّر . أفتريدون حُجّةً أبين من

(١) المسجديون : طائفة كانت تلتزم المسجد الجامع بالبصرة والكوفة . انظر حواشي البيان

١ : ٢٤٣ .

(٢) ل : « وأنا يومئذٍ حدث » .

(٣) ل ، س : « أبو يوسف » ، وما أثبت من ط أشبه بأنباذ المروورين .

(٤) بآتة : قاطعة . ط ، س : « ثانية » ، وهو تحريف .

(٥) ط : « النبيذ » ، وتصحيحه من ل ، س . وفي س : « تسقط » في هذه الجملة ولاحقها .

(٦) الحازر : الخامض الشديد الطعم . ط ، س : « الحاز » محرف .

(٧) س : « تقع » ، في الموضعين .

هذه ^(١) ؟ فقلت : يا أبا سَيْفٍ ^(٢) بهذا وشبهه يُعرفُ فضلُ الشَّيْخِ عَلَى الشابِّ .

(تخلق بمض الحيوان من غير ذكر وأنثى)

ثُمَّ رَجَعَ بنا القول إلى ^(٣) ذكر خلق الذُّبَاب من الباقلاء . وقد أنكر ناسٌ من العوامِّ وأشباهِ العوامِّ أن يكونَ شيءٌ من الخلق كانَ من غير ^(٤) ذكرٍ وأنثى . وهذا جهلٌ بشأنِ العالمِ ، وبأقسامِ الحيوان . وهم يظنُّون أنَّ على الدِّين من الإقرار بهذا القول مضرَّةٌ . وليس الأمر ^(٥) كما قالوا . وكلُّ قولٍ يكذِّبه العِيَانُ فهو أفحش ^(٦) خطأً ، وأسَخَفُ مذهباً ، وأدْلُ على معاندةٍ شديدةٍ أو غفلةٍ مفرطةٍ .

وإنْ ذهب الدَّاهِبُ إلى أن يقيس ذلك ^(٧) على مجازِ ظاهرِ الرَّأْيِ ،

(١) ل : « هذا » .

(٢) كذا في س ، ط . وانظر التنبيه الثالث من الصفحة السابقة . وفي ل : « أبا يوسف » .

(٣) ط : س : « في » .

(٤) ل : « نحن » ، وهو تحريف .

(٥) ط ، س : « القول » .

(٦) كلمة : « فهو » ساقطة من ل . و « أفحش » هي في ط ، س : « فحش » تحريف .

(٧) س : « على أن يقيس ذلك » . ط : « إلى أن لا يقيس ذلك » ، والأخيرة محرفة .

دونَ القطعِ على غيبِ حقائقِ العللِ ، فأجرّاهُ في كلِّ شيءٍ - قال قولاً^(١) يدفعه المِعيانُ أيضاً ، مع إنكارِ الدّينِ له .

وقد علمنا أنّ الإنسانَ يأكلُ الطّعامَ ويشربُ الشرابَ ، وليس فيهما حيّةٌ ولا دودةٌ ، فيُخلَقُ منها^(٢) في جوفِهِ ألوانٌ من الحَيّاتِ ، وأشكالٌ من الدّيدانِ من غيرِ ذكرٍ ولا أنثى . ولكنْ لا بدَّ لذلكِ الوِلادِ واللقاحِ من أن يكونَ عن تناكحِ طِباعٍ^(٣) ، وملاقةِ أشياءٍ تشبه بطباعها الأرحامَ ، وأشياءٍ تشبه في طبائعها ملقّحات^(٤) الأرحامِ .

(استطراد لغوى بشواهد من الشعر)

وقد قال الشاعر :

فاستَنكَحَ اللَّيْلَ البَهِيمَ فَأَلْقَحَتْ^(٥) عن هَيْجِهِ وَاسْتَنْجَتْ أَحْلَامًا^(٦)

وقال الآخر :

وَإِذَا الْأُمُورُ تَنَاقَحَتْ فَالْجُودُ أَكْرُمُهَا نِتَاجًا

(١) « قال قولاً » هو جواب الشرط . وفي ط ، س : « وقال قولاً » ، والوجه حذف الواو .

(٢) كذا على الصواب في ل . وفي ط ، س : « منها » .

(٣) ل : « طبائع » .

(٤) ط : « ملاقات » محرفة . ل : « في طباعها » .

(٥) الليل البهيم : الشديد الظلمة . ل ، س : « وألقحت » .

(٦) ل : « واستفتحت » ، والوجه ما أثبت من ط ، س . والمراد بالأحلام الرؤى .

وقال ذو الرُّمَّة :

وَلَمَّا لَمِدَ الدَّلَاجُ إِذَا مَا تَنَاقَحَتْ مَعَ اللَّيْلِ أَحْلَامُ الْهَدَانِ الْمَثْقَلِ (١) ١١٣

وقال عليُّ بن مُعَاذٍ (٢) :

لَلْبَدْرِ طِفْلٌ فِي حِصَانِ (٣) الْهَوَا مُسْتَزَلِقٌ مِنْ رَحِمِ الشَّمْسِ (٤)

وقال دُكَيْنُ الرَّاجِزِ (٥) ، [أو أبو محمد الفقعسي] :

وَقَدْ تَعَلَّتْ ذَمِيلَ الْعَنْسِ (٦) بِالسَّوْطِ فِي دَيْمُومَةٍ كَالْتَرَسِ (٧)

* إِذْ عَرَجَ اللَّيْلَ بَرُوجُ الشَّمْسِ (٨) *

وقال أُمِيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ :

وَالْأَرْضُ نَوَّحَهَا إِلَهُ طَرُوقَةً لِلْمَاءِ حَتَّى كُلُّ زَنْدٍ مُسْفَدٌ (٩)

(١) الهدان ، بالكسر : الأحق الثقيل .

(٢) علي بن معاذ : أحد شعراء الدولة العباسية ، وروى عنه الجاحظ في البيان والتبيين .

(٣) الحصان : مصدر حَضَنَ الطائر بيضه . ط ، ل : « حصان » بالمهمله ، صوابه في س . والهُوَا أصله الهَوَاء وقصر للشعر . وكتب في الأصل بالياء ، « الهوى » وصواب كتابته بالألف .

(٤) مستزلق : من أزلقت الفرس : إذا ألقت ولدها تاما . ط : « متزلق » س : « مسترق » .

(٥) تقدمت ترجمته في ٧٤ من هذا الجزء .

(٦) س : « تغللت » ! وانظر تحقيق هذا البيت في ص ٧٤ .

(٧) الديمومة : الفلاة الواسعة . ط : « كالدنس » وصوابه في ل ، س . والتَرَس هو ذلك الذي يتوق به المحارب . وجعل الفلاة كالترس في صلابتها .

(٨) انظر ما سبق في ص ٧٤ .

(٩) نوَّحها : أى أبركها . والطروقة ، بالفتح : أنثى الفحل . والزند : هو قرين الزندة ، ومنهما تقتدح النار . فالأول لا فجوة فيه ، وفي الزندة فجوة يدار فيها الزند فيظهر الشرر . والمسفد بفتح الفاء : الذى طلب السفاد فناله . وضبطت في اللسان بكسر الفاء ، وصوابه ما ذكرت . يقول : إن نظام التلاحق ليس خاصا =

وَالْأَرْضُ مَعْقِلَنَا وَكَانَتْ أَمَّنًا فِيهَا مَقَابِرُنَا وَفِيهَا نُولَدُ^(١)
وَذَكَرَ أُمِّيَّةَ الْأَرْضِ فَقَالَ :

وَالطُّوْطُ نَزَرَعُهُ فِيهَا فَتَلْبَسُهُ وَالصُّوْفُ نَجْتَرُهُ مَا أُرْدَفُ الْوَبْرُ^(٢)
هِيَ الْقَرَارُ فَمَا نَبْغِي بِهَا بَدَلًا مَا أَرْحَمَ الْأَرْضَ إِلَّا أَتْنَا كُفْرُ^(٣)
وَطَعَنَ اللَّهُ فِي الْأَعْدَاءِ نَافِذَةً تُعَيِّ الْأَطِبَاءُ لَا تَنْشَوِي لَهَا السُّبْرُ^(٤)
ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهَا فَقَالَ :

مِنْهَا خُلِقْنَا وَكَانَتْ أَمَّنًا خُلِقَتْ وَنَحْنُ أَبْنَاؤُهَا لَوْ أَتْنَا شُكْرُ^(٥)

= بِالْأَحْيَاءِ ، بَلْ نَرَاهُ أَيْضًا بَيْنَ الْأَرْضِ وَالْمَاءِ حَيْثُ يَتَغَلَّغِلُ فِيهَا ، وَنَجِدُهُ أَيْضًا بَيْنَ
الزَّنْدِ وَالزَّنْدَةِ الْيَابِسِينَ . وَهُوَ مَعْنَى شَعْرَى بَارِع . ط ، س : « زَبْد » تَصْحِيف .
س : « مَفْسَد » ، تَحْرِيف . وَهَذَا الْبَيْتُ فِي ل هُوَ الثَّانِي فِي التَّرْتِيبِ .
(١) كَذَا فِي ل وَالْجُزْءِ الْخَامِسِ ص ٤٣٧ وَالْمَخْصَصِ (١٣ : ١٨٠) . وَفِي ط ،
س : « نَوْد » .

(٢) الطُّوْطُ ، بِالضَّم : الْقَطَنُ ، أَوْ قَطْنُ الْبَرْدَى خَاصَّةً . وَأُرْدَفُ الْوَبْرُ : تَوَالِي وَتَتَابِعُ
ط ، س : « أَدْفًا » . وَرَوَايَةُ الْبَيْتِ فِي اللِّسَانِ هَكَذَا :

وَالطُّوْطُ نَزَرَعُهُ أَغْنَى جَرَاؤُهُ فِيهِ اللَّبَاسُ لِكُلِّ حَوْلٍ يَعْضُدُ
(٣) الْكُفْرُ ، بِضَمِّتَيْنِ : جَمْعُ كُفُورٍ بِمَعْنَى كَافِرٍ ، وَهُوَ يُقَالُ لِلْمَذْكَرِ وَالْمُؤَنَّثِ . ط :
« لَهَا بَدَلًا » .

(٤) السُّبْرُ : جَمْعُ سَبَّارٍ بِالْكَسْرِ ، وَهُوَ مَا يَقْدِرُ بِهِ غُورُ الْجِرَاحَاتِ ، وَهُوَ أَيْضًا الْفَتِيلَةُ
تَجْعَلُ فِي الْجِرْحِ . وَالْمَعْنَى يَتَجَهَّ بِكُلِّ مِمَّا . وَتَنْشَوِي : تَقِيْمُ وَتَسْتَقِرُّ . ط ، س :
« يَلَوِي » يُقَالُ لَوَى يَلَوِي : انْتَضَرُ وَتَحْبِسُ . وَكُلُّ مِمَّا مَتَجَهَّ ؛ فَإِنَّ الْمَعْنَى
أَنَّ تِلْكَ الطَّعْنَةَ لَشَدَّةِ مَا يَتَدَفَّقُ مِنْهَا مِنْ دَمٍ تَدْفَعُ بِمَا يَوْضَعُ فِيهَا دَفْعًا . وَمِثْلُهُ
قَوْلُ الْآخِرِ :

* تَرَدُّ عَلَى السَّابِرِ السَّبَاوَا *

وَقَوْلُهُ :

* تَرَدُّ السَّبَّارُ عَلَى السَّابِرِ *

(٥) الشُّكْرُ ، بِضَمِّتَيْنِ : جَمْعُ شُكُورٍ بِالْفَتْحِ .

(ما تستنكره العامة من القول)

وتقول العرب : الشمسُ أرحمُ^(١) بنا ! فإذا سمع السامعُ منهم أن جالينوسَ قال : عليكم بالبقلةِ الرحيمة - السَّلَقِ^(٢) - استشنعه السامع ، وإذا سمع قولَ العرب : الشمسُ أرحمُ بنا ، وقولَ أمية :
* ما أَرْحَمَ الأرضَ إلا أنَّا كُفِرُ *

لم يستشنعه ، وهما سواء . فإذا سمع أهل الكتاب يقولون : إنَّ عيسى ابن مريم أخذَ في يده النجني غُرْفَةً^(٣) ، وفي اليسرى كِسْرَةَ خبز^(٤) ، ثم قال : هذا أبي ، للماء ، وهذه أمي ، لكسرة الخبز^(٥) . استشنعه ، فإذا سمع قولَ أمية^(٦) :

والأرضُ نَوَّحَهَا الإله طُرُوقَةً للماء حتى كل زَنْدٌ مُسْفَدٌ لم يستشنعه . والأصل في ذلك أنَّ الزَّنَادِقَةَ أصحابُ ألفاظٍ في كتبهم ، وأصحابُ تهويل ؛ لأنهم حينَ عَدِمُوا المعاني ولم يكن عندهم فيها طائل ، مَالُوا إلى تكلف ما هو أَخْصَرُ وأيسرُ وأَوْجَزُ كثيرًا .

(١) انظر الحيوان ٥ : ١٠٢ .

(٢) ط ، س : « السَّلَقَة » .

(٣) الغرفة ، بالضم : مقدار ما يغترف المرء بيده . ل : « أخذ في يده كسرة خبز » .

(٤) هذه الجملة ساقطة من ل .

(٥) ط ، س : « هذا أبي وهذه أمي لكسرة الخبز والماء » .

(٦) انظر ما سبق من الكلام على هذا البيت ، في ص ٣٦٣ .

(حُظُوة طوائف من الألفاظ لدى طوائف من الناس)

ولكلِّ قَوْمٍ أَلْفَاظٌ حَظِيَّتْ عِنْدَهُمْ . وكذلك كلُّ بليغٍ في الأرض
١١٤ وصاحب كلامٍ منشور ، وكلُّ شاعرٍ [في الأرض ^(١)] وصاحب كلامٍ
موزون ؛ فلا بد من أن يكون قد لهج وألف ألفاظاً بأعيانها ؛ ليديرها في كلامه
وإن كان واسع العلم غزير المعاني ، كثير اللفظ . فصار حظُّ الزنادقة من
الألفاظ التي سبقت إلى قلوبهم ، واتصلت بطبائعهم ، وجرت على ألسنتهم
التناكح ، والتناجس ^(٢) ، والمزاج ، والثور والظلمة ، والدفاع والمناع ^(٣) ،
والساتر والغامر ، والمنحل ^(٤) ، والبطلان ، والوجدان ، والأثير والصدِّيق ^(٥)
وعمود السبح ^(٦) ، وأشكالاً من هذا الكلام . فصار ^(٧) وإن كان غريباً

(١) الزيادة من ل ، س . وانظر لنحو هذا البحث سر الفصاحة ٩٨ - ٩٩ .

(٢) ل : « والتناجس » .

(٣) ط ، س : « والبقاع » .

(٤) هذه ساقطة من ل .

(٥) الصديق يعنون به المؤمن الخالص بالإيمان ، وفي اعتقاد المانوية أن الصديق حين
يحتضر تحضره أربعة آلهة ، ومعهم ركوة ولباس وعصاة وتاج وإكليل النور ،
فيلبسونه التاج والإكليل ويعطونه الركوة بيده ، ويعرجون به في عمود السبح
إلى فلك القمر . وانظر بقية الكلام في الفهرست ٤٦٩ مصر ٣٣٥ ليسك .
ط : « الصداق » س : « الصدا » وصوابهما ما أثبت . وهذه الكلمة وسابقتها
ساقطتان من ل . وسبق في الجزء الأول ، ص ٧٥ برسم « الصنديد » وهذه
أيضاً من كلمات الزنادقة . انظر لها الفهرس ٤٦٣ مصر ، ٣٣١ ليسك .

(٦) السبح : يراد به العروج والصعود إلى السماء . وفي ذلك العمود الوهي ترتفع
التساييح والتقاديس والكلام الطيب وأعمال البر . ذلك ما قاله ماني . انظر الفهرست
٤٦١ مصر ٣٣٠ ليسك . في الأصل : « الصبح » وسبقت في الجزء الأول ص ٥٧
برسم « السنخ » ، وصوابه ما أثبت .

(٧) ط ، س : « نصا » وتصحيحه من ل .

مرفوضاً^(١) مهجوراً عند أهل ملتنا ودعوتنا ، وكذلك هو عند عوامنا
وجمهورنا ، ولا يستعمله إلا الخواص^(٢) وإلا المتكلمون .

(اختيار الألفاظ وصوغ الكلام)

وأنا أقول في هذا قولاً ، وأرجو أن يكون مرضياً . ولم أقل « أرجو »
لأنى أعلم فيه خللاً^(٣) ، ولكنى أخذتُ بآدابِ وجوهِ أهلِ دعوتى وملتى ،
ولغتى ، وجزيرتى ، وجيرتى ؛ وهم العرب . وذلك أنه قيل لصُحَّارٍ^(٤) العبدى :
الرجل يقول لصاحبه ، عند تذكيره أياديه وإحسانه^(٥) : أما نحنُ فإننا نرجو
أن نكونَ قد بلغنا من أداءِ مايجبُ علينا مبلغاً مرضياً . وهو يعلم أنه قد
وفاه حقه الواجب ، وتفضل [عليه] بما لايجب . قال مُحَّار : كانوا يستحبُّون
أن يدعُوا للقول متنفساً ، وأن يتركوا فيه فضلاً ، وأن يتجافوا عن حقِّ إن^(٦)
أرادوه لم يمنَعوا منه .

فلذلك قلت « أرجو » . فافهم فَهَمَكَ اللهُ تعالى .

(١) ط : « من فوضى » ، وصوابه في ل ، س .

(٢) ط ، س : « والخاص » . والكلام من كلمة « عند » الأولى ، إلى « هو »
ساقط من ل .

(٣) ل : « لأنى لا أعلم » .

(٤) صحار العبدى تقدمت ترجمته في (١ : ٩٠) .

(٥) كذا على الصواب في ل . وفي ط ، س : « ما يقول الرجل لصاحبه
عند تذكيره أياديه وإحسانه قال » .

(٦) ل ، « متى » .

فإن رأيت في هذا الضرب من هذا اللفظ ، أن أكون ما دمت في المعاني التي هي عبارتها ، والعادة^(١) فيها ، أن ألفت بالشئ العتيد^(٢) الموجود ، وأدع التكلف^(٣) لما عسى ألا يسلس ولا يسهل إلا بعد الرياضة الطويلة .

وأرى أن ألفت بألفاظ المتكلمين ما دمت خائضاً في صناعة الكلام مع خواص^(٤) أهل الكلام ؛ فإن ذلك أفهم [لهم] عنى^(٥) ، وأخف لمؤنهم^(٦) على .

ولكل صناعة ألفاظ قد حصلت لأهلها بعد امتحان سواها ، فلم تزل بصناعاتهم إلا بعد أن كانت مُشاكلاً بينها وبين تلك الصناعة .

وقبيح بالمشكلم أن يفتقر إلى ألفاظ المتكلمين في خطبة ، أو رسالة ، أو في مخاطبة العوام والتجار^(٩) ، أو في مخاطبة أهله وعبيده وأمته ، أو في حديثه إذا تحدث^(١٠) ، أو خبره إذا أخبر .

(١) كذا على الصواب في ل . وفي ط ، س : « والعبادة » .

(٢) العتيد : الحاضر المهيأ .

(٣) كذا على الصواب في ل . وفي ط ، س : « التكليف » .

(٤) ط ، س : « خاص » .

(٥) كذا على الصواب في س ، ل . وفي ط : « عندي » .

(٦) ط ، ل : « لمؤنهم » .

(٧) كذا على الصواب في ل . وفي ط ، س : « بضاعتهم » .

(٨) ط : « وبين تلك المعاني الصناعة » ، والوجه حذف « المعاني » كما في ل ، س .

(٩) ط : « الجار » تحريف .

(١٠) ط : « حدث » . ل : « أو في مجاورة أهله » .

وكذلك [فإنه] ^(١) من الخطأ أن يجلب ^(٢) ألفاظ الأعراب ، وألفاظ العوام وهو في صناعة الكلام داخل . ولكل مقام مقال ، ولكل صناعة شكل .

(خالق بعض الحيوان من غير ذكر وأنثى)

ثم رجع بنا القول إلى ما يحدث الله عز وجل من خلقه من غير ذكر ولا أنثى . فقلنا : إنه لا بد في ذلك من تلاقى أمرين يقومان مقام الذكر والأنثى ، ومقام الأرض والمطر . وقد تقرب الطبائع من الطبائع ، وإن لم ١١٥ تتحول في جميع معانيها ، كالنطفة ^(٣) والدم ، وكاللبن والدم . وقد قال صاحب المنطق : أقول بقول عام : لا بد لجميع الحيوان من دم ، أو من شيء ^(٤) يشاكل الدم . ونحن قد نجد الجيف يخلق ^(٥) منها الديدان ، وكذلك العذرة . ولذلك المجوسى كلما تبرز ذرّاً على برازه شيئاً من التراب ؛ لئلا يخلق منها

(١) الزيادة من ل ، س .

(٢) ط ، س : « يجلب » .

(٣) النطفة : ماء الرجل . ط ، س : « كالنطفة » ، وصوابه في ل .

(٤) ط ، س : « شكل » .

(٥) ل : « تخلق » .

ديدان^(١) . والمجوسى^(٢) لايتغوّط فى الآبار والبلاليع لأنّه بزعمه يُسكرم
بطنّ الأرض عن ذلك ، ويزعم أنّ الأرضَ أحدَ الأركان التى بُنيتِ
العوالمُ الخمسةُ عليها^(٣) بزعمهم : أبرسارس^(٤) وأبرمارس^(٥) وأبردس^(٦)
وكارس^(٧) وحريرة أمنة^(٨) . وبعضهم يجعل العوالم ستة ويزيد أسرس^(٩) ،
ولذلك لايدفنون موتاهم ولا يحفرون لهم القبور ، ويضعونهم فى النواويس
وضعا . قالوا: ولو استطعنا أنّ نخرج تلك الجيف من ظهور الأرضين وأجواف
الأحراز ، كما أخرجناها من بطون الأرضين^(١٠) لفعلنا . وهم يسمّون يوم القيامة
روز رستهار^(١١) ، كأنّه يوم تقوم الجيف .

فمن بُغضهم لأبدان الموتى سمّوها بأسمج أسمائهم^(١٢) . قالوا: وعلى هذا
المثال أعظمنا النار والماء^(١٣) ، وليسا بأحقّ بالتعظيم من الأرض .

(١) « ولذلك المجوسى » . . الخ ، ساقط من س . وفى ط : « وكذلك » .

(٢) ل : « ولذلك المجوسى » .

(٣) كذا فى س . وفى ط : « تنبت » محرفة . ل : « عليها يثبت
العوالم الخمسة » .

(٤) ط : « أبرسارس » وفى رسائل الجاحظ ١٠٨ ساسى : « أبرشارش » .

(٥) ط : « أبرمارس » وفى رسائل الجاحظ : « أبربارش » .

(٦) ابردس هى فى الرسائل : « ايددش » :

(٧) س : « كاومرة » .

(٨) كذا .

(٩) الكلام من مبدأ « أبرسارس » ساقط من ل . وانظر الاستدراكات .

(١٠) الأرضين : جمع أرض . ط ، س : « الأرض » فى الموضعين . والأحراز :
جمع حرز ، وهو المكان الحصين . ط . « الأحراز » س : « الأحرا »
ل : « الأجواء » ، ولعل الوجه فيه ما أثبت .

(١١) س : « روز سرهار » ، ط : « روز سهرهار » .

(١٢) ل : « أسمائها » .

(١٣) ل : « عظمنا الماء فالنار » .

وبعد فنحن ننزع الصّامة من رءوس الآنية التي يكون فيها بعض الشراب ، فنجد هنالك من الفراش ما لم يكن عن^(١) ذكر ولا أنثى ، وإنما ذلك لاستحالة بعض أجزاء الهواء وذلك الشراب إذا انضم عليه ذلك الوعاء^(٢) . وهذا قول ذى الرّمة وتأويل شعره ، حيث يقول :

وأبصرن أن القنّع صارت نطافه فَرَأَشاً وَأَنَّ الْبَقْلَ ذَاوٍ وَيَابِسٌ^(٣)
وكذلك كلُّ ما تخلق من بُحَّارِ النَّخْلَةِ وفيها^(٤) ، من ضروب الخلق والطّير ، وأشباه [الطير] ، وأشباه^(٥) بنات وردان ، والذي يسمّى بالفارسية فازو^(٦) ، وكالسوس ، والقوادح^(٧) ، والأرضة ، [وَبَنَاتِ وَرْدَانَ اللَّاتِي يَخْلُقْنَ مِنَ الْأَجْذَاعِ وَالْحَشَبِ وَالْحَشُوشِ^(٨) . وقد نجد الأزج^(٩) الذي يكبس فيه السيخ^(١٠) بخراسان ، كيف يستحيل كله ضفادع . وما الضفدع بأدّل على الله من الفراش .

(١) ط ، س : « عند » والوجه ما أثبت من ل .

(٢) ل : « وإنما ذلك استحالة » . ط : « إذا انضم » ، وصواب الأخيرة في ل ، س .

(٣) سبق شرح البيت في ص ٣٤٨ من هذا الجزء . وصدر البيت محرف في ط هكذا :
* وأبصرت أن النقع صارت لطافة *

(٤) ل : « وكذلك ما يخلق » . الخ .

(٥) ط ، س : « وأشباه ذلك » .

(٦) ط ، س : « وأن الذي » ، والوجه حذف « أن » كما في ل . و « فازو » هي في ط ، س : « تارداد » .

(٧) القوادح : جمع قادحة ، وهي الدودة . ل : « القوارح » محرفة .

(٨) الحشوش : جمع حش بالضم ، وهو بيت الخلاء .

(٩) الأزج . بالتحريك : بيت يبنى طولاً .

(١٠) اليخ : الثلج بالفارسية .

ولمَّا يستحيل ذلك الثلجُ إذا انفتح فيه كقدر منخر الثور ، حتَّى
تَدْخُلَهُ الرِّيحُ الَّتِي هِيَ اللَّاقِحَةُ ، كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ
لَوَاقِحَ ﴾ ، فَجَعَلَهَا لَاقِحَةً وَلَمْ يَجْعَلْهَا مَلْقَحَةً .

ونجد وسط الدهناء - وهى أوسع من الدَّوِّ ومن الصَّمَّانِ (١) - وعلى
ظهر مسجد الجامع (٢) فى غبِّ المطر من الضَّفَادِعِ مالا يُحصى عدده . وليس
أَنَّ ذلك كان عن ذكرٍ وأنثى ، ولكنَّ اللهَ خَلَقَهَا تِلْكَ السَّاعَةَ مِنْ طِبَاعِ
تِلْكَ التُّرْبَةِ . وذلك المطر وذلك الهواء الحِيطُ بِهِمَا ، وتلك الرِّيحُ المتحرِّكة .
ولمَّا زعموا أَنَّ تلك الضَّفَادِعَ كانت فى السَّحَابِ ، فالذى أقرُّوا به أعجبُ
من الذى أنكروه . ولمَّا تقيم الضَّفَادِعُ وتربِّي وتتوالَّدُ فى منافع المياه ،
وفى أرض تلاقى ماءً . والسَّحَابُ لا يوصف بهذه الصفة . قد نجد الماء يزيد
فى دِجْلَةٍ والفُرَاتِ فتنزُّ البطون والحفائر التى تليها من الأرض ، فيُخْلَقُ
من ذلك الماء السَّمَكُ الكثير ، ولم يكن فى تلك الحفائر الحدث (٣) ، ولا
فى بحر تلك الأرضين شئٌ من بيض السَّمَكِ .

ولم نجد أهل القاطول (٤) يشكُّون فى أَنَّ الفأر تخلَّقُ من أرضهم ، وأنَّهم
ربَّما أبصروا الفأرة من قبل أن يتم خَلْقُهَا . فنسبوا بأجمعهم خلق الفأر إلى
الذكر والأنثى ، وإلى بعض المياه والتُّرْبِ والأجواء والزمان ، كما قالوا
فى السمك ، والضَّفَادِعِ ، والعقارب .

(١) الدهناء : اسم لود فى بادية البصرة . واللُّو : أرض ملساء بين البصرة ومكة .

والصَّمان : بفتح الصاد ، أرض غليظة فيها ارتفاع قريبة من الدهناء

(٢) يقال المسجد الجامع ومسجد الجامع ، كما فى القاموس . والمراد به مسجد البصرة .

(٣) الحدث : واحد الأحداث ، وهى الأمطار الحادثة فى أول السنة .

(٤) قال يا قوت : نهر كان فى موضع سامرا قبل أن تعمّر .

(ضعف اطراد القياس والرأى فى الأمور الطبيعية)

فإن قاس ذلك قائسٌ فقال [١] : ليسَ بين [الذُّبَّانِ و] بناتِ وردان
و [بين] الزَّنَابِيرِ فرق ، ولا بين الزَّنَابِيرِ والدَّبَرِ والخنافس [٢] فرق ، [ولا بين
الزَّرَازِيرِ والخفافيش] ولا بين العصافير والزَّرَازِيرِ فرق : فإذا فرغوا من
خشاش الأرض صاروا إلى بغاثها ثم إلى أحرارها ، ثم إلى الطواويس
والتدارج [٣] والزمامج [٤] حتى يصعدوا إلى الناس . قيل لهم : ليس ذلك
كذلك ، [و] ينبغي لكم بدلياً أن تعرفوا الطَّبيعة والعادة ، والطبيعة
الغريبة [٥] من الطبيعة العامية [٦] ، والممكن من الممتنع ، وأنَّ
الممكن على ضربين : فنه الذى لا يزال يكون ، ومنه الذى لا يكاد
يكون ، وما علة الكثرة والقلة ، وتعرفوا [٧] أنَّ الممتنع أيضاً على
ضربين : فنه ما يكون لعلِّ موضوعة يجوز دفعها ، وما كان منه لعلِّ
لا يجوز دفعها [٨] ، [وفصل ما بين العلة التى لا يجوز دفعها] وهى على كل
حالٍ علة ، وبين الامتناع الذى لا علة له إلا عينُ الشيء وجنسه [٩] .

(١) إلى هنا تنتهى الزيادة التى ابتدأت من ص ٣٧١ س ٨ .

(٢) ل : « وعين الزنابير والخفافيش » ، والكلمة الأخيرة محرفة .

(٣) التدارج : جمع تدرج ، وهو طائر مليح مفرد . ط ، س : « التداريج » .

(٤) الزمامج : جمع زمج ، وهو من أنواع البزاة ، وفارسيته « دوبرادران » كما
فى القاموس .

(٥) بدل هاتين الكلمتين فى ط ، س : « الغريزة » تحريف .

(٦) المراد بالعامية العامة ، التى لا غرابة فيها ولا شذوذ .

(٧) ط ، س : « يعرفون » ل : « يعرفوا » ووجه ما أثبت .

(٨) هذه ساقطة من ل وفى ط : « للعلّة التى » .

(٩) ط ، س : « الذى لا علة له غير الشيء وجنسه » .

وَيَنْبَغِي أَنْ تَعْرِفُوا فَرْقَ مَا بَيْنَ الْحَالِ [و] الْمَمْتَنِعِ ، وَمَا يَسْتَحِيلُ كَوْنُهُ
مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ؛ وَمَا يَسْتَحِيلُ كَوْنُهُ مِنَ الْخَلْقِ .

وَإِذَا عَرَفْتُمُ الْجَوَاهِرَ وَحُظُوظَهَا مِنَ الْقَوَى ، فَعِنْدَ ذَلِكَ فَتَعَاظُوا الْإِنْكَارَ
وَالْإِقْرَارَ ، وَإِلَّا فَكُونُوا فِي سَبِيلِ الْمُتَعَلِّمِ ، أَوْ فِي سَبِيلِ [مِنْ ^(١)] آثَرِ
الرَّاحَةِ سَاعَةً عَلَى مَا يُوْرِثُ كَدُّ التَّعَلُّمِ مِنْ رَاحَةِ الْأَبَدِ . قَدْ يَكُونُ أَنْ يَجِيءَ
عَلَى جِهَةِ التَّوْلِيدِ شَيْءٌ ^(٢) يَبْعُدُ فِي الْوَهْمِ [مَجِيئُهُ ، وَيَمْتَنِعُ شَيْءٌ هُوَ أَقْرَبُ
فِي الْوَهْمِ ^(٣)] مِنْ غَيْرِهِ ؛ لِأَنَّ حَقَائِقَ الْأُمُورِ وَمَغْيِبَاتِ الْأَشْيَاءِ ، لَا تُرَدُّ إِلَى
ظَاهِرِ الرَّأْيِ ، وَلِنَمَّا يَرُدُّ إِلَى الرَّأْيِ مَا دَخَلَ فِي بَابِ الْحَزْمِ وَالْإِضَاعَةِ ^(٤)
وَمَا هُوَ أَصَوَّبُ وَأَقْرَبُ إِلَى نَيْلِ الْحَاجَةِ . وَلَيْسَ عِنْدَ الرَّأْيِ عِلْمٌ بِالنُّجْجِ
وَالْإِكْدَاءِ ^(٥) ؛ كَنَحْوِ مَجِيءِ ^(٦) الزُّجَاجِ مِنَ الرَّمْلِ ، وَامْتِنَاعِ الشَّبهِ وَالزُّبُقِ
مِنْ أَنْ يَتَحَوَّلَ فِي طَبْعِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ ^(٧) . وَالزُّبُقِ أَشْبَهُ بِالْفِضَّةِ الْمَايِعَةِ
مِنَ الرَّمْلِ بِالزُّجَاجِ الْفَرَعَوِيِّ ^(٨) . وَالشَّبهِ الدَّمَشْقِيُّ بِالذَّهَبِ الْإِبْرِيْزِ أَشْبَهُ مِنْ
الرَّمْلِ بِفَلَقِ ^(٩) الزُّجَاجِ النَّقِيِّ الْخَالِصِ الصَّافِي .

(١) الزيادة من ل ، س .

(٢) ط ، س : « قَدْ يَكُونُ أَوْ يَجِيءُ عَلَى جِهَةِ التَّوْلِيدِ شَيْءٌ » ، تَحْرِيفٌ .

(٣) الزيادة من ل ، س .

(٤) كَذَا فِي ل ، س . وَفِي ط : « الْجَزْمُ وَالْإِضَاعَةُ » بِحَرْفٍ .

(٥) النَّجْجُ بِالضَّمِّ : النَّجَاحُ . ط ، س : « بِالنَّصْحِ » بِحَرْفَةٍ . وَالْإِكْدَاءُ : الْخِيبةُ .

(٦) ط : س : « مَخَارِجُ » ، وَصَوَابُهُ فِي ل .

(٧) الشَّبهِ نَوْعَانِ : أَحَدُهُمَا طَبِيعِيٌّ يَكُونُ بِجِبَالِ أَصْهَانَ . وَالْآخَرُ صِنَاعِيٌّ يَأْخُذُ جُزْءَ
مِنَ النُّحَاسِ وَعَشْرَةَ مِنَ التُّوتِيَا يَطْعَمُهَا بِالسِّبْكِ بَعْدَ التَّنْقِيَةِ . عَنْ تَذْكَرَةِ دَاوُدَ .

(٨) الزُّجَاجُ الْفَرَعَوِيُّ : ضَرْبٌ مِنَ الزُّجَاجِ الصَّنَاعِيِّ ، تَجَدُّ صِفَتُهُ فِي تَذْكَرَةِ دَاوُدَ . وَانْظُرْ
الْإِسْتِدْرَاكَاتَ .

(٩) فَلَقٌ : جَمْعُ فَلَقَةٍ ، وَهِيَ الْقِطْعَةُ .

ومن العجب أنَّ الزُّجاجَ - وهو مولَّد - قد يجري مع الذهب في كثيرٍ
مفاخرِ الذهب ؛ إذ كان لا يغيّرُ طبعَهُ ماءً ولا أرضاً ؛ والفضّة التي ليستُ
بمولدة^(١) إذا دفنت زماناً غير طویلٍ استحالتُ أرضاً . فأما الحديد فإنّه
في ذلك سريعٌ غير بطيء .

وقد زعمَ ناسٌ أنَّ الفرقَ الذي بينهما إنما هو أنَّ كلَّ شيءٍ له في العالم
أصلٌ وخميرةٌ ، لم يكن كالشيء الذي يكتسب^(٢) ويحتلب ويلتق ويلزق ،
وأنَّ الذهب لا يخلو من أن يكون ركناً من الأركان فأنما منذ كان الهواء
والماء والنار والأرض . فإن كان كذلك فهو أبعد شيءٍ من أن يولّد الناسُ
مثله^(٤) . وإن كان الذهب إنما حدث في عمق الأرض^(٥) ، بأن يصادف
من الأرض جَوْهراً^(٦) ، ومن الهواء الذي في خلالها جوهراً . ومن
الماء الملايس لها جوهراً ، ومن النار المحصورة فيها جوهراً ، مع مقدار
من طول مُرور الزمان ، ومقدارٍ من مُقابلات البروج . فإن كان الذهب إنما
هُوَ نتيجة [هذه] الجواهرِ على هذه الأسباب^(٧) ، فواجب ألا يكون
الذهب أبداً إلا كذلك .

(١) ط ، س : « ليست بمولدة » ، ل : « والفضة مولدة » وجعلتها كما ترى .

(٢) ط : « يكتب » ، وصوابه في ل ، س .

(٣) كذا في ل ، س . وفي ط : « قديما » .

(٤) ل : « فهو أبعد للناس من أن يؤلفوا مثله » .

(٥) س : « في عين الأرض » .

(٦) ط : « جواهر أو » في المواضع الأربعة . وصوابه في ل ، س .

(٧) ل : « الأصناف » ! .

فيقال لهؤلاء : أرايتم الفأرة التي خلقت من صُلب جرذٍ ورحم فأرة ، وزعمتم أنها فأرة على ^(١) مقابلة من الأمور السماوية والهوائية والأرضية ، وكانت نتيجة هذه الحِصَال ، مع استيفاء هذه الصفات ^(٢) ؟ ألسنا قد ^(٣) وجدنا فأرة أخرى تهيأ لها من أرحام الأرضيين ، ومن حِصانة الهواء ، ومن تلقيح الماء ، ومن مُقابلات ^(٤) السماويات والهوائيات ، فالزَّمان أصار ^(٥) جميع ذلك سبباً للفأرة [أخرى] مثلها . وكذلك كلُّ ما عددها ^(٦) ١١٧ فن أين يستحيل أن يخلط الإنسان ^(٧) بين مائيةٍ طبيعية ومائيةٍ جوهريّة ^(٨) ؟ إمّا من طريق التباعد والتقريب ، ومن طريق الظُّنون والتجريب ، [أ] و من طريق أن يقع ذلك اتّفاقاً ، كما صنع النّاطف الساقط من يد الأجير في مُذاب الصُّفر ^(٩) حتى أعطاه ذلك اللون ، وجلب ذلك النّفع ^(١٠) ، ثم إنَّ

(١) س : « عن » .

(٢) ط : « مع استبقاء هذه صفات » ، وتصحيحه من ل ، س .

(٣) ط : « التصادف » ، وتصحيحه من ل ، س .

(٤) كذا على الصواب في ل . وفي ط ، س : « المقابلات » .

(٥) أصار : جعل . ل : « من الزمان ما صار » .

(٦) كذا على الصواب في ل . وفي ط ، س : « كلما عددها » .

(٧) ط : س : « يخلط إنسان » ، وصوابه في ل .

(٨) ط ، س : « مائية » ، وصوابه في ل .

(٩) الناطف : ضرب من الخلوى يصنع من اللوز والجوز والفستق ، ويسمى أيضاً القبيطى والقباطى والقبيط — بضم القاف وتشديد الباء فيهن — والقبيطاه كحميراء . انظر القاموس واللسان مع الألفاظ الفارسية ١٢٣ وحاشية الصبان على شرح الأشوفى للألفية (٤ : ٨٨) وحواشى تهذيب الصحاح (نطف) . والصفر ، بالضم : النحاس .

(١٠) ل : « البقع » .

الرَّجَالَ دَبْرَتَهُ وَزَادَتْ وَنَقَصَتْ ، حَتَّى صَارَ شَبَّهًا ذَهَبِيًّا . هَذَا مَعَ النَّوْشَاذِرِ الْمَوْلُودِ مِنَ الْحَجَارَةِ السُّودِ ^(١) .

فَلَوْ قُلْتُمْ : إِنَّ ذَلِكَ قَائِمٌ الْجَوَازِ فِي الْعَقْلِ ^(٢) مَطْرَدٌ فِي الرَّأْيِ ، غَيْرِ مُسْتَحِيلٍ فِي النَّظَرِ ^(٣) . وَلَكِنَّا وَجَدْنَا الْعَالَمَ بِمَا فِيهِ مِنَ النَّاسِ مِنْذُ كَانَ فَإِنَّ النَّاسَ يَلْتَمِسُونَ [هَذَا] وَيَنْتَصِبُونَ لَهُ ^(٤) ، وَيَكْلَفُونَ بِهِ . فَلَوْ كَانَ هَذَا الْأَمْرُ يَجِيءُ مِنْ وَجْهِ الْجَمْعِ وَالتَّوْلِيدِ ^(٥) وَالتَّرَكِيبِ [وَالتَّجْرِبِ ، أ ^(٦)] وَ مِنْ وَجْهِ الْإِتْفَاقِ ، لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ قَدْ ظَهَرَ مِنْ أَلُوفِ سِنِينَ وَأَلُوفٍ ؛ إِذْ كَانَ هَذَا الْمَقْدَارُ أَقَلَّ مَا تَوَرَّخَ بِهِ الْأُمَمُ ، وَلَكَانَ ^(٧) هَذَا مَقْبُولًا غَيْرَ مُرَدُّودٍ . وَعَلَى أَنَّهُ لَمْ يَتَبَيَّنْ لَنَا مِنْهُ أَنَّهُ يَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ الذَّهَبُ إِلَّا مِنْ حَيْثُ وَجَدَ ^(٨) . وَلَيْسَ قُرْبُ كَوْنِ الشَّيْءِ فِي الْوَهْمِ بِمَوْجِبٍ لِكُونِهِ ، وَلَا بَعْدُهُ فِي الْوَهْمِ بِمَوْجِبٍ لَامْتِنَاعِهِ .

وَلَوْ أَنَّ قَائِلًا قَالَ : إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ ^(٩) [إِذْ] قَدْ يَحْتَاجُ إِلَى أَنْ تَهَيَّأَ لَهُ طِبَاعُ الْأَرْضِ ، وَطِبَاعُ الْمَاءِ ، [وَطِبَاعُ الْهَوَاءِ] ، وَطِبَاعُ النَّارِ ، وَمَقَادِيرُ حَرَكَاتِ

(١) النَّوْشَاذِرِ ، كَذَا جَاءَ بِالذَّالِ الْمَعْجَمَةِ . وَانْظُرْ مَا سَيَأْتِي فِي ٥ : ٣٤٩ ط ، س : « وَالْحَجَارَةُ السُّود » .

(٢) ل : « الْقَائِمُ الْجَوَازِ » . ط ، س : « قَائِمُ الْجَوْهَرِ فِي الْعَقْلِ » ، وَجُمِعَتْ بَيْنَهُمَا .

(٣) ل : « الْعَقْل » .

(٤) ل : « وَيَنْتَصِبُونَ لَهُ » .

(٥) ط ، س : « وَالتَّفْرِيقِ » ، وَالْأَشْبَهُ مَا أُثْبِتَ مِنْ ل .

(٦) الزِّيَادَةُ مِنْ ل ، س .

(٧) ط ، س : « وَكَانَ » .

(٨) ل : « وَجْه » ، مُحَرَفَةٌ .

(٩) ل : « الْأَصْل » .

الفلك ، ومقدارُ من طول الزمان . فتى لم تجتمع هذه الخصالُ وتكُمُل هذه الأمور لم يتمَّ خلق الدَّهَب . وكذلك قد يستقيم أن يكون قد تهيأ لواحدٍ أن يجمع بين [مائتي] شكلٍ [من] الجواهرِ ، فزجها على مقاديرَ ، وطبخها على مقاديرَ ، وأغبَّها مقداراً^(١) من الزمان ، وقابلت مقداراً من حركات الأجرام السماويَّة ، وصادفت العالم بما فيه على هيئة^(٢) ، وكان بعضُ ماجرى على يده اتفاقاً وبعضه قصداً ، فلما اجتمعت جاء منها ذهبٌ فوقَ ذلك في خمسة آلاف سنة مرَّة ، ثمَّ أراد صاحبه المعاوذة فلم يقدرْ على أمثال مقادير طبائع تلك الجواهرِ ، ولم يضبط مقاديرَ ما كان قصداً إليه في تلك المرَّة^(٣) ، وأخطأ ما كان وقعَ له اتفاقاً^(٤) ، ولم يقابل من الفلك مثلَ تلك الحركات ، ولا من العالم مثل تلك الهيئة ، فلم يُعَدَّ له ذلك .

فإن قال لنا هذا القول [قائل] وقال : بيَّنوا^(٥) لى موضع إحالته ، ولا تحتجُّوا بتباعد [اجتماع] الأمور فيه ، فإننا نقر لكم بتباعدها . هل كان عندنا في ذلك قولٌ مقنع ، والدليل الذى تُلجج به الصدور ؟! وهل عندنا فى استطاعة النَّاس أن يولِّدوا مثل ذلك^(٦) ، إلَّا بأن يُعرَض هذا القول على العقول

(١) أغبها : جعلها تغب ، أى تمكث . ط ، س : « وأعانها مقدار » .

(٢) س : « هيئته » .

(٣) كذا على الصواب فى ل . وفى ط ، س : « المدة » .

(٤) ل : « وأخطأ ما وقع له اتفاقاً » .

(٥) ط ، س : « أثبتوا » .

(٦) ل : « أن يولِّدوا ناساً » ، وهو تحريف .

السليمة ، والأفهام التامة ورددّه إلى الرسل^(١) والكتب ؟ ! فإذا وجدنا هذه الأمور كلها نافية^(٢) له كان ذلك عندنا هو المقنع . وليس الشأن فيما يظهر اللسان من الشك فيه والتجوز له ، ولكن ليردّه إلى العقل^(٣) ؛ ١١٨ فإنّه سيجدّه منكراً ونافياً [له] ، إذا^(٤) كان العقل سليماً من آفة المرض ، ومن آفة التخيل .

(ضروب التخيل)

والتخيل ضروب^(٥) : تخيلٌ من المرار^(٦) ، وتخيل من الشيطان ، وتخيل آخر كالرجل يعمد إلى قلبٍ رطبٍ لم يتوقّع ، وذهن لم يستمر^(٧) ، فيَحْمِلُه على الدقيق وهو بعدُ لا يني بالجليل ، ويتخطّى المقدمات متسكعاً^(٨) بلا أمانة ، فرجع حسيراً^(٩) بلا يقين ، وغبر زماناً لا يعرف إلّا [الشكوك و]

(١) كذا في ل . وفي ط ، س : « رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

(٢) كذا على الصواب في ل ، وفي ط ، س : « باقية » .

(٣) ل : « ذهنه » .

(٤) في الأصل : « فإذا » .

(٥) ل : « ضربان » ، وإنما هي « ضروب » .

(٦) المراد : جمع مرة بالكسر ، وهي مزاج من أمزجة البدن إذا قوى اختل معه التفكير .

(٧) يتوقع : يصلب . يستمر : يقوى .

(٨) متسكعاً : متحيراً . ط ، س : « متكشفاً » محرفة عن « متكسعا » . يقال تسكع وتكسع .

(٩) الحسير : المتعب المعسى . ط : « حيران » .

الخواطرَ الفاسدة ، التي متى لاقت القلبَ على هذه الهيئة ، كانت ثمرتها^(١) الحيرة . والقلبُ الذي يفسدُ في يومٍ لا^(٢) يداوى في سنة ، والبناءُ الذي يُنقَضُ في ساعةٍ لا يبنى^(٣) مثله في شهر .

(قولهم : نبيذٌ يمنع جانبه)

ثم رجع بنا القول إلى ذكر الذبان

قبل لعلُّويه كلبِ المطبخ : أيُّ شئٍ معنى قولهم : « هذا نبيذٌ يمنع جانبه » ؟ قال : يريدون أن^(٣) الذَّبَّان لا يندنو منه . وكان الرِّقَاشي حاضراً ، فأنشد قول ابن عبدل^(٤) :

عَشَّشَ الْعَنْكَبُوتُ فِي قَعْرِ دَنِي إِنَّ ذَا مِنْ رَزِيَّتِي لَعَظِيمٌ
لَيْتَنِي قَدْ عَمَرْتُ دَنِي حَتَّى أَبْصِرَ الْعَنْكَبُوتَ فِيهِ يَعُومُ^(٥)
غَرَقاً لَا يُغِيثُهُ الدَّهْرُ إِلَّا زَبْدٌ فَوْقَ رَأْسِهِ مَرْكُومُ^(٦)

(١) س : « ثمرته » ، تحريف .

(٢) ط : « ولا » والوجه حذف الواو كما في ل ، س .

(٣) ط ، س : « يريدان » .

(٤) هو الحكم بن عبدل الأمدى تقدمت ترجمته في (٢ : ١٥٤) . وانظر أبياتاً من هذه القصيدة في ٥ : ٢٩٧ . وهي مقيدة الروى ، أى ساكنته .

(٥) غمرته : ملائته حتى نهايته . وفي الأصل : « عمرت » . والدن ، بالفتح : الراقود العظيم . ط : « ذنى » وصوابه في ل ، س . وفي ل : « تعوم » والمنكبوت مؤنثة وتذكر قليلاً ، وابن عبدل قد جعلها هنا مذكرة بقرائن كثيرة .

(٦) الزبد : ما يعلو الخمر ونحوها . س : « وبز » بحرفة . والمركوم : المتجمع .

مخرجاً كَفَّهُ ينادى ذُبَاباً أَنْ أَغْشَى فَإِنِّى مَغْمُومٌ^(١)
 قال : دَعْنِى فَلَنْ أُطِيقَ دُنُوءَا مِنْ شَرَابٍ يَشْمُهُ الْمَرْكُومُ^(٢)
 [قال] : وَالذَّبَّانَ يَضْرَبُ بِهِ الْمَثْلُ فِي الْقَدَرِ وَفِي اسْتِطَابَةِ النَّتْنِ ، فَإِذَا
 عَجَزَ الذَّبَابُ عَنْ شَمِّ شَيْءٍ فَهُوَ الَّذِى لَا يَكُونُ أَنْتَنُ مِنْهُ .

ولذلك حين رَمَى ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدَ بْنَ حَسَّانَ بْنِ سَعْدٍ^(٣) بِالْبَحْرِ ، قَالَ :
 وَمَا يَدْنُو إِلَى فِيهِ ذُبَابٌ وَلَوْ طَلِبْتَ مَشَافِرَهُ بِقَنْدٍ^(٤)
 بَرَيْنَ حَلَاوَةٍ وَيَخْفَنَ مَوْتًا وَشِيكًا إِنْ هَمَمَنْ لَهُ بِوَرْدٍ^(٥)

(أَبُو ذَبَّان)

ويقال لكلُّ أبحرٍ : أَبُو ذَبَّانَ ، وَكَانَتْ فِيمَا زَعَمُوا كُنْيَةَ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ^(٦)
 وَأَنشَدُوا^(٧) قَوْلَ أَبِي حُرَابَةَ^(٨) :

-
- (١) ط ، س : « مخرج » . ل : « مظلوم » .
 (٢) لا يشم المركوم إلا ما كان غاية في ظهور الرائحة . ل : « يقطر المركوم » .
 (٣) ط ، س : « سعيد » والصواب ما أثبت من ل والأغاني (٣ : ١٤٥)
 والبيان (٣ : ٧٤) ونهاية الأرب (١٠ ، ٣٠٠) وعيون الأخبار (٤ :
 ٦٢) حيث يوجد الشعر .
 (٤) ل : « فما » . ومشافره أراد بها شفتيه ، ولكنه تهكم . والقند بالفتح : عسل
 قصب السكر إذا جمد ، معرب : « كند » .
 (٥) ط : « يرون » وصوابه في ل ، س . ل : « ذعافا » بدل : وشيكا
 وقد تقدمت أبيات من هذه القصيدة في (٢ : ٢٥٠ - ٢٥٣) .
 (٦) قالوا : كنى بذلك لشدة بخره ، وموت الذبان إذا دنت من فيه . ويحكى أنه عض
 يوما تفاحة ورمى بها إلى بعض نسائه ، فدعت بسكين فقطعت موضع عضته ، فقال
 لها : ما تصنعين ؟ قالت : أميط عنها الأذى ! فطلقها من وقته . انظر ثمار
 القلوب ١٩٧ .
 (٧) ط ، س : « وأنشد » :
 (٨) ط ، س : « ابن خرابة » ، وتصحيحه من ل . وقد تقدمت ترجمته في
 (١ : ٢٥٥) .

أَمْسَى أَبُو ذُبَّانَ مَخْلُوعَ الرَّسَنِ^(١) خَلَعَ عِنَانِ قَارِحٍ مِنْ الْحَصَنِ^(٢)
* وقد صَفَتْ بَيْعَتَنَا لابنِ حَسَنِ^(٣) *

(شعر فيه هجاء بالذباب)

١١٩

وقال رجلٌ يهجو هلالَ بنَ عبد الملك الهنَّائيَّ^(٤) :

أَلَا مَنْ يَشْتَرِي مِنِّي هِلَالًا مَوَدَّتَهُ وَخُلَّتَهُ بِفَلَسٍ
وَأَبْرَأَ لِلَّذِي يَبْتَاعُ مِنِّي هِلَالًا مِنْ خِصَالٍ فِيهِ خَمْسُ^(٦)
فَنَهْنٍ النَّغَانِغُ وَالْمَسْكَوَى وَآثَارُ الْجُرُوحِ وَأَكْلُ ضِرْسِ^(٧)
وَمَنْ أَخَذَ الذَّبَابَ بِإِصْبَعِهِ وَإِنْ كَانَ الذَّبَابُ بِرَأْسِ جَعَسِ^(٨)

- (١) ل : « أضحى » . والرسن ، بالتحريك : الزمام للدابة يوضع على الأنف .
(٢) س : « خلع عناق » ، وهو تحريف صوابه في ل ، ط . والقارح : الذي انتهت
أسنانه ، وإنما تنتهى في خمس سنين . والحصن : جمع حصان . ط ، س :
« الرش » تحريف .
(٣) ط ، س : « لابن الحسن » ، وهما وجهان جائزان في العربية . جاء في المخصص
(٧١ : ٤٦) في الكلام على إدخال (أل) ونزعها من الأعلام التي كانت
في أصلها صفات : « والعرب قد تفعل هذا ؛ لأنهم ربما قالوا : العباس وعباس ،
والحسن وحسن » .
(٤) الهنَّائي : نسبة إلى هناة ، كثرامة ، وهى قبيلة يمنية . انظر المعارف ٤٩ . ط ،
س : « الهنَّائي » ، ل : « الهنَّائي » ، ووجهه ما كتبت .
(٥) ل : « وخططته » .
(٦) ل : « ويشترط الذى » ، تحريف .
(٧) النغانغ : جمع نغغ ، كبرقع ، وهو لحمة في الخاق . أراد أنه يمرض بها أبداً .
والمسكاوى : جمع مكواة ، لقي يعالج بها الجروح ونحوها . ل : « والمسكاوى »
ولا تصح . و : « آثار » بدلها في ل : « آلات » . وأكل الضرس :
أراد به فساد .
(٨) الجعس ، بالفتح : الرجيع . ل : « ولو كان » .

(قولٌ في آية)

قالوا: وضرب الله عز وجل لضعف الناس وعجزهم مثلاً، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمْ الذُّبَابُ شَيْئاً لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ فقال بعضُ الناس: قد سَوَّى بين الذُّبَابِ والنَّاسِ في العجز. وقالوا: فقد يولِّد النَّاسُ من التعفين الفراش [وغير الفراش^(١)] وهذا خلقٌ، على قوله: ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾ ، وعلى قوله: ﴿أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ ، وعلى قول الشاعر^(٢) :

وَأَرَاكَ تَفْرِي مَا خَلَقْتَ وَبَعَّ

ضُ الْقَوْمِ يَخْلُقُ نَمَّ لَا يَفْرِي^(٣)

قيل لهم: إنما أراد الاختراع، ولم يرد التقدير^(٤).

(١) الزيادة من ل، س.

(٢) هو زهير، من قصيدة يمدح بها هرم بن سنان. في ديوانه ص ٦٠ - ٦٤.

(٣) تفرى: تقطع. خلقت: قدرت وهيأت. يقول: إذا تهيأت لأمر أمضيته وأنفذته.

(٤) أى إن المراد من الخلق في الآية الأولى هو الاختراع لا التقدير. وأما في الآيتين بعدها والشعر فالمراد التقدير، لا الاختراع والابتداع.

(قولٌ في شعر)

وأما قول ابن ميادة :

ألا لأنبألى أن تُخندِفَ خندِفُ ولسنا نبألى أن يطنَ ذبابها^(١)
فإنما جعل الذباب هاهنا مثلاً ، وقد وضعه^(٢) في [غير] موضع
تحقير [له] و [موضع] تصغير . وهو مثل قوله :

بنى أسدٍ كُونُوا لمن قد علمتم مَوَالِيَ ذَلَّتْ لِلهُوَانِ رِقَابُهَا^(٣)
فلو حاربتنا الجنُّ لم نرفع العصا عن الجنِّ حتَّى لاتهرَّ كلابُها^(٤)
وليس يريد [تحقير^(٥)] الكلاب .

(استطراد لغوى)

ويقال : هو ذباب العين ، وذباب السيف . ويقال تلك أرضٌ مذبةٌ ،
أى كثيرة الذباب .

(١) تخندف : تمشى مشية كاهرولة ، ومن ذلك ما سميت القبيلة خندفا . ل : « تخندف »

س : « تجيد » ، والوجه ما فى ط . وفى س : « تطن ذبابها » ، والذباب يذكر ويؤنث ؛ إذ كل جمع يكون بينه وبين واحده الهاء فإنه يذكر ويؤنث .

(٢) ط ، س : « وصفه » ، وصوابه فى ل .

(٣) ل : « كن » ، ويتجه بها المعنى أيضاً .

(٤) ط ، س : « ولو » ط : « القنا » وهو جمع قناة .

(٥) ليست بالأصل . والكلام فى حاجة إلى مثلها .

وقال أبو الشَّمَقْمَقِ في هِجَائِهِ لِبَعْضٍ مِنْ ابْتُلِيَ بِهِ :

أَسْمَجَ النَّاسِ جَمِيعاً كُلَّهُمْ كَذَبَابٍ سَاقِطٍ فِي مَرْقِهِ
[وَيُقَالُ إِنَّ اللَّبْنَ إِذَا ضُرِبَ بِالْكَنْدَسِ ^(١)] وَنَضَحَ بِهِ بَيْتٌ لَمْ
يَدْخُلْهُ ذَبَّانٌ .

(أبو حكيم وثمامة بن أشرس)

وسمعت أبا حكيم الكيمائي ^(٢) وهو يقول لثمامة بن أشرس : قلنا لكم
إننا ندلكم على الإكسير ^(٣) ، فاستثقلتم الغرم ، وأردتم الغنم بلا غرم .
وقلنا لكم : دَعُونَا نَصْنَعُ هَذِهِ الْجُسُورَ [صَنْعَةً لَا تَنْتَقِضُ أَبَداً ، فَأَيُّكُمْ . وَقُلْنَا
لكم : مَا تَرْجُونَ مِنْ هَذِهِ الْمُسْنِيَّاتِ ^(٤)] الَّتِي تَهْدِمُهَا الْمُدُودُ ^(٥) ، وَتُخَرِّبُهَا
الْمَرَادَى ^(٦) ؟ ! نَحْنُ نَعْمَلُ لَكُمْ مُسْنِيَّاتٍ ^(٧) بِنِصْفِ هَذِهِ الْمُتُونَةِ ، فَتَبْقَى لَكُمْ

(١) الكندس ، كقنفذ : عروق نبات داخله أصفر وخارجه أسود .

(٢) ط : « الكيماوى » . س : « الكيمائى » .

(٣) في مفاتيح العلوم ١٥٠ : « ملح الإكسير : هو الدواء الذى إذا طبخ به الجسد
المذاب جعله ذهباً أو فضة ، أو غيره إلى البياض أو الصفرة » .

(٤) المسنيات : الأحباس تبلى في الأودية .

(٥) المدود : جمع مد ، بالفتح ، وهو السيل أو كثرة الماء .

(٦) المرادى : جمع مردى ، كشرطى ، وهو خشبة تدفع بها السنيطة . ويسمى عوام
مصر « المدرى » بكسر الميم والقصر . ط : ل : « المدرى » وصوابه في س .

(٧) المسنيات قد فسرت . ط : « مسببات » س : « مسنات » وصوابه في ل .

أبداً . ثمَّ قولوا للمُدرد أن يجتهد جهدها ، وللمَرَادِيَّ (١) أنْ تبلغ غايتها [فأيتيم] . وقولوا لى : (٢) الذُّباب ماترجون منها (٣) ؟ و [ما] تشتهون من البَعُوض ؟ وما رَغِبْتُكُمْ في الجرجس (٤) ؟ لم لاتَدْعُونِي أخرجها من بيوتكم بالمُثُونَةِ اليسيرة ؟ وهو يقول هذا القولَ وأصحابنا يضحكون ، وابن سافرى جالسٌ يسمع (٥) ، فلما نزلنا أخذ بيده ومضى به إلى منزله ، فغداه وكساه وسقاه ، ثمَّ قال له : أحببتُ (٦) أنْ تخرج البَعُوضَ من دارى . فأما (٧) الذُّباب فإني أحتمله . قال : ولم تحتمل الأذى وقد أتاك الله بالفرج (٨) ؟ قال : فافعل . قال : لا بدَّ لى من أنْ أخلط أدوية [وأشتري أدوية] . قال : فكَمْ تريد ؟ قال : [أريد] شيئاً يسيراً . قال : وكَمْ ذاك (٩) ؟ قال : خمسون ديناراً (١٠) . قال : ويحك ! خمسون يقال لها يسير (١١) ؟ ! قال :

(١) المرادى سبق تفسيرها في ٣٨٥ . ط ، ل : « للمدارى » وصوابه في س .

(٢) كذا على الصواب في ل . وفي ط ، س : « لى » .

(٣) ط ، س : « منه » .

(٤) الجرجس : لغة في القرقس ، وهو البعوض الصغار . ط ، س : « رغبتكم » .

(٥) ابن سافرى ، هو كذلك في ل والبخلاء ١٧٦ . وفي ط ، س :

« ابن مسافر » . وفيها أيضاً : « يستمع » .

(٦) ل : « أحب » .

(٧) ط فقط : « وأما » .

(٨) كذا في ل . وفي ط ، س : « قد جاءك الله بالفرج » .

(٩) كذا في ل . وفي ط ، س : « فكَمْ مبلغه » .

(١٠) ط ، س : « أريد خمسين ديناراً » .

(١١) ل : « وخمسون يسير » .

أنت ليس^(١) تشتهي الراحة من قدر الدُّبَّان ولسع البعوض ! ثمَّ لبس عليه^(٢) وقام على رجله . فقال له : اقعد . قال : إنَّ قعدتُ قبل أن آخذها ثمَّ اشتريت دواءً بمائة دينار لم تنفع به^(٣) ؛ فإنِّي لست أدخن هذه الدُّخنة^(٤) ، إلَّا للذين إذا أمرتهم بإخراجهنَّ أخرجوهن . ولا أكتمك ما أريد ؛ إنِّي لست أقصد إلَّا إلى العُمَّار^(٥) . فما هو إلَّا أن سمع يذكر العُمَّار^(٦) حتى ذهب^(٧) عقله ، ودعا له بالكيس [وذهب]^(٨) ليزن الدنانير ، فقال له : لا تشقَّ على نفسك ! هاتها بلا وزنٍ عددًا^(٩) ، وإلَّا تخاف أن تحدث حادثةً ، أو يقع شغل ، فتفوت . فعدها وهو زميع^(١٠) فغلط بعشرة دنانير ، فلما انصرف وزنها وعدَّها فوجدَ دنانيرَه^(١١) تنقص ، فبكَّرَ عليه يقتضيه الفضل^(١٢) ، فضحك أبو حكيم حتَّى كاد يموت ، ثمَّ قال :

(١) كذا في ل ، س . وفي ط : « لست » .

(٢) ل : « خفه » .

(٣) ط ، ل : « تنفع » .

(٤) ط : « أدخل » ل : « الدخن » .

(٥) العمار : سكان البيوت من الجن فيما يزعمون . ط ، س : « القمار » وتصحيحه من ل .

(٦) ط ، س : « فما هو إلَّا صلك سمعه بذكر القمار » ، وفيه تحريف .

(٧) ط ، س : « فذهب » .

(٨) هذه من س .

(٩) كذا على الصواب في ل . وفي ط ، س : « وعدد » .

(١٠) زمع : دهش . ل : « فيعدها وهو زيغ » ، تحريف .

(١١) ط : « فوجدنا دنانير » ، محرف .

(١٢) بكر عليه ، جاء إليه بكرة في أول النهار . ط ، س : « فكتب إليه » ، محرف والفضل : الفرق .

تسألني عن الفرع وقد استهلك الأصل ؟ ! [ولم يزل] يختلفُ إليه ويدافعهُ حتى قال له ثمامة : ويلك أجمنون^(١) أنت ؟ ! قد ذهب المالُ والسُّخريهَ مستورة . فإن نافرته فضحتَ نفسك ، وربحتَ عداوةَ شيطانٍ هوَ واللهِ أضرُّ عليكَ من عُمَارِ بيتِكَ ، الذين ليسَ يخرجون عنك^(٢) الذبابَ والبعوضَ بلا كلفة ، مع حقِّ الجوار . قال : هم سَكَّاني وجيراني . قالوا : لو كان سمع منك أبو حكيم هذه الكلمة لكانت الخمسون ديناراً مائةً ديناراً !!

(شعر في أصوات الذباب وغنائها)

ومما قيل في أصوات الذباب^(٣) وغنائها ، قال المثنَّب العبدى^(٤) :
وتسمعُ للذَّبابِ إذا تغنَّى كتغريد الحمامِ على الغُصونِ
وقال آخر :

حُوَّ مَسَارِبُهُ تَغَنَّى فِي غَيَاطِلِهِ ذَبَابُهُ^(٥)

(١) ط ، س : « ويلك يا جمنون » .

(٢) ط : « ليسوا يخرجون عنه » .

(٣) س : « الذبان » .

(٤) المثنَّب العبدى : شاعر جاهلي من شعراء البحرين ، مسكن قبيلة عبد القيس .
واسمه محصن ، بكسر الميم وسكون المهمله وفتح الصاد المهمله . وأبوه ثعلبة
ابن وائلة بن عدى . والمثنَّب : اسم فاعل من ثَبَّ ، سمي بذلك لقوله :

رددن تحية وكن أخرى وثقبن الوصاوص للعيون

خزانة البغدادى (٤ : ٤٣١ بولاق) ومعجم المرزبانى ٣٠٣ والشعراء ٨٨ .

(٥) حو : جمع أحوى ، وهو الضارب إلى السواد لشدة خضرته . والمسارب : المراعى
والغيطل : الشجر الملتف .

وقال أبو النجم :

أَنْفٌ رَى ذُبَابَهَا تَعَلَّلَهُ (١) مِنْ زَهَرِ الرَّوْضِ الَّذِي يَكَلِّلُهُ (٢)

وقال أيضاً :

[والشيخ تهديه إلى طحمانه] (٣) فالرَّوْضُ قَدْ نَوَّرَ فِي عَزَائِهِ (٤)

مُخْتَلَفَ الْأَلْوَانِ فِي أَسْمَائِهِ (٥) نَوَّرًا تَحَالَ الشَّمْسُ فِي حِمَائِهِ (٦)

مُكَلَّلًا بِالْوَرْدِ مِنْ صَفَرَائِهِ يَجَاوِبُ الْمَكَاةَ مِنْ مُكَايِهِ (٧)

صَوْتُ ذُبَابِ الْعُشْبِ فِي دَرْمَائِهِ (٨) يَدْعُو كَأَنَّ الْعَقَبَ مِنْ دُعَائِهِ (٩)

صَوْتُ مُغَنَّ مَدَّ فِي غِنَائِهِ

١٢١

وقال الشَّامُخ :

يَكْلِفُهَا أَلَّا تَخْفُضَ صَوْتَهَا أَهَازِيحُ ذِبَّانٍ عَلَى عُودٍ عَوْسَجٍ (١٠)

بَعِيدُ مَدَى التَّطْرِيبِ أَوَّلُ صَوْتِهِ سَحِيلٌ وَأَعْلَاهُ نَشِيحُ الْحُشْرِجِ (١١)

(١) أَنْفٌ : أى روضة أَنْفٌ بضمين ، وهى التى لم يرعها أحد . وأسكن النون للشعر .

ط : « أَنْعَرَى » وصوابه فى ل ، س ، واللسان (أَنْف) . وتعلله : من علله بالطعام : شغله به . وضمير « ذبابها » عائد إلى الروضة الأنف . ط ، س : « ذبابة » محرفة . وفى اللسان : « ذبانها » .

(٢) يكلله : يحفه من كل جانب . ل : « من زهر النور » ، تحريف .

(٣) فى هذه الزيادة تحريف .

(٤) العزاء : الأرض التى لبدتها المطر فشدها . انظر اللسان . ط : « عزائنه » وتصحيحه من س . ل : « حوائه » .

(٥) ل : « من أسمائه » .

(٦) أى تحال أنت الشمس فى أزهاره الحمراء ، فلوئهما واحد . ل : « تحال الشمس » .

(٧) المسكاه بضم الميم والتشديد : ضرب من القنابر له صفيح حسن .

(٨) الدرمام : نبت ليس بشجر ولا عشب ، ينبت على هيئة الكبد .

(٩) العقب ، بالفتح : بمعنى التوالى والملاحقة . ط ، س : « كنى العقب من بكائه » ، صوابه من ل .

(١٠) أهازيح : جمع أهزوجة ، وهو هنا صوت طيران الذباب . ط : « أهازيح »

بالراء وصوابه فى س . والبيتان ساقطان من ل . ولم أجد هذا البيت

فى ديوان الشماخ ، وبدله فى صفة امرأة :

منعمة لم تلقى يؤس معيشة ولم تغتزل يوماً على عود عوسج

(١١) مدى التطريب : غاية ترجيع الصوت . والسحيل : أشد نهاق الحمار . ط : =

(المغنيّات من الحيوان)

والأجناس التي توصف بالغناء أجناسُ الحمام والبعوض ، وأصناف الذبّان من الدبّر ، والتحلّ ، والشّعراء ، والقَمَع^(١) والثُّعَر^(٢) . وليس لذبّان الكلب غناء ، ولا لما يخرجُ من الباقلاء . قال الشاعر :

تذبّ عنها بأثيثِ ذائلِ ذبّانِ شعراءِ وصيفِ ماذلِ^(٣)

(ألوان الذبّان)

وذبّان الشعراءُ مُحرر . قال : والذبّان التي تُهْلِكُ الإبلَ زُرُق . قال الشاعر^(٤) :

تربّعتُ والدّهرُ ذو تصفّق^(٥) حاليّةً بذى سببٍ مونيقي^(٦)
إلا من أصواتِ الذبّاب الأزرق^(٧) أو من نقانق الفلا المنقنق^(٨)

= « سيحل » س : « سجل » وصوابه في الديوان ١٤ . والنشيج : الصوت يتردد في الصدر . والمحشرج : الذي يغرغر عند الموت . والبيت في صفة حار .

(١) القمع بالتحريك : ذباب يركب الإبل والظباء إذا اشتد الحر .

(٢) الثعر : ذباب أزرق يلسع الدواب . س : « الثعر » ل : « النغر » وهما تصحيف مافي ط .

(٣) الأثيث : الكثير الشعر . والذائل : الطويل . وقد عني به : الذيل . وانظر ص ٣١٤ .

(٤) الأولى أن يقول : الراجز . والكلام من « قال الشاعر » إلى نهاية الرجز ساقط من ل .

(٥) تربعت : يعنى الإبل أكلت الربيع . والتصفق : التقلب والتحول .

(٦) حاليّة : مزينة ، أراد روضة . والسبب واحده سببية ، وهى العضاه تكثر في المسكان . أو أراد بالسبب : ذوائب الأشجار . والمونق : المعجب .

(٧) ط : « الأزق » ، تطبيع صوابه في س .

(٨) « نقانق » بدلها في س : « تفانق » . وأحسبهما محرفتين .

والذَّبَّانَ الذى يسقط على الدواب صُفْر^(١) .

وقال أَرْطاة بن سُهَيْتَةَ ، لَزُمِيل بن أُمِّ دِينَار^(٢) :

أَزْمِيلُ إِنِّي إِنْ أَكُنْ لَكَ جَازِيَا أَعُكِرْ عَلَيْكَ وَإِنْ تَرُخْ لَا تَسْقِ^(٣)
لِئَنِي أَمْرُو تَجِدَ الرَّجَالَ عِدَاوَتِي وَجَدَ الرَّكَّابَ مِنَ الذُّبَابِ الْأَزْرَقِ
وَإِذَا مَرَّ بِكَ الشُّعْرُ الَّذِي يَصْلَحُ لِلْمَثَلِ وَلِلْحِفْظِ^(٤) ، فَلَا تَنْسَ حَظَّكَ
مِنْ حِفْظِهِ .

وقال المْتَلَسُ :

فَهَذَا أَوَانُ الْعِرْضِ حَتَّى ذَبَابُهُ زَنَابِيرُهُ وَالْأَزْرَقُ الْمْتَلَسُ^(٥)
وَبِهِ سَمِّيَ الْمْتَلَسُ .

(١) ط : « أَصْفَر » .

(٢) زميل بن أم دينار : أحد بنى مازن بن فزارة ، أحد بنى عبد مناف . وأبوه أبير
بالتصغير ، أو وبير ، أو دبير ، وهو قاتل ابن دارة في خلافة عثمان ، وهو من
المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام . المؤتلف والمختلف ١٢٩ ، والإصابة
٣٩٧٣ ، والخزانة ٢ : ١٢٨ سلفية . ط ، س : « بن أم زبير » ، وصوابه
في ل ، والخزانة . وأرطاة بن سهبة : هو ابن زفر بن عبد الله الغطفاني المزني ،
شاعر مشهور . وسهبة أمه . أدرك الجاهلية ، وعاش إلى خلافة عبد الملك بن مروان .
وكان يكنى أبا الوليد ، وهى أيضاً كنية عبد الملك . فقال من شعر :

وما تبغى المنية حين تأقى على نفس ابن آدم من مزيد
وأعلم أنها ستكر حتى توفى نذرهما بأبي الوليد

فارتاع عبد الملك وظن أنه أراد . فقال : يا أمير المؤمنين ، إنما عنيت نفسي
فسكت . ونسب في الحماسة ١ : ١٤٩ إلى سالم بن دارة .

(٣) ل : « يازمل » ح : « جازيا » بدلها في ل : « حاديا » ، وهذه الأخيرة لاتصح
وأعكر عليك : أغلبك أو أكر عليك . و « ترح » هى في ط : « تزح » .

(٤) ل : « يصلح لمكانه ، ولأن تحفظه » .

(٥) بهذا البيت سمى المْتَلَسُ . وهو شاعر جاهل اسمه جرير بن عبد المسيح الضبعي كما في
الشعراء . والعرض - بالكسر - : كل واد فيه شجر . وحى ذبابه : من الحياة
والمراد هنا الانتعاش ، ويروى : « جن ذبابه » وجنونه : كثرة طنينه . ط :
« ذبابه » صوابه في ل ، س . س : « حتى » وهى تحريف .

وقال ابن ميادة :

بَعَثَ تَرِيسَ كَانَ الدَّبْرَ يَلْسَعُهَا إِذَا تَغَرَّدَ حَادٍ خَلْفَهَا طَرِدُ^(١)

(مَا يَسْمَى بِالذَّبَّانِ)

والدليل على أنَّ أجناس النَّحْل والدَّبْر كلُّها ذِبَّان ، ما حدث [به]
عَبَّاد بن صُهَيْب ، وإسماعيل المَكِّي^(٢) عن الأعمش ، عن عطية بن سعيد
العَوْفِي^(٣) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « كُلُّ ذُبَابٍ فِي النَّارِ
إِلَّا النَّحْلَةُ » .

وقال سليمان : سمعت مجاهدًا يكره قتل النَّحْل وإحراق العِظَام .
يعنى فى الغزو .

وحدثنا عَنبَسَةَ قال : حدثنا حَنْظَلَةُ السَّدُوسِيُّ قال : أنبأنا^(٤) أنسُ
ابن مالك ، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « عمر الذَّبَابِ أَرْبَعُونَ
يَوْمًا . وَالذَّبَابُ فِي النَّارِ » .

(١) العنتريس : الناقة الصلبة القوية الجريئة . وانظر الأغاني ٢ : ١٠٢ .

(٢) ل : « عن إسماعيل المكي » .

(٣) ل : « العوفى » وصوابه فى ط ، س كما فى تقريب التهذيب . قال ابن حجر :

عطية بن سعد بن جنادة - بضم الجيم بعدها نون خفيفة - العوفى الجدل - بفتح الجيم
والمهملة - ، الكوفى ، أبو الحسن . صدوق يخطئ كثيراً . مات سنة إحدى عشرة
يعنى بعد المائة . وتروى أنه جعل أباه سعداً لاسعيدا .

(٤) ل : « حدثنا » .

(بحث كلامي في عذاب الحيوان والأطفال ^(١))

وقد اختلف الناس في تأويل قوله : « والذباب في النار » وقال قوم :
الذباب خلقُ خُلِقَ للنَّار ، كما خلق الله تعالى ناساً كثيراً للنَّار ، وخلق
أطفالاً للنَّار . فهؤلاء قومٌ خلَعُوا عُدْرَهُمْ ^(٢) فصَارَ أَحَدُهُمْ إِذَا قَالَ : ذلك ١٢٢
عَدْلٌ مِنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ؛ فَقَدْ بَلَغَ أَقْصَى الْعَذْرِ ، وَرَأَى أَنَّهُ إِذَا أُضِيفَ إِلَيْهِ
عَذَابُ الْأَطْفَالِ فَقَدْ جَمَّه . ولو وجد سبيلاً إِلَى أَن يَقُولَ إِنَّ ذَلِكَ ظَلَمَ لِقَالِهِ ^(٣)
ولو وجد سبيلاً إِلَى أَن يَزْعِمَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَخْبِرُ عَنْ شَيْءٍ ^(٤) أَنَّهُ يَكُونُ
وَهُوَ لَا ^(٥) يَكُونُ ، ثُمَّ يَقُولُ إِلَّا ^(٥) أَنَّ ذَلِكَ صَدَقَ لِقَالِهِ . إِلَّا أَنَّهُ ^(٦) يَخَافُ
السَّيْفَ عِنْدَ هَذِهِ ، وَلَا يَخَافُ السَّيْفَ عِنْدَ تِلْكَ . وَإِنْ كَانَتْ تِلْكَ أَعْظَمَ
فِي الْفَرِيَةِ مِنْ هَذِهِ .

وبعضهم يزعم أن الله عزَّ وجلَّ إِنَّمَا عَذَّبَ أَطْفَالَ الْمُشْرِكِينَ لِيَغْمَّ بِهِمْ
آبَاءُهُمْ ^(٧) . ثُمَّ قَالَ الْمُتَعَاظِلُونَ مِنْهُمْ : بَلْ عَذَّبَهُمْ لِأَنَّهُ هَكَذَا شَاءَ ، وَلِأَنَّ هَذَا
لَهُ . فَلَيْتَ شَعْرَى [أ] يَحْتَسِبُ بِهَذَا الْقَوْلِ فِي بَابِ التَّمْجِيدِ لِلَّهِ تَعَالَى ؛ لِأَنَّ

(١) انظر مثل هذا البحث في الفرق بين الفرق ١٣١ .

(٢) جمع عذار ، وهو من اللجام ماسال على خد الفرس . وخلع العذار كناية عن التشاطر
كما في الأساس .

(٣) هذه الجملة ساقطة من ل .

(٤) ط : « الشيء » .

(٥) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(٦) بدلها في ل : « وليكن » .

(٧) كلمة : « بهم » ساقطة من ل . و « آباءهم » رسمت في ط ، س :
« آبائهم » خطأ .

كل من فعل ما يقدر عليه فهو محمود ، وكل من لم يخف سوط أمير فأى^(١) قبيحاً فالذى يحسن^(٢) ذلك القبيح أن صاحبه كان فى [موضع]^(٣) آمن ، أو لأنه آمن^(٤) يمتنع^(٥) من مطالبة السلطان . فكيف وكون الكذب والظلم والعبث واللغو والبخل^(٥) كله محال ممن لا يحتاج إليه ، ولا تدعوه^(٦) إليه الدواعى ! !

وزعم أبو إسحاق أن الطاعات إذا استوت استوى أهلها فى الثواب ، وأن المعاصى إذا استوت استوى أهلها فى العقاب . وإذا لم يكن منهم طاعة ولا معصية استوتوا فى التفضل^(٧) .

وزعم أن أجناس الحيوان [وكل شئ] يحس ويألم ، فى التفضل^(٧) سواء .

وزعم أن أطفال المشركين والمسلمين كلهم فى الجنة . وزعم أنه ليس بين الأطفال ولا بين البهائم والمجانين فرق ، ولا بين السباع فى ذلك وبين البهائم فرق .

(١) ط : « أئى » تحريف .

(٢) ط : « يحس » ، وتصحيحه من ل ، س .

(٣) من ل ، س :

(٤) ل : « أم لأنه يمتنع » و « أم » تحريف .

(٥) ط ، س : « والضحك » .

(٦) ط ، س : « تدعو » .

(٧) أى تفضل الخالق بالثواب . ط ، س : « بالتفضيل » محرف .

وكان يقول : إِنَّ هذه الأبدان السَّبْعِيَّةَ والهِمِيَّةَ لا تدخل الجنة ،
ولسكنَّ الله عزَّ وجلَّ ينقُلُ تلك الأرواحَ خالصةً من تلك الآفات ؛
فيركِّبها في أيِّ الصُّور أحبَّ (١) .

وكان أبو كلدة (٢) ، ومَعْمَر ، وأبو الهذيل ، وصحصح (٣) ، يكرهون هذا
الجواب ، ويقولون : سواءٌ عند خواصِّنا (٤) وعوامِّنا ، أقلنا : إِنَّ أرواحَ كلابنا
تصيرُ إلى الجنة ، أم قلنا : إِنَّ كلابنا تدخل الجنة (٥) . ومتى ما اتَّصل كلابنا
بذكر الكلب على أيِّ وجهٍ كان ؛ فكأنَّا عندهم قد زعمنا أَنَّ الجنةَ فيها
كلاب . ولسكنَّا نزعم أَنَّ جميع ما خلقَ الله تعالى مِنَ السَّبَاعِ والبهائمِ
والحشراتِ والهمج [فهو] قبيح المنظرة مؤلم ، أو حسن المنظرة (٦) مُلِدٌّ ؛ فما كان
كالخيل والطباء ، والطواويس ، والتدارج (٧) فَإِنَّ تلك [في] الجنة ، ويَلْدُ (٨)
أولياءُ الله عزَّ وجلَّ بمَنَظرها . وما كان منها قبيحاً في الدُّنيا مؤلِمَ النظر

(١) ط ، س : « الصور الحسان أحب » . وكلمة « الحسان » مقحمة .

(٢) أبو كلدة : سبق له حديث في الجزء الأول ص ٢٣٤ .

(٣) كان صحصح ذا مذهب غريب في « تفضيل النسيان على كثير من الذكر ، وأن
الغناء في الجملة أنفع من الفطنة ، وأن عيش البهائم أحسن موقفاً في النفوس من
عيش العقلاء » . وتجد حجته لذلك في البخلاء ص ٥ .

(٤) ل : « خصوصنا » .

(٥) ط ، س : « تدخل » بدل : « تصير إلى » . والكلام من « أم » ساقط من س :
وبدلها في ط : « أو » ، والوجه « أم » كما في ل .

(٦) المنظرة : المنظر ، وهذه الأخيرة جاءت في ط ، س .

(٧) التدارج : جمع تدرج ، وهو ضرب من الطير . ط ، س : « التدريج » .

(٨) ط ، س « وتلك » وصوابه في ل .

جعل الله عذاباً إلى عذاب أعدائه في النار . فإذا^(١) جاء في الأثر : أن
الذباب في النار ، وغير ذلك من الخلق ، فإنما يراد به هذا المعنى .
١٢٣ وذهب بعضهم إلى أنها تكون في النار ، وتلد ذلك^(٢) ، كما أن خزنة
جهنم والذين يتولون من الملائكة التعذيب ، يلدون موضعهم من النار .
وذهب بعضهم إلى أن الله تعالى يطبعهم على استلذاذ النار والعيش
فيها ، كما طبع ديدان^(٣) الثلج والحل على العيش في أماكنها .
وذهب آخرون إلى أن الله عز وجل يحدث لأبدانها علة لاتصل النار
إليها ، وتنعم قلوبهم وأبدانها من وجه آخر كيف شاء^(٤) . وقالوا : [و قد
وجدنا الناس يحتالون لأنفسهم في الدنيا حيلة ، حتى يدخل أحدهم بعض
الأتاتين^(٥) بذلك الطلاء ، ولا تضره النار ، وهو في معظمها ، وموضع
الجاحم^(٦) منها . ففضل ما بين قدرة الله وقدره عباده أكثر من فضل
ما بين حر نار الدنيا والآخرة^(٧) .

(١) ل ، ط : « إذ » ، ووجهه من س .

(٢) ط ، س : « تلد بذلك » وأثبت ما في ل . وهما صحيحتان . قال الزبير بن العوام
يرقص ابنه عروة (البيان ١ : ١٨٠) :

أبيض من آل أبي عتيق مبارك من ولد الصديق
ألده كما ألد ربي

(٣) ط : « حيوان » ، وصوابه : في ل ، س . وديدان الخل سبق الكلام عليها
في ٢ : ١١١ .

(٤) ط ، س : « كما شاء » . وجاءت الضمائر في ط ، س للعاقل ، أي
« لأبدانهم » و « قلوبهم وأبدانهم » وصوابه في ل .

(٥) الأتاتين : جمع أنون ، كتثور ، وهو : أخدود الخباز والجصاص ونحوه . ط ، س
« الناس » وصوابه في ل .

(٦) الجاحم : التوقد والالتهاب . ط ، س : « الجاحم » وتصحيحه من ل .

(٧) كذا في ل . والفضل : الزيادة . ط ، س : « كفضل ما بين قوة حر نار
الدنيا والآخرة » .

وَذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنْ سَبِيلَهَا ^(١) فِيهَا كَسِيلُ نَارِ إِبْرَاهِيمَ ؛ فَإِنَّهُ لَمَّا قُذِفَ فِيهَا بَعَثَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مَلَكًا يَقَالُ لَهُ [مَلِكُ الظِّلِّ] ، فَكَانَ يَحْدِثُهُ وَيُؤَنِّسُهُ ؛ فَلَمْ تَصِلِ النَّارُ إِلَى أَذَاهُ ، مَعَ قُرْبِهِ مِنْ طَبَاعِ ذَلِكَ الْمَلِكِ .

وَكَيْفَمَا دَارَ الْأَمْرُ ^(٢) فِي هَذِهِ الْجَوَابَاتِ ؛ فَإِنْ أَحْسَسَهَا وَأَشْنَعَهَا أَحْسَنُ مِنْ قَوْلٍ مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُعَذِّبُ بِنَارِ جَهَنَّمَ مَنْ لَمْ يَسْخِطْهُ وَلَا يَعْقِلُ كَيْفَ يَكُونُ السَّخَطُ . وَمِنَ الْعَجَبِ أَنَّ بَعْضَهُمْ يَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى إِعْمَا عَذِّبَهُ لِيَغْمَّ أَبَاهُ ^(٣) . وَإِعْمَا يَفْعَلُ ذَلِكَ مَنْ لَا يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يُوصِلَ إِلَيْهِمْ ضَعْفَ الْإِعْتِمَاءِ ، وَضَعْفَ الْأَلَمِ ^(٤) الَّذِي يَنَالُهُمْ بِسَبَبِ أُنْبَاءِهِمْ . فَأَمَّا مَنْ يَقْدِرُ عَلَى إِيْصَالِ ذَلِكَ الْمَقْدَارِ إِلَى مَنْ يَسْتَحِقُّهُ ، فَكَيْفَ يُوَصِّلُهُ وَيَصْرِفُهُ إِلَى مَنْ لَا يَسْتَحِقُّهُ ؟ ! وَكَيْفَ يَصْرِفُهُ عَمَّنْ أَسْخَطَهُ إِلَى مَنْ لَمْ يُسْخِطْهُ ^(٥) ؟ ! [هَذَا] وَقَدْ سَمِعُوا قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ . وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ . وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ . وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ . كَلَّا إِنَّهَا لَظَى . نَزَّاعَةً لِلشَّوَى ﴾ . وَكَيْفَ يَقُولُ هَذَا الْقَوْلَ مَنْ يَتْلُو الْقُرْآنَ ؟ !

ثُمَّ رَجَعَ بِنَا الْقَوْلِ إِلَى الذَّبَّانِ وَأَصْنَافِ الذَّبَّانِ .

(١) ط ، س : « سَبِيلُهُمْ » ، وَصَوَابُهُ فِي ل .

(٢) ط ، س : « وَكَيْفَ دَارَ الْأَمْرُ » .

(٣) ط : « أَبَاهُ » ، وَصَوَابُهُ فِي ل ، س .

(٤) ل : « ضَعْفُ إِعْتِمَائِهِمْ وَالْأَلَمِ » .

(٥) ط : « إِلَى مَنْ لَا يَسْخِطُهُ دُونَ مَنْ أَسْخَطَهُ » س : « إِلَى مَنْ اسْتَحَقَّهُ » ، وَهِيَ

تَحْرِيفٌ مَا أَثْبَتَ مِنْ ل .

(جهل الذَّبَّان وما قيل فيها من الشعر)

والذَّبَّانُ أَجْهَلُ الْخَلْقِ ؛ لِأَنَّهَا تَغْشَى النَّارَ مِنْ ذَاتِ أَنْفُسِهَا حَتَّى تَحْتَرِقَ .

وقال الشاعر :

خَتَمْتُ الْفَوَادَ عَلَى حُبِّهَا كَذَلِكَ الصَّحِيفَةُ بِالْخَاتَمِ ^(١)
هَوَتْ بِي إِلَى حُبِّهَا نَظْرَةً هُوِيَ الْفَرَّاشَةُ لِلْجَاحِمِ
وقال آخر :

كَأَنَّ مَشَافِرَ النَّجْدَاتِ مِنْهَا إِذَا مَامَسَهَا قَمْعُ الذُّبَابِ ^(٢)
بِأَيْدِي مَأْتَمٍ مَتَسَاعِدَاتٍ نَعَالِ السَّبْتِ أَوْ عَذَبِ الثِّيَابِ ^(٣)

(نقد بيت من الشعر)

١٢٤

وقال بعض الشعراء ^(٤) ، يهجو حارثة بن بدر الغدافي :

زَعِمْتَ غَدَانَةً أَنْ فِيهَا سَيِّدًا ضِخْمًا يُوَارِيهِ جَنَاحُ الْجُنْدُبِ ^(٥)

(١) كذا في ط ، س : وثمار القلوب ٣٩٩ . وفي ل : « على حبها كختم » .

وكانوا يختمون الرسائل بالخاتم على طين خاص ، يسمى طين الختم .

(٢) النجدات : جمع نجدة ، وهى الناقة تكون نجدة على صاحبها . والقمع : ذباب الإبل .

(٣) المأتم : جماعة النسوة في الحزن . ط : « بأيده متأتم » صوابه في ل ، س .
والعذاب : جمع عذبة ، وهى خرقعة النائحة . ط ، س : « عرب » محرف .
أما « نعال السبت » فلم أجد لها علاقة بالكلام . وماذا عسى تفعل النوائح
بنعال السبت ؟ ل : « فعال السبت » ! .

(٤) هو الأبييرد الرياحى ، كما فى الأغاني (١٢ : ١٠) . وانظر (٦ : ٣٥١) .

(٥) غدانة بالضم : قبيلة . يواريه : يستره . ط ، س : « يوازنه » ، أى يماثله ويساويه .
وأثبت ما فى ل وثمار القلوب ٣٢٥ .

وزعم ناسٌ أنه قال :
يُرويه ما يُروى الذبابَ فينتشى سُكراً ، وتُشبعهُ كُراعُ الأرنب^(١)
قالوا : لا يجوز أن يقول : « يرويه ما يروى الذباب » و « يواريه جناحُ
الجنبد^(٢) » ثم يقول : « ويشبعه كراع الأرنب » :
وإنما^(٣) ذكر كراع الأرنب ؛ لأن يد الأرنب قصيرة ، ولذلك تسرع
[في] الصُّعود ، ولا يلحقها من الكلاب إلا كلُّ قصير اليد^(٤) . وذلك
محمودٌ من الكلب . والفرس توصف^(٥) بقصر الذراع .

(قصة في الهرب من الذباب)

وحدثني الحسن بن إبراهيم العلوي قال : مررتُ بخالي ، وإذا هو وحده
يضحك ، فأنكرتُ ضحكهُ ؛ لأنني رأيته وحده ، وأنكرته^(٦) ؛ لأنه كان
رجلاً زميتاً ركيناً^(٧) ، قليل الضحك . فسألته عن ذلك فقال : أتاني فلانُ

(١) ط ، س : « ويشبعه كراع الجنبد » . والكراع بالضم : قائمة الدابة . وتجمع
على أكرع ثم على أكارع . وهي مؤنثة يصح في فعلها التذكير والتأنيث . لكن
كلمة « الجنبد » تحريف صوابه من ل والثمار ومن سياق الكلام .
(٢) الجنبد : ضرب من الجراد . ط ، س : « يوازنه جناح الجنبد » .
(٣) قبل هذا في ط ، س : زيادة لا حاجة إليها ، وهو : « وأما سماعي فهو
الرواية الأولى :

يرويه ما يروى الذباب فينتشى سُكراً وتشبعه كراع الأرنب»
(٤) ل : « اليدين » .

(٥) ط ، س : « يوصف » .

(٦) ط س : « فأنكرته » .

(٧) الزميت : العظيم الوقار . والركين : الرزين . ل : « سكيئا » .

يعنى شيخاً مدينياً^(١) - وهو مذعورٌ فقلت له : ما وراءك ؟ فقال : أنا والله هاربٌ من بيتي ! قلت ولم ؟ قال : فى بيتي ذبابٌ أزرق ، كلما دخلتُ ثَارَ^(٢) فى وجهي ، وطار حولى وطنٌ عند^(٣) أذنى ، فإذا وجد منى غفلةً لم يُخطئْ موقَ عيني . هذا والله دأبه ودأبى دهرأ معه^(٤) . قلت له : إن شبه الذباب بالذباب كشبه الغرابِ بالغراب ؛ فلعلَّ الذى آذاك اليومَ أن يكونَ غيرَ الذى آذاك أمسِ ، ولعلَّ الذى آذاك أمسِ غيرُ الذى آذاك أوَّل [من^(٥)] أمسِ ، فقال : أعتقُ ما أملك إن لم أكن أعرفه [بعينه] منذُ خمسَ عشرة سنة^(٦) . فهذا هو الذى أضحكنى !

(قصة فى سفاذ الذباب)

وقال الخليل بن يحيى : قد رأيت الخنزيرَ يركبُ الخنزيرةَ عامَّةَ نهاره ، ورأيتُ الجملَ يركبُ الناقةَ ساعةً من نهاره^(٧) . وكنت قبل ذلك أغبطُ

(١) ل : « مدينا » وانظر ما أسلفت من التحقيق فى (٢ ، ٢٩٢) .

(٢) ط : « دار » وهو تحريف .

(٣) ط : « على » .

(٤) ل : « منذ دهر » .

(٥) من ل ، س .

(٦) ل : « حجة » ، وهى بالكسر : السنة .

(٧) ل : « من نهار » .

العصفور والعصم^(١) - فَإِنَّ الذَّكَرَ وَإِنْ كَانَ سَرِيعَ النُّزُولِ عَنْ ظَهْرِ الْأُنْثَى فَإِنَّهُ لِسُرْعَةِ الْعُودَةِ ، وَلِكثَرَةِ الْعَدَدِ ، كَأَنَّهُ فِي مَعْنَى الْخَنْزِيرِ وَالْجَمَلِ - حَتَّى رَأَيْتُ أَنْذُبَابَ وَفُطِنْتُ لَهُ ، فَإِذَا هُوَ يَرْكَبُ الذُّبَابَةَ عَامَّةَ نَهَارِهِ . فَقَالَ لَهُ مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْبَكْرَاوِي^(٢) : لَيْسَ ذَلِكَ هُوَ السَّفَادُ^(٣) . قَالَ : أَمَّا الَّذِي رَأَيْتَ الْعَيْنَانِ فَهَذَا حَكْمُهُ . فَإِنْ كُنْتَ تَرِيدُ أَنْ تَطِيبَ نَفْسُكَ بِإِنْكَارِ مَا تَعْرِفُ مِمَّا قَسَمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بَيْنَ خَلْقِهِ ، مِنْ فَضُولِ اللَّذَّةِ^(٤) ، فَدُونِكَ .

(سفاد الورل)

ويزعمون أن للورل في ذلك ما ليس عند غيره .

(١) كذا في ط ، س . ولم أجد « العصم » مفرداً أو جمعا ، فيما لدى من مراجع الحيوان ، ووجدت « المصع » كصرد وقفل جمعا . ل : « مصعة » كهمة وغرفة . وهو طائر أخضر ، كما في القاموس . وانظر المخصص (٨ : ١٤٣) . وفي ل : « الصعو والخنزير » ، وكلمة : « الخنزير » خطأ . وأما الصعو فهو ضرب من صغار العصافير .

(٢) البكرأوى : نسبة إلى بكرا باذ . وانظر ما سبق في ٣٤ . قال الإصطخرى : « جرجان قطعتان : إحداهما المدينة ، والأخرى بكرا باذ ، وبينهما نهر يجري يحتمل أن تجرى فيه السفن » . كذا في معجم البلدان . قال ياقوت : « ينسب إليه البكرأوى والبكرا باذى » . ل : « محمد ابن عمرو النكرأوى » . وفي النسبة تصحيف كما رأيت .

(٣) ل : « لعل ذلك ليس هو للسفاد » .

(٤) ط : « فضل الله » س « فضول الله » وأثبت ما في ل .

(٥) الورل : دابة على خلقة الضب ، لكنه أعظم منه ، وهو من أكثر الحيوان سفادا ط ، س : « للولى » وصوابه في ل .

(قصة آكل الذبّان)

١٢٥

وأشدد ابن داحه في مجلس أبي عبيدة ، قول السيّد الحميرى :

أترى ضهاكا وابنها وابن ابنها^(١) وأبا قحافة آكل الذبّان
كانوا يرون ، وفي الأمور عجائب يأتي بهنّ تصرف الأزمان
أنّ الخلافة في ذؤابة هاشم فيهم تصوير وهيبة السلطان^(٢)

وكان ابن داحه رافضياً ، وكان أبو عبيدة خارجياً صُفْرياً ، فقال له :

مامعناه في قوله : « آكل الذبّان » ؟ فقال : لأنّه كان يذبّ عن عطر
ابن جدعان^(٣) . قال : ومتى احتاج العطارون إلى المذاب ؟ ! قال : غلطت
إنّما كان يذبّ عن حيسة ابن جدعان . قال : فابن^(٤) جدعان وهشام

(١) ل : « أترى ضهاكا وابنها وأب ابنها » .

(٢) س : « من ذؤابة » . ل : « من وراثة » ، وفيها أيضا : « فيهم تكون » .

(٣) ابن جدعان ، هو عبد الله بن جدعان ، وكان من أشرف قريش في الجاهلية ومن
وفد على كسرى ، وهو صاحب الجرادتين : المغنيتين المشهورتين في الجاهلية .
ومدحه أمية بن أبي الصلت بقصيدته التي أولها :

أذكر حاجق أم قد كفاني حياؤك إن شيمتك الحياء

فأعطاهم إياه . وكان مشهوراً بالكرم . قالوا : كان سمي بحاسي الذهب ؛ لأنه
كان يشرب في إناء من الذهب ، فقالوا في المثل : « أقرى من حاسي الذهب » .
الأغاني (٨ : ٢ - ٤) وبلوغ الأرب (١ : ٨٧) . س : « جدعان » وفي المواضع

الثلاثة ، تصحيف .

(٤) ل : « فإن ابن » .

ابن المغيرة ، كان يُحَاسُّ لأحدهما الحَيَسَةُ على عِدَّةِ أَنْطَاعٍ ^(١) ، فكان يأكلُ منها الرَّاكِبُ والقائمُ والقاعدُ ^(٢) فأين كانت تقعُ مِذْبَةُ أَبِي قُحَافَةَ من هذا الجبل ؟! قال : كان يذبُّ عنها ويدورُ حوالِها . فضحكوا منه ، فهجر مجلسهم سنة ^(٣) .

(تحقير شأن الذبابة)

قال : وفي باب تحقير [شأن] الذبابة وتصغير قدرها ، يقول الرسول ^(٤) :
« لو كانت الدنيا تُساوى عند الله تعالى جَنَاحَ ذِبَابَةٍ ^(٥) ما أعطى الكافر منها شيئاً » .

(١) الحيسة : المرة من الحيس ، وهو أن يخلط التمر بالسمن والأقط فيعجن ثم يندر نواه ، وربما جعل فيه سويق . والأنطاع : جمع نطع ، بالسكسر ، وبالفتح ، وبالتحريك وكعنب ؛ وهو بساط من الجلد المدبوغ .

(٢) قالوا أيضاً : « كانت له جفنة يأكل منها القائم والراكب ، بل كانت جفنة يأكل منها الراكب على البعير وسقط فيها صبي ففرق ومات » . بلوغ الأرب (١ : ٨٩) .
وقد يبدو هذا الخبر غريباً ، لكننا نجد تعزيزاً له من الحديث ، جاء في غريب الحديث لابن قتيبة أن الرسول قال : « كنت أستظل بظل جفنة عبد الله بن جدعان صكة عى » ، يعنى في الهاجرة .

(٣) ط ، س : « مجلسه » . س : « ثم هجر » .

(٤) هذا الحديث الآتى ، حديث صحيح رواه الترمذى ، ونقله عنه السيوطى فى الجامع الصغير ٧٤٨٠ ولفظه : « لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء » . فى الأصل : « يقول الرجل » . وهو تحريف كما رأيت

(٥) ط ، س : « ذباب » ، ووجهه ما أثبت من ل .

(أعجوبة في الذبان بالبصرة)

وعندنا بالبصرة في الذبان^(١) أعجوبة، لو كانت بالشامات^(٢) أو بمصر
لأدخلوها في باب الطلسم؛ وذلك أن التمر يكون مصبوباً في بيادر التمر
في شق البساتين، فلا ترى على شيء منها ذبابة لآفي الليل، ولا في النهار،
ولا في البرد^(٣)، ولا في أنصاف النهار. نعم وتكون هناك المعاصر^(٤)،
ولأصحاب المعاصر ظلال، ومن شأن الذباب الفرار من الشمس إلى الظل؛
ولمّا تلك المعاصر بين ثمرة [و] رطوبة، ودبس [وثجير]^(٥)، ثم لا تنكاد
ترى في تلك الظلال والمعاصر، في انتصاف^(٦) النهار، [ولا] في وقت طلب
الذبان السكن، إلا دون ما تراه في المنزل الموصوف بقلة الذبان.

وهذا شيء يكون موجوداً في جميع الشق الذي فيه البساتين. فإن
تحوّل^(٧) شيء من [تمر] تلك الناحية^(٨) إلى جميع ما يقابلها في نواحي
البصرة، غشيه من الذبان ما عسى ألا يكون بأرض الهند أكثر منه

(١) ط: «الذباب».

(٢) الشامات: هي بلاد الشام. وانظر ما سبق في حواشي ١ : ٧٣.

(٣) البردان: الغداة والعشي. ط، س: «البرد» وتصحيحه من ل.

(٤) المراد بالمعاصر هنا معاصر التمر، وكانوا يعصرونه لاستخراج الدبس، وهو عسل التمر.

(٥) الثجير: ثفل كل شيء يعصر. وهو فارسي معرب، كما في المعرب للجواليقي ٤١.

(٦) ل: «أنصاف»، كما سقطت كلمة «تنكاد».

(٧) ل: «حول».

(٨) ط، س: «البادية»، والوجه ما أثبت من ل.

وليس بين جزيرة نهر دُبَيْس^(١) ، وبين موضع الدَّبَّانِ إلَّا فيض البصرة ، ولا بين ما يكون من ذلك بنهر أذرب^(٢) وبين موضع الدَّبَّانِ ممَّا يقابله ، إلَّا سيحان^(٣) ، وهو ذلك النهر وتلك المعصرة ، ولا تكون تلك المسافة إلَّا مائة ذراع أو أزيدَ شيئاً أو أنقصَ شيئاً .

(نوم عجيب لضروب من الحيوان)

وأعجوبة أخرى ، وهى عندى أعجبُ من كلِّ شئٍ صدرنا به جملة القول فى الذباب . فمن العجب أن يكون بعض الحيوان لا ينمُّ كالصافر^(٤) والتَّنَوُّط^(٥) ؛ فإنَّهما إذا كان اللَّيْلُ فإنَّ أحدهما يتدلَّى من ١٢٦ غصن الشَّجرة ، ويضمُّ عليه رجله ، وينكِّس رأسه ، ثمَّ لا يزال يصيحُ حتَّى يبرُقَ النُّور . والآخرُ لا يزالُ يتنقَّلُ فى زوايا بيته ، ولا يأخذه القرار ، خوفاً على نفسه ، فلا يزال كذلك . وقد نتفَّ قبلَ ذلك ممَّا على ظهور

(١) نهر دبيس ، بالتصغير ، نهر بالبصرة . ودبيس : مولى لزياد ابن أبيه . كما فى معجم البلدان .

(٢) كذا فى ط . س : « أذرب » ، ل : « أردر » .

(٣) قال البلاذرى : سيحان نهر بالبصرة ، كان للبرامكة وهم سموه سيحان . وقد سمى العرب كل ماء جار غير منقطع : سيحان . معجم البلدان . ط ، س : « فرسخان » وصوابه فى ل .

(٤) الصافر : طائر من أنواع المصافير ، وسيكل الجاحظ نعتة . ط : « كالمصافير » ووجه ما أثبت من ل ، س .

(٥) التنوط : طائر شبيه بالمصافر المتقدم ذكره . وانظر ما سأتى .

الأشجار مما يشبه الليف^(١) فنفشه ، ثم قتل منه حبلاً ، ثم عمل منه كهيئة القفة ، ثم جعله مدلىً بذلك الحبل ، وعقده بطرف غصن من تلك الأغصان ؛ إلا أن ذلك برصيع ونسج ، ومدخله عجيبة ؛ ثم يتخذ عشه فيه ، ويأوى إليه مخافة على نفسه .

والأعراب يزعمون أن الذئب شديد الاحتراس ، وأنه يراوح بين عييه ، فتكون واحدة مطبقة^(٢) نائمة ، [وتكون] الأخرى مفتوحة حارسة . ولا يشكون أن الأرنب تنام مفتوحة العينين .

وأما الدجاج والكلاب فإنما تعزب^(٣) عقولهما في النوم ، ثم ترجع إليهما بمقدار رجوع الأنفاس . فأما الدجاج فإنها تفعل ذلك من الجبن^(٤) وأما الكلب فإنه يفعل ذلك من [شدة] الاحتراس .

وجاءوا كلهم يخبرون أن الغرائق والكراسي لاتنام أبداً إلا في أبعد المواضع من الناس ، وأخزرها من صغار سباع الأرض ، كالثعلب وابن آوى . وأنها لاتنام حتى تقلد أمرها رئيساً وقائداً ، وحافظاً وحارساً ، وأن الرئيس إذا أعيا رفع إحدى رجله ؛ ليكون أيقظ له .

(١) ط ، س : « يشته بالليف » .

(٢) ل : « مطبقة » .

(٣) تعزب : أى تبعد وتغيب . ل ، ط : « تعرف » س : « يعرف » وصوابه

ما أثبت مطابقاً لما سياتى ص ٤٠٨ س ٦ .

(٤) ط ، س : « فإنه يفعل » ، والوجهان جائزان .

(سلطان النوم)

وسلطان النوم معروف . وإن الرَّجُلَ ممن يغزو^(١) في البحر ، ليعتصمُ
بالشَّراع وبالعود ، وبغير ذلك ، وهو يعلم أن النوم متى خالطَ عَيْنَيْهِ استرخَتْ
يَدُهُ ، ومتى استرخَتْ يَدُهُ بآيَنُهُ الشَّيْءُ الذي كان يركبه ويستعصمُ به^(٢) ، وأنه
متى بآيَنُهُ^(٣) لم يقدرْ عليه ، ومتى عجزَ عن اللِّحاق [به] فقد عطِبَ^(٤) . ثمَّ هو
في ذلك لا يخلو ، إذا سهرَ ليلةً أو ليلتين ، من أن يغلبه النومُ ويقهره ، وإمَّا
أن يحتاج إليه الحاجة التي يريه الرأى الخوانُ ، وفسادُ العقلِ المغمورِ بالعلَّةِ
الحادثة ، أنه قد يُمكن^(٥) أن يُغْنِيَ وينتبهَ في أسرع الأوقات ، وقبلَ
أن تسترخيَ يَدُهُ كلَّ الاسترخاء ، وقبلَ أن تباينه الخشبةُ إن
كانتْ خشبةً .

(١) ط ، س : « يفرق » وصوابه في ل . وفي س أيضاً « فأى رجل » تحريف .

(٢) كذا في س . وفي ط : « يركبه واستعصم به » ل : « مركبه واستعصم به » .

(٣) بآينه : فارقة ، وبعد عنه . ط : « يأتيه » وصوابه في ل ، س .

(٤) عطِب : هلك . ط ، س : « ومن عجز » وصوابه في ل .

(٥) « يريه » هي في ط ، ل : « يريد » محرفة . و « الخوان » هي في ل :

« الفاسد » . و « يمكن » هي في ط ، س : « تمكن » محرفة .

(العجبية في نوم الذباب)

وليس في جميع ما رأينا وروينا ، في ضروب نوم الحيوان ، أعجبُ
من نوم الذَّبَّان ؛ وذلك أنها ربما جعلت مأواها [بالليل] دَرَوْنْدَ الباب^(١)
وقد غشَّوه ببطانةٍ ساجٍ أملسٍ كأنه صفاةٌ ، فإذا كان اللَّيْلُ لَزَقَتْ^(٢) به ،
وجعلت قوائمها مما يليه ، وعلقت أبدانها إلى الهواء . فإن كانت لا تنام البتَّةَ
ولا يخالطها عُزُوب^(٣) المعرفة فهذا أعجب^(٤) : أن تكون أُمَّةٌ من أمم الحيوان
لا تعرف النَّوْمَ ، ولا تحتاج إليه . وإن كانت تنام ويعزُب عنها ما يعزُب^(٥)
١٢٧ عن جميع الحيوان سوى ما ذكرنا ، فما تخلو من أن تكون قابضةً على
مواضع قوائمها^(٦) ، ممسكة^(٧) بها ، أو تكون مرسلَةً لها [مخلية عنها] . فإن
كانت مرسلَةً لها فكيف لم تسقط وهي أثقلُ من الهواء ؟ ! وإن كانت
ممسكةً لها فكيف يجامع التشدُّد والتثبيت^(٨) النوم ؟ !

(١) الدرونْد كلمة فارسية. وفي اللسان (نجف): «ابن الأعرابي: النجاف هو الدرونْد والنجران.
وقال ابن شيل: النجاف الذي يقال له الدوارة ، وهو الذي يستقبل الباب من أعلى
الأسكفة» . وانظر نهاية الأرب ١ : ٣٧٦ ومعجم البلدان (سد يأجوج ومأجوج)
ط : «دورة» تحريف .

(٢) ط : «لزمت» .

(٣) العزوب : البعد . وفي ل : «غروب» .

(٤) ل : «عجب» .

(٥) ل : «يفرب» في الموضعين .

(٦) في الأصل : «قائمها» .

(٧) ل : «متسكة» .

(٨) س : «والتثبيت» .

(بعض ما يمتري النائم)

ونحن نرى كلَّ مَنْ كان في يده كيس أو^(١) درهم أو حبلٌ ، أو عصا
فإنَّه متى خالط عَيْنَيْهِ^(٢) النَّوْمُ اسْتَرَحَّتْ يده وانفتحت أصابعه^(٣) . ولذلك
يتشاءب المحتال للعبد الذى فى يده عِنان دَابَّةِ مولاه ، ويتناوم له وهو جالس ؛
لأنَّ مِنْ عادة الإنسان إذا لم يكن بحضرتِهِ مَنْ يشغله ، ورأى إنساناً^(٤)
[قُبَالَتَهُ] يتشاءبُ أو يَنْعَسُ ، [أن يتشاءب وينعس مثله^(٥)] . ففى استرختْ
يُده أو قبضته عن طَرْفِ العِنان ، وقد خامره سُكْرُ النَّوْمِ ، ومتى صار
إلى هذه الحال — ركب المحتالُ الدَّابَّةَ ومرَّ بها .

باب

القول فى الغريبان

اللهم جنبنا التكلُّفَ ، وأعِزَّنَا مِنَ الخطأِ ، وأحمِنَا العُجْبَ بما يكون منه ،
والثِّقَّةَ بما عندنا ، واجعلنا من المحسنين .

(١) ط ، س : « كيس دراهم » .

(٢) ط ، س : « عينه » .

(٣) ط فقط : « وتفتحت أنامله » .

(٤) س : « من » . وفى ل : « ينود » بدل : « يتشاب » . ينود : يتمايل

من النعاس .

(٥) هذه التكلة من س .

نذكر على اسم الله جُمِّلَ القولُ في الغِرْبَانِ ، والإخبار عنها ، وعن غريبٍ ما أُودِعَتْ من الدَّلالة ، واستُخْرِنت من عجيب الهداية ^(١) .
وقد كُنَّا قَدَمْنَا ما تقول العربُ في شأنِ منادمةِ الغرابِ الديكَ وصداقته له ، وكيف رهَّنه عند الحِمَّار ، وكيف خاسَ به وسخر منه وخدعه ^(٢) وكيف خرج سالماً غيرَ غارم ، وغائماً غيرَ خائب ^(٣) ، وكيف ضربت به العربُ الأمثالَ ، وقالت فيه الأشعار ، وأدخلته في الاشتقاقِ لجزرها عند عيافتها وقيافتها ، وكيف كان السبب في ذلك ^(٤) .

(ذكر الغراب في القرآن)

فهذا إلى ما حكى الله عزَّ وجلَّ من ^(٥) خبر ابْنِ آدَمَ ، حينَ قَرَّبَا قرباناً فحسَدَ الذي لم يُتَقَبَّلْ منه المُتَقَبَّلَ منه ، فقال عند ما همَّ به من قتله ، وعند إمساكه عنه ، والتَّخْلِيَةِ بَيْنَهُ وبين ما اختارَ لنفسه : ﴿ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴾ . ثمَّ قال : ﴿ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ .

(١) الكلام من مبدل : « اللهم » ساقط من ل .

(٢) خاس به : غدر به وخانه .

(٣) « وغائماً غير خائب » ساقطة من ل .

(٤) انظر لمثل هذا الكلام (٢ : ٣١٩ ، ٣٢٠) . والكلام من : « وقالت »

ساقط من ل .

(٥) ل : « عن » .

فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ ﴿١﴾
 حَتَّى قَالَ الْقَائِلُ ، وَهُوَ أَحَدُ ابْنَيْ آدَمَ مَا قَالَ . فَلَوْلَا أَنَّ لِلْغُرَابِ ^(١) فَضِيلَةً
 وَأُمُورًا مَحْمُودَةً ، وَآلَةً وَسِبْأً لَيْسَ ^(٢) لغيره من جميع الطَّيْرِ لَمَّا وَضَعَهُ
 اللَّهُ تَعَالَى فِي مَوْضِعٍ تَأْدِيبِ النَّاسِ ، وَلَمَّا جَعَلَهُ الْوَاعِظَ وَالْمَذَكِّرَ بِذَلِكَ .
 وَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ ۚ ١٢٨
 كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ ﴾ ، فَأَخْبَرَ أَنَّهُ مَبْعُوثٌ ، وَأَنَّهُ هُوَ اخْتَارَهُ لِذَلِكَ مِنْ
 بَيْنِ جَمِيعِ الطَّيْرِ .

قال صاحب الديك : جعلت الدليل على سوء حاله وسقوطه ^(٣) الدليل
 على حسن حاله وارتفاع مكانه . وكلما كان ذلك المقرَّعُ به أسفلَ كانت
 الموعدة في ذلك أبلغ . أَلَا تَرَاهُ يَقُولُ : ﴿ يَا وَيْلَتَى أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ
 مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴾ .

ولو كان في موضع الغراب رجلٌ صالحٌ ، أو إنسانٌ عاقلٌ ، لما حسنَ
 به أن يقولَ : يَا وَيْلَتَى أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْعَاقِلِ الْفَاضِلِ الْكَرِيمِ
 الشَّرِيفِ . وإذا ^(٤) كان دوناً وحقيراً فقال : أَعْجَزْتُ وَأَنَا إِنْسَانٌ أَنْ أَحْسِنَ
 مَا يَحْسِنُهُ هَذَا الطَّائِرُ ، ثُمَّ طَارَ مِنْ شِرَارِ الطَّيْرِ . وإذا أَرَاهُ ^(٥) ذلك

(١) ل : « في الغراب » .

(٢) ط ، س : « وأشياء ليست » .

(٣) ط : « وسقوط » وتصحيحه من ل ، س .

(٤) ط : « إذ » وصوابه في ل ، س .

(٥) ط : « أراد » .

في طائر أسود محترق^(١) ، قبيح الشائل ، ردىء المشية^(٢) ، ليس من بهائم الطير المحموده ، ولا من سباعها الشريفة ، وهو بعد طائر يتنكّد به ويتطيّر منه ، آكل جيف^(٣) ، ردىء الصيد . وكلما كان أجهل وأنذل^(٤) كان أبلغ في التوبيخ والتّقريع .

وأما قوله : ﴿ فَاصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴾ فلم يكن به على جهة الإخبار أنّه كان قتاه ليلاً ، وإنما هو كقوله : ﴿ وَمَنْ يُؤْلِهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرُهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ﴾ . ولو كان المعنى وقع على ظاهر اللفظ دون المستعمل في الكلام من عادات الناس ، كان من فرّ من الزّحف ليلاً لم يلزمه وعيد^(٥) . وإنما وقع الكلام على ما عليه الأغلب من ساعات أعمال الناس ، وذلك هو النهار دون الليل .

وعلى ذلك المعنى قال صالح بن عبد الرحمن^(٦) ، حين دفعوا إليه جواباً^(٧) الخارجيّ ليقتله ، وقالوا : إن قتله برئت الخوارج منه ، وإن ترك قتله فقد

(١) ل : « محرق » .

(٢) للغراب مشية رديئة . وفي القصص التّشيل أنه أعجبه مشية المصفور أو القطاة فرام تقليدها ففعل . ثم أراد الرجوع إلى مشيته الأولى فمضى ، فلا هو حافظ على مشيته الأولى ، ولا هو أدرك مشية المصفور . انظر شعراً في ذلك بطراز المجالس ١٩٩ . ط : « الشبه » وصوابه في ل ، س .

(٣) ط ، س : « الجيف » .

(٤) ل : « أخل وأزل » .

(٥) ل : « وعيده » .

(٦) صالح بن عبد الرحمن هو كاتب الوليد بن عبد الملك .

(٧) ط ، س : « خواتنا » .

أبدى لنا صفحته . فتأول صالحٌ عند ذلك تأويلاً مستنكراً^(١) : وذلك أنه قال : قد نجدُ التَّقِيَّةَ تُسَيِّغُ الكُفْرَ^(٢) ، والكُفْرَ باللسانِ أعظمُ من القَتْلِ والقَذْفِ بالجراحة . فإذا جازتِ التَّقِيَّةُ^(٣) في الأعظم كانت في الأصغر أجوزَ . فلما رأى هذا التأويل يطرد له ، ووجد على حالٍ بصيرته ناقصة ، وأحسَّ^(٤) بأنه إنما التمس عُذراً ولزق الحجة تلزيقاً [فلماً عزم على قتل جواب ، وهو عنده واحدُ الصُّفْرىة في النُّسك والفضل] قال : إني^(٥) يومَ أَقْتُلُ جَوَّاباً على هذا الضَّرْبِ من التأويل الحريص^(٦) على الحياة ! ولو كان حين قال إني^(٥) يومَ أَقْتُلُ جَوَّاباً إنما عنى النهارَ دونَ اللَّيْلِ ، كان عند نفسه إذا قتله تلك القِتلة ليلاً لم يَأْثُمَ به . وهذا أيضاً كقوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لشيءٍ إني فاعِلٌ ذلِكَ غَدًا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ .

ولو كان هذا المعنى إنما يقع على ظاهر اللفظ دون المستعمل بين الناس ، لكان إذا قال من أوَّل الليل : إني فاعِلٌ ذلِكَ غَدًا في السَّحَرِ ، أو معَ الفجر ١٢٩ أو قال الغداة^(٧) : إني فاعِلٌ يومى كلَّه ، وليلتى كلها ، لم يكن عليه حِثٌّ ، ولم يكن مخالفاً إذا لم يستثنِ^(٨) ، وكان إذن لا يكون مخالفاً إلا فيما وقع عليه

(١) ل : « مستكرها » .

(٢) التَّقِيَّة : الخوف والخشية من الهلاك . تسبيغ الكُفْر : تبيحه . أى إن من هدد بالقتل إن لم يكفر ، ساغ له الكُفْر ظاهراً . ل : « أجد البقية تسع في الكُفْر » ط ، س : « نجد التَّقِيَّة تسبيغ بالكُفْر » . والوجه في العبارة ما ذكرت .

(٣) ل : « البقية » . وانظر التنبيه السابق .

(٤) ط ، س : « وأخبر » وصوابه في ل .

(٥) ط : « أى » وتصحيحه من ل ، س .

(٦) ط : « الحريص » وله وجه .

(٧) ل : « بالغداة » .

(٨) المراد بالاستثناء هنا ، قول : « إن شاء الله » . ط : « يستثنى » محرفة .

اسمٌ غد . فأمّا كلُّ^(١) ما خالفَ ذلكَ في اللَّفْظِ فلا . وليس التَّأْوِيلُ كذلكَ
لأنَّه جَلٌّ وَعَلَا إنما أَلَزَمَ عَبْدَهُ أَنْ يَقُولَ : إِنْ شَاءَ اللَّهُ ؛ لِيَتَّقِيَ عَادَةَ التَّأْوِيلِ^(٢) .
ولئلاَّ يَكُونَ كَلَامُهُ وَافِظُهُ يَشْبَهُ لَفْظَ الْمُسْتَبِدِّ وَالْمُسْتَغْنَى ، وَعَلَى أَنْ يَكُونَ
عِنْدَ^(٣) ذَلِكَ ذَاكِرَ اللَّهِ ؛ لِأَنَّهُ عَبْدٌ مُدَبَّرٌ ، وَمَقْلَبٌ مَيَّسَرٌ^(٤) ،
وَمَصْرُوفٌ مُسَخَّرٌ .

وإذا كان المعنى فيه ، والغاية التي جَرَى إليها اللفظ ، إنما هو على
ما وصفنا ، فليس بينَ أَنْ يَقُولَ أَفْعَلُ ذَلِكَ بَعْدَ طَرْفَةٍ ، وبينَ أَنْ يَقُولَ أَفْعَلُ
ذَلِكَ بَعْدَ سَنَةٍ فَرْقٌ .

وأما قوله : ﴿ فَاصْبِرْ مِنَ النَّادِمِينَ ﴾ فليس أنه كان هنالك ناسٌ
قتلوا إخوانهم وندموا فصارَ هذا القاتلُ واحداً منهم ؛ وإنما ذلك على قوله
لَأَدَمَ وَحَوَّاءَ عليهما السلام : ﴿ وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ
الظَّالِمِينَ ﴾ ، على معنى أَنْ كُلٌّ مِّنْ صَنَعَ صَنِيعَكُمَا فَهُوَ ظَالِمٌ .

(الاستثناء في الحلف)

وعجبت من ناسٍ ينكرون قولنا في الاستثناء ، وقد سمعوا الله عزَّ وجلَّ يَقُولُ :

﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرُنَّهَا مُصْبِحِينَ . وَلَا

(١) ط ، ل : « كلما » ، وصوابه في س .

(٢) التقى : الحذر . ط ، ل : « لبقى » س : « لتقى » ، ووجهه بما ترى .

والتألى : الحلف . ل : « التألى » ط ، س : « المتألى » ، والوجه ما ذكرت .

والمعنى : ليحذر تعود الإنسان الحلف واستعماله .

(٣) ط ، س : « عنده » وصوابه في ل .

(٤) انظر الاستدراكات .

يَسْتَشْنُونَ . فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ، فَأَصْبَحَتْ
كَالْصَّرِيمِ ﴿١﴾ ، مع قوله عز وجل : ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا
إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ .

(تسمية الغراب ابن دأية)

والعربُ تسمي الغراب ابن دأية ؛ لأنه إذا وجدَ دَبْرَةً ^(١) في ظهر
البعير ، أو في عنقه قرحة سقط عليها ، ونقره وأكله ^(٢) حتى يبلغ الدَّائِيَاتِ ^(٣) .
قال الشاعر ^(٤) :

نَجِيَّةٌ قَرَمٌ شَادَهَا الْقَتُّ وَالنَّوَى يَثْرِبُ حَتَّى نَيْهَا مَتَظَاهِرُ ^(٥)
فَقُلْتُ لَهَا سِيرِي فَا بِكِ عِلَّةٌ مَنَامِكِ مَلُومٌ وَنَابُكِ فَاطِرُ ^(٦)
فِيئَلَيْكَ أَوْ خَيْرًا تَرَكْتُ رَذِيَّةً تَقْلُبُ عَيْنِهَا إِذَا مَرَّ طَائِرُ ^(٧)

(١) الدبرة ، بالتحريك : القرحة .

(٢) ط ، س : « وعقره » وهي صحيحة أيضاً ، يقال عقر الكأ : أكله ، ويقال
أيضاً : عقره : جرحه .

(٣) جاءت هذه الكلمة ومفردها في السطر السابق خالية من الهمز ، وأصلها الهمز .

وللدائيات : فقر الكاهل والظهر .

(٤) هو أبو الربيع الثعلبي ، أو الجون الحرزي . خزانة الأدب (٢ : ٥٣٢) حيث
قصة الشعر .

(٥) نجية قرم : يقول : هذه الناقة قد أنجها قرم من الإبل ، وهو بالفتح والراء :
الفحل الكريم . ط ، س : وكذا أصل البيان (٣ : ٣٠٦) : « قوم » ، وصوابه
ما أنهت من ل . شادها القت والنوى : أى نساها تناول هذا العلف . والى
المتظاهر : الشحم الذى ركب بعضه بعضاً .

(٦) ملوم : مجتمع . وفطر ناب الناقة : انشق وظهر .

(٧) الرذية ، بالذال : الناقة المهزولة من السير . وإنما تقلب عينها خوف أن
تنقرها الطير . وانظر شرح القصائد السبع الطوال ص ٣٩ .

ومثله قول الرَّاعِي :

فلو كنت معذوراً بنصرك طيَّرت صقورِي غُرْبَان البعيرِ المقيّدِ
هذا البيت لعنّرة ، في قصيدة له ^(١) . ضرب ذلك مثلاً للبعير المقيّد
ذِي الدَّبَر ، إِذَا وَقَعَتْ عَلَيْهِ الْغُرْبَان .

(غرز الريش والخرق في سنام البعير)

وإذا كان بظهر البعير دَبْرَةٌ غرزوا في سَنَامِهِ إمَّا قَوَادِمَ رِيشٍ ^(٢) أَسْوَدَ
وإمَّا خَرَقًا سُودًا ^(٣) ؛ لتفزع الْغُرْبَانُ مِنْهُ ، ولا تسقط عليه . قال الشاعرُ ،
وهو ذُو الْخَرَقِ الطُّهُوَّى ^(٤) :

لَمَّا رَأَتْ إِبِلِي حَطَّتْ حَمُولَهَا هَزَلِي عِجَافًا عَلَيْهَا الرِّيشُ وَالْخَرَقُ ^(٥)

(١) هذه الجملة ساقطة من ل .

(٢) قوادِم الرِّيش : أربع أو عشر في مقدم الجناح . ط ، س : « قوادِم »
وانظر ما سيأتى .

(٣) كَذَا في ل . وفي ط « خرقَة سوداء » . وفي س : « خرقاء سوداء »
وهذه الأخيرة محرفة .

(٤) هذه الجملة ساقطة من ل . وذو الخرق قائل هذا الشعر : اسمه خليفة بن حمل
ابن عامر بن حمير ؛ فإن من لقب بهذا اللقب من بني طهية ثلاثة شعراء أحدهم
هذا ، والثاني قرط بن قرط ، والثالث شير بن عبد الله بن هلال . انظر الخزانة
(١ : ٥٠ — ٥١ سلفية) والمؤتلف والمختلف ١٠٩ ثم ١١٩ . وجاء في الخزانة
أن الأمدى لم يذكر الشعر الذى منه البيت الآتى . وقدمها البغدادى ؛ فإن الشعر
مذكور في ص ١٠٩ من المؤتلف والمختلف ، في غير مظهره .

(٥) العجاف : جمع أعجف وعجفاء على الشذوذ ؛ لأن أفعل وفعلاء لا يجمعان على
فعال . والأعجف : الذى ذهب سمته . وقبل البيت :
ما بال أم حبيش لاتكلمنا لما افرقنا وقد نثرى فننتفق .

١٣٠ قالتُ ألا تبغى عيشاً نعيشُ به عَمَّا نلاقى ، فشرُّ العيشة للرَّنقُ
[الرَّنقُ ، بالراء المهملة ، وبالنون ، هو الكدرُ غير الصافي] .

وقال آخر (١) :

كأنها ريشةٌ في غاربٍ جرَزٍ في حيثما صرفته الريح ينصرف (٢)
[جرَز : عظيم . قال رؤبة :

* عن جرَزٍ منه وجوزٍ عارٍ* (٣)]

(غرز الريش في أسنمة إبل الملوك وخرائطهم)

وقد توضع (٤) الرِّيش في أسنمتها وتغرَز فيها لغير ذلك ؛ وذلك أن
الملوك كانت تجعل الرِّيشَ علامةً لحبائ الملك (٥) ؛ تحميها بذلك
وتشرِّف صاحبها (٦) .

(١) ل : « وفي ذلك يقول الآخر » .

(٢) الغارب : أعلى مقدم السنام . ل : « غارز » وليس له وجه . والجرز بانتحريك
سيفسر . ط ، س : « جرد » تحريف ما في ل . ط ، س : « ضربته
الريح » ، وأثبت ما في ل .

(٣) الجوز : الوسط . والبيت في صفة جمل سمين فضخه الحمل الثقيل . وقد نسب في
اللسان (جرز ، وري) إلى العجاج لارؤبة . وقد روى البكري الأرجوزة في أراجيز
العرب ١٥٧ منسوبة إلى العجاج كما في اللسان . وقبل البيت :
* وانهم هاموم السديف الواري *

(٤) ط : « يوضع » ، والأولى التوحيد في التأنيث كما أثبت من ل ، س .

(٥) كذا في ل . والحباء ، بالكسر : العطاء . ط ، س : « لجمالها » .

(٦) ط : « تحميها بذلك بشرف أصحابها » . ل : « تحميها بذلك ويشدن صاحبها » .

قال الشاعر :

يَهْبُ الْجِلَادَ بَرِيْشَهَا وَرِعَائَهَا كَاللَّيْلِ قَبْلَ صَبَاحِهِ الْمَتْبَلِّجِ^(١)
ولذلك^(٢) قالوا في الحديث : فرجع النّابغة من عند النّعمان وقد وهبَ
له مائة من عَصَافِيرِهِ^(٣) بَرِيْشَهَا :
وللرّيش مكان آخر : وهو أنّ الملوك إذا جاءتها الخرائط بالظفر^(٤)
غرزت فيها قوادم ريش سود .

(غربان الإبل)

وقال الشاعر :

سَارَفَعَ قَوْلًا لِلْحُصَيْنِ وَمَالِكٍ تَطِيرُ بِهِ الْغُرْبَانُ شَطْرَ الْمَوَاسِمِ^(٥)

(١) الجِلَاد من الإبل : الغزيرات اللبن . والرواية في البيان (٣ : ٩٦) :
« الهجان » . والرعاة بالضم والرعاة بالضم ويكسر : جمع راع . وقد روى البيت بالوجه
الأول في ط ، س . وبالثاني في ل ، والبيان . وجعلها كالليل لما فوق أسنمتها من
الريش السود ، كما جعل أبدانها كالصبح تحت الظلام . وهو خيال ركب تركيبا
بارعا . أو جعلها كالليل لأنها سود ، كما في الشعراء ١١٠ . وفيها أيضا : « ولم
يكن بأرض العرب يعير أسود إلا له » : أى للنعمان .

(٢) س : « وكذلك » .

(٣) هى إبل نجبية كانت له ، وقال ابن سيده : أظنه أراد من فتايا نوقه . قالوا :
كان النعمان غاضبا على النابغة لقصيدته المشهورة التى وصف فيها المتجردة ، ثم
ذهب غضبه عليه عند ما غنت النعمان قينة بشعر للنابغة ، ووهب له العصافير . انظر
الأغاني (٩ : ١٦٥) والتنبية السابق وما سيأتى في (٥ : ٢٣٣) .

(٤) الخرائط : جمع خريطة ، وهى وعاء من آدم وغيره يشرح على مافيه ، أى يشد .

(٥) رواية اللسان عن ابن الأعرابي : « للحصين ومنذر » . والمواسم : أسواق العرب
في الجاهلية حيث كانوا يجتمعون .

- وتروى به الهمُّ الظَّماءُ ، وَيَطْبِي بِأَمْثَالِهِ الْغَازِينَ سَجْعُ الْحَمَائِمِ (١)
يعنى غِرْبَانُ الْإِبِلِ (٢) . وَأَمَّا قَوْلُهُ : « وتروى به الهمُّ الظَّماءُ » فمثل
قول الماتح (٣) :

عَلِقْتَ يَا حَارِثَ عِنْدَ الْوَرْدِ بِجَاذِلٍ لَارْفِلٍ التَّرْدَى (٤)
* وَلَا عَيٍّ بِابْتِدَاءِ الْمَجْدِ (٥) *

(١) يطيبهم سجع الحمام : يستميلهم غناء الحمام الذى يسجع بهذا الشعر . و « الغازين »
هنا بمعنى القاصدين . ط ، س : « بأمثالها » ، وإنما الضمير راجع إلى القول .
ل : « الغاوين » .

(٢) فى الأصل : « الليل » ، وإنما هى غِرْبَانُ الْإِبِلِ ، وغراب البعير هو حد الورك الذى
يلى الظهر . أى إن هذا الشعر يذهب به على الإبل إلى المواسم . ومعنى تطير : تسرع .
وإنما خص الأوراك لأنهم كانوا يعملون الرسائل فى حقبة تحتقب ، وتشد على
عجز البعير . كما قال الآخر :

وإن عتاق العيس سوف يزورك
ثناء على أعجازهن معلق

(٣) الماتح ، بالتاء : الذى ينزع الدلو وهو بجوار البئر . والماتح ، بالهمز : الذى يدخل
البئر فيملأ الدلو . ط : « المسائح » ل : « المايح » والأولى تحريف ، والثانية
ليست مرادة . والرجز فى البيان (١ : ٤) مسبوقة بعبارة : « وقال الراجز
وهو يمتح بدلوه » . ووجه المثلية أن كلا منهما خاطب نفسه ، قال الأول
« وتروى » يخاطب نفسه ، وكذا الثانى : « علقت » .

(٤) الجاذل : الواقف مكانه لا يبرح ، شبه بالجذل الذى ينصب فى المعادن لتحتك به الإبل
الجري . ومثله « الجاذى » ، وبهذه الأخيرة جاء فى س مع الهمز أى « جاذى »
وفى البيان : « بجابى » . والجابى ، الذى يطلع فجأة . وقد غنى رجلا . والرفل :
الذى يجر ذيل ثوبه . والتردى : لبس الرداء . وفى الأصل : « لاوجل التود »
وصوابه من البيان . وجاء بعد هذا البيت فى ل :

* فجانبى لارفل التردى *

وأقول : إنه مقحم وإن به تصحح نهاية هذا البيت .

(٥) العيسى : العاجز . ط : « يعنى » س : « يعنى » ، وصوابه ما أثبت من البيان .
وفى ل : « عيبا » .

(شعر في تعرض الغربان للإبل)

وقالوا في البعير إذا كان عليه حملٌ من تمرٍ أو حبٍّ ، فتقدّم الإبل
بفضل قوّته ونشاطه ^(١) ، فعرض ما عليه للغربان ^(٢) . قال الرّاجز :
قد قلتُ قولاً للغرابِ إذ حَجَلُ عليك بالقُود المسانيف الأول ^(٣)
* تغدّ ما شئتَ على غير عَجَلٍ ^(٤) *
ومثله ^(٥) :

يقدمُها كلُّ أُمُونٍ مظعان ^(٦) حمراءَ من مُعرّضاتِ الغربان ^(٧)

- (١) ط : « فيقدم » . ل : « لفضل » : مكان « بفضل » .
(٢) س : « الغربان » .
(٣) القود : الطوال الأعناق . ط ، س : « بالعود » وصوابه في ل والمخصص (١٠ : ١٦٧) وتنبية البكري ٤٨ والمحاسن للبيهقي (٢ : ٨٤) . وفي مجالس نعلب ١٣٦ : « عليك بالإبل » . والمانيف : المتقدمة ، جمع مسنّف . س ، ط : « المسانيف » .
(٤) ط ، س : « من بعد مامشت على غير عجل » ، وتصحيحه من المراجع المتقدمة .
قال الكسائي — وقد سأله الرشيد عن هذا الشعر — : « إن العير إذا فصلت من خير وعليها التمر يقع الغراب على آخر العير فيطردها السواق . يقول هذا ، تقدم إلى أوائل العير فكل على غير عجل » المحاسن للبيهقي . وللراجز بقية في تنبيه البكري ، فراجع .
(٥) الرجز الآتي يروى للأجلح بن قاسط ، كما في اللسان (عرض) . وقال ابن بري : « وهذان البيتان في آخر ديوان الشياخ » . قلت أنا : هما في أخرياتهما ص ١١٦ منسوبان إلى الجليح بن شيمذ رفيق الشياخ . ونسبا في مشارف الأقاويذ ٢٠٨ — ٢٠٩ إلى الجعيل . وجاء قوله في آخر الرجز يخاطب نفسه :
* يا ابن جليح كن دليل الركبان *
ويظهر أنه اجتلب كلمة : « ابن » تحسّناً للكلام ، وضبطاً للوزن .
(٦) ل : « تقدمها » . والأمون : الوثيقة الخلق . س : « أموق » تصحيف . ل : « علاة » ، وهي رواية القالي والبكري . والعلاة : الشديدة الصلبة ، مشبهة بالعلاة وهي السندان . والمظعان ، السهلة السير . ل : « مدعان » ، صوابه « مدعان » بالذال ، وهي المتقادة لقائدها .
(٧) قال البكري : « الأحمر أجله الإبل » . والمعرضات : التي تقدم الإبل فتقع الغربان عليها فتأكل مما حملته ، كأنها عرضت ماتحملة للغربان .

(أمثال في الغراب)

ويقال : « أَصَحُّ بَدْنًا مِنْ غُرَابٍ » ، و « أَبْصَرُ مِنْ غُرَابٍ » ، و « أَصْفَى عَيْنًا مِنْ غُرَابٍ » .

وقال ابن ميادة :

أَلَا طَرَقْتَنَا أُمُّ أَوْسٍ وَدُونَهَا حِرَاجٌ مِنَ الظُّلَمَاءِ يَعِشَى غُرَابُهَا ^(١)
فَبِتْنَا كَأَنَّا بَيْنَنَا لَطِيمَةٌ مِنَ الْمِسْكِ ، أَوْ دَارِيَّةٌ وَعِيَابُهَا ^(٢) .
يقول : إذا كان الغراب لا يبصر في حِرَاجِ الظُّلَمَاءِ ^(٣) . وواحد الحِرَاجِ
حَرَجَةٌ ، وهى هاهنا مَثَلٌ ، [حيث ^(٤)] جَعَلَ كُلَّ شَيْءٍ التَّفَّ وَكَثَفَ مِنَ
الظُّلَامِ حِرَاجًا ، وَإِنَّمَا الْحِرَاجُ مِنَ السَّدْرِ وَأَشْبَاهِ السَّدْرِ .
يقول : فإذا لم يبصر فيها الغرابُ مع حَدَّةِ بَصَرِهِ ، وصفاء مُقْلَتِهِ فَا
ظَنُّكَ بغيره ؟ !

١٣١

وقال أبو الطَّمَحَانِ الْقَيْنِيُّ ^(٥) :

إِذَا شَاءَ رَاعِيهَا اسْتَقَى مِنْ وَقِيعَةٍ كَعَيْنِ الْغُرَابِ صَفَوْهَا لَمْ يَكْدُرِ

(١) س : « جراح من الظلماء يغشى » ، وصوابه في ط ، ل .

(٢) اللطيمة : العبرة لطمت بالمسك فتفتقت به . ل وكذا في كتاب الصيدنة ص ٦ :
« بيتتنا لطيمة » . واللطيمة : العير تحمل الطيب . والتببيت أصله من بيت العدو :
أوقع بهم ليلا . والدارية : منسوبة إلى دارين ، فرضة بالبحرين كان يحمل إليها
المسك من ناحية الهند . وعنى بها العطور ، أو العير . والعياب : جمع عيبة ، وهى
وعاء من آدم يوضع فيه الثياب ونحوها . ط ، س ، وكذا كتاب الصيدنة :
« كماها » ولم أر لها وجها .

(٣) ط : « الظماء » ، وصوابه في ل ، س ، وثمار القلوب ٣٦٤ .

(٤) الزيادة من ثمار القلوب .

(٥) من أبيات في الأغاني (١١ : ١٢٨) .

(استطراد لغوى)

والوقية : المكان الصلب الذى يُمسك الماء ، والجمع الوقائع . قال :
 وأنشدنا أبو عمرو^(١) بن العلاء ، فى الوقائع :
 إذا ما استبالوا الخيلَ كانتْ أكفهمَ وقائعَ للأبوالِ والماءِ أبرَدُ
 يقول : كانوا^(٢) فى فلاةٍ فاستبالوا الخيلَ فى أكفهمَ ، فشرَبوا أبوالها
 من العطش .

ويقال شهد الوقية والوقعة بمعنى واحد . قال الشاعر^(٣) :
 لعمري لقد أبقتْ وقيةً راهطٍ على زفرٍ داءٍ من الشرِّ باقيا^(٤)
 وقال [زفر بن^(٥)] الحارث :
 لعمري لقد أبقتْ وقيةً راهطٍ لِمَروانَ صدعاً بيننا متنائيا^(٦)

-
- (١) أبو عمرو بن العلاء تقدمت ترجمته فى (٢ : ٢٢٥) . ط ، س : « وأنشد أبو محمد » وصوابه فى ل . وانظر الاشتقاق ١٧٧ من تحقيقى .
 (٢) ط ، س : « إذا كانوا » ، والوجه حذف « إذا » كما فى ل .
 (٣) هو جواس بن القعطل الكلبي . المؤتلف والمختلف ٧٤ والتنبيه والإشراف ٢٦٨ .
 (٤) وقعة راهط هى المعروفة بوقعة مرج راهط . انظر لها الأغاني (١٧ : ١١١ - ١١٤) والعقد (٣ : ١٤٥) ومروج الذهب (٢ : ١٠٧ مهية) . ط ، س : « على دفر » ، وصوابه فى ل ، والعقد (٣ : ١٤٧) والمؤتلف ٧٤ .
 (٥) هذه الزيادة الضرورية اعتمدت فيها على المراجع المتقدمة وحاسة البحرى ١٧ .
 (٦) مروان هذا هو ابن الحُكم الأموى والد عبد الملك . ط : « بينا » ، وصوابه فى ل ، س ، والمراجع المتقدمة . ط ، س : « متباينا » وصوابه فى ل والمراجع المتقدمة ؛ فإن البيت من قصيدة يائية ، منها البيت المشهور :
 وقد ينبت المرعى على دمن الثرى وتبقى حزازات النفوس كما هيا

وقال الأخطل :

لَقَدْ أَوْقَعَ الْجَحَافُ بِالْبَشْرِ وَقْعَةً إِلَى اللَّهِ مِنْهَا الْمَشْتَكَى وَالْمَعْوَى^(١)

(أمثال من الشعر والنثر في الغراب)

وفي صحفة بدن الغراب يقول الآخر^(٢) :

إِنَّ مُعَاذَ بْنَ مُسْلِمٍ رَجُلٌ قَدْ ضَجَّ مِنْ طَوْلِ عُمَرِهِ الْأَبَدِ^(٣)

[قَدْ^(٤)] شَابَ رَأْسُ الزَّمَانِ وَاکْتَهَلَ الدَّهْرُ

رُ وَأَثْوَابُ عُمَرِهِ جُدْدُ

يَا نَسْرَ لِقَمَانٍ كَمْ تَعِيشُ وَكَمْ تَسْحَبُ ذَيْلَ الْحَيَاةِ يَا لُبْدَ^(٥)

(١) الجحاف هذا هو ابن حكيم السلمي ، قاد قومه وأغار على بني تغلب بموضع يسمى البشر بين الفرات والشام ، فقتل منهم مقتلة عظيمة . انظر معجم البلدان والعمدة ١٦٧ وأمثال الميداني (٢ : ٣٦٧ ، ٣٥٥) . ط ، س : « الجحاف بالبشر » صوابه في ل والمعجم . وانظر نقد البيت في الموشح ١٦٥ - ١٦٦ .

(٢) هو الخزرجي كما في الحيوان (٦ : ٣٢٧) ، وقد ذكر ابن خلكان (في ترجمة معاذ بن مسلم) أن صاحب الشعر هو أبو السرى سهل بن أبي غالب الخزرجي . قال ابن خلكان في ترجمته (وذكرها في نهاية ترجمة معاذ) : إنه نشأ بسجستان وادعى رضاع الجن ، وزعم أنه بايعهم للأمين بن هارون الرشيد بالعهد ، فقرّبه الرشيد وابنه الأمين وزبيدة ، وله أشعار حسنة وضعها على الجن والشياطين والسعالى . وقال له الرشيد : إن كنت رأيت ما ذكرت فقد رأيت عجبا ، وإن كنت ما رأيت فقد وضعت أدبا . وتجد الأبيات في العقد (٣ : ٥٢) وبغية الوعاة ٣٩٣ منسوبة إلى محمد بن منذر . وهي بدون نسبة في المعاني الكبير ٥٨ وأمالى الزجاجي ١٧ من تحقيقي .

(٣) معاذ بن مسلم هذا هو المعروف بالهراء ، كان نحويا كوفيا ، وكان يتشيع . قرأ عليه الكسائي وروى عنه . عمر معاذ بن مسلم طويلا . وتوفي سنة سبع وثمانين ومائة ، وهي سنة نكبة البرامكة .

(٤) من ل ، س ، والجزء السادس ، وعيون الأخبار (٤ : ٥٩) وثمار القلوب ٣٧٧ وأمثال الميداني (١ : ٤٥٤) .

(٥) لب ، كزفر : آخر نسور لقمان ، قالوا في أساطيرهم : عمر لقمان عمر سبعة أنسر =

قد أصبحت دار آدم خربت وأنت فيها كأنك الوتد^(١)
تسأل غربانها إذا حجلت كيف يكون الصداغ والرمد

ويقال : « أرض لا يطير غرابها^(٢) » . قال النابغة :

ولرَهطِ حَرَّابٍ وقد سَوَّرَةُ في الحجدِ ليس غرابُها بمُطَارِ^(٣)
جعلهُ مثلاً . يعنى أن هذه الأرض تبلى من خصبها أنه إذا دخلها

الغراب لم يخرج منها ؛ لأن كل شيء يريدُه فيها^(٤) .

وفى زهو الغراب يقول حسان ، فى بعض قريش^(٥) :

إنَّ الفَرافِصَةَ بنَ الأحوصِ عندَه شَجَنٌ لَأَمِّكَ مِن بَنَاتِ عَقَابِ^(٦)
أَجَعْتَ أَنتَ أَلُمَّ مَنْ مَشَى فى فحشِ مُوسى وزهو غرابِ^(٧)

= كلما مات واحد خلفه آخر ، وكان كل منها يعيش ثمانين سنة .
انظر الدميرى .

(١) الوتد يبقى بعد دروس المنزل .

(٢) ط : « ويقال فى أرض لا يطير غرابها » ، والوجه حذف (فى) كما فى ل ، س

(٣) حراب : رجل من بنى أسد ، وكذلك قد ، بالفتح ، وهو أحد شعرائهم
ترجمه المازباني فى المعجم ٣٣٩ . والسورة ، بالفتح : الارتفاع . والرواية فى الديوان
بشرح البطليوسى : « ليس غرابهم » .

(٤) قال البطليوسى : « وقيل الغراب ها هنا سوادهم » . ونقل الميدانى عن أبى عبيد
أن المراد بالمثل الشدة . انظر الأمثال (٢ : ٣١٦) .

(٥) ط ، س : « فى بعض بنى قريش » ، وكلمة « بنى » مقحمة . والشخص المراد هو
الحارث بن هشام بن المغيرة ، كافى الديوان ٥٩ .

(٦) عقاب : عبد كان لبنى تغلب ، وكان له بنات وقع بعضهن عند الفرافصة بن الأحوص
الكلبى فكنى إمامه ، وكانت واحدة منهن ولدت لرجل من بنى تغلب
ابنة تزوجها مخربة بن جندل . ومخربة هذا والد أسماء والدة الحارث بن هشام .
فحسان يهجو الحارث بأن له نسباً فى الإمام . و « عنده شجن » أراد أنه يجلب
ها الشجن عند ماتت ذكر نسبها . ط ، س : « بن أحوص » وأثبت ما فى ل والديوان .

(٧) يقال : « أزهى من غراب » ؛ لأنه إذا مشى اختال ونظر فى عطفه . ثمار القلوب
٣٦٥ . ورواية النخوص (٣ : ١٠٣) : « فى فحش زانية » ، وفيه وفى الديوان

٦٠ : « وزوك غراب » . والزوك : المشى المتقارب الخطو مع تحرك الجسد .

- ويقال : « وَجَدَ فُلَانٌ ثَمْرَةَ ^(١) الْغُرَابِ » ، كَأَنَّهُ يَتَّبِعُ عِنْدَهُمْ أَطْيَبَ الثَّمَرِ ^(٢) .
- ويقال : « إِنَّهُ لَا حَذَرٌ مِنْ غُرَابٍ » و : « أَشَدُّ سَوَادًا مِنْ غُرَابٍ » . ١٣٢
- وقد مدحوا بسواد ^(٣) الغراب . قال عنترة :
- فِيهَا اثْنَانِ وَأَرْبَعُونَ حَلَوِيَّةً سَوْدًا كَخَافِيَةِ الْغُرَابِ الْأَسْحَمِ
وَقَالَ أَبُو دُوَادَ ^(٤) :
- تَنفَى الْحَصَى صُعْدًا شَرْقِيًّا مَنَسِيهَا نَفْسَى الْغُرَابِ بِأَعْلَى أَنْفِهِ الْغَرْدَا ^(٥)
وَالْمَغَارِيدِ : كَمَ ^(٦) صِغَارٍ . وَأَنْشَدَ ^(٧) :
- يُحِجُّ مَأْمُومَةً فِي قَعْرِهَا كَجَفٍّ فَاسَتْهُ الطَّيِّبُ قَذَاهَا كَالْمَغَارِيدِ ^(٨)
وَقَدْ ذَكَرْنَا شِدَّةَ مَنَقَارِهِ ، وَحُدَّةَ بَصَرِهِ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَكَانِ .

(١) كَذَا فِي لُ وَاللَّسَانِ (ت م ر) وَمِثْلُهُ فِي أَمْثَالِ الْمِيدَانِي (١ : ٣٦٩ ، ٢ : ٢٨٧) . يُضْرَبُ لِمَنْ يَظْفَرُ بِالشَّيْءِ النَّفِيسِ ، وَلِمَنْ يَجِدُ أَفْضَلَ مَا يَرِيدُ . ط ، س
وَكَذَا مُحَاضِرَاتُ الرَّائِبِ (٢ : ٢٩٩) : « ثَمْرَةٌ » بِالْمُثَلَّثَةِ .

(٢) ط ، س ، « الثَّمَرُ » بِالْمُثَلَّثَةِ . وَانْظُرِ التَّنْبِيهَ السَّابِقَ .

(٣) مَا عَدَلَ : « سَوَادٌ » .

(٤) كَذَا عَلَى الصَّوَابِ فِي ط . وَفِي ل ، س : « أَبُو دَاوُدَ » تَحْرِيفٌ .
وَأَبُو دَوَادٍ : شَاعِرٌ جَاهِلِيٌّ اسْمُهُ جَارِيَةُ بْنُ الْحِجَاجِ أَوْ حَنْظَلَةُ بْنُ الشَّرْقِيِّ . وَهُوَ
أَحَدُ نِعَمَاتِ الْخَلِيلِ الْحَمِيدِيِّ . وَكَانَتْ الْعَرَبُ لَا تَرَوِي شَعْرَهُ وَلَا شَعَرَ عَدِيِّ بْنِ زَيْدٍ
لَأَنَّ أَلْفَاظَهُمَا لَيْسَتْ بِنَجْدِيَّةٍ . خَزَانَةُ الْأَدَبِ (٤ : ١٩٠ بُولَاق) وَالشُّعْرَاءُ
لَا بِنَ قَتِيْبَةٍ .

(٥) ل : « يَنْفَى » وَيُصَحَّ إِذَا قُرِئَ بِالْبِنَاءِ لِلْمَجْهُولِ . وَمَنْسَمُ النَّاقَةِ كَمَنْجَسٍ : خَفِهَا .
وَالْغَرْدُ : ضَرْبٌ مِنَ الْكُمَاةِ صَغِيرٌ ، وَأَرَادَ بِالْأَنْفِ هُنَا الْمَنَقَارَ . ط : « نَقَى الْغُرَابُ »
وَصَوَابُهُ فِي ل ، س . ل : « الْغَرْدَةُ » .

(٦) ط : « كَمَ » ، صَوَابُهُ فِي ل ، س . وَالْمَغَارِيدُ : جَمْعُ مَغْرُودٍ ، بِالضَّمِّ :
لُغَةٌ فِي الْغَرْدِ .

(٧) الْبَيْتُ الْآتِي قَائِلُهُ عَذَارُ بْنُ دُرَّةِ الطَّائِي . اللَّسَانُ (ح ج ج) .

(٨) وَصَفَ هَذَا الشَّاعِرُ طَبِيبًا يَدَاوِي شَجَّةَ بُلْغَتِ أُمِّ الرَّأْسِ فِي قَعْرِهَا . تَلْجِفُ أَى تَقْلَعُ ،
كَأَنَّ تَلْجِفَ الْبُتْرِ فَيَنْقَلَعُ طَبِيبًا مِنْ أَسْفَلِهَا . وَذَلِكَ الطَّيِّبُ يَجْزَعُ مِنْ هَوْلِهَا فَالْقَتْنَى
يَتَسَاقُطُ مِنْ أَسْتِهِ كَالْمَغَارِيدِ . انْظُرِ اللَّسَانُ (ح ج ج) وَالْكَامِلُ ٦٤ لَيْبَسُكَ ، وَمَعْجَمُ
الْأَدْبَاءِ (١٥ : ٧٣ - ٧٤) حَيْثُ الْكَلَامُ طَوِيلٌ فِي الْبَيْتِ . ط ، س : =

(شعر في مديح السواد)

وقالوا في مديح السَّواد ، قال امرؤ القيس :

العَيْنُ قَادِحَةٌ وَالْيَدُ سَابِحَةٌ وَالْأُذُنُ مَصْغِيَةٌ وَاللَّوْنُ غَرِيبٌ^(١)

وفي السَّواد يقول رَبِيعَةُ أَبُو ذُؤَابٍ^(٢) الْأَسَدِيُّ ، قَاتِلَ عَتِيْبَةَ بْنِ الْحَارِثِ

ابن شهاب :

إِنَّ الْمَوْدَةَ وَالْمَوَادَّةَ بَيْنَنَا خَلَقَ كَسَحَقِ الْيُمْنَةِ الْمُنْجَابِ^(٣)

إِلَّا بِجَيْشٍ لَا يَكْتُ عِلِيدُهُ سُودِ الْجُلُودِ مِنَ الْحَدِيدِ غِضَابِ^(٤)

= « فحج » ، وصواب الرواية من ل والمراجع المتقدمة . ل : « لحف » مصحف .

ط : « قاسى الطيب » محرف . وروى : « كالفاريد » مقلوب عن « المغاريد »

المخصص (١٣ : ١٨٢) .

(١) ط ، س : « والعين » . واليد ، بالتشديد : لغة في اليد . س : « والرجل » .

(٢) كان ذؤاب قتل عتيبة بن الحارث اليربوعي في يوم خو ، وأسرت بنو يربوع

في ذلك اليوم ذؤابا ، أسره الربيع بن عتيبة بن الحارث وهو لا يعلم أنه قاتل أبيه ،

فأتى ربيعة أبو ذؤاب إلى الربيع ، فافتدى ولده بشيء معلوم ، ووعدته أن يأتي بذلك سوق

عكاظ . وساق ربيعة الفداء إلى السوق في الموعد فلم يجد الربيع وابنه الأسير ،

وكان الربيع تخلف لغرض له ، فقدر ربيعة في نفسه أن الربيع علم بقتل أبيه فقتله

فرثاه بأبيات منها البيتان الآتيان ، وسارت عنه . فبلغت بنو يربوع ، فعرفوا أنه

قاتل عتيبة فأقادوه به . ولولا ذلك لنجا . انظر الخبر في شرح التبريزي للحماسة

(٢ : ١٦٦) . والشعر والخبر فيه وفي أمالي القالي (٢ : ٧٢ - ٧٣) . وربيعه

أبو ذؤاب هو بضم الراء ، قال أبو محمد الأعرابي : « ليس في العرب ربيعة غيره »

وهو ابن عبيد بن سعد (أو هو ابن أسعد) بن جذيمة بن مالك بن نصر بن قعين .

شرح الحماسة والمؤتلف ١٢٥ ط ، س : « ربيعة بن أيوب » ، تحريف

صوابه في ل .

(٣) الهوادة : اللين . كسحق المينة ، أى كالثوب السحق البالى منها . المينة بالضم :

نوع من برود المين .

(٤) إلا بجيش : يقول لانهداً إلا إذا حكمتنا الحرب . لا يكت : لا يعد ولا يحصى .

(شعر ومثل في شيب الغراب)

وفي المثل : « لا يكون ذلك حتى يشيب الغراب » . وقال العرجي :
لا يحولُ الفؤادُ عنه بُودٌ أبداً أو يحولَ لونُ الغرابِ
وقال ساعدة بن جؤيئة :

شابَّ الغراب ولا فؤادك تاركٌ عهدَ الغُصوبِ ولا عتابك يُعتبُ^(١)

(معاوية وأبو هوذة الباهلي)

ومما يذكر للغراب ما حدث به أبو الحسن^(٢) ، عن أبي سليم^(٣) ،
أنَّ معاوية قال لأبي هوذة^(٤) بن شماس الباهلي^(٥) : لقد هممت أن أحملَ
جمعا من باهلة في سفينة ثم أغرقهم ! فقال أبو هوذة : إذن لا ترضى باهلة
بعديهم من بني أمية ! قال : اسكت أيها الغرابُ الأبقع ! وكان به برص -

(١) أراد : طال عليك الأمر حتى كان مالا يكون أبداً، وهو شيب الغراب . عن اللسان .
ط ، س : « تاركاً » ولا تصح وصوابها في ل واللسان (شيب وعتب) .
و « عهد » هي في ل : « ذكرى » وفي اللسان « ذكر » . ويعتب ، بالضم
والبناء للفاعل ، بمعنى يجلب إليك العتبي ، وهي الرضا ، يقول : إن عتابك في غير
طائل . وقد ضبطت في اللسان بالبناء للمفعول في الموضعين . وفسرها بقوله :
« أي لا يستقبل بعتي » .

(٢) أبو الحسن ، يريد به علي بن محمد المدائني الأخباري المعروف .

(٣) ل : « أبي سليمان » .

(٤) هذه الكلمة جاءت في الأصل بالبدال المهملة في مواضعها الثلاثة . والوجه ما أثبت .

(٥) « ابن شماس » ساقطة من ل .

فقال أبو هودة : إنَّ للغراب [الأبقع] ربَّما درج إلى الرَّحمة حتى ينقرَ دماغها ، ويقلع^(١) عيذا ! فقال يزيد بن معاوية : ألا تقتله يا أمير المؤمنين ؟ فقال : مه ! ونهض معاوية . ثمَّ وجهه بعدُ في سرية فقتل . فقال معاوية ليزيد : هذا أخفى وأصوب !

(شعر في نقر الغراب العيون)

وقال آخر^(٢) في نقر الغراب العيون :

أتوعد أسرتي وتركت حُجراً يُرِيعُ سوادَ عَيْنِهِ الْغُرَابُ^(٣)
ولو لاقيت عِلْبَاءَ بَنِ جَحْشٍ رَضِيتَ مِنَ الْغَنِيمَةِ بِالْإِيَابِ^(٤)
١٣٣ وقال أبو حيَّة — في أنَّ الغراب يسمُّونه الأعور تطيراً منه — :
وإذا تحلَّ فتودها بتنوفةٍ مرَّت تليح من الغُرَابِ الأعورِ^(٥)
لأنَّها تخاف من الغربان ؛ لما تعلم من وقوعها على الدَّبر .

(١) س : « ويقتلع » .

(٢) هو عبيد بن الأبرص يرد على امرئ القيس . انظر الخزانة (٢ : ٤٠٣ بولاق) والعمدة (١ : ٦٥) .

(٣) يرِيع : يطلب . س « يرِيع » مصحفة .

(٤) س : « علياء » تصحيف . وفي البيت إقواء كما ترى . ومن عجيب ما روى في شأن الإقواء : قول صاحب القاموس : « قلت قصيدة لهم بلا إقواء » ، يعني العرب .

(٥) فتود الناقة : أدوات رحلها . والتنوفة : الفلاة . وتليح : تشفق وتحاذر . ط ، س : « يحل فتودها » . ط : « غرت » مكان « مرت » والأولى تحريف .

(شعر فيه مدح بلون الغراب)

ومما يمدح به الشعراء بلون الغراب (١) قال أبو حية :

غرابٌ كانَ أَسْوَدَ حَالِكِيًّا أَلَا سَقِيًّا لِذَلِكَ مِنْ غُرَابٍ

وقال أبو حية (٢) :

زَمَانَ عَلَى غُرَابٍ غَدَافٍ فَطِيرُهُ الدَّهْرُ عَنِّي فَطَارَا

فَلَا يُبْعِدُ اللَّهُ ذَاكَ الْغَدَافَ وَإِنْ كَانَ لَا هُوَ إِلَّا أَذْكَارًا (٣)

فَأَصْبَحَ مَوْضِعُهُ بَائِضًا مُحِيطًا خِطَامًا مُحِيطًا عَذَارًا (٤)

وقال أبو حية في غير ذلك ، وهو مما يُعدُّ للغراب :

كَأَنَّ عَصِيمَ الدَّرْسِ مِنْهُمْ جَاسِدٌ بِمَا سَالَ مِنْ غُرَابِهِمْ مِنَ الْخَطَرِ (٥)

(١) ط ، س : « الشعر » وليست مرادة ، بل المراد الشعراء كما في ل . ط : « لون » وصوابه في ل ، س .

(٢) كذا في ل . وفي ط ، س : « وقال آخر » . وقد روى المرتضى في أماليه (٢ : ١٠٠) تسعة أبيات من قصيدة أبي حية منسوبة إليه . وقبل البيت الأول :

زَمَانَ الصَّبَا ، لَيْتَ أَيَّامَنَا رَجَمْنَا لَنَا الصَّالِحَاتِ الْقَصَارَا

(٣) كذا في الأصل . وفي أمالي المرتضى : « وإن هو لم يبق إلا اذكارا » .

(٤) بائضا ، من باض التبت : إذا صوح . ل ، س : « محيطا غدارا » .

(٥) العصيم : الدرن والوسخ والبول إذا يبس على فخذ الناقة . الدرس : الجرب أول ما يظهر .

وفي الأصل : « الورس » وجهه ما أثبت . انظر اللسان (درس ٣٨٣) والمختص

(٧ : ١٦٣) . وجاسد : لاصق ، وفي الأصل : « حاسد » . والخطر : بالفتح ويكسر :

ما يتلبد على أوراك الإبل من أبوالها وأبمارها .

(استطراد لغوى)

والغراب ضروب، ويقع هذا الاسم في أماكن، فالغراب^(١) حد السكين
والفأس، [يقال] فأس حديدة الغراب . وقال الشماخ :
فَأَنحَى عَلَيْهَا ذَاتَ حَدٍّ غَرَابَهَا عَدُوًّا لِأَوْسَاطِ الْعِضَامِ مِشَارُزُ^(٢)
المشارزة : المعادة والمخاشنة .

والغراب : حدُّ الورك ورأسه الذى يلي الظهر^(٣) ، ويبدأ^(٤) من
مؤخر الردف . والجمع غربان . قال ذو الرمة :
وَقَرَّبَنَ بِالزَّرْقِ الْحَمَائِلَ بَعْدَ مَا تَقَوَّبَ مِنْ غَرَبَانٍ أَوْرَاكِهَا الْخَطَرُ^(٥)
تقوَّب^(٦) : تقشر ماعلى أوراكيها من سبلحها وبولها ؛ من ضربها بأذنانها .

(١) ط : « فالغرب » ، وصوابه في ل ، س .

(٢) أنحى : أمال . وذات حد : الفأس . والعصاة : شجر عظيم . والبيت
في صفة قواس تناول فرعا وجعل يشدبه بالفأس ليصنع قوسا . ل : « عدولا
لأوساط » ، صوابه في ط ، س والديوان ٤٧ .

(٣) كذا في ل . وفي ط ، س : « ورأسه الفقارة التى تلى الظهر » .

(٤) ط ، س : « تبدأ » ، ل : « ويبدو » ، وجعلته كما ترى .

(٥) الزرق : أكثبة رملية بالدناء . والحمايل ، بالخاء المهمله : جمع حولة بالفتح ، وهى
الإبل التى تحمل . ومثل هذه الرواية فى اللسان (خطر ، زرق) . ورواه
ابن سيده فى المخصص (٧ ، ٢٣ ، ١٤ : ١١٧) : « الجائل » بالجيم ، وقال
هو جمع جمال بالكسر . والخطر فسر فى الصفحة السابقة .

(٦) س : « يقول » .

(غراب البين)

وكلُّ غراب فقد يقال له غراب البين إذا أرادوا به الشؤم ، أمّا غراب
البن نفسه ؛ فإنّه غرابٌ صغير . وإثما قيل لسكّل غراب غراب البين ،
لسقوطها في مواضعٍ منازلهم إذا بانوا عنها . قال أبو خولة الرياحيّ^(١) :

فليس يربوع إلى العقل فاقّةٌ ولا دنس يسودُّ منه ثيابها^(٢)
فكيف بنوكي مالك إن كفرتم لهم هذه ، أم كيف بعدُ خطابها^(٣)
مشائم ليسوا مُصلحين عشيرةٌ ولا ناعبٍ إلّا بين غرابها^(٤)

(الوليد بن عقبة وعبد الله بن الزبير)

ومن الدلائل على أنّ الغرابَ من شرارِ الطّير ، ما رواه أبو الحسن قال : ١٣٤
كان ابنُ الزبير يقعدُ مع معاويةَ على سريره ، فلا يقدر معاويةَ أن يمتنع

(١) أبو خولة : كنية الأخوص ، بالخاء المعجمة ، الرياحيّ اليربوعي ، كما في الخزانة
(٤ : ١١٩ سلفية) . ل : « أبو خولة » محرف . وفي البيان (٢ : ٢٦٠)
« أبو الأخوص الرياحيّ » ، صوابه : « الأخوص الرياحيّ » كما في الخزانة (٤ : ١١٨
سلفية) . وروى السيوطي في شرح شواهد المغني ٢٩٥ نسبه إلى أبي ذؤيب
الهذلي . وقد ذكر صاحب الخزانة سبب الشعر وقصته . والأخوص الرياحيّ
شاعر إسلامي .

(٢) المراد بالعقل هنا : الدينة . والرواية في الخزانة والبيان : « سوى دنس » .
و « منه » هي في الأصل « منها » وتصحيحه من البيان وشرح شواهد المغني .

(٣) أراد بمالك : بني دارم بن مالك ، وكانوا قتلوا رجلا من بني غداة بن ربوع .

(٤) أراد بالمشائم بني مالك لابن ربوع . وفي الخزانة : « مشائم » . وأنت تراه قد جر
« ناعب » توها منه أن الباء قد دخلت على المعطوف عليه وهو « مصلحين »
فإن الباء تزداد في خبر ليس . وقد رواه سيبويه في كتابه (١ : ١٥٤ ، ٤١٨)
بالجر كما هنا . ورواه في (١ : ٨٣) ، « ولا ناعبا » على الأصل .

منه ، فقال ذات يوم : أما أحدٌ يكفيني ابنُ الزبير ؟ فقال الوليدُ بن عقبة :
 أنا أكفيك^(١) يا أميرَ المؤمنين . فسبق فقعدَ في مقعده على السرير ، وجاء
 ابنُ الزبير فقعدَ دونَ السرير ، ثمَّ أنشد ابنُ الزبير :

تسمي أبنائاً بعد ما كان نافعاً وَقَدْ كَانَ ذَكْوَانُ تَسْكَنِي أَبَا عَمْرٍو^(٢)

فانحدرَ الوليدُ حتى صار معه ، ثم قال :

ولولا حُرَّةٌ مهَّدَتْ عَلَيْنَكُمُ صَفِيَّةٌ ما عُدِدْتُمْ فِي النَّفِيرِ^(٣)
 ولا عُرِفَ الزَّبِيرُ ولا أبوه ولا جلسَ الزبير على السريرِ
 ودَدْنَا أَنَّ أُمَّكُم غَرَابٌ فَسَكُنْتُمْ شَرَّ طَيْرٍ فِي الطَّيُورِ

(القواطع والأوابد)

قال أبو زيد : إذا كان الشتاء قطعت إلينا الغربان ، أى جاءت
 بلادنا^(٤) ، فهى قواطعُ إلينا ، فإذا كان الصيف فهى راجع : والطيور
 التى تتيم بأرض^(٥) شتاءها وصيفها أبداً فهى الأوابد . والأوابد أيضاً

(١) ط ، س : « أكفيك » .

(٢) ط ، س : « يسمى » و « يكنى » .

(٣) صفة هذه هى بنت عهد المطلب ، عمه الرسول . وهى أم الزبير بن العوام . يقول
 لولا ما أدركتم من شرف الأم ما عددتم فى النفير . والعبارة تنظر إلى المثل السائر
 « فلان لا فى العير ولا فى النفير » ، يضرب لمن لا يستصلح لأمر من الناس ، ولمن هو
 صغير القدر . انظر الأسمان (نفر) وأمثال الميداني (٢ : ١٥٤ - ١٥٥) .

(٤) ل : « من بلادنا » ، تحريف .

(٥) ل : « بأرضنا » .

هى الدواهى ، يقال جاءنا بآبدة . ومنها أوابد الوحش . ومنها أوابد الأشعار .
والأوابد أيضاً : الإبل إذا توحش منها شيء فلم يُقدَّر عليه إلا بعقر . وأنشد
أبو زيد فى الأوابد (١) :

ومَنهل وَرَدَتْه التِّقَاطَا (٢) طام فلم ألقَ به فُرَاطَا (٣)
إلا القِطَا أوابداً غَطَاطَا (٤) .

(صوت الغراب)

ويقال نغى الغراب ينغى نغيقا ، بغين معجمة ، ونعب ينعب نعبياً
بعين غير معجمة . فإذا مرَّت عليه السَّنونَ الكثيرةَ وغلظَ صوته قيل شحج
يشحج شحيجاً (٥) . وقال ذو الرِّمَّة :
وَمُسْتَشْجِجَاتٍ بِالفِرَاقِ كَأَنَّهَا مَثَاكِيلٌ مِنْ صَيَّابَةِ النَّوْبِ نُوحٌ (٦)
والنُّوبَةُ توصف بالجزع .

-
- (١) صاحب الرجز نقادة الأسلى ، كما فى اللسان (فرط ، لقط) .
(٢) التقاطا : فجأة بدون احتساب أو رجاء .
(٣) الفراط : المتقدّمت إلى الماء . ط ، س : « فلم نلف » . اللسان : « لم أر إذ
وردته » و « لم ألق إذ وردته » . ل : « قراطا » بالقاف ، تصحيف .
(٤) ل : « أبدا » . والغطاط ، بالفتح : الطوال الأرجل ، البيض البطون ،
الغبر الظهور ، الواسعة العيون . ورواية اللسان فى الموضعين : « إلا الحمام
الورق والغطاطا » .
(٥) س : « شحج يشحج شحيجا » ، تصحيف .
(٦) يعنى الغربان . س : « مستشججات » تصحيف . والصيابة ، بضم الصاد وتشديد
الياء : الصميم والخيار . س : « صيابة الثوب » وصوابه فى ل ، ط ،
واللسان والمخصص (٣ : ١٥٣ ، ٤ : ٣٠ ، ٨ : ١٣٤) ومحاضرات
الراغب (٢ : ٢٦٩) .

(أثر البادية في رجال الروم والسند)

وأصحابُ الإبلِ يرغبون في اتخاذ النوبة والبربر والرُّوم للإبل ؛ يرون أنهم يصلحون على معاشها ، وتصلح على قيامهم عليها .

ومن العجب أنَّ رجالَ ^(١) الرُّومِ تصلح في البدو مع الإبل ، ودخول الإبل بلادَ الروم هو هلاكها .

فأمَّا السُّنْدُ فَإِنَّ السُّنْدِيَّ صاحبَ الحربِ ^(٢) إذا صار إلى البدو ، وهو طفل ، خرجَ أفصحَ من أبي مَهْدِيَّة ^(٣) ، ومن أبي مطرَّف ^(٤) الغنوي . ولهم طبيعة في الصَّرفِ ؛ لا ترى بالبصرة صيرَفِيًّا إلَّا وصاحب كَيْسِه ^(٥) سِنْدِيٌّ .

(١) ط ، س : « حال » .

(٢) خربة السندي : ثقب شحمة أذنه . ط ، س : « الحربة » مصحفة . قال ذو الرمة من بانيته المشهورة :

كَأَنَّهُ حَيْشَى يَبْتَغِي أَثْرًا . أو من معاشر في آذانها الحرب

وقد سبقت هذه الكلمة في (٢ : ٣٤٠ ، ٣٤١) ، وفي أول رسالة فخر السودان : « خربة » وهي والخربة بمعنى .

(٣) أبو مهدي سبقت ترجمته في (٢ : ٢١٤) . س : « أبي مهري » ، تصحيف .

(٤) ل : « ومن مصرف » .

(٥) س : « كسيه » . تحريف ما في ط ، ل . وجاء في رسائل الجاحظ ٨٢ ساسي : « ومن مفاخرهم أن الصيارفة لا يولون أكيسهم وبيوت صروفهم إلا السند وأولاد السند . . . ولا يكاد أحد أن يجد صاحب كيس صيرفي ومقاتلته ، ابن رومي ولا ابن خراساني » .

(نبوغ السند)

واشترى محمد بن السكّن ، أبا رَوْح^(١) [فَرَجاً] السِّنْدِي ، فكب ١٣٥ له المال العظيم . فقلَّ صيدلاني^(٢) عندنا إلّا وله غلامٌ سِنْدِي . فبلغوا أيضاً في البرّ بهار^(٣) والمعرفة بالعقاقير ، وفي صحّة المعاملة ، واجتلاب الحُرّاء مبلغاً حسناً .

وللسند في الطبخ طبيعة ، ما أكثر ما ينجبون فيه .

وقد كان يحيى [بن خالد] أراد أن يحوّل إجراء الخيل عن صبيان الحبشان والثوبة ، إلى صبيان السند ، فلم يفلحوا فيه ، [وأراد تحويل رجال السند إلى موضع الفراشين من الروم^(٤) ، فلم يفلحوا فيه] .
وفي السند خلوق^(٥) جياد ، وكذلك بنات السند .

(١) ط ، س : « أبا رواج » ، وصوابه من ل ورسائل الجاحظ ٨١ ساسي .

(٢) الصيدلاني : بائع الأدوية ، وتبدل اللام نونا فيقال « صيدلاني » أيضاً . وجاء في ل : « صيدلاني » .

(٣) كذا ضبطها العلامة المحقق الأب أنستاس ماري الكرملي ، وقال : المراد بها توأبل بر الهند . قلت : وجاءت هذه الكلمة في رسائل الجاحظ ٨١ ساسي : « صيارفة البصرة وبنادرة البر بهارات » . وانظر أنساب السمعاني ٧١ . وفي ط ، س : « البر بها » ، بإسقاط الراء محرفة .

(٤) يراد بالفراش من يتمهد فراش البيت وأثاثه . انظر حول ديوان البحتری ص ٣٩ .

(٥) أراد أصحاب خلوق : جمع خلق ، أي أن لهم أصواتاً حسنة . ل : « أخلاق » تحريف . وجاءت مثل هذه العبارة في رسائل الجاحظ ٦٣ ، قال : « وليس في الأرض أحسن خلوقاً منهم » وفي ص ١١٨ : « ومن مفاخر الزنج حسن الخلق وجودة الصوت » .

(استطراد لغوى)

والغراب يسمّى أيضاً حاتمًا . وقد عوف بن الخرع^(١) :

ولكنّما أهجو صنيّ بن ثابت مَثَبَجَةً لانت من الطير حاتمًا^(٢)

وقال المرقش ، من بني سدّوس^(٣) :

ولقد غَدَوْتُ وكنت لا أَغْدُو على وَاقٍ وحامٍ

[فإذا الأشائمُ كالآيا مِنِ والأيامنُ كالأشائمُ

وكذلك لا خير ولا شرٌّ على أحدٍ بدائم]

(١) هو عوف بن عطية بن الخرع (وزان كنف) التيمي ، نسبة إلى تيم بن عبد مناة ، شاعر جاهلي . الخزانة (٣ : ٨٢ بولاق) . في الأصل . « الجزع » تصحيف ، صوابه في القاموس (خرع) والخزانة والمفضليات ، وقد اختار له المفضل الضبي في ٣٢٧ ، ٣٢٨ ، ٤١٢ ثلاث قصائد حسان .

(٢) المثبجة : البوم ، كما في القاموس . ط ، س : « مثبجة » ، وفي ل : « مثبجة لاقته من الطير » ، صوابه من الأصمعيات ١٦٩ .

(٣) بدله في ط ، س : « وقال آخر » . وتجد الشعر منسوباً إلى المرقش في عيون الأخبار (١ : ١٤٥) وتأويل مختلف الحديث ١٢٩ . ولم يمين المراد أهو المرقش الأصغر أم الأكبر ، لكن إطلاقه يرجح أنه الأصغر فإنه « أشعرها وأطولها عمراً » . معجم المرزباني ٢٠١ . وتجد الشعر في حاسة البحتری ٢٥٥ معزواً إلى المرقم الذهلي ، وهو خنز بن لوزان كما في المؤلف ١٠٢ حيث توجد هذه النسبة أيضاً . والشعر بدون نسبة في أمالي القالي (٣ : ١٠٦) وزهر الآداب (٢ : ١٦٩) .

وأنشد الخثيم بن عدي^(١) :

وليس بهيَّابٍ إذا شدَّ رحله يقولُ عدائي اليومَ واقٍ وحاتم^(٢)
ولكنه يمضي على ذاك مُقدِّماً إذا صدَّ عن تلك الهنات الخثارم^(٣)
والخثارم : هو المتطيِّر^(٤) من الرجال . وأما قوله : « واقٍ وحاتم »
فحاتم هو الغراب ، والواق هو الصُّرد ؛ كأنه يرى أنَّ الزَّجرَ بالغراب إذا اشتقَّ
من اسمه الغُربة^(٥) ، والاغتراب ، والغريب ، فإنَّ ذلك حتم . ويشتق من
الصُّرد التصريد^(٦) ، والصُّرد [و] هو البرد . [ويدلك^(٧)] على ذلك قوله :
دعا صردَّ يوماً على غصنٍ شوَّحَطٍ وصاح بذاتِ البينِ منها غرابها^(٨)
فقلتُ : أنصريدُ وشخَطُ وغُربةٌ فهذا لعمري نأياً واغترابها^(٩)

(١) كذا على الصواب في ل والاقْتضاب ٣٥٤ والسان (وق ، وحتم ،
وخثرم) . ويعرف أيضاً بالرقاص الكلبى ، كما نقل مصحح اللسان عن التكملة . وفي
ط ، س : « حاتم بن عدي » ، وهو تحريف . يمدح بالشعر مسعود بن بحر
الزهرى . وقبله :

وجدت أباك الخير بجرأ بنجوة بناها له مجدأ أشم قاقم
(٢) عدائي : منعى عن المضي إلى ما أقصد . والواق ، كالتقاضى : الصرد ، وهو طائر
أبقر ضخم الرأس ضخم المنقار شديد ، فوق المصفور ويصيد المصافير ، غذاؤه
من اللحم .

(٣) عن تلك الهنات : أى بسبب تلك الأمور . ط ، س : « الهناة » ، صوابها في ل
والسان والاقْتضاب والمختصص (١٣ : ٢٥) وتأويل مختلف الحديث ١٢٨ .
والخثارم ، بضم الخاء ويروى بفتحها . فالأول مفرد والثاني جمع ، مثله جوالق
وجوالق ، وقرافر وقرافر ، وعذافر وعذافر .

(٤) ط ، س : « المتكبر » ، وصوابه في ل والسان والقاموس وتأويل مختلف الحديث ١٢٨ .
(٥) ط ، س : « عن اسمه الغرابة » بحرفة .

(٦) التصريد : التقليل ، وفي السق : دون الرى .

(٧) الزيادة من ل ، س .

(٨) الشوَّحَط : شجر تتخذ منه القسي . وفي زهر الآداب (٢ : ١٦٨) : « على
غصن بانة » ، ولا يستقيم هذا مع البيت الآتى . ط ، س : « فيها » ، وصوابه
من ل وزهر الآداب . وضمير « منها » للحبيبة .

(٩) التصريد فسر قريباً . والشحط : البعد .

[فَاشْتَقَّ التَّصْرِيدَ مِنَ الصُّرْدِ ، وَالْغُرْبَةَ مِنَ الْغُرَابِ ، وَالشَّحْطَ مِنَ الشَّوْحَطِ] .

ويقال أَغْرِبَ الرَّجُلُ : إِذَا اشْتَدَّ مَرَضُهُ ، فَهُوَ مُغْرَبٌ ^(١) .
قال : والعنفاء المِغْرِبُ ، الْعُقَابُ ؛ لِأَنَّهَا تَجِيءُ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ .

(أَصْلُ التَّطْيِيرِ فِي اللُّغَةِ)

قال : وَأَصْلُ التَّطْيِيرِ إِنَّمَا كَانَ مِنَ الطَّيْرِ [وَ] مِنْ جِهَةِ الطَّيْرِ ، إِذَا مَرَّ بَارِحًا [أ] وَ سَانِحًا ^(٢) ، أَوْ رَأَاهُ يَتَفَلَّى وَيَنْتَفِئُ ، حَتَّى صَارُوا إِذَا عَايَنُوا الْأَعْوَرَ مِنَ النَّاسِ أَوْ الْبَهَائِمِ ، أَوْ الْأَعْضَبَ أَوْ الْأَبْتَرَ ، زَجَرُوا عِنْدَ ذَلِكَ وَتَطَيَّرُوا عِنْدَهَا ، كَمَا تَطَيَّرُوا مِنَ الطَّيْرِ إِذَا رَأَوْهَا عَلَى تِلْكَ الْحَالِ . فَكَانَ زَجَرَ الطَّيْرِ هُوَ الْأَصْلُ ، وَمِنْهُ اشْتَقُّوا التَّطْيِيرَ ؛ ثُمَّ اسْتَعْمَلُوا ذَلِكَ فِي كُلِّ شَيْءٍ .

(أَسْمَاءُ الْغُرَابِ)

والغراب لسواده إن ^(٣) كان أسود ، ولاختلاف لونه إن ^(٣) كان أَبْقَعَ ، وَلِأَنَّهُ غَرِيبٌ يَقْطَعُ إِلَيْهِمْ ^(٤) ، وَلِأَنَّهُ لَا يَوْجَدُ فِي مَوْضِعِ خِيَامِهِمْ

(١) ل : « أَغْرِبَ عَلَى الرَّجُلِ » وَلَيْسَ مُرَادًا ، فِي الْقَامُوسِ : أَغْرَبَ عَلَيْهِ : صَنَعَ بِهِ صَنْعَ قَبِيحٍ . ط ، س : « اشْتَدَّ ضَحْكُهُ » ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ صَوَابُهُ فِي ل ؛ فِي الْقَامُوسِ : « أَغْرَبَ بِالضَّمِّ : اشْتَدَّ وَجَعُهُ » .

(٢) الْبَارِحُ : مَامَرٌ مِنْ مِيَامَنْكَ إِلَى مِيَا سَرْكَ . وَالسَّانِحُ عَكْسُهُ . وَكَانَ يَتَشَامَمُ بِالْأَوَّلِ وَيَتَيَمَّنُ بِالثَّانِي عِنْدَ أَهْلِ نَجْدٍ ، وَكَانَ أَهْلُ الْحِجَازِ يَتَفَاءَلُونَ بِالْأَوَّلِ وَيَتَشَامَمُونَ مِنَ الثَّانِي .

(٣) ل : « إِذَا » .

(٤) ط : « لَا يَقْطَعُ » تَحْرِيفٌ ، وَانْظُرْ مَا سَبَقَ فِي ص ٤٣٢ .

يَتَقَمَّم ، إِلَّا عِنْدَ مَبَايِنَتِهِمْ لِمَسَاكِنِهِمْ ، وَمَزَايِلَتِهِمْ لِدُورِهِمْ ؛ وَلَأنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ ١٣٦
مِنَ الطَّيْرِ أَشَدَّ عَلَى ذَوَاتِ الدَّبَرِ مِنْ إِبْلِهِمْ مِنَ الْغُرْبَانِ ، وَلَأنَّهُ حَدِيدُ الْبَصَرِ
فَقَالُوا عِنْدَ خَوْفِهِمْ مِنْ عَيْنِهِ « الْأَعُور » . كَمَا قَالُوا : « غَرَاب » لِأَغْرَابِهِ وَغُرْبَتِهِ
« وَغَرَابِ الْبَيْنِ » ؛ لِأنَّهُ عِنْدَ بَيْنُونَتِهِمْ يُوْجَدُ فِي دُورِهِمْ .

وَيُسَمُّونَهُ « ابْنَ دَايَةِ » ؛ لِأنَّهُ يَنْقُبُ عَنِ الدَّبَرِ حَتَّى يَبْلُغَ إِلَى دَايَاتِ الْعُنُقِ
وَمَا اتَّصَلَ بِهَا مِنْ خُرْزَاتٍ ^(١) الصُّلْبِ ، وَفَقَارِ الظَّهْرِ .

(مِرَاعَاةُ التَّفَاوُلِ فِي التَّسْمِيَةِ)

وَلِلطَّيْرِ ^(٢) سَمَتُ الْعَرَبِ الْمُنْهَوِشِ بِالسَّلِيمِ ، وَالْبَرِّيَّةِ بِالْمَفَازَةِ ، وَكُنُوا
الْأَعْمَى أَبَا بَصِيرٍ ، وَالْأَسْوَدَ أَبَا الْبَيْضَاءِ ، وَسَمَّوْا الْغُرَابَ بِحَاتِمٍ ؛ إِذْ كَانَ
يَحْتَمِ الزَّجَرَ بِهِ عَلَى الْأُمُورِ . فَصَارَ تَطْيِيرُهُمْ مِنَ الْقَعِيدِ وَالنَّطِيطِ ^(٣) وَمِنْ جَرْدِ
الْجَرَادِ ^(٤) ، وَمِنْ أَنَّ الْجَرَادَةَ ^(٥) ذَاتُ أُلُوَانٍ ، وَجَمِيعَ ذَلِكَ - دُونَ
التَّطْيِيرِ بِالْغُرَابِ .

(١) الْخُرْزَاتُ : جَمْعُ خُرْزَةٍ ، بِالضَّمِّ وَتَجْمَعُ أَيْضاً عَلَى خُرْزٍ ، كَغُرْفٍ ، وَهِيَ مَا يَمِينُ
الْفُقَرَاتِ . ط : « خُرْزَان » ، وَصَوَابُهُ فِي ل ، س . وَانْظُرْ مَا سَبَقَ مِنَ الْكَلَامِ
عَلَى ابْنِ دَايَةِ فِي ص ٤١٥ .

(٢) الطَّيْرَةُ : مَا يَتَشَاءَمُ بِهِ مِنَ الْفَأْلِ الرَّدَى .

(٣) الْقَعِيدُ : مَا جَاءَ مِنْ وَرَائِكَ مِنْ ظَبْيٍ ، أَوْ طَائِرٍ . وَالنَّطِيطُ : مَا جَاءَ مِنْ أَمَامِكَ
مِنَ الطَّيْرِ وَالْوَحْشِ .

(٤) ل : « وَجَرْدُ الْجَرَادَةِ » .

(٥) ط ، س : « الْجَرَادُ » .

(ضروب من الطيرة)

ولإيمان العرب بباب الطيرة [والفأل] عقدوا والرتائم^(١) ، وعشروا
إذا دخلوا القرى تعشير الحمار^(٢) ، واستعملوا في القيداح الأمر ، والناهى ،
والمتربص^(٣) . وهنَّ غيرُ قداح الأيسار .

(قاعدة في الطيرة)

ويَدُلُّ على أنهم يشتقون من اسم الشيء الذى يعاينون ويسمعون ، قولُ
سَوَّارِ بنِ المضَرَّبِ^(٤) :

تَغْنَى الطَّائِرَانِ بَيْنَ لَبْلَى عَلَى غَصْنَيْنِ مِنْ غَرْبٍ وَبَانَ

(١) الرتائم : جمع رتيمة : وهى أن يعقد الرجل إذا أراد سفرا شجرتين أو غصنين
ويقول : إن رجيع وهما على حالهما كانت زوجته محتفظة بوفائها ، وإلا فلا . أو هى
خيط يشد على الإصبع تستذكر به الحاجة . والمعنى الأول هو المراد فى
الطيرة والفأل .

(٢) حشر الحمار : تابع النبيق عشر نهقات ووالى بين عشر ترجيعات فى نهيقه .
وكانوا يزعمون أن من قرب أرضا وبثه فوضع يده خلف أذنه وعشر ثم دخلها
أمن الوباء . قال عروة فى ديوانه من مجموع خمسة الدواوين ص ٩٩ :

لعمري لئن عشرت من خشية الردى نهاق الحمير لئننى لجزوع
ويظهر أن أصله عادة لليهود من العرب ، كما قال عروة :

وقالوا احب وانق لا تضيرك خير وذلك من دين اليهود ولوع

(٣) تحدث ابن قتيبة فى كتاب الميسر ٣٩ - ٤٠ عن الأمر والناهى ولم يذكر
« المتربص » .

(٤) قال التبريزى : « مضرب بفتح الراء ، أى ضرب مرة بعد مرة » وقد ذكره =

فكان البانُ أن بانَتْ سُلَيْمَى وفي الغَرْبِ اغترابٌ غيرُ دانٍ
فاشتقَّ كما ترى الاغتراب من الغَرْبِ ، والبيئونة من البان .

وقال جرّان العود :

جَرَى يوم رُحْنَا بالجمال نُزِفُهَا عُقَابٌ وشَحَّاجٌ من البين يَبْرَحُ^(١)

فَأَمَّا العُقَابُ فهى منها عقوبةٌ وَأَمَّا الغُرَابُ فالغريبُ المطوّحُ^(٢)

فلم يجد في العُقَابِ إِلَّا العقوبة . وجعل الشَّحَّاجُ^(٣) هو الغراب البارح

وصاحب البين ، واشتقَّ منه الغريب المطوّح .

ورأى السّمهرى^(٤) غراباً على بانهٍ ينتف ريشه ، فلم يجد في البان إِلَّا

البيئونة ، ووجد في الغُرَابِ جميعَ معاني المكروه ، فقال :

رَأَيْتُ غراباً واقِعاً فوقَ بانهٍ يُنتَفِ أعلى ريشه ويُطَايرُهُ^(٥)

= صاحب المؤلف فقال : « سوار بن المضرب السعدي أحد بني ربيعة بن كعب

ابن زيد مناة بن تميم ، الشاعر المشهور ، القائل :

وإني لا أزال أخا حروب إذا لم أجن كنت مجن جاني »

ط ، س : « بشار بن المضرب » صوابه في ل . والشعر في عيون

الأخبار (١ : ١٤٩) منسوب إلى المفلوط ، وفي الكامل ٨٤ ليسك ونثار الأزهار

٧٥ إلى جحدر الكلبي . وانظر أمالي القالي (١ : ٢٨١ - ٢٨٢) .

(١) ل والشعراء ٦٩٧ : « يوم جئنا » . نزفها : نخبها على السير السريع ، يقال

أزفه : حمله على الزفيف . ط ، س : « يزفها » ، وأثبت مافي ل والديوان ٣

والشعراء .

(٢) المطوح : البعيد .

(٣) ط : « السحاج » ، وصوابه في ل ، س . شحج : نطق .

(٤) كذا في ل وهو المطابق لما في شرح التبريزي للحاسة ١ : ٢١١ . وهو السّمهرى بن بشر

الكلبي . وفي ط ، س : « السهمى » ، تحريف . والمعروف نسبة هذه الأبيات إلى كثير

عزة في قصة طويلة تجدها في زهر الآداب (٢ : ١٦٩) ومحاسن البهقي (٢ : ٢٢ -

٢٣) والمستطرف (٢ : ١٦٩) وعيون الأخبار (١ : ١٤٧) والشريشي

(٢ : ٢١٥) .

(٥) الرواية في المختص (٨ : ١٣١) وشرح التبريزي للحاسة : « ينشش أعلى ريشه »

نشش ريشه : نتفه فألقاه .

فقلت ، ولو أنى أشاء زَجَرْتُهُ بنفسى ، للهندي : هل أنت زاجرُهُ ^(١)
 فقال : غرابٌ باغتراب من النوى وبالبلان بين من حبيب تعاشرُهُ ^(٢)
 فذكر الغرابَ بأكثر مما ذكر [به] غيرُهُ ، ثم ذكر بعد شأن الرّيش
 وتطايَرَهُ . وقال الأعشى :

ما تعيف اليوم في الطير الرّوح من غراب البين أو تيس برح ^(٣)
 فجعل التيس من الطير ؛ إذ تقدّم ذكر الطير ، وجعله من الطير
 في معنى التطير .

وقال النّابغة :

١٣٧ زعم البوارح أن رحلتنا غداً وبذلك خبرنا الغراب الأسود

وقال عنتره :

ظعن الذين فراقهم أتوقع وجرى ببينهم الغراب الأبقع
 حرق الجناح كأنّ لحى رأسه جلمان بالأخبار هشّ مولع ^(٤)

(١) الهندي : رجل من بني نهد ، وهم من أزجر العرب ، كان لقي كثيراً في الطريق
 وزجر له ، أى تكهن . ط : « للهندي » تحريف .

(٢) كذا في ل والمراجع المتقدمة ، خلا زهر الآداب ، ففيه : « تجاوره » .
 وفي ط ، س : « نحاذره » ، أى نحاذر البين .

(٣) ط : « نعيف » س : « يعيف » ، والرواية ما أثبت من ل واللسان (روح
 عيف) ، والمخصص (٩ : ٥٧) ، ومحاسن البيهقي (١ : ٩٩)
 وتعيف : من العيافة وهى الزجر والتطير . والروح بالتحريك : اسم جمع لرائح
 أو أراد الروحة مثل الكفرة فطرح الهاء ، كما في المخصص . والبيت صدر قصيدة
 للأعشى في ديوانه ١٥٩ يمدح بها إياس بن قبيصة الطائي . وانظر قصة الشعر في محاسن البيهقي .

(٤) ط ، س : « حرق » ، تصحيف . وقد أسلفت القول على هذا البيت
 في (١ : ٣٤) .

فَرَجَرْتُهُ أَلَّا يُفَرِّخَ بِيضُهُ^(١) أَبَدًا وَيُصْبِحَ خَائِفًا يَتَفَجَّعُ
 إِنَّ الَّذِينَ نَعَبْتَ^(٢) لِي بِفِرَاقِهِمْ هُمْ أَسْهَرُوا لَيْلَ التَّمَامِ فَأَوْجَعُوا^(٣)
 فقال : « وجرى بينهم الغراب » لأنَّه غريب ، ولأنَّه غراب البين ،
 ولأنَّه أبقع . ثم قال : « حَرَقَ^(٤) الجناح » تطيرًا أيضاً من ذلك . ثمَّ جعل
 لِحَيِّ رأسه جِلْمَيْنِ ، والجلم يقطع . وجعله بالأخبار هَشًّا مُولَعًا ، وجعل نعيه
 [و] شحيجه كالخبر المفهوم .

(التشاؤم بالغراب)

قال : فالغراب أكثر من جميع ما يُتَطَيَّرُ به في باب الشؤم . ألا تراهم
 كلما ذكروا ممَّا يتطيرُون منه شيئاً ذكروا الغراب معه ؟!
 وقد يذكرون الغراب ولا يذكرون غيره ، ثمَّ إذا ذكروا كلَّ واحدٍ
 من هذا الباب لا يمكنهم أن يتطيرُوا منه إلَّا من وجهٍ واحد ، والغراب كثيرُ
 المعاني في هذا الباب ، فهو المقدم في الشؤم .

(١) ط : « طيره » . وفي الديوان ١٥٧ : « عشه » . والبيت ساقط من ل .

(٢) س : « نعبت » ، تصحيف .

(٣) ليل التمام : الشديد الطول . وهذه رواية ط ، س والديوان . وفي ل :

« ليل التمام » وكلاهما صحيح . وفي حديث عائشة : « كان يقوم
 الليلة التمام » .

(٤) ط ، س : « خرق » ، وصوابه في ل . وانظر التنبيه الرابع من الصفحة السابقة .

(دفاع صاحب الغراب)

قال صاحبُ الغراب : الغرابُ وغير الغراب في ذلك سواءٌ . والأعرابيُّ
إن شاء اشتقَّ من الكلمة ، وتَوَهَّم فيها الخيرَ ، وإن شاء اشتقَّ
منها الشرَّ .

وكلُّ كلمةٍ تحتمِلُ وجوهاً .

ولذلك قال الشاعر :

نظرتُ وأصحابي ببطن طويلع ضُحِيًّا وقد أفضى إلى اللَّبِّبِ الحَبْلُ^(١)
إلى ظبيةٍ تعطو سَيَّالاً تَصَوُّرُهُ يجاذِبُها الأَفَنانُ ذو جُدَدِ طِفْلٍ^(٢)
فقلتُ وعِفتُ : الحبلُ حبلٌ وصالها تجذُّذُ من سلماك وانصرم الحبلُ^(٣)
وقلتُ : سيال ! قدَّ تسَلَّتْ مودتي. تصورُ غُصُوناً ! صار جِثْمَانِها يعلو^(٤)

(١) ل : « وقد جاوزت بطن طويلع » . الحبل : الرمل المستطيل . واللَّبِّب : ما كان
قريباً من حبل الرمل . يقول : وقد جزنا الحبل إلى اللَّبِّب . ويصح أن يراد لبب
الناقة وحبلها ، وأن الحبل قطع حتى صار إلى اللَّبِّب . ط ، س : « إلى اللَّبِّبِ
الحبل » ، ووجهه ما في ل .

(٢) السَيَّال ، كسحاب : ضرب من الشجر تحبه الظباء . تصوره : تيمله . الجدد :
الخطوط والعلامات . س : « ذو حرحر » . ل : « ذو جدل » ، تحريف
ما في ط .

(٣) عفت ، من العيافة والزجر . تجذُّذ : تقطع . ط ، س : « تجدِّد » ، يقال جده
قطعه . سلماك : نسب سلمى الحبيبة إليه . س : « ساماك » . ل : « سامال »
صوابه ما أثبت من ط . ل : « وانصرم الوصل » .

(٤) ط : « سيالا » ، خطأ .

وَعِنْتَ الْغَرِيرَ الطِّفْلَ طِفْلاً أَنْتَ بِهِ فَقُلْتَ لِأَصْحَابِي: مُضِيْكُمْ جَهْلٌ^(١)
رُجُوعِيْ حَزْمٌ وَامْتِرَائِيْ ضِلَّةٌ كَذَلِكَ كَانَ الرَّجْرُ يَصْدُقُنِيْ قَبْلُ^(٢)
وقال ابن قيس الرُّقِيَّات :

بَشَرَ الطَّبِيْ وَالْغَرَابُ بَسْعَدَى مَرَحَبًا بِالَّذِي يَقُولُ الْغَرَابُ
وقال آخر^(٣) :

بَدَا إِذْ قَصَدْنَا عَامِدِينَ لِأَرْضِنَا سَنِيحٌ فَقَالَ الْقَوْمُ : مَرَّ سَنِيحٌ^(٤)
وَهَابَ رَجَالٌ أَنْ يَقُولُوا وَجَمَّعُوا فَقُلْتَ لَهُمْ : جَارٍ إِلَى رَيْحٍ^(٥)
عُقَابٌ بِإِعْقَابٍ مِنَ الدَّارِ بَعْدَ مَا مَضَتْ نِيَّةٌ لَا تَسْتَطَاعُ طَرُوحُ^(٦) ١٣٨
وَقَالُوا : دَمٌ ! دَامَتْ مُوَدَّةٌ بَيْنَنَا وَعَادَ لَنَا غَضُ الشَّبَابِ قَرِيحٌ^(٧)
وَقَالَ : صَحَابِيْ : هُدْهُدٌ فَوْقَ بَانَةٍ ! هَدَى وَبَيَّانٌ فِي الطَّرِيقِ يَلُوحُ
وَقَالُوا : حَمَامَات ! فَحُمٌّ لِقَاؤُهَا وَطَلَحُ ! فَنِيلَتْ وَالْمَطَى طَلِيحٌ^(٨)

(١) ط : « الطفل طفل » صوابه في ل ، س . توقع أنها زوجت وولدت فانقطع
أمله من ودعا .

(٢) الامتراء : الشك . والفضلة بالكسر : الضلال ، وبالفتح : الحيرة . س : « خلة » .

(٣) هو أبو حية النيزي . زهر الآداب (٢ : ١٦٧ - ١٦٨) والشرشي (٢ : ٢١٥) .

(٤) ط ، س : « لأهلها » ، وأثبت ما في ل وزهر الآداب . السنيح : ما جاء
من المياسر إلى الميامن .

(٥) الجمجمة : ألا يبين المرء كلامه . ل : « ورجعوا » وجار ، من جرى .

(٦) الإعقاب : التبديل . يقول : سيبدلون الدار . ط ، س : « النار » ، وصوابه في ل
وزهر الآداب . ونية طروح : بعيدة .

(٧) س : « قريح » ل : « غص الشبَاب قديح » ، ولم أعتد إلى الوجه في ذلك .
وفي زهر الآداب : « ودأب لنا حلو الصفاء صريح » .

(٨) حم : قدر وقضى . المطى : الإبل . طليح : أعياء السفر . ط ، س :
« فزيرت » وأثبت ما في ل ومحسن البيهقي (٢ : ٢٤٠) .

قالوا : فهو إذا شاء جعل الحمام من الحمام والحميم والحمى . وإن شاء قال : « وقالوا حمامات فحمّ لقاؤها » . وإذا شاء اشتق^(١) البين من البان . وإذا شاء اشتق منه البيان^(٢) .

وقال آخر^(٣) :

وقالوا : عقاب ! قلت عُقْبَى من الهوى دنت بعد هجرٍ منهم ، ونزوح^(٤)
وقالوا : حمامات ! فحمّ لِقَاوُها وعادَ لنا حلّو الشَّبابِ ربيع^(٥)
وقالوا : تَخَنَّى هدهدٌ فوقَ بانه ! فقلتُ : هُدًى نغدو به ونزوح^(٦)
ولو شاء الأعرابي [أن يقول^(٧)] إذا رأى سوادَ الغراب : سواد
سودد ، وسواد الإنسان : شخصه ، وسواد العراق : سَعَف نخله ، والأسودان
الماء والتمر ، وأشبه ذلك — لقاله .

قال : وهؤلاء بأعيانهم الذين يصرفون الزجر كيف شاءوا ، وإذا لم
يجدوا من وقوع شيء بعد الزجر بُدًا — هم الذين إذا بدا لهم في ذلك بُداء^(٨)
أنكروا الطيرة والزجر البتة .

(١) ط ، : « اشتق » ، وضواحه في ل .

(٢) يشير إلى البيت الخامس من الأبيات السابقة .

(٣) كذا جاء . والحق أنه من القصيدة الأولى ، وأنه رواية أخرى في بعض أبياتها .

(٤) النزوح : البعد .

(٥) ل : « وقالوا حمام قلت حم لقاؤها » .

(٦) الزيادة من س .

(٧) بدا له في الأمر بدوا ، وبداء ، وبدأ ، وبداءة ، نشأ له فيه رأى . ط : « بدا »

بحرفة . س : « بدا » ، وأثبت ما في ل .

(تطير النابغة وما قيل فيه من شعر)

وقد زعم الأصمعي أن النابغة خرج مع زَبَّان بن سيار^(١) يريدان الغزو،
فبينما هما يريدان الرحلة إذ نظر النابغة وإذا على ثوبه جرادة تجرد ذات
ألوان ، فتطير وقال : غيرى الذى خرج فى هذا الوجه ! فلما رجع زَبَّان
من تلك الغزوة سالماً غانماً ، قال :

تخبر طيره فيها زياداً لتخبره وما فيها خبير^(٢)
أقام كأن لقمان بن عادٍ أشار له بحكمته مُشيرٌ
تعلم أنه لا طير إلا على متطير وهو الثبور
بلى شيء يوافق بعض شيء أحياناً وباطله كثير^(٣)

فزعم كما ترى زَبَّان - وهو من ذهاة العرب وساداتهم - أن الذى
يحدثه إنما هو شيء من طريق الاتفاق ، وقال :

تعلم أنه لا طير إلا على متطير وهو الثبور

(١) هو زبَّان بن سيار بن عمرو الفزارى ، ذكره ابن قتيبة فى المعارف ٥١ . وهو
صهر للنابغة ، قال فى شعره :

ألا من مبلغ عنى خزيما وزبان الذى لم يرع صهرى

وكانت أخت هرم بن سنان تحت زبَّان . ط ، ل : « يسار » ، وصوابه فى س
والحيوان (٥ : ٥٥٥) والبيان (٣ : ٣٠٤) .

(٢) تخبر طيره : سأله أن تخبره . ط : « تخبر طيره » ، س : « تخبر طيره » ، والطيرة
بالكسر الاسم من تطير . وزيد هو النابغة ، ابن معاوية اللباني .

(٣) كذا فى ل والبيان (٣ : ٣٠٥) والحيوان (٥ : ٥٥٥) والعمدة (٢ :
٢٠٢) والمستطرف (١ : ٨٤) وعيون الأخبار (١ : ١٤٦) . وفى ط :
« وأحياناً » . وفى س : « وأحياناً رداك » ، وما فى س محرف .

وهذا لا ينقض الأول من قوله : أمّا^(١) واحدة فإنه إن جعل ذلك من طريق العقاب للمتطير^(٢) لم ينقض قوله في الاتفاق . وإن ذهب إلى أن مثل ١٣٩ ذلك قد يكون ولا يشعر به اللاهى عن ذلك والذى^(٣) لا يؤمن بالطيرة ، فإن^(٤) المتوقع فهو في بلاء مادام متوقعا . وإن وافق بعض المكروه جعله من ذلك .

(تطير ابن الزبير)

ويقال إن ابن الزبير لما خرج مع أهله من المدينة إلى مكة ، سمع بعض إخوته ينشد :
وكلُّ بنى أمِّ سيمسُون ليلَةً ولم يَبْقَ من أغيانِهِمْ غيرُ واحدٍ
فقال لأخيه : مادعاك إلى هذا ؟ قال : أما إني ما أردته ! قال : ذلك أشدُّ له .

وهذا منه إيمان شديد بالطيرة كما ترى .

(١) كذا على الصواب في ل . وفي ط ، س : « إلا » .

(٢) س : « للتطير » .

(٣) ل : « وأنه » محرف .

(٤) في الأصل : « فأما » .

(بعض من أنكر الطيرة)

وَمَنْ كَانَ لَا يَرَى الطَّيْرَةَ شَيْئاً^(١) المرقش ، من بنى سدوس ، حيث قال :

[إِنِّي غَدَوْتُ وَكُنْتُ لَا أَغْدُو عَلَى وَاقٍ وَحَاتِمٍ]
فَإِذَا الْأَشْأَمُ كَالْأَيَا مِنْ وَالْأَيَامِنْ كَالْأَشْأَمِ
فَكَذَّاكَ لَا خَيْرٌ وَلَا شَرٌّ عَلَى أَحَدٍ بِدَائِمٍ^(٢)

قال سلامة بن جندل^(٣) :

وَمَنْ تَعَرَّضَ لِلْغُرْبَانِ يَزْجُرْهَا عَلَى سَلَامَتِهِ لَا بَدَّ مَشْتُومٍ
وَمَنْ كَانَ يَنْكُرُ الطَّيْرَةَ وَيُوصِي بِذَلِكَ ، الحارث بن حلزة ، وهو قوله -
قال أبو عبيدة : أَنْشَدَنِيهَا [أَبُو] عَمْرُو ، وَابْسُتْ إِلَّا هَذِهِ الْآيَاتِ ، وَسَائِرُ
الْقَصِيدَةِ مَصْنُوعٌ مَوْلَدٌ - وهو قوله :

يَا أَيُّهَا الْمَزْمِعُ ثُمَّ انْثَنَى لَا يَشْنُوكَ الْحَازِي وَلَا الشَّاحِجُ^(٤)

(١) كذا على الصواب في ل . وفي ط ، س : « ومن كان لا يرى الطير » .

(٢) سبقَت الآيات والقول فيها ص ٤٣٦ .

(٣) كذا والصواب أن البيت لعلقمة الفحل كما في أمالي المرتضى (٣ : ٣٧) والديوان
١٣١ من قصيدته التي مطلعها :

هَلْ مَا عَلِمْتُ وَمَا اسْتَوْدَعْتُ مَكْتُومٍ أَمْ حَبَلُهَا إِذْ نَأَتْكَ الْيَوْمَ مَصْرُومٍ

(٤) الحازي : زاجر الطير ، أو الكاهن . ط ، س : « الحادي » محرف .
والشاحج : الغراب يشجع بصوته .

ولا فعيد أعضب قرنه هاج له من مريع هائج^(١)
 بينا الفتى يسعى ويسعى له تاح له من أمره خاليج^(٢)
 يترك مارقع من عيشه يعيث فيه همج هامج^(٣)
 [لا تكسع الشول بأغبارها إنك لا تدري من الناتج^(٤)
 وقال الأصمعي : قال سلم بن قتيبة^(٥) : أضللت ناقة لي عشاء ،
 وأنا بالبدو^(٦) ، فخرجت في طلبها ، فتلقاني رجل بوجهه شين من حرق
 النار ، ثم تلقاني رجل أخذ بخطام^(٧) بغيره ، [وإذا]^(٨) هو ينشد :
 فلن بعث له البغاة فا البغاة بواجدين^(٩)

-
- (١) القعيد : ما جاء من ورائك من ظبي أو طائر . والأعضب : المكسور القرن . ل :
 والبيان (٣ : ٣٠٣) : « من مرتع » . س : « مريع » محرفة .
 (٢) تاح : قدر ، أوتها . والخاليج : الموت يختلج المرء وينتزعه .
 (٣) رقع : أصلح . ط ، س : « يعيش فيه » وأثبت ما في ل واللسان والبخلاء
 ١٣٨ . وفي البيان : « يعيث فيه » .
 (٤) الكسع : ضرب الماء على الضرع ليرتفع اللبن فتسمن الناقة ، أو يسمن أولادها
 في بطنها . والشول : بالفتح : جمع شائلة ، وهي التي أتى عليها من حملها ، أو وضعها
 سبعة أشهر فخف لبنها . والغبر بالضم : بقية اللبن في الضرع . انظر السكامل
 ٢١٣ ليبسك وأمثال الميداني (١ : ٣٣٦) .
 (٥) سلم بن قتيبة بن مسلم ، كان والياً على خراسان أيام هشام بن عبد الملك . وأبوه قتيبة
 ابن مسلم كان والياً عليها زمن الحجاج . تهذيب التهذيب وجمهرة أنساب العرب لابن
 حزم ٢٤٦ . ط : « سلام بن قتيبة » وفي سائر النسخ : « مسلم بن قتيبة » ، تحريف .
 والقصة الآتية في تأويل مختلف الحديث ١٢٩ وسندها : « أبو حاتم قال نا الأصمعي عن
 سعيد بن مسلم عن أبيه » ، صوابه « بن مسلم » .
 (٦) في تأويل مختلف الحديث : « وأنا بالطف » . والطف : ما أشرف من أرض العرب على
 ريف العراق .
 (٧) ط ، س : « آخر » صوابه في ل . والرجل هو هاني بن عبيد من بني وائل
 كما في تأويل مختلف الحديث .
 (٨) من س .
 (٩) البغاة : جمع باغ ، وهو هنا الذي يطلب الشيء ويبحث عنه . ل : « بعث له » . وقد نسب
 البيت في عيون الأخبار ١ : ١٤٥ إلى ليبيد .

ثم من بعد هذا كله ، سألت عنها بعضَ من لقيته ، فقال لي : التمسها عند تلك النار . فأتيتهم فإذا هم قد نتجوها حُورًا^(١) ، وقد أوقدوا لها نارًا فأخذتُ بخططها وانصرفتُ .

(النَّظَامُ وَعَدَمُ إِيمَانِهِ بِالطَّيْرَةِ)

وأخبرني أبو إسحاق إبراهيم بن سيار النَّظَامُ قال : جئتُ حتى أكلت الطين ، وما صرتُ إلى ذلك حتى قلبت قلبي^(٢) أتذكر: هل بها رجلٌ أصيبُ عنده غداءٌ أو عشاء^(٣) ، فما قدرت عليه . وكان على جبةٍ وقيصان ، فنزعتُ القميصَ الأسفلَ فبعته بدريهمات ، وقصدتُ إلى فُرْصَةٍ الأهواز ، أريد قَصْبَةَ الأهواز ، وما أعرف بها أحدا . وما كان ذلك إلا ١٤٠ شيئًا^(٤) أخرجه الضَّجَرُ وبعضُ التعرُّض . فوافيتُ الفُرْصَةَ فلم أصبُ فيها سفينةً ، فتطيرتُ من ذلك . ثم إنى رأيتُ سفينةً في صدرها خرقٌ وهشم فتطيرتُ من ذلك أيضًا ، وإذا فيها حمولة ، فقلت للملاح : تحملني ؟ قال : نعم قلت : ما اسمك ؟ قال : « داودا^(٥) » ، وهو بالفارسية الشَّيْطَان ، فتطيرت من

(١) الحوار ، بالضم ويكسر : ولد اثنائة حين تضعه ، أو إلى أن يقطع .

(٢) قلبت قلبي ، أى فكرت كثيرا . والقلب : العقل .

(٣) بها ، أى بالبصرة ، أو بهذه الدنيا . ط : « وعشاء » .

(٤) ط ، س : « شيء » .

(٥) ط ، س : « داود » .

ذلك . ثم ركبته معه ، تصكَّ الشمالَ وجهي ، وتُشير بالليل^(١) الصَّقيعَ على رأسي . فلَمَّا قَرُبْنَا مِنَ الْفُرْصَةِ صَحَّتْ : ياحمَّال ! ومعى لحافٌ لى سَمَل ، ومضربةُ خلق ، وبعضُ مالا بُدَّ لمثلَى منه . فكان أوَّلَ حمَّالٍ أجباني أعور فقلتُ لبقَّار كان واقفاً : بكم تكررى^(٢) ثورك هذا إلى الخان ؟ فلما أدناه من متاعى إذا الثور أعصبُ القرن ، فازدَدَتْ طيرة إلى طيرة ، فقلتُ فى نفسى : الرَّجوعَ أسلمُ لى . ثمَّ ذكرتُ حاجتى إلى أكل الطين فقلتُ : ومن لى بالموت ؟! فلما صرتُ فى الخان وأنا جالس فيه ، ومتاعى بينَ يَدَيَّ وأنا أقول : إنَّ أَنَا خَلَفْتُهُ فى الخانِ وليس عنده من يحفظه فُشَّ^(٣) البابُ وسرق ؛ وإن جلست أحفظه لم يكن لمحبيئى^(٤) إلى الأهوازِ وجه . فبينما أنا جالسٌ إذ سمعتُ قرعَ البابِ ، قلت : من هذا عافاك الله تعالى ؟ قال : رجلٌ يريدُك ، قلتُ^(٥) : ومن أنا ؟ قال : أنت إبراهيم . فقلتُ : ومن إبراهيم ؟ قال : [إبراهيم] النَّظَّام . قلت : هذا خنَّاقٌ ، أو عدوٌّ ، أو رسولُ سلطان ! ثم إنى تحاملتُ وفتحتُ البابَ ، فقال : أرسلنى إليك إبراهيمُ بن عبد العزيز ويقول :

نحنُ وإن كنَّا اختلافنا فى بعضِ المقالة ، فإننا قد نرجعُ بعد ذلك إلى حقوقِ الأخلاق [و] الحرِّية^(٦) . وقد رأيتك حينَ مررت [بى]^(٧)

(١) ط ، س : « وينثر الليل » .

(٢) س : « تكرينى » . والكرء : الأجرة . وانظر الاستدراكات .

(٣) فش القفل ؛ فتحه بدون مفتاح . شفاء الغليل .

(٤) ط س : « لمحبي » .

(٥) ط : « قتلت » تحريف .

(٦) الحرية : كون الإنسان حراً ، وهو من أقدم المصادر الصناعية . والحر : العتيق الكريم .

(٧) من ل ، س .

على حال كرهتها منك ، وما عرفتُك حتى خبرني عنك بعض من كان معي
وقال : ينبغي أن يكون قد نزعَتْ^(١) [بك] حاجة . فإن شئت فأقم
بمكانك شهراً أو شهرين ، فعسى أن نبعث إليك ببعض ما يكفيك زمناً^(٢)
من دهرك . وإن اشتهيت الرجوع فهذه ثلاثون مثقالاً ، فخذها وانصرف ،
وأنت أحق من عدرك .

[قال] : فهجم والله على أمر كاد ينقضني^(٣) . أما واحدة : فأني لم
أكن ملكاً قبل ذلك ثلاثين ديناراً في جميع دهرى . والثانية : أنه
لم يطل مقامى وغيبى عن وطنى ، وعن أصحابى الذين هم على حال أشكل بي
وأفهم عني . والثالثة : ما بين لى من أن الطيرة باطل ؛ وذلك أنه قد تابع
على منها ضروب ، والواحدة منها كانت عندهم معطبة .
قال : وعلى مثل ذلك الاشتقاق يعمل الذين يعبرون الرؤيا .

(عجيبة للغربان بالبصرة)

وبالبصرة من شأن الغربان ضروب من العجب ، لو كان ذلك بمصر
أو ببعض الشامات^(٤) : لكان عندهم من أجود الطلسم . وذلك أن

(١) ط ، س : « نزعته » صوابه في ل .

(٢) ل : « زمينا » تصغير زمن .

(٣) ينقضنى : أى يذهب قوتي وعزمتى . س : « ينقض » ط : « ينقضنى »
تحريف ما أثبت من ل .

(٤) الشامات هى بلاد الشام . وانظر ما سبق فى ص ٤٠٤ .

١٤١ الغربان تقطع إلينا في الحريف ، فترى النخلَ وَبَعْضُهَا مَصْرُومَةٌ ^(١) ، وعلى كلِّ نَخْلَةٍ عِدَدٌ كثيرٌ من الغربانِ ، وليس منها شيءٌ يقربُ نَخْلَةً واحدةً من النخل الذي لم يُصرَمَ ، ولو لم يبقَ عليها إلا عِدْقٌ واحدٌ . وإنما أوكار جميع الطير المصوّت في أقلاب ^(٢) تلك النخل ، والغراب أطيرٌ وأقوى منها ثم لا يجترئ أن يسقطَ على نَخْلَةٍ منها ، بعد أن يكون قد بقي على عِدْقٍ واحدٍ .

(منقار الغراب)

ومنقار الغراب مغول ، وهو شديد النقر . وإنّه ليصلُ إلى الكأَةِ المندفنة في الأرض بنقرة واحدة حتى يشخصها . وهو أبصرُ بمواضع الكأَةِ من أعرابي يطلبها في منبت ^(٣) الإجرد والقصيص ^(٤) ، في يومٍ له شمس حارّة . وإنّ الأعرابي ليحتاجُ إلى أن يرى ما فوقها من الأرض فيه بعضُ الانتفاخ والانصداع ، وما يحتاجُ الغراب إلى دليل ^(٥) . وقال أبو ذؤاد الإيادي : تنقِ الحصى صُعداً شرقاً منسماً نقي الغراب بأعلى أنفه الغردا ^(٦)

(١) مصرومة : قطع ثمرها . ل : « فترى الأرض ونصفها مصرم » .

(٢) الأقلاب : جمع قلب ، وهو السعف الذي يطلع من قلب النخلة .

(٣) ط ، س : « منبت » .

(٤) الإجرد : نبت يدل على الكأَةِ . والقصيص : شجر ينبت في أصله الكأَةُ ، قالوا : سمى بذلك لدلالته على الكأَةِ كما يقتضى الأثر .

(٥) ل : « إلى ذلك الدليل »

(٦) سبق الكلام في هذا البيت ص ٤٢٥ . ل : « الغرده » .

ولو أن الله عزَّ وجلَّ أذن للغراب أن يسقط على النخلة وعلى الثمرة
لذهبت ، وفي ذلك الوقت لو أن إنساناً نقر العنق نقرة واحدة لانتثر عامة
ما فيه ، ولهلكت غلات الناس . ولكنك ترى منها على كل نخلة مصرومة
الغربان الكثيرة ، ولا ترى على التي تليها غراباً واحداً ، حتى إذا صرموا ما عليها
تسابقن إلى ما سقط من التمر في جوف الليف^(١) وأصول الكرب^(٢) لتستخرجه
كما يستخرج المنتاخ^(٣) الشوك^(٤) .

(حوار في نفور الغربان من النخل)

فإن قال قائل : إنما أشباح تلك الأعذاق المدلاة كالخرق السود التي تفزع
الطير أن يقع على البزور^(٤) ، وكالعوادم السود تغرز في أسنمة ذوات الدبر
من الإبل ؛ لكيلا تسقط عليها الغربان . فكأنها^(٥) إذا رأت سواد الأعذاق
فزعت كما يفزع الطير من الخرق السود .

(١) ل : « اللب » .

(٢) الكرب ، بالتحريك : أصول السعف الغلاظ العراض .

(٣) المنتاخ ، كنفاخ : المنقاش الذي ينزع به الشوك . ط ، س : « كما يستخرج
الشاك الشوكة » ، وفيها تحريف .

(٤) كذا على الصواب في ل . وفي ط : « التي تغرز والطيران يقع على البزور »
وهي عبارة مختلفة . والكلام من مبدأ « تفزع » إلى : « السود » ساقط من س .
وانظر لمثل هذا الكلام ص ٤١٦ .

(٥) ط : « وكأنها » .

قال الآخر : قَدْ نَجِدُ جَمِيعَ الطَّيْرِ الذِّمِّي يَفْزَعُ بِالْحَرَقِ السُّودِ فَلَا يَسْقُطُ عَلَى الْبُزُورِ ، يَقَعُ كُلُّهُ عَلَى النَّخْلِ وَعَلَيْهِ الْحَمْلُ ، وَهَلْ لِعَامَّةِ الطَّيْرِ وَكُورٌ^(١) إِلَّا فِي أَقْلَابِ^(٢) النَّخْلِ ذَوَاتِ الْحَمْلِ .

قال الآخر : يَشْبَهُ أَنْ تَكُونَ الْغُرْبَانُ قَطَعَتْ إِيَّانَا مِنْ مَوَاضِعَ لَيْسَ فِيهَا نَخْلٌ وَلَا أَعْدَاقُ ، وَهَذَا الطَّيْرِ الذِّمِّي يَفْزَعُ بِالْحَرَقِ السُّودِ إِنَّمَا خُلِقَتْ وَنَشَأَتْ فِي الْمَوَاضِعِ الَّتِي لَمْ تَزَلْ تَرَى فِيهَا النَّخِيلَ وَالْأَعْدَاقُ . وَلَا نَعْرِفُ لَذَلِكَ عِلَّةَ سِوَى هَذَا .

قال الآخر : وَكَيْفَ يَكُونُ الشَّأْنُ كَذَلِكَ [وَ] مِنَ الْغُرْبَانِ غُرْبَانٌ أَوَابِدُ بِالْعِرَاقِ فَلَا تَبْرَحُ تَعَشُّشٌ فِي رَعُوسِ النَّخْلِ ، وَتَبْيِضُ وَتَفْرُخُ ، إِلَّا أَنَّهَا لَا تَقْرُبُ النَّخْلَةَ الَّتِي يَكُونُ عَلَيْهَا الْحَمْلُ .

وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّهَا تَعَشُّشُ فِي نَخْلِ الْبَصْرَةِ ، [وَ] فِي رَعُوسِ أَشْجَارِ الْبَادِيَةِ قَوْلُ الْأَصْمَعِيِّ :

١٤٢ وَمِنْ زَرْدِكٍ مِثْلٍ مَكْنِ الضُّبَابِ يُنَاوِحُ عِيدَانَهُ السِّيمَكَانَ^(٣)
وَمِنْ شَكْرٍ فِيهِ عُشُّ الْغَرَابِ وَمِنْ جَيْسِرَانَ وَبِنْدَازْجَانَ^(٤)

(١) ل : « أَوْكَار » . وَجَمْعُ الْوَكْرِ أَيْضاً عَلَى أَوْكَرَ ، وَوَكْرَ ، كَغَرَفَ .

(٢) الْأَقْلَابُ : جَمْعُ قَلْبٍ بِالضَّمِّ ، وَهُوَ السَّعْفُ الَّذِي يُطْلَعُ مِنْ قَلْبِهَا . ط : « أَقْلَالٌ » وَصَوَابُهُ فِي ل ، س .

(٣) الزَّرْدِكُ : كَلِمَةٌ فَارْسِيَّةٌ . وَمَعْنَاهَا الْجَزْرُ ، وَهُوَ نَبَاتٌ مَعْرُوفٌ تَتَوَكَّلُ أَصُولُهُ وَتَرْتَبِي . وَالْجَزْرُ لَيْسَ عَرَبِيَّ الْفِظِ ، مَعْرَبٌ . كَمَا فِي الْقَامُوسِ . ط ، س : « زَرْنَك » مُحَرَفٌ . وَالضُّبَابُ : بِالْكَسْرِ : جَمْعُ ضَبٍّ . وَمَكْنُهُ ، بِالْفَتْحِ : بَيْضُهُ . وَ « السِّيمَكَانُ » هِيَ فِي ل : « التَّشْمَكَانُ » .

(٤) شَكْرٌ ، هُوَ مِنْ شَكَرْتَ النَّخْلَةَ شَكَراً — مِنْ بَابِ تَعَبٍ : كَثُرَ فِرَاقُهَا . وَفِي الْأَصْلِ : « سَكْرٌ » وَيَصِحُّ بِتَأْوِيلٍ ؛ فَإِنَّ مِنَ النَّخْلِ يَصْنَعُ بَعْضُ السَّكْرِ ، بِالتَّحْرِيكِ : وَهُوَ مَا يَسْكُرُ مِنَ النَّبِيذِ . وَ « وَمِنْ » الثَّانِيَةُ سَاقِطَةٌ مِنْ ل . وَ « جَيْسِرَانَ » هِيَ فِي ط ، س : « خَيْشَوَانَ » وَفِي ل : « جَيْسَوَانَ » ، صَوَابُهُ مَا أُثْبِتَ . وَالْجَيْسِرَانَ : جَنْسٌ مِنْ أَفْخَرِ النَّخْلِ ، فَارْسِيَّةٌ « كَيْسِرَانَ » الْأَلْفَاظُ الْفَارْسِيَّةُ ٤٩ وَعيون الأخبار (٣ : ٢٩٧) . وَ « بِنْدَادْ جَانَ » هِيَ فِي ط ، س : « بِيْدَانْ جَانَ » .

وقال أبو محمد الفقعسي^(١) ، وهو يصف فحل هَجْمَة^(٢) :
 يتبعها عدبَسٌ جَرائِضٌ^(٣) أَكَلَفُ مَرِيْدٌ هَصُورٌ هَائِضٌ^(٤)
 * بحيثُ يعتشُّ الغرابُ البائِضُ^(٥) * .

(ما يتفاهل به من الطير والنبات)

والعامَّة تتطيَّرُ من الغراب إذا صاح صبيحةً واحدةً ، فإذا ثنى
 تفاعلت به .

والبُوم عند أهل [الرِّيِّ وأهل] مَرَوْ يُتفاهل به ، [وأهل البصرة
 يتطيرون منه . والعربيُّ يتطيَّر من الخلاف ، والفارسيُّ يتفاهل إليه] ؛ لأنَّ
 اسمه بالفارسية « باذامك » أى يَبقى^(٦) ، وبالعربية خلاف ، والخلاف
 غيرُ الوفاق .

والريحان يُتفاهل به ؛ لأنَّه مشتقٌّ من الرُّوح ، ويتطيَّر منه لأنَّ طعمه
 مُرٌّ ، وإن كان في العين والأنف مقبولا .

(١) الهجمة : جماعة من الإبل ألقها أربعون .

(٢) العدبس : الشديد الموثق الخلق . والجرائض ، بالضم : الأكل الذي يحطم كل
 شيء بأنياه . ورواية اللسان (جرض) :

* يتبعها ذوكدنة جرائض *

(٣) المريد : الذى لونه بين السواد والغبرة . ط ، س : « أَكَلَفُ نَهاض
 هَصُور نَهاض » .

(٤) تكلم في هذا البيت صاحب المخصص (٩ : ١٢٥) . وفى ط ، س :
 « بحيث يفتش » ل : « بحيث يعيش » وصوابهما فى اللسان والمخصص .
 و « البائض » هى فى ط ، س : « النابض » ، وصوابه من ل :
 واللسان والمخصص .

(٥) هذه العبارة جاءت فى ط ، س : « بارمال يريد تبقى » وفى ل : « بيناى
 يبقى » . وقد حورتها إلى ما ترى معتمداً على معجم النبات ص ١٦٠ . والخلاف :
 جنس من الصفصاف . وفى تذكرة داود : « باذامك من الصفصاف » .

وقال شاعرٌ من المحدثين^(١) :

أهدى له أحبابُهُ أُتْرُجَّةً فَبَكَى وَأَشْفَقَ مِنْ عِيَافَةِ زَاجِرٍ^(٢)
 متطيراً مِمَّا أَتَاهُ ، فَطَعَمَهُ لُونَانٍ بَاطِنُهُ خِلَافُ الظَّاهِرِ^(٣)
 وَالْفَرَسُ تَحِبُّ الْآسَ^(٤) وَتَكْرَهُ الْوَرْدَ ؛ لِأَنَّ الْوَرْدَ لَا يَدُومُ ، وَالْآسَ دَائِمٌ .
 قال : وإذا صاح الغرابُ مرَّتين فهو شرٌّ ، وإذا صاح ثلاثَ مرَّاتٍ
 فهو خير ، على قدر [عدد]^(٥) الحروف^(٦) .

(عداوة الحمام للغراب)

ويقال : إنَّ بينَ الغراب والحمار عداوةً . كذا قال صاحب المنطق .
 وأنشدني بعضُ النحويِّين^(٧) :

عاديتهما لا زلتَ في تَبَابٍ عداوةِ الحمار للغراب^(٨)

(١) هو العباس بن الأحنف ، كما في زهر الآداب (٤ : ٨٧) .

(٢) في العقد (١ : ٢٩٨) : « أهدى إليه حبيبته » . وانظر الاستدراكات .

(٣) في العقد :

« خاف التبدل والتلون إنها لونان باطنها . . . »

وفي زهر الآداب :

« متطيراً منها السقام وجسمها لونان باطنها . . . »

(٤) الآس : ضرب من الريحان يسمى بمصر « مرسين » .

(٥) الزيادة من ل وحياة الحيوان .

(٦) كذا في ل وحياة الحيوان . وفي ط : « الجزء » وفي س : « الجزء » .

والمراد عدد حروف الكلمتين : « شر » و « خير » ، فالأولى مركبة من حرفين ،

والثانية مؤلفة من ثلاثه . وقد تبدو هذه العبارة مناقضة لما سبق في ٤٥٧ س ٥ .

لكن يظهر أنهما زعمان متخالفان يحكيهما .

(٧) كذا في ل . وفي ط : « وأنشد لبعض » وفي س : « وأنشدت لبعض » .

(٨) ط ، س : « عداوة الغراب للحمار » : ووجهه في ل و (٢ : ٥٢) .

(أمثال في الغراب)

[ويقال : « أَصَحُّ مِنْ غَرَابٍ » . وأنشد ابن أبي كريمة لبعضهم ، وهو
يهجو صريع الغواني مسلم بن الوليد :

فما رِيحُ السَّدَابِ أَشَدُّ بُغْضًا إِلَى الحَيَّاتِ مِنْكَ إِلَى الغَوَانِي [
وأنشد (١) :

وأصلبُ هامةً من ذِي حَيُودٍ ودُونِ صِداعه مُحمَّى الغراب (٢)
وزعم لي داهيةً من دُهاة العرب الخَوَّاثِينَ ، أَنَّ الأَفَاعِيَّ وأَجْناسَ
الأَحْنَاشِ ، تَأْتِي أَصُولَ الشَّيْحِ وَالْحَرْمَلِ ، تَسْتَظِلُّ [به] ، وَتَسْتَرِيحُ إِلَيْهِ .
ويقال : « أَغْرَبُ مِنْ غَرَابٍ » . وأنشد قول مضرِّس بن لقيط (٣) :

كَأَنِّي وَأَصْحَابِي وَكَرَّيْ عَلَيْهِمْ عَلَى كُلِّ حَالٍ مِنْ نَشَاطٍ وَمِنْ سَأَمٍ (٤)
غَرَابٌ مِنَ الْغَرَبَانِ أَيَّامَ قِرَّةٍ رَأَيْنَا لِحَامًا بِالْعِرَاصِ عَلَى وَضَمٍّ (٥)

(١) ل : « وأنشد فيه » .

(٢) ط : « هامة من ذى جنود » محرف . والحيود : ماشخص من نواحي الرأس .
والبيت ساقط من س .

(٣) نسبه إلى جده ، وإنما هو مضر من ربيعة بن لقيط الأسدي ، له خبر مع
الفرزدق كما في معجم المرزبانى ٣٩٠ ، فيكون إسلامياً أو غنصراً . لكن قال
صاحب الخزانة (٢ : ٢٩٣ بولاق) : إنه جاهل .

(٤) ل : « وكري إليهم » .

(٥) القرة ، بالكسر : البرد . ط ، س : « فره » صوابه في ل . واللحم :
جمع لحم . والعراص : جمع عرصة بالفتح ، وهى البقعة الواسعة بين الدور . ط :
« بالعراص » وتصحيحه من ل ، س . والوضم ، ما وقيت به اللحم عن الأرض
من خشب أو حصير .

(حديث الطيرة)

وقد اعترض قومٌ علينا في الحديث الذي جاء في تفرقة ما بين الطيرة والفأل ، وزعموا أنه ليس لقوله : « كان يعجبه الفأل الحسن ويكره الطيرة » معنى . وقالوا : إن كان ليس لقول القائل : يا هالك ، وأنت باغٍ ، وجهٌ ١٤٣ ولا تحقيق ، فكذلك ^(١) إذا قال : يا واجد ، ليس له تحقيق ، وليس قوله يا مضلٌ ويا مهلك ، أحقُّ بأن يكون لا يوجب ضللاً ولا هلاكا من قوله يا واجد ، ويا ظافر ، من ألا يكون يوجب ظفراً ولا وجوداً . فإمّا أن يكوناً جميعاً يوجبان ، وإمّا أن يكونا [جميعاً] لا يوجبان . قيل لهم : ليس التأويل ما إليه ذهبتُم . لو أن الناس أمَلُوا فائدة الله عزَّ وجلَّ ورجوا عائِدَتَهُ ، عند كلِّ سببٍ ضعيف وقوى ، لكانوا على خير . ولو غَلِطُوا في جهة الرجاء لكان لهم ^(٢) بنفس ذلك الرجاء خير . ولو أنهم بدل ذلك قَطَعُوا أَمَلَهُمْ ورجاءهم من الله تعالى ^(٣) ، لكان ذلك من الشرِّ والفأل ، أن يسمع كلمةً في نفسها مستحسنة . ثمَّ [إن] أحبَّ بعد ذلك أو عند ذلك أن يحدث طمعاً فيما عند الله تعالى ، كان نفس الطمع خلاف اليأس . وإنما خبر أنه كان يعجبه . وهذا إخبار عن الفطرة كيف هي ، وعن الطبيعة إلى أيِّ شيء تنقلب .

(١) س : « وكذلك » .

(٢) هذه ساقطة من س .

(٣) كذا على الصواب في ل ، س . وفي ط : « ولو أنهم بدلوا ذلك فطعوا » . الخ .

وقد قيل لبعض الفقهاء^(١) : ما الفأل ؟ قال : أن تسمع وأنت مُضِلٌّ :
يا واجد ، وأنت خائف : يا سالم . ولم يقل إنَّ الفأل يوجب لنفسه السلامة .
ولسكنَّهم يحبُّون له إخراج اليأس وسوء الظنِّ وتوقُّع البلاء من قلبه على كلِّ
حال - وحال الطَّيرة حال من تلك الحالات - ويحبون أن يكون لله راجيا ،
وأن يكون حسنَ الظنِّ . فإنَّ ظنَّ أن ذلك المرجوُّ يُوافقُ بتلك الكلمة ففرح
بذلك فلا بأس^(٢) .

(تطير بمض البصريين)

وقال الأصمعيُّ : هرب بعضُ البصريين من بعض الطَّواعين ، فركب
ومضى بأهله نحو سفوان^(٣) ، فسمع غلاماً له أسودٌ يحدو خلفه ، وهو يقول :
لن يُسَبِّقَ اللهُ على حِمَارٍ ولا على ذِي مَيْعَةٍ مَطَّارٍ^(٤)
أو يأتِيَ الحينُ على مِقْدَارٍ قد يصْبِحُ اللهُ أَمَامَ السَّارِي^(٥)
فلما سمع ذلك رجع بهم .

(١) هو ابن عون، كما في تأويل مختلف الحديث ١٣١ مع اختلاف في اللفظ .

(٢) ل : « يوافق تلك الكلمة ففرح لذلك فلا بأس » .

(٣) سفوان ، بفتح أوله وثانيه : ماء على قدر مرحلة من باب المربد بالبصرة .

(٤) الميعة : أنشط الجرى . والمطار ، بفتح الميم وتشديد الطاء : السريع العدو .

ويصح أن تكون « مطار » بضم الميم وفتح الطاء . يقال : فرس مطار وطيَّار :
حديد الفؤاد ماض . وانظر للبيان (٣ : ٢٧٨) . وجاءت الرواية في زهر الآداب

(٤ : ١٣١) ومحاضرات الراغب (٢ : ٢٢٥) : « ولا على ذى منعة طيار » .

(٥) الحين : الهلاك . وروى : « الختف » كما في زهر الآداب وأمالى المرتضى

(٤ : ١١٢) وتأويل مختلف الحديث ١٢٥ . وتجد القصة في هذه المراجع على

وجوه شتى . وأنشد الثعالبي هذا الشطر في التمثيل والمحاضرة ص ٩ .

(معرفة في الغربان)

قال : والغربان تسقط في الصحارى تلتمس الطعم ، ولا تزال كذلك ، فإذا وجبت الشمس ^(١) نهضت إلى أوكارها معاً . و [ما أ] قل ما تختلط البقع بالسود المصمتة ^(٢) .

(الأنواع الغريبة من الغربان)

قال : ومنها أجناس كثيرة عظام كأمثال الجدء ^(٣) السود ، ومنها صغار . وفي مناقيرها اختلاف في الألوان والصُّور . ومنها غربان تحكى كل شيء سمعته ، حتى إنها في ذلك أعجب من البغاء . وما أكثر ما يتخلف ^(٤) منها عندنا بالبصرة في الصيف ، فإذا جاء القيظ قلت . وأكثر المتخلفات ^(٥) منها البقع . فإذا جاء الخريف رجعت إلى البساتين ، لتنال مما يسقط من الثمر في كرب النخل وفي الأرض ، ولا تقرب النخلة إذا كان عليها عذق واحد ^(٦) ، وأكثر هذه الغربان سود ، ولا تكاد ترى فيهن أبقع .

(١) وجبت الشمس : سقطت للمغيب .

(٢) السود المصمتة : الخالصة السواد .

(٣) الجدء ، بكسر الحاء المهملة : جمع حداة كمنبة . ط : « الحد » ، ل : « الجدء »

بالجيم . والوجه ما أثبت من .

(٤) ط ، س : « يتخلف » .

(٥) ط ، س : « المتخلفات » .

(٦) ليس يفهم من هذا أنها تقرب من النخل ما كان عليه أكثر من عذق . بل المراد أنها لا تقرب النخلة ما دام بعض الثمر في أعذاقه . وانظر ما سبق في ص ٤٥٤ س ٥ .

(قَبِجُ فَرخِ الغراب)

وقال الأصمعيّ: قال خلف: لم أرَ قَطُّ أَقْبَحَ من فرخ الغراب! رأيتُه مرَّةً ١٤٤
فإذا هو صغير الجسم^(١) ، عظيم الرأس ، عظيم المنقار ، أجرد أسود الجلد ،
ساقط النفس ، متفاوت^(٢) الأعضاء .

(غربان البصرة)

قال : وبعضها يقيم عندنا في القيظ . فأما في الصيف فكثير . وأما
في الخريف فالدهم . وأكثر ما تراه في [أعلى]^(٣) سطوحنا في القيظ والصيف
البقع ، وأكثر ما تراه في الخريف [في النخل] و [في] الشتاء في البيوت
[السود] .

وفي جبل تكريت^(٤) في تلك الأيام ، غربان سود كأمثال الحداء
[السود] عظماً^(٥) .

(١) ل : « فإذا صغير الجسم » .

(٢) متفاوت الأعضاء : مختلفها . ط : « متقارب » ، وصوابه في ل ، س .

وانظر ما سبق من مثل هذا الكلام في (٢ : ٣١٨) .

(٣) من ل ، س .

(٤) تكريت : بلدة بين بغداد والموصل ، أقرب إلى بغداد .

(٥) الحداء سبق شرحها في الصفحة السابقة . ط : « الحداء » تحريف . و « عظماً »

هي في ، ط : « عظاء » وهو تحريف فكه ، صوابه في ل ، س .

(تسافد الغربان)

وناس يزعمون أنَّ تسافدها على^(١) غير تسافد الطير ، وأنَّها تَزَاقُ^(٢) بالمناقير ، وتلقح من هناك .

(نواذر وأشعار مستحسنة)

نذكر شيئاً من نواذر وأشعار^(٣) [وشيئاً] من أحاديث ، من حارَّها وباردها .

قال ابنُ نُجَيْمٍ^(٤) : كان ابن ميادة^(٥) يستحسن هذا البيت لأرطاة ابن سُهَيْبٍ^(٦) :

فقلت لها يا أمَّ بيضاءَ إِنَّهُ هُرَيْقَ شَبَابِي واستَشَنَّ أديمي^(٧)
[صار شَدًّا] .

(١) هذه ساقطة من ل .

(٢) أصله : تَزَاقَ . ط : « تَزَاف » ، صوابه في ل ، س .

(٣) س : « نذكر نواذر أشعار » .

(٤) ط : « قال سحيم » س : « قال ابن سحيم » وصوابه ما أثبت من ل .

وابن نجيم ، هو يحيى بن نجيم الذي سبق ترحمته في (٢ : ٣٥١) .

(٥) « ابن ميادة » ساقطة من ل .

(٦) س : « أرطاة بن سمية » ، وهو تحريف . وقد سبق ترحمة أرطاة في ٣٩١ .

(٧) ط ، س : « استشق » ، تحريف ما أثبت من ل .

وكان الأصمعيُّ يستحسن قولَ الطَّرْمَاحِ بنِ حكيمٍ ، في صفة الظَّليمِ (١) :
مجتاب شملة بُرْجِدٍ لَسْرَاتِهِ قَدْرًا وأسلم ماسِوَاهُ الْبَرْجِدُ (٢)
ويستحسن قوله في صفة الثَّور :

يبدو وتُضمِره البلاد كأنَّه سيفٌ على شرفٍ يُسلُّ ويغمد (٣)
وكان أبو نَواسٍ يستحسن قولَ الطَّرْمَاحِ :

إذا قُبِضَتْ نفسُ الطَّرْمَاحِ أَخْلَقَتْ عَرَى المجدِ واسترَخى عنانُ القصائد (٤)
وقال كثيرٌ :

إذا المأل لم يُوجبْ عليك عطاؤه صَنِيعَةً بِرٍّ أو خليلٍ تُواَمِّقه (٥)
مَنَعَتْ وبعضُ المنعِ حَزْمٌ وَقُوَّةٌ فلم يفتلتك المألَ إِلَّا حقائقه (٦)

(١) الظليم : الذكر من النعام . « بن حكيم » ساقط من ل .

(٢) يقول : قد لبس ذلك الظليم كساء أسود مخملا من الريش فوق ظهره ، وجعل الشملة على قدر ظهره . وأسلم ماسواه البرجد : أى ترك البرجد ماسوى الظهر : من الرجلين والعنق ، فلم يستره . وساقا الظليم وعنقه عارية من الريش . ط : « فدر وسلم » ، وصوابه في ل ، س والعمدة (١ : ٢٠٣ ، ٢ : ٧٩) .

(٣) البلاد هنا : المواضع . والشرف : المكان العالى . وانظر الموارنة بين هذا البيت وأشباذه في العمدة (١ : ١٩٨) والصناعتين ٨٣ وشرح ديوان النابغة ١٩ .

(٤) أخلقت : بليت . « عنان » هى في ط : « عنا » وتمكيلها من ل ، س .

(٥) ل : « صنيعه نعى ، أو خليل توافقه » . وفى العقد (٦ : ١٧٥ تأليف) : « صنيعه قربي أو صديق توافقه » .

(٦) الحقائق : الحقوق . ورواية العقد : « ولم يستليك المسال » . وقد روى صاحب زهر الآداب البيتين برواية عجيبة في (٣ : ٢٤٧) .

وقال سهل بن هارون ؛ يمدح يحيى بن خالد :

عدوٌ تِلَادِ المالِ فيما ينوبه منوعٌ إذا ما منعه كان أحزماً^(١)

قال : وكان ربعي بن الجارود يستحسن قوله :

فخير منك مَنْ لا خير فيه وخير من زيارتك القُعودُ^(٢)

وقال الأعشى :

قد نطعنُ العَيْرَ في مكنونِ فائله وقد يَشِيْطُ على أرماحنا البَطْلُ^(٣)
لا تَنْهَوْنَ وَلَنْ يَنْهَى ذُو شَطَطٍ كالطَّعْنِ يذهبُ فيه الزَّيْتُ وَالْقَتْلُ^(٤) ١٤٥

(١) التلاد ، بالكسر : المال القديم الموروث . ط ، س : « إذا مانعته »
تحريف ما في ل . والبيت مع قرين له في البيان (٣ : ٣٥٢) ، ومع بيتين في الحيوان
(٥ : ٦٠٤) .

(٢) ل : « من زيادتك » .

(٣) العير ، هنا : السيد . والفائل ، بالفاء : عرق في الفخذ ، وهو مقتل .
أراد أنهم حذاق في الطعن . انظر المخصص (٢ : ٤٢) واللسان (فيل)
والرواية فيه :

* قد نخضب العير من مكنون فائله *

ل : « نطعن الخيل » س : « مكنون قابله » ، كلاهما محرف .
ويشيط : يهلك .

(٤) كذا في ط ، س والخزانة (٤ : ١٣٢ بولاق) وفي ل : « لا يَنْهَوْنَ »
والرواية في الكامل ٤٤ لبيسك وأمالى ابن الشجرى (٢ : ٢٢٩ ، ٢٨٦)
والخزانة (٤ : ٢٦٣ بولاق) والغيث المنسجم (١ : ٥٢) : « أُنْهَوْنَ »
وقد استشهد الجميع بالبيت على اسمية الكاف في « كالطعن » وأن « الطعن »
مجرور بالإضافة . والقتل : جمع فتيلة ، وهى فتيلة الجراحة . يقول : لا يزرهم
غير طعن جانف .

وقال العلاء بن الجارود^(١) :

أظهروا للنَّاسِ نسكا وعلى المنقوش دارُوا^(٢)
وَلَهُ صَامُوا وَصَلُّوا وَلَهُ حَجُّوا وَزَارُوا
وله قاموا وقالوا وله حلُّوا وساروا
لو غدا فوق الثريا ولهم ريش لطاروا

وقال الآخر^(٣) في مثل ذلك :

شمر ثيابك واستعدَّ لقابلي واحكك جبينك للقضاء بثوم^(٤)
وامشي الدبيب إذا مشيت حاجة حتى تصيب وديعة ليقيم
وقال أبو الحسن : كان يقال : « من رقَّ وجهه رقَّ علمه » .
وقال عمر : « تفقهوا قبل أن تسودوا » .

وقال الأصمعي : « وصلت بالعلم ، وكسبت بالملح^(٥) » .

ومن الأشعار الطيبة قول الشاعر في السمك والخادم :

متقبل مدبر خفيف ذفيف دسم الثوب قد شوى سمكات^(٦)

(١) ل : « العلاء بن الحداد » . والأبيات منسوبة في العقد (١٤١ : ٢) إلى محمود الوراق .

(٢) روى « سبتا » بدل « نسكا » في ل والعقد (٤ : ٣٣٧) و : « دينا » في العقد (٢ : ١٤١) . والمنقوش : الدينار . وبالأخيرة ، أى « الدينار » جاءت الرواية في العقد (٢ : ١٤١) .

(٣) هو مساور الوراق كما في العقد (٣ : ٢١٦) والبيان (٣ : ١٧٥) . ونسبا في الشريشي (١ : ٢٠٦) إلى محمود الوراق .

(٤) القابلي : المستقبل . والجبين إذا حك بالثوم ظهرت فيه سمة سمراء توهم الأغراب أن صاحبها عريق في التقوى كثير السجود . ولا يزال بعض المتظاهرين بالصلاح يفعلون ذلك في عصرنا هذا ؛ ليجعلوا أنفسهم من قيل فيهم : « سيماهم في وجوههم من أثر السجود » .

(٥) ط ، س : « وصلت بالملح وكسبت بالعلم » . وأثبت ما في ل . وفي البيان (١ : ١٩٩) : « وصلت بالعلم ونلت بالملح » .

(٦) يقال خفيف ذفيف ، وخفاف ذفاف ، إتباع . والمراد بهما السريع . ط : « جفيف » س : « ذفيف » وصوابه في ل واللسان (٩ : ١٩٩) ل : « آدم الثوب » .

من شبايط لجة ذات غمر حُدْب من شحومها زَهَمَاتِ (١)
ففكرَ فيهما فإِنَّهُمَا سَيَمْتَعَانِكَ سَاعَةً (٢) .

وقال للشاعر (٣) :

إِنْ أَجَزْ عِلْقَمَةَ بِنِ سَيْفٍ (٤) سَعِيَّةُ لَا أَجْزِهِ بِيَلَاءِ يَوْمٍ وَاحِدٍ
لَأَحْبَبَنِي حُبَّ الصَّبِيِّ وَرَمَنِي رَمَّ الْهَدْيِ إِلَى الْغَنَى الْوَاجِدِ (٥)
وَلَقَدْ شَفِيتُ غَلِيلَتِي وَنَقَعْتُهَا مِنْ آلِ مَسْعُودٍ بِمَاءٍ بَارِدٍ

وقال رجل من جرم :

نَبِئْتُ أَخَوَالِي أَرَادُوا عَمُومَتِي بِشَنْعَاءٍ فِيهَا ثَامِلُ السُّمِّ مُنْقَعًا (٦)
سَأَرْكَبُهَا فِيكُمْ وَأُدْعَى مَفْرَقًا وَإِنْ شَتَمَ مِنْ بَعْدُ كُنْتُ مُجْمَعًا (٧)

(١) الشبايط : جمع شبوط : ضرب من السمك سبق الكلام عليه في (١ : ١٥٠ ، ١٥١ ، ٢٣٣) . ط ، س : « شبايك » محرفة . حذب : جمع حذباء وهي الخارجة الظهر الداخلة البطن والصدر . والزهمات : السينة الكثيرة الشحم . وفي الأصل : « زمنات » وليس لها هنا وجه .

(٢) ط : « ففكر بينهما فأنهما سيمتعانك ساعة » ، تحريف وتطبيع .

(٣) هو رجل من بهراء اسمه فذكي بن أعبد ، وهو المرنائق الطائي . معجم المرزباني ٧٥ والصاحح (لم) . كان مجاورا لعلقمة بن سيف العتابي ، وكان له إبل فسرقت ، فلما علم علقة بذلك سعى في استردادها من مختلسها فلم يوفق ، فأخرج من ماله مائة بغير ودفعها إلى فذكي عوضا . فقال هذا الشعر يمدحه . الحماسة (٢ : ٢٦٧ وشرحها ٤ : ٧٠ - ٧١) والصاحح واللسان (لم) .

(٤) في الأصل : « زيد » وصوابه في البيان (٣ : ٢٣٣) والحماسة وشرحها .

(٥) رمى ، بالراء : أصلح حال . والهدى : العروس تزف وتهدي إلى زوجها . ط ، س : « زمني ذم البذي » ، ل : « زمني زم الهدى » وصواب الرواية من الحماسة والبيان . ل : « إلى الفتى » . والفتى : الشاب .

(٦) في ط ، س : « نبئت لإخواني » وأثبت ما في ل ، وهو أشبه بقول العرب . ط : س ، « أرادوا نقيصتي بشنعة » و « بشنعة » تحريف . والثامل : هو المنثقع ، أي المعتق . ط ، س : « تابل » .

(٧) ل : « فإن شتم » .

وقال يونس بن حبيب : ما أكلتُ في شتاءٍ شيئاً قطُّ إلا وقد برد ، ولا أكلتُ في صيفٍ شيئاً إلا وقد سخن .

وقال أبو عمرو المديني^(١) : لو كانت البلايا بالحِصَص ، ما نالني كما نالني : اختلفت الجاريةُ بالشاة إلى التَّيَّاسِ اختلافاً كثيراً ، فرجعت الجاريةُ حاملاً والشاة حائلاً .

وقال جعفر بن سعيد^(٢) الخلافُ موَكَّلٌ بكلِّ شيء [يكون] ، حتى القَذاة^(٣) في الماء في رأس الكوز ، فإن أردتَ أن تشرب الماء جاءت إلى ١٤٦ فيك ، وإن أردتَ أن تصبَّ من رأس الكوز لتخرج رجعت .
(حديث أبي عمران وإسماعيل بن غزوان)

وقال إسماعيل بن غزوان : بَكَرْتُ اليوم إلى أبي عمران ، [فلزمتُ الجادَّةَ] ، فاستقبلني واحدٌ فلزِمَ الجادَّةَ التي أنا عليها ، فلما غشيتني^(٤) انحرفتُ عنه يَمْنَةً فانحرفَ معي ، فَعُدْتُ إلى مَنَتِي فَعَاد ، فَعُدْتُ فَعَاد ثمَّ عُدْتُ فَعَاد . فلولا أنَّ صاحبَ رِذَون فرَّق بيننا لكان إلى الساعة يكدُّني^(٥) . فدَخَلْتُ على^(٦) أبي عمران فدعا بَعْدَانَه ، فأهويتُ بِلَقْمَتِي إلى

(١) ط ، س : « أبو عمر المديني » . وهذا الخبر والخبر الذي قبله في الحيوان (٥ : ٥٩١) .

(٢) كذا في ل . وفي ثمار القلوب ٤٩٤ حيث نقل القول : « جعفر بن سعد »

وفي ط ، س : « جعفر بن محمد » . وجعفر بن سعيد هذا أحد البخلاء

الذين ذكرهم الجاحظ في كتابه ٨٨ ، ١٠٩ . ونعته في البيان (١ : ١٠٦) بأنه :

« رضيع أيوب بن جعفر وحاجبه » .

(٣) القذاة : ما يقع في الشراب . ط ، س : « القذا » وصوابه في .

(٤) ل : « أغشيتني » تحريف .

(٥) يكدني : يلح في طلبي . ط ، س ، « يدكني » تحريف .

(٦) ط ، س ، « إلى » .

الصَّبَاغُ^(١) فَأَهْوَى إِلَيْهِ بَعْضُهُمْ ، فَنَحَيْتُ يَدِي فَنَحَى يَدَهُ ، ثُمَّ عُدْتُ
فَعَادَ ، ثُمَّ نَحَيْتُ فَنَحَى ، فَقُلْتُ لِأَبِي عِمْرَانَ : أَلَا^(٢) تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ ؟ قَالَ
سَأُحَدِّثُكَ بِأَعْجَبَ مِنْ هَذَا ، أَنَا مِنْذُ أَكْثَرَ مِنْ سَنَةٍ^(٣) أَشْفَقُ أَنْ يَرَانِي
[ابْنُ أَبِي] عَوْنُ الْخِيَّاطِ ، فَلَمْ يَتَّفَقْ لِي أَنْ يَرَانِي مَرَّةً وَاحِدَةً ، فَلَمَّا [أَنْ]
كَانَ أَمْسِرَ ذَكَرْتُ لِأَبِي الْحَارِثِ الصَّنْعَ^(٤) فِي السَّلَامَةِ مِنْ رُؤْيَيْهِ ، فَاسْتَقْبَلَنِي
أَمْسِرَ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ !

(نَوَادِرُ وَبَلَاغَاتُ)

وَذَكَرَ مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْقَاسِمِ قَالَ : قَالَ جَرِيرٌ^(٥) :
أَنَا لَا أَبْتَدِي وَلَكِنِّي أَعْتَدِي^(٦) .

وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : قَالَ الْحَجَّاجُ : أَنَا حَدِيدٌ حَقُودٌ حَسُودٌ !^(٧)

قَالَ : وَقَالَ قَدِيدُ بْنُ مَنِيعٍ ، مُجَدِّعٌ^(٨) بَنَ عَلِيٌّ : لَكَ^(٩) حَكَمُ الصَّبِيِّ
عَلَى أَهْلِهِ !

(١) الصَّبَاغُ ، يَالْكُسْرُ : مَا يَصْطَبِغُ بِهِ مِنَ الْإِدَامِ ، وَصَبِغَ اللَّقْمَةَ صَبِغًا : دَهَنَهَا وَغَسَهَا .
ل : « الصَّبَاغُ » وَلَيْسَ لَهَا وَجْهٌ .

(٢) ل : « أَمَا » .

(٣) ط ، س : « أَنَا أَكْثَرَ مِنْذُ سَنَةٍ » ل : « أَنَا مِنْذُ سَنَةٍ » وَقَدْ جَعَلَهَا
كَأَنَّ تَرَى .

(٤) أَيْ مَا صَنَعَ لِي مِنَ السَّلَامَةِ مِنْ رُؤْيَيْهِ . ط : « الصَّنِيعُ » .

(٥) هُوَ جَرِيرُ الشَّاعِرِ .

(٦) ط ، س : « وَلَكِنِّي أَعْتَدِي » ، وَأُثْبِتُ مَا فِي لِ وَمَا سَبَقَ فِي ص ٩٩ .
يَقُولُ : هُوَلَا يَبْتَدِي بِالْهَجَاءِ ، وَلَكِنَّهُ إِذَا رَدَّ عَلَى الْهَاجِيِ اعْتَدَى عَلَيْهِ ، وَظَلَمَهُ
إِرْهَابًا لَهُ .

(٧) الْخِيَّاطُ (٥ : ٥٩٢) . وَبَلَقَطُ آخِرِ فِي الْبَيَانِ (٣ : ٢٥٥) .

(٨) جَدِّعَ هَذَا هُوَ ابْنُ خَالِ يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ . الْبَيَانُ (٢ : ٢٤٠ ، ٢٤٦) . ل :
« الْحَدِيدُ » وَفِي ثَمَارِ الْقُلُوبِ ٥٣٨ — حَيْثُ نَقَلَ النَّصَّ — : « لَجَدِّعُ »
وَالصَّوَابُ مَا أُثْبِتَ .

(٩) ط ، س : « لَكَ » ، وَأُثْبِتُ مَا فِي لِ وَالثَّمَارِ . وَفِي الثَّمَارِ : « لَكَ عَلَى » .

وقال أبو إسحاق^(١) - وذكر إنساناً - : هو والله أنزق من ربيب مالك^(٢) ، وأحرق من امرأة ، وأظلم من صبي .

وقال لى أبو عبيدة : ما ينبغي أن يكون [كان] فى الدنيا مثل هذا النظام^(٣) . قلت : وكيف ؟ قال : مررت يوماً فقلت : والله لأمتحننه ، ولأسمعن كلامه ؛ فقلت له : ما عيب الزُّجاج - قال : يُسرِع إليه الكسر ، ولا يقبل الجبر - من غير أن يكون فكر أو ارتدع !

قال : وقال جبار بن سلمى بن مالك^(٤) - وذكر عامر بن الطفيل^(٥) فقال : كان لا يضلُّ حتى يضلَّ النجم ، ولا يعطشُ حتى يعطشَ البعير^(٦) ، ولا يهاب حتى يهاب السيل ؛ كان والله خيرَ ما يكون^(٧) حين لا تظنُّ نفسٌ بنفسٍ خيراً .

(١) هو النظام . وانظر البيان (١ : ٢٤٧) .

(٢) أنزق : من النزق وهو الطيش والتسرّع . والريبب : المربوب ، وابن امرأة الرجل من غيره . وهذا المثل محرف فى ط ، س : ففى الأولى : « آترف من زينب بنت مالك » وفى الثانية : « أنزق من زينب بنت ملكة » ، وتصحيحه من ل . وجاء فى أمثال الميدانى (١ : ١٣٦) : « آترف من ربيب نعمة » . (٣) ط ، س : « قال لى أبو عبد الله » . س : « مثل ذلك » ل : « مثل ذاك » .

(٤) هو جبار بن سلمى (يضم السين ، وقيل بفتحها) بن مالك بن جعفر بن كلاب ، أحد الصحابة . أسلم بعد وقعة بئر معونة لسبب طريف ، بعد ما كان شديد العداوة للمسلمين . انظر الإصابة ١٠٥١ والسيرة ٦٥٠ ، ٩٣٩ جوتنجن والبيان (١ : ٥٤) . فى ط ، س ، « حماد بن مالك بن سليمان مالك » ل : « جبار بن مالك ابن سلمى » . وانظر شروح سقط الزند ص ٥٠٠ .

(٥) فى البيان : « حين وقف على قبر عامر بن الطفيل » .

(٦) ط ، س : « الجمل » ، وأثبت ما فى ل والبيان .

(٧) ل : « كان » .

وقال ابن الأعرابي : قال أعرابي : اللهم لا تُنزلني ماءً سوءاً فأكون
امراً سوءاً ! يقول : يدعوني قَلْبُهُ إلى منعه .

وقال محمد بن سلام ، عن حماد بن سلمة ، عن الأزرق بن قيس : إنَّ
الأحنف كان يكره الصَّلَاةَ في المقصورة ، فقال له بعضُ القوم : يا أبا بحر ،
لم لا تصلِّي في المقصورة ؟ قال : وأنت لم لا تصلِّي فيها ؟ قال : لأترك^(١) !
وهذا الكلام يدل على ضروب من الخير كثيرة^(٢) .

ودخل عبد الله بن الحسن على هشام في ثياب سفره ، فقال : اذكر
حوادثك . فقال عبد الله : ركابي مُناخَةٌ ، وعلى ثيابُ سفري ! فقال : إنَّك
لا تجدني خيراً [مني] لك الساعة^(٣) .

١٤٧ قال أبو عبيدة : بلغ عمر بن عبد العزيز قدوم عبد الله بن الحسن ،
فأرسل إليه : إني أخاف عليك طواعين الشام ، وإنَّك لا تُغْنِمَ أهلَكَ خيراً
لهم منك^(٤) فالحق بهم ، فإنَّ حوائجهم ستسبقك^(٥) .

وكان ظاهر ما يكلمونه به ويروونه إياه جميلاً مذكوراً^(٦) ، وكان
معناهم الكراهة لمقامه بالشام ، وكانوا يرون جماله ، ويعرفون بيانه وكماله ،
فكان ذلك العمل من أجود التدبير فيه عند نفسه :

(١) ط : « لا ترك » .

(٢) ط : « على طرق » س : « على كنز من الخير كثير » .

(٣) ط ، س : « إنه لا تجدني خيراً لك من الساعة » . وموقع هذه القصة في ل
بعد القصة الآتية .

(٤) ل : « لن تغنم أهلَكَ خيراً منك » .

(٥) ل : « ستسبقك » . وانظر الحيوان (٤ : ١٣٨) .

(٦) كذا في س . وفي ط : « ما يكلمون به ويروونه جميلاً مذكوراً » . وفي ل :
« ما يتكلمون به ويروونه جميلاً مذكوراً » .

(شعر في الزهد والحكمة)

وأنشد :

تُليح من الموتِ الذي هو واقعٌ وللموتِ بابٌ أنتَ لا يدُ داخلُهُ^(١)
وقال آخر :

[أكلكمُ أقام على عجوزٍ عشنُزرةٍ مقلدةٍ سخاباً^(٢)
وقال آخر:]

الموتُ بابٌ وكل الناس داخله فليت شعري بعدَ الباب ما الدأرُ^(٣)
لو كنتُ أعلم من يدرى فيخبرني أجنةُ الخلدِ ما وانا أم النَّارُ^(٤)
وقال آخر :

اصبرْ لكلِّ مصيبةٍ وتجلدِ واعلمْ بأنَّ المرءَ غيرُ مُخلدِ
فإذا ذكرتَ مصيبةً تشجى بها فاذكُرْ مصابكَ بالنبيِّ محمدِ
وقال آخر :

والشمس تنعى ساكنِ الدنيا ويسعدُها القمر

(١) ألح يلح : خاف وحاذر . ل : « لا شك داخله » . وانظر مجالس ثعلب ٣٤٩ .

(٢) عني بالعجوز الدنيا . والعشنزرة : السيئة الخلق ، بضم الخاء واللام . والسخاب : بالكسر : القلادة من سك وقرنفل ومحب ، بلا جوهر .

(٣) كذا في ل والأغاني (١٩ : ١٤) . وفي ط : « الموت باب لنا لا بد ندخله » وفي س : « لنا لابد لنا أن ندخله » وما في س تحريف .

(٤) ل : « مشراناً » . قالوا : لم يتمثل الحسن البصري بشعر إلا هذا البيت . انظر الأغاني .

أَيْنَ الَّذِينَ عَلَيْهِمْ رَكْمُ الْجَنَادِلِ وَالْمَدَرِ (١)
أَفْدَاهُمْ غَدَسُ الْعِشَاءِ ۚ يَهْزُ أَجْنِحَةُ السَّحَرِ (٢)
مَا لِلْقُلُوبِ رَقِيقَةٌ وَكَأَنَّ قَلْبَكَ مِنْ حَجَرٍ
وَلَقَلَّمَا تَبَقَى وَعَوَى دُكَ كُلِّ يَوْمٍ يَهْتَصِرُ (٣)

وقال زهير :

وَمَنْ يُوفٍ لَا يُذَمُّ وَمَنْ يُفْضِرْ قَلْبُهُ إِلَى مَطْمُنِ الْبِرِّ لَا يَتَجَمِّعُ (٤)
وَمَنْ يَغْتَرِبُ يَحْسَبُ عَدُوًّا صَدِيقَهُ وَمَنْ لَا يَكْرُمُ نَفْسَهُ لَا يَكْرُمُ
وَمَهْمَا تَكُنْ عِنْدَ أَمْرٍ مِنْ خَائِقَةٍ وَإِنْ خَالَهَا تَحْفَى عَلَى النَّاسِ تَعْلِمُ
وَمَنْ لَا يَزِلُّ يَسْتَرْحِلُ النَّاسَ نَفْسَهُ وَلَا يُعْفِيهَا يَوْمًا مِنَ الذَّمِّ يَنْدَمُ (٥)

[وقال زهير أيضاً :

يَطْعَنُهُمْ مَا ارْتَمَوْا حَتَّى إِذَا طُعِنُوا ضَارِبَ حَتَّى إِذَا مَا ضَارِبُوا اعْتَنَقَا (٦)]

(١) الرِّكْمُ ، بالتحريك : المتراكم .

(٢) الغدس : الظلام آخر الليل . والعشاء من زوال الشمس إلى طلوع الفجر . ل :

« العشي » . وهي بمعنى العشاء المتقدم ؛ ففي المصباح : « العشي من الزوال إلى الصباح » .

(٣) اهتصار الغصن : عطفه . ل : « يمتصر » . وفي ط : « ولعل ما تبقى »

صوابه في ل ، س .

(٤) لا يتجمع : لا يتردد .

(٥) يسترحل الناس نفسه : يجعل نفسه كالراحلة للناس يركبونه ويذمونه . وروى :

« يستحمل الناس » ، أى يحمل الناس على عيبه .

(٦) انظر الكلام على هذا البيت في الاستدراكات .

وقال (١) :

وجار البيت والرجل المنادي (٢) أمام الحى عقدهما سواء
جوار شاهد عدل عليكم وسيان الكفالة والثلاث (٣)
فإن الحق مقطعه ثلاث : يمين ، أو نيفار ، أو جلاء (٤)
فتفهم هذه الأقسام الثلاثة ، كيف فصلها هذا الأعرابي !

وقال أيضاً :

فلو كان حمد يُخلد الناس لم تمت ولكن حمد المرء ليس بمُخلد ١٤٨
ولكن منه باقيات وراثه فأورث بنيك بعضها وتزود
تزود إلى يوم المات فإنه وإن كرهته النفس آخر معهد
وقال الأسدي :

فإنني أحبُّ الخلد لو أستطيعه وكأُخلد عندي أن أموت ولم أَلَمْ (٥)
وقال الحادرة :

فأثنوا علينا لا أبا لأبيكم بإحساننا إن الثناء هو الخلد (٦)
وقال الغنوي :

فإذا بلغت أهلك فتحدثوا ومن الحديث مهالك وخلود (٧)

(١) أى زهير بن أبي سلمى .

(٢) المنادى : المجالس ؛ من النادى والندى وهو المجلس . ط : « المناوى » وهو تحريف . يقول : حق المجلس كحق الجار .

(٣) التلاء ، بالفتح : الضمان . وانظر اللسان (تلا) .

(٤) انظر الكلام على هذا البيت فى الصناعتين ٣٣١ والعمدة (١ : ٣٠) والعقد (٣ : ٣٨٦) والبيان (١ : ٢٤٠) وعيون الأخبار (١ : ٦٧) .

(٥) وكذا فى البيان (٣ : ٣٢٠) . ل : « لو أموت » .

(٦) البيان (٣ : ٣٢٠) .

(٧) ما عدا ل : « بلغت أَرْضكم » ، و « متألف وخلود » .

وقال آخر^(١) :

فقتلاً بتقتيلٍ وعقرًا بعقركم جزاء العطاس لا يموت من اتأثر^(٢)

وقال زهير :

والإثم من شرٍّ ما تصولُ به والبرُّ كالغيثِ نبتُهُ أمرٌ^(٣)

أى كثير . ولو شاء أن يقول :

* والبرُّ كالماء نبتُهُ أمرٌ *

استقام الشعر ، ولكن كان لا يكون له معنى . وإنما أراد أن النبات

يكون على الغيث أجود^(٤) . ثم قال :

قد أشهدُ الشاربَ المعدلَ لا معروفُهُ مُنكرٌ ولا حصرٌ^(٥)

فى فنيةٍ لىنى المآزرِ لا ينسونَ أحلامهم إذا سَكروا^(٦)

يشوون للضيف والعفاة ويؤفون قضاء إذا هم نذروا^(٧)

(١) هو مهلهل كما فى البيان (٣ : ٣٢٠) .

(٢) س : « وعقدا بعقدكم » . محرف . ما عدل : « جزاء العطاس » تحريف . وانظر حواشى البيان ، واللسان (عقب ١١٠ جزى ١٥٩) . وتأثر : أدرك ثأره . والمعروف فى المعجمات : « آثار » بالثاء المثلثة . لكن ما أثبت من ل جائز فى العربية . انظر الاستدراكات والتذييل . وفى ط ، س : « ارتا » محرف .

(٣) ط : « امره » وصوابه فى ل ، س . والرواية عند القالى (١ : ١٠٣) والبحترى ٣٤٧ : « من شر يصال به » .

(٤) الغيث : المطر الغزير . ط ، س : « أراد أن يكون عن الغيث أجود » .

(٥) المعدل : الذى يمدل كثيرا ويلازم لإسرافه . س : « المعدل » وليس بشيء . والحصر : البخل .

(٦) المآزر : جمع مئزر ، والمراد بها هنا النفوس ، كما قال نفيلة - وأراد بالإزار النفس :

ألا أبلى أبا حفص رسولا فدى لك من أخى ثقة إزارى

(٧) العفاة : جمع عاف : وهو كل طالب فضل أو رزق .

يمدح كما ترى أهل الجاهلية بالوفاء بالثُذور^(١) .
أنشدني حَبَّان بن عَتَبان^(٢) ، عن أبي عبيدة ، من الشوارد التي لا أربابَ

لها ، قوله :

إِنْ يَغْدِرُوا أَوْ يَفْجُرُوا أَوْ يَبْخُلُوا لَمْ يَخْلُوا
يَغْدُوا عَلَيْكَ مَرْجَلِي نَ كَأَنَّهُمْ لَمْ يَفْعَلُوا
كَأَنِّي بَرَأَقِشَ كُلَّ يَوْمٍ مِ لَوْنِهِ يَتَخَيَّلُ^(٣)

وقال الصَّلَتان السَّعْدِيُّ ، وهو غير الصَّلَتان العَبْدِيُّ :

أَشَابَ الصَّغِيرَ وَأَفْنَى الْكَبِيرَ رَ كَرُّ الْغَدَاةِ وَمَرُّ الْعَبْيِ ١٤٩
إِذَا لَيْلَةٌ هَرَمَتْ يَوْمَهَا أُنِى بَعْدَ ذَلِكَ يَوْمَ فَيَ^(٤)
رُوحٍ وَنَغْدُو لِحَاجَاتِنَا وَحَاجَةُ مَنْ عَاشَ لَا تَنْقُضِي^(٥)
تَمُوتَ مَعَ الْمَرْءِ حَاجَاتُهُ وَتَبْقَى لَهُ حَاجَةٌ مَا بَقِيَ^(٦)
إِذَا قُلْتَ يَوْمًا لَدَى مَعْشَرٍ أُرُونِي السَّرِيَّ أُرُوكَ الْغَنَى

(١) ط ، س : « بالنذر » ولا تصح .

(٢) ل : « حيان بن عيين » .

(٣) أبو براقش : طائر كالصُفُور حسن الصوت طويل الرقبة والرجلين أحمر المنقار يتلون في كل ساعة ، يكون أحمر وأزرق وأخضر وأصفر . ولعل السبب في ذلك ما قال الأزهري : أنه شبيه بالقنفذ أعلى ريشه أغبر وأوسطه أحمر وأسفله أسود فإذا انتفش تغير لونه ألوانا شتى . والرواية في اللسان : « كل لون لونه » ط ، س : « يتبدل » . وانظر الأبيات ورواياتها وما قيل فيها ، في ديوان المعاني (١ : ١٨٢) والبيان (٣ : ٣٣٣) وأمالى القائل (٣ : ٨٣) وعيون الأخبار (٢ : ٢٩) وخزانة الأدب (٣ : ٦٦٠ بولاق) والصناعتين ١٠٣ ومحاضرات الراغب (١ : ١٥٠) .

(٤) هذا البيت ساقط من ل .

(٥) ط : « لحاجتنا » تحريف .

(٦) ط ، س : « يموت » .

ألم ترَ لقمانَ أوصى بنيَه وأوصيتَ عمرًا فنعم الوصى^(١)
وسيرك ما كانَ عندَ امرئٍ وسرُّ الثلاثةِ غير الخفي
أنشدني محمد بن زياد الأعرابي :

ولا تلبثُ الأطماعُ مَنْ ليسَ عنده من الدِّينِ شيءٌ أن تَميلَ به النَّفسُ
ولا يُلبثُ الدَّخسُ الإهابَ تحوزه يُجمَعُك أن ينهَاه عن غيرك الترس^(٢)
وأنشدني أبو زيد النحويُّ لبعض القدماء^(٣) :

ومهما يكنَ رَبِّبَ المُنونِ فَإِنِّي أرى قمرَ اللَّيلِ المَعذَرِ كالْفَتَى^(٤)
يعودُ ضئيلاً ثم يرجعُ دائباً ويعظمُ حتَّى قيل قد ثابَ واستوى
كذلكَ زَيْدُ المرءِ ثم انتقاصه وتكراره في إثره بَعْدَ ماضى^(٥)
وقال أبو النجم :

(١) ل : « ونعم الوصى » . وانظر الآيات ورواياتها في عيون الأخبار (٣) :
(١٣٢) ومعاهد التنصيص (١ : ٢٧) والعقد (٢ : ١٢٣) والحماسة (٢) :
٥٦) والكامل ٥٤٠ ليسك .

(٢) الدخس : الفساد . والشرط الأخير محرف . ل : « أن تنهيه كعبرة الرأس » .

(٣) هو حسان السعدي كما في نوادر أبي زيد ١١١ - ١١٢ . ونسب الشعر في أمالي
المرتضى (٢ : ٧٦) إلى بعض شعراء طييء . وعينه ياقوت في (دير حنظلة)
بأنه حنظلة بن أبي عفراء . وساق نسبه إلى طييء . وقال في شأن حنظلة هذا
« كان قد نesk في الجاهلية وتنصر وبني هذا الدير » .

(٤) المعذر : ذو العذار ، وهو هنا الحالة التي تطيف به . وفي الجزء السادس من الحيوان
ص ٥٠١ : « المقدّر » ، وما هنا صوابه . والرواية في النوادر والأمالى والمعجم :
و ل : « المعذب » وكان عذابه فيما يتكرر من طلوعه واختفائه ودوبه على ذلك .
وفي مثل ذلك قال أمية في عذاب الشمس :

تأبى فلا تبدو لنا في رسلها إلا معذبة وإلا تجلد
لاستطيع أن تقصر ساعة وبذاك تدأب يومها وتشرذ
(٥) الزيد : الزيادة . ط : « بعد ماضى » ، وصوابه في ل ، س :

مَيَّزَ عَنْهُ قُبْزَعًا عَنْ قُبْزَعٍ^(١) مَرُّ اللَّيَالِي أَبْطَى وَأَسْرَعَى^(٢)
أَفْنَاهُ قَبِيلُ اللَّهِ لِلشَّمْسِ اِطْلَعَى ثُمَّ إِذَا وَارَاكِ أَفْقُ فَارِجِعَى

وقال عمرو بن هند^(٣) :

وإن الذي ينهاكم عن طلايها يُنَاغِي نِسَاءَ الْحَيِّ فِي طَرَّةِ الْبُرْدِ^(٤)
يَعْلَلُ وَالْأَيَّامَ تَنْقُصُ عُمْرَهُ كَمَا تَنْقُصُ النَّيْرَانُ مِنْ طَرَفِ الزُّنْدِ^(٥)

وقال ابن ميادة :

هل ينطق الربيع بالعلياء غيره ساء في الرياح ومستن له طنب^(٦)

وقال أبو العتاهية :

* أَسْرَعَ فِي نَقْصِ أَمْرِي تَمَامُهُ *

وقال :

ولمَّ الْفَنَاءُ فِي كُلِّ شَيْءٍ حَرَكَاتٌ كَأَنَّهُنَّ سَكُونٌ^(٧)

وقال ابن ميادة^(٨) :

١٥٠

(١) القُبْزَعُ : الشعر حوالى الرأس . ل : « قزعا عن قزعه » . والقزح : كل شيء يكون قطعاً متفرقة . ورواية اللسان : « طير عنها » .

(٢) كذا في ل واللسان . في ط ، س : « جذب الليالي أبطى أو أسرعى » .

(٣) كذا في ط و س : وص ٤٨ من هذا الجزء . وفي ل : « عبد هند » .

(٤) يناغى : يغازل . س : « عن طلايها » .

(٥) س : « يعلل بالأيام » .

(٦) المستن : أراد به السحاب السريع الإمطار . والطنب : حبل السراقد . وقد جعل السحاب كالسراقد فكأنه قد ضرب على الأرض لإحاطته . يقول : قد أفسد ذلك الربيع الرياح والأمطار . ط ، س : « ومستف » ، تحريف ما أثبت من ل ومعجم الأدباء (١١ : ١١٤) والأغاني (٢ : ١٠٢) .

(٧) س : « ولمر القناء » ط : « ولمر القنائة » ، ووجهه ما أثبت من ل .

(٨) روى في معجم البلدان برسم (قنح) نسبته إلى مزاحم العقيل .

أشأقك بالقنعر الغداة رسوم دوارس أدنى عهدهن قديم^(١)

يلحن وقد جرمن عشرين حجة كما لاح في ظهر البنان وشوم^(٢)

وقال آخر :

في مرفقيها إذا ما عونقت حجم على الضجيع وفي أنيابها شنب^(٣)

وقال ابن ميادة في جعفر [ومحمد] ابني سليمان^(٤) ، وهو يعني أمير

المؤمنين المنصور :

وفي لكما يا ابني سليمان قاسم يجدد النهي إذ يقسم الخير قاسمه^(٥)

فبيتكما بيت رفيع بناؤه متى يلق شيئا محدثا فهو هادمه^(٦)

لكم كبش صدق شذب الشول عنكم

وكسر قرني كل كبش يصادمه^(٧)

(١) القنعر ، بالكسر : جبل وماء باليمامة . والرسوم : آثار الديار .

(٢) جرمن عشرين حجة : قطعن عشرين سنة . ط ، س : « حرمن » ط : « عتبي حجة » رسوا بهما في س .

(٣) في المعجم : « إذا ما عولجت » . والحجم بالخاء ثم الجيم المفتوحتين : لم أجد نصا فيه . ولعله من حجم ثدى الجارية : نهذ وارتفع . أراد أنها مكسوة المرفقين باللحم . ل وكذا الأغافى : « حجم » وهو كثرة اللحم ، أو عدم ظهور العظم . س : « حم » محرف . والشنب : بالتحريك : الرقة والحدة .

(٤) ط ، س : « في جعفر بن سليمان » وتصحيحه وإكاله من ل .

(٥) يقول : ذلك القاسم حين قسم الخير وفي لكما يحفظ العقل . وفي بالشئ : أعطاه كاملا . وهذا البيت شديد التحريف في الأصل . فط ، س : « وما لكم » وفي ل : « وفاء لكما » وفي ط ، س : « يجد النبي » وفي ل : « تجد النبي » . وقد عالجته بما ترى .

(٦) في الأصل : « فبيتكما » محرف : ل : « متى يلق بيتا مجدكم » .

(٧) الكبش : غنى به المنصور . شذب : طرد . والشول من الإبل : التي نقصت ألبانها . يريد : طرد عنكم الحساس من الناس . ط فقط : « شذب الشوك » وهو معنى لا يصح في الملح .

باب

في من يهجي ويذكر بالشؤم

قال دِعْبِل بن عليّ ، في صالح الأفقم^(١) - وكان لا يصحب رجلاً إلا مات أو قُتِل ، أو سقطت منزلته - :

قل للأمين أمين آل محمدٍ قول امرئ شفيّ عليه محام^(٢)
 ليالك أن تُغترَّ عنك صنيعه في صالح بن عطية الحجام^(٣)
 ليس الصنائع عنده بصنائعٍ لكنهنَّ طوائِلُ الإسلام^(٤)
 أضرب به نحرَ العدوِّ فإنه جيشٌ من الطّاعونِ والبرسام^(٥)
 وقال محمد بن عبد الله في محمد بن عائشة^(٦) :

للّهلاليّ قتيلاً أبداً في كلّ عامٍ
 قتلَ الفضل بن سهلٍ وعليّ بن هشامٍ
 وعجيفاً آخر القومِ بأكناف الشامِ

- (١) الأفقم : الذي تقدّمت ثنياه العليا فلم تقع على السفلى . وفي الأغاني : « الأضخم » ، وهو المعوج القم . ل : « صالح بن علي الأفقم » صوابه « ابن عطية » كما في الأغاني ، والشعر .
 (٢) يريد بالأمين الخليفة المعتمد ، كما في الأغاني (١٨ : ٦٤) وروايته :
 قل للإمام إمام آل محمد قول امرئ حذب عليك محام
 والتعبير عن الخليفة بلفظ « أمين » سبق مثله في ص ٦٣ س ٤ .
 (٣) تغتر : تؤخذ وتنال على غرة . ل : « يفتّر » . وفي الأغاني (١٨ : ٤٦) :
 « أنكرت أن تغتر ! »
 (٤) طوائِل : جمع طائلة ، يقال بينهم طائلة أي عداوة ورة .
 (٥) البرسام ، بالكسر : علة يهذى فيها . قلت : هي بالفارسية برسام بالفتح ، بمعنى التهاب الصدر ، مركب من برو وهو الصدر ، وسام بمعنى الالتهاب ، وهو بالمعنى الدقيق : التهاب غشاء الرئة : The pleurisy .
 (٦) ل : « بن محمد بن عائشة » .

وغدا يطلب مَنْ يَـ تَلْ بالسَّيْفِ الحَسَامِ^(١)
فَأَعَاذَ اللَّهُ مِنْهُ أَحْمَدًا خَيْرَ الْأَنَامِ

[يعنى أحمد بن أبى دواد] .

وقال عيسى بن زينب فى الصخرى^(٢) ، وكان مشئوما :
يا قوم مَنْ كَانَ لَهُ وَالِدٌ يَأْكُلُ مَا جَمَعَ مِنْ وَفَرٍ^(٣)
فَإِنَّ عِنْدَى لِابْنِهِ حِيلَةً يَمُوتُ إِنْ أَصْحَبَهُ الصَّخْرَى^(٤)
كَأَنَّمَا فِي كَفِّهِ مِبْرَدٌ يَبْرُدُ مَا طَالَ مِنَ الْعُمُرِ

١٥١

(شعر فى مديح وهجاء)

وقال الأعشى :

فَإِنْ عَلَى قَلْبِهِ غَمْرَةٌ وَمَا إِنْ بَعْظَمَ لَهُ مِنْ وَهْنٍ^(٥)

وقال الكميت :

وَلَمْ يَقُلْ عِنْدَ زَلَّةٍ لَهُمْ كُرُّوا الْمَعَاذِيرَ إِنَّمَا حَسِبُوا^(٦)

وقال آخر :

فَلَا تَعْذِرَانِي فِي الْإِسَاءَةِ إِنَّهُ شِرَارُ الرِّجَالِ مَنْ يَسَى فَيُعْذِرُ

(١) ل : « وبدأ يطلب » .

(٢) ط ، س : « الصخرى » .

(٣) الوفر : المال الكثير . ط : س : « ما يجمع فى الدهر » .

(٤) أصحبه : جعل صاحبا له . ط : « صحبة » . ط ، س : « الصخرى » .

(٥) س : « يعظم » ، تحريف .

(٦) الوار فى أول البيت ساقطة من ط ، س . ل : « بعد زلة » . ط :

« حسوا » س : « حسنوا » وصوابه فى ل .

وقال [كلثوم بن عمرو] العتّابي (١) :

رحل الرجاء إليك مغتربا حُشِدَتْ عليه نوائب الدهر (٢)
رَدَّتْ عليك ندامتي أَمْلى وَثْنِي إِلَيْكَ عِنَانَهُ سُكْرِي (٣)
وجعلت عَتَبَكَ عَتَبَ موعظةٍ ورجاء عَفْوِكَ مُنْتَهَى عُذْرِي
وقال أعشى بكر (٤) :

قَلَّدَتْكَ الشَّعْرَ يَا سَلَامَةَ ذَا السَّافِضَالِ وَالشَّيْءُ حَيْثُ مَا جُعِلَا (٥)
وَالشَّعْرُ يَسْتَنْزِلُ الْكَرِيمَ كَمَا اسْدُ تَنْزَلَ رَعْدُ السَّحَابَةِ السَّبَلَا (٦)
لو كنت ماءً عِدًّا جَحِمْتَ إِذَا مَا وَرَدَ الْقَوْمَ لَمْ تَكُنْ وَشَلَا (٧)
أَنْجَبَ آبَاؤُهُ الْكَرَامُ بِهِ إِذْ نَجَلَاهُ فَنِعِمَّ مَا نَجَلَا
اسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِالْبَقَاءِ وَبِالْحَمْدِ لِـ وَوَلَّى الْمَلَامَةَ الرَّجُلَا (٨)

(١) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(٢) ط : « مرتقبيا » س : « مرتقبيا » . حشدت : جمعت . ط ، س : « حشدت » ، وليس بشيء .

(٣) ل : « ردت إليه » و « ثني إليه » .

(٤) ل : « وقال الأعشى » . وهما سيان ، فإن الأعشى المشهور يقال له أعشى بكر ، ويقال له أيضاً أعشى قيس . فهو ميمون بن قيس بن جندل بن شراحيل بن عوف ابن سعد بن ضبيعة بن قيس بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل . ينسب حينئذ إلى قيس بن ثعلبة ، وآخر إلى بكر بن وائل . وقد أخطأ دي ساسي في جعلهما شخصين في فهرس الأغاني .

(٥) كلمة « الشعر » ساقطة من ط . وفي الخزانة (٤ : ٣٥٨) : « ذو الفضال » ، وفي الممددة (١ : ١٠) : « ذا فائش » . وسلامة ذو فائش : أحد ملوك حمير .

(٦) السيل ، بالتحريك : المطر .

(٧) الماء للعد ، بكسر العين : القليل ، بلغة بكر بن وائل . جم : كثير . س : « جمعت » تحريف . والوشل : الماء القليل .

(٨) يروي : « بالوفاء وبالعد » . وبهذا البيت يستشهد على أن الأعشى كان مذهب مذهب أهل العدل . انظر أمالي المرتضى (١ : ١٦) .

وقال الكذاب^(١) الحِرْمَازِيُّ [لقومه ، أو لغيرهم^(٢)] :

لو كنتم شاءً لكنتم نَقْدًا^(٣) أو كنتم ماءً لكنتم تَمْدًا^(٤) .
* أو كنتم قولاً لكنتم فَنْدًا^(٥) * .

وقال الأعشى في الثياب^(٦) :

فعلى مثلها أزورُ بنى قِدَسٍ إذا شَطَّ بالحبيبِ الفِرَاقُ^(٧)
المهينين ما لهم في زمانِ السَّوءِ حتَّى إذا أفَاقَ أفَاقوا
وإذا ذو الفضولِ ضنَّ على الموالي وصارت لَحِيمها الأَخلاقُ^(٨)
ومشَى القومُ بالعِبادِ إلى الرِّزِّ حَيَّ وأَعيا المُسِيمَ أَيْنُ المَسَاقِ^(٩)
أخذوا فضلَهُمُ هناكَ وقد تَجَرَّى على عِرْقِها الكِرَامُ العِناقُ^(١٠)

- (١) وكذا في الحيوان (٥ : ٤٦٢) . ونسب في الأزمنة والأمكنة (٢ : ٢٧٧) إلى العين المنقرى . والكذاب هو عبد الله بن الأعور ، أحد بني الحرماز بن مالك بن تميم . ط : « الكرار » س : « الكراز » وهو على الصواب في ل . قالوا : سمى بذلك لكذبه .
(٢) هم بنو فقيم ، كما جاء في أول الرجز في كل من أمثال الميداني (١ : ٢٦٠) والأضداد ٣٥٦ :

* فقيم ياشر تميم محتدًا *

- (٣) النقد : جنس من الغنم قصار الأرجل ، قباح الوجوه ، يكون بالبحرين .
(٤) التمد : الماء القليل . وهذه الرواية انفردت بها ل . وفي ط ، س وأمثال الميداني والأضداد وثمار القلوب : « زيدا » .
(٥) الفتد : الكذب . وفي الرجز زيادة في ثمار القلوب وأمثال الميداني (١ : ٢٦٠ ، ٤١٣) .
(٦) « في الثياب » ساقط من ل . والحديث عن الثياب في آخر بيت من هذه المقطوعة .
(٧) شط به : بعد . س : « شك » تحريف .
(٨) الحيم ، بالكسر : السجية والطبيعة . وفي الديوان : « لحقها » أى لحقيقتها . ل : « بحقها » .
(٩) العماد : الأخبية . والرزحى : النوق الشديدة الهزال . والمسيم : الذى يرعى الإبل .
والأين : الإعياء . والمساق : السوق .
(١٠) قد ، هنا ، تحقيقية .

وإذا الغيثُ صَوْبُهُ وَضَعَ القِدْرَ حَ وَجُنَّ التَّلَاعُ وَالْأَفَاقُ^(١) ١٥٢
 لم يَزِدْهُمْ سَفَاهَةً شَرِبَ الخَمَ رِ وَلَا اللَّهُوْ فِيهِمْ وَالسَّبَاقُ^(٢)
 واضِعًا فِي سَرَاةٍ نَجْرَانَ رَحَلِي نَاعِمًا غَيْرَ أَنَّنِي مُشْتَاقٌ
 فِي مَطَايَا أَرْبَابُهُنَّ عِجَالٌ عَنْ ثَوَائِ وَهُمْ هُنَّ الْعِرَاقُ
 دَرَمَكَ غُدُوَّةَ لَنَا وَنَشِيلٌ وَصَبُوحُ مَبَاكِرٍ وَاغْتِبَاقُ^(٣)
 وَنَدَايُ بِيضِ الْوُجُوهِ كَانَ الشَّرْبَ مِنْهُمْ مَصَاعِبُ أَفْنَاقُ^(٤)
 فِيهِمُ الْخِصْبُ وَالسَّاحَةُ وَالنَّجْدُ دَةُ جَمْعًا وَالْخَاطِبُ الْمِسْلَاقُ^(٥)
 وَأَيُّونَ لَا يُسَامُونَ ضِيْمًا وَمَكِيثُونَ وَالْحُلُومُ وَثَاقُ^(٦)
 وَتَرَى مَجْلِسًا يَغْصُ بِهِ الْخَمَ رَابُ بِالْقَوْمِ وَالْثِيَابُ رِقَاقُ

(١) القُدَح ، بالكسر ، هو قَدَح الميسر . كانوا يَنَحْرُونَ ويفسرون بالقَدَاح ، فإذا
 انْخَسَبُوا تركوا ذلك ؛ وذلك أن الميسر إنما يكون في الجَدْب . شرح ديوان
 الأعشى ١٤٤ فينا . جنت التلاع : كثر فيها الثبث وحسن .

(٢) ليس يريد أنهم كانوا ذوى سَفَاهَةٍ فزادهم الشرب ، ولكن أراد أن الشرب
 لا يجلب إليهم السَفَاهَةَ ، بل يحتفظون معه بحميد خصالهم :

وإذا شربت فأننى مستهلك مالى وعرضى وافر لم يكلم

(٣) الدرمك : لباب الدقيق ، أراد الطعام المصنوع منه . و « غُدُوَّة » هى فى الأصل :
 « غدرة » ، وتصحيحها من الديوان . والنشيل : مانشل من لحم القدر بمائه .

(٤) الشرب ، بالفتح : جماعة الشاربين . ل : « الشرب فيهم » . والمصاعب : الفحول
 المكرومة . والأفناق : جمع فنيق ، وهو بمعنى المصعب .

(٥) ل واللسان : « فيهم الخزم » . والخاطب المسلاق : الخطيب البليغ . ويروى :
 « السلاق » بمعناه ، كما فى اللسان . ورواية س : « المصلاق » بالصاد ، وهى
 لغة . يقال : مصلاق ومصلاق أيضاً .

(٦) المكيث : الرزين . والحلوم وثاق : أى عقولهم محكمة .

وقال أيضاً في الثياب ^(١) :

أزورُ يزيدَ وعبدَ المسيحَ وقيساً همُ خيرُ أربابها
وكعبةً نَجْرانَ حَتمَ عليه لكِ حتَّى تُناخِي بأبوابها ^(٢)
إذا الحِبرَاتُ تلوَّتْ بهم وجروا أسافلَ هُدأها
وفي الثياب يقول الآخر :

أَسَيْلُمَ ذَاكُمْ لا خفاً بمكانه لعينٍ تُرَجِّي أو لأذن تَسَمَعُ ^(٣)
من النَّفَرِ البِيضِ الذين إذا انْتَمَوْا وهابَ الرِّجالَ حَلَقَةَ البابِ فَعَقَّعُوا ^(٤)
جلا الأذْفَرِ الأَحْوَى من المِسْكِ فَرَقَه وطيبَ الدَّهَانِ رأسَه فهو أنْزَعَ ^(٥)
إذا النَّفَرُ السُّودُ اليَمَانُونَ حَاوَلُوا له حَوَكُ بَرْدِيهِ أَجَادُوا وَأَوْسَعُوا ^(٦)
[وقال كثير :

يَجْرُرُ سِرْبالاً عليه كأنَّه سبيُّ هلالٍ لم تفتقِ شرانقه ^(٧)]
وقال الجعدي :

أَتَانِي نَصْرُهُمْ وَهُمْ بَعِيدٌ بِلَادَهُمْ بِأَرْضِ الْحَيْرِزَانِ

- (١) الأبيات منسوبة إلى أعشى بني تغلب في معجم الأدباء (١١ : ١٣٢) .
- (٢) يخاطب ناقته . تناخى : تبركى . ط ، س : « تحل » ولها وجه .
- (٣) خفا : مقصور خفاء . ط ، س : « حقا » ، وصوابه في ل والبيان (١ : ١٩٦ و ٣ : ٣٠٥) والكمال ١٠٣ والعقد (٥ : ٣٤٣) ورسائل الجاحظ ٧٩ ساسي والبخلاء ٢١٣ . « ترجى » من الرجاء وهو الأمل . ل : « تدعى » ، البيان « تدعى » الرسائل : و « تداحى » ولعلها « تراعى » .
- (٤) الرواية في المراجع المتقدمة : « من النفر الثم » وجعلهم نفرا لقلتهم . والكرام قليل .
- (٥) الأذفر : الشديد سطوع الرائحة . ط : « فوقه » تحريف . والأنزع : الذي انحسر الشعر عن جانبيه . ل : « فهو أفرق أنزع » .
- (٦) البمانية يوصفون بالسواد . ل والعقد : « أرقوا وأوسعوا » ، وفي خزانة الأدب (٢ : ٥٢٣ بولاق) نقلا عن البيان : « أدقوا » ، وفي البيان : « أطالوا » . وانظر ما كتب البغدادى عن الشعر في الخزانة .
- (٧) السبي : جلد الحية تسلمه . والهلل : الحية . والشرانق : ما تسلمه . وانظر ماسياقي في (٤ : ١٧٧) .

يريد أرضَ الحِصْبِ والأغصانِ اللَّيْنَةِ (١) .

وقال الشاعر (٢) :

فِي كَفِّهِ خَيْرُ رَأْنٍ رِيحُهَا عَيْقُ بِكَفِّ أُرْوَعٍ فِي عِرْنِينِهِ شَمَمٌ (٣)

لأنَّ الْمَلِكَ لَا يَخْتَصِرُ (٤) إِلَّا بِعُودِ لَدْنٍ نَاعِمٍ . وقال آخر :

تَجَاوَبُهَا أُخْرَى عَلَى خَيْرِ رَائَةٍ يَكَادُ يَدْنِيهَا مِنَ الْأَرْضِ لَيْنِهَا (٥)

وقال آخر (٦) :

١٥٣

نَبْتٌ نَبَاتَ الْخَيْرِ زَانِيٍّ فِي الثَّرَى حَدِيثًا، مَتَى مَا بَاتَكَ الْخَيْرُ يُنْفَعُ (٧)

وقال المسيَّبُ بن علس (٨) :

قِصَارَ الْهَمِّ إِلَّا فِي صَدِيقٍ كَأَنَّ وَطَاءَهُمْ مُوشَى الضَّبَابِ (٩)

(١) في اللسان : « وذلك أنه كان بالبادية وقومه الذين نصره بالأرياف والحواسر . وقيل : أراد أنهم بعيد منه كبعد بلاد الروم » .

(٢) ط ، س : « وقال أصحور الشاعر » وانظر ما أسلفت من التحقيق في ص ١٣٣ .

(٣) كذا في ط ، س . وفي ل : « ريحها عيق » . وانظر الاستدراكات .

(٤) الاختصار : أخذ المخصرة ، بالكسر ، وهي ما يتوكأ عليه الخطيب ويشير به من

عصا ونحوها . ل : « يتخصر » وهي صحيحة أيضاً . جاء في الحديث : « فإذا

أسلموا فأسألمهم قضيبهم الثلاثة التي إذا تخصروا بها سجد لهم » .

(٥) انظر حواشي البيان (٣ : ٦٢) .

(٦) هو النجاشي الشاعر ، كما في خزانة الأدب (٤ : ٥٦٤ بولاق) والعقد (٤ : ١٢) .

(٧) ط والعقد : « نبت نبات » ط . ل : « نبت نبات » تحريف ما أثبت

من س والخزانة وكتاب سيويو (٢ : ١٥٢) . والخيزراني : لغة في الخيزران ،

وهو الطري الناعم من النيات . حديثا : أي نباتا حديثا . يقول : لستم ذوي حسب

قديم ، يهجوهم بذلك . والنجاشي صاحب الشعر قحطاني من بني الحارث بن كعب المذحجي

يهجو بهذا الشعر بني صعصعة بن معاوية العدنانيين . وقيل البيت :

يا رাকা إما عرضت فبلغن بني عامر مني وأبناء صعصع

« ينفع » هي في ط : « ينفعنا » . وهي رواية سيويو استشهد بها على إلحاق

نون التوكيد الخفيفة ينفع مع أنها جواب شرط ، وليس ذلك من مواضع دخولها .

(٨) س : « وقال آخر » ل : « وقال الآخر » .

(٩) ط ، س : « قصار » ل « قصاد » يقول : ليس لهم هم إلا في رعاية صديقهم وإكرامه .

والوطاب : سقاء اللين . والضباب ، بالكسر ، جمع ضب . الموشى : الذي استخراج

من جحره برفق . ط ، ل : « موق » ، والأشبه ما أثبت من س .

(عين الرضا وعين السخط)

وقال المسيب بن علس :

تامت فؤادك إذ عرّضت لها حسن برأى العين ما تمق^(١)

وقال ابن أبي ربيعة :

* حسن في كل عين من تود^(٢) *

وقال عبد الله بن معاوية^(٣) :

وعين الرضا عن كل عيب كليله ولكن عين السخط تبدى المساويا

وقال رّوح أبو همام^(٤) :

وعين السخط تبصر كل عيب وعين أنحى الرضا عن ذاك تعمى^(٥)

(١) تامت الفؤاد : استعبده . ط ، س : « قادت » . ومق يمق : أحب .

(٢) صدر هذا البيت كما في الديوان ٧٦ :

* فتضاحكن وقد قلن لها *

(٣) هو عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، ولد في خلافة معاوية، ومعاوية

هو الذي سماه . وقد خرج عبد الله في أيام يزيد بن الوليد ، وقصد إلى خراسان

وكان قد ظهر بها أبو مسلم فأخذه أبو مسلم وحسبه عنده ثم قتله . وكان شاعراً

مجيداً ، أكثر البحترى من الاختيار له في حماسه . والبيت الآتي من أبيات قالها في الحسين

ابن عبد الله بن عبيد الله بن العباس ، وكان الحسين وعبد الله يهتمان بالزندقة ،

فقال الناس : إنما تصافيا على ذلك ، ثم دخل بينهما ما تهاجرا من أجله . انظر

الأغاني (١١ : ٧٢) وثمار القلوب ٢٦١ وسرح الميون (٢ : ١١٣) .

(٤) اسمه روح بن عبد الأعلى ، وكنيته أبو همام ، ذكره ابن النديم في الفهرست ١٦٤ ليسك

٢٣٤ مصر . وديوانه خمسون ورقة . ط ، س : « بن همام » . وهو على

الصواب في ل . وانظر تزيين الأسواق ص ١٤ .

(٥) ل : « تظهر كل عيب » .

(شعر وخبر)

وقال الفرزدق :

أَلَّا خَبَّرُونِي أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا سَأَلْتُ وَمَنْ يَسْأَلُ عَنِ الْعِلْمِ يَعْلَمُ^(١)
سُؤَالَ امْرِئٍ لَمْ يُغْفَلِ الْعِلْمَ صَدْرُهُ

وما السائل الواعي الأحاديث كالعمي^(٢)

وقيل لدغفل^(٣) : أُنِّي لك هذا العلم ؟ قال : لسانٌ سُئِلَ ،

وقلبٌ عقول^(٤) .

وقال النابغة :

فَأَبَ مُضِلُّوهُ بَعِينَ جَلِيَّةٍ وَغُودِرَ بِالْجَوْلَانِ حَزْمٌ وَنَائِلٌ^(٥)

(١) ط ، س : « ومن يسأل من الناس يعلم » ، وأثبت رواية ل والديوان ٧٥٩ .
وصدره في الديوان : « ألا يا اخبروني » .

(٢) ط ، س : « لم يعقل » ، تحريف ما أثبت من ل والديوان . وفي الديوان :
« وما العالم الواعي » . والسؤال الذي جشاه الفرزدق في بيت بعده
هذا . وهو :

ألا هل علمتم ميتا قبل غالب قرى مائة ضيفاً ولم يتكلم

غالب : أبو الفرزدق . مائة ضيفاً : أى مائة ضيف .

(٣) هو دغفل بن حنظلة النسابة الذي سبق ذكره في ص ٢٠٩ . أدرك النبي ولم يسمع
منه شيئاً ، ووفد على معاوية فسأله عن مسائل فأجابه ، وكان منها هذا السؤال .
انظر أمثال الميداني (٢ : ٢٧٣) ط ، س : « لرجل » . على أن الجاحظ
في البيان (١ : ٨٤) قد نسب القول إلى عبد الله بن عباس ، وعقب على ذلك
بقوله : « وقد رويوا هذا الكلام عن دغفل بن حنظلة العلامة . وعبد الله أولى به » .
قلت : ونسبته إلى دغفل مذكورة في عيون الأخبار (٢ : ١١٨) .

(٤) سُئِلَ : كثير السؤال . عقول ، شديد الفهم أو الحفظ .

(٥) بعين جلية : أى بخبر صادق وأنه مات . والجولان : موضع بالشام دفن فيه النعمان
ابن الحارث بن أبي شمر الغساني . غودر الحزم والنائل : أى دفن بدفن النعمان
الحزم والمطاء .

مُضِلُّوهُ : دافنوه ، على حدِّ قوله تعالى ^(١) : ﴿ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ ﴾
وقال المخبل :

أَضَلَّتْ بَنُو قَيْسِ بْنِ سَعْدٍ عَمِيدَهَا وفارسها في الدهرِ قَيْسَ بْنَ عَاصِمٍ
وقال زهيرٌ - أو غيره - في سِنَانِ بْنِ أَبِي حَارِثَةَ :
إِنَّ الرِّزْيَةَ لَا رِزْيَةَ مِثْلَهَا ما تبتغى غَطْفَانُ يَوْمَ أَضَلَّتْ
ولذلك زعم [بعضُ النَّاسِ] أَنَّ سِنَانَ بْنَ أَبِي حَارِثَةَ خَرِفَ
فَذَهَبَ عَلَى وَجْهِهِ ، فلم يُوجَد .

(من هام على وجهه فلم يوجد)

ويزعمون أَنَّ ثَلَاثَةَ نَفَرٍ هَامُوا عَلَى وُجُوهِهِمْ فلم يُوجَدُوا : طالب بن
أبي طالب ، وسنان بن أبي حارثة ^(٢) ، ومرداس بن أبي عامر .
وقال جرير :

وإني لأَسْتَحْيِي أَخِي أَنْ أَرَى لَهُ علىَّ من الفضلِ الذي لا يرى ليا
وقال امرؤ القيس :

وَهَلْ يَنْتَمِنُ إِلَّا خَلِيٌّ مَنْعَمٌ قليلُ الهمومِ ما يبيتُ بأَوْجَالِ ^(٣)
وقال الأصمعي . هو كقولهم : « استراحَ مَنْ لَا عَقْلَ لَهُ ! » .
وقال ابن أبي ربيعة ^(٤) :

(١) ل : « على قوله » .

(٢) انظر الحيوان (٦ : ٢٠٩) والأغاني (٩ : ١٤٤) .

(٣) ل : « وهل ينتمن » . والأوجال : المخاوف .

(٤) انظر البيان (٣ : ٣١٨) .

وَأَعْجَبَهَا مِنْ عَيْشِهَا ظِلُّ غُرْفَةٍ وَرَيَّانُ مُلْتَفٍّ الْحَدَائِقِ أَخْضَرُ
وَوَالِ كَفَاها كُلَّ شَيْءٍ يَهْمُهَا فَلَيْسَتْ لَشَيْءٍ آخِرَ اللَّيْلِ تَسْهَرُ^(١)

باب

في مدح الصالحين والفُهاء

قال ابن الخياط^(٢) ، يمدح مالك بن أنس :

يَأْبَى الْجَوَابَ فَمَا يُرَاجِعُ هَيْبَةً وَالسَّائِلُونَ نَوَاكِسُ الْأَذْقَانِ
هَدَى التَّقَى وَعَزَّ سُلْطَانُ التَّقَى فَهُوَ الْمَطَاعُ وَلَيْسَ ذَا سُلْطَانِ^(٣)
وقال ابن الخياط^(٢) في بعضهم :

فَتَى لَمْ يَجَالِسْ مَالِكًا مِنْذُ أَنْ نَشَأَ وَلَمْ يَقْتَسِمْ مِنْ عِلْمِهِ فَهُوَ جَاهِلُ
وقال آخر :

فَأَنْتَ بِاللَّيْلِ ذَنْبٌ لَا حَرِيمَ لَهُ وَبِالنَّهَارِ عَلَى سَمْتِ ابْنِ سِيرِينَ^(٤)
وقال الخليل بن أحمد وذكروا^(٥) عنده الخطَّ والجِدُّ ، فقال : أَمَّا الْجِدُّ

(١) ط ، س : « الدهر » ، ضوابه من ل والديوان والخزانة (٢ : ٤٢١ بولاق) .

(٢) اسمه عبد الله بن سالم المكي ، كما في زهر الآداب (١ : ٦٩) . ط ، س :

« أنس بن الخياط » . وفي السكامل ٤٠٩ لبيك : « ابن الخياط المديني » .

فلعله مكي مديني . والبيهان يرويان أيضاً لعبد الله بن المبارك ، في العقد (١ :

٢٦٨) وزهر الآداب في رواية . وانظر عيون الأخبار (١ : ٢٩٤) .

(٣) قال المبرد : « أراد : له هدى التقى » . وفي محاسن البيهقي (٣ : ١٢١) :

« هذا التقى » . وانظر للبيت السابق الاستدراكات .

(٤) السمت : الطريق وهيئة أهل الخير . وأراد أن يقول ، « على ورع ابن سيرين »

فلم يستقم له . هذا ما رأى الثعالبي في ثمار القلوب ٧٠ . وانظر البيان (٣ : ١٧٣) .

(٥) س : « وذكر » . ط : « وكان » ، وهذه تحريف عجيب .

فلا أقول فيه شيئاً ، وأما الحظُّ فأخزى الله الحظَّ ؛ فإنه يبلد الطالب إذا
اتكل عليه ويبعد ^(١) المطلوب إليه من مذمة الطالب .

وقال ابن شبرمة ^(٢) :

لوشئت كنت ككركز في تعبده أو كابن طارق حول البيت والحرم
قد حال دون لذيق العيش خوفهما وسارعاً في طلاب العز والكرم ^(٣)

وقال آخر ^(٤) يرثي الأصمعي :

لادرّ درّ خطوب الدهر إذ فجعت ^(٥) بالأصمعي لقد أبقت لنا أسفاً
عش ما بدا لك في الدنيا فلست ترى في الدهر منه ولا من علمه خلفاً

وقال الحسن بن هاني ، في مرثية خلف الأحمر :

لو كان حيّ وائلاً من التلّف لوألت شغواء في أعلى الشعف ^(٦)
أمّ فريخ أحرزته في لجف ^(٧) مزعّب الألفاد لم يأكل بكف ^(٨)

(١) ط ، س : « ويبعد » .

(٢) هو عبد الله بن شبرمة بن حسان القاضي ، كان قاضياً لأبي جعفر المنصور على سواد الكوفة
وكان شاعراً ، حسن الخلق ، جواداً ، ولد سنة ٧٢ وتوفي سنة ١٤٤ . تهذيب التهذيب .

(٣) ل : « في طلاب الفوز » .

(٤) هو أبو العالية الحسن بن مالك الشامي ، كافي وفيات الأعيان (١ : ٢٩٠)

وتاريخ بغداد ٥٥٧٦ .

(٥) ط : « إذا فجعت » ، تحريف .

(٦) ط : « لو كان حيّ » صوابه في ل ، س . وألت : نجت . ط ، س :

« لوألت » وهي صحيحة بمعنى الأولى . والشغواء : العقاب ، سميت بذلك لتعقف
متقارها . ط ، س : « شغواء » ، صوابها في ل . والشعف : جمع شفعة
بالتحريك ، وهي رأس الجبل . ط « في ذرى الشعف » .

(٧) يقول : لها فرخ حفظته في صخرة مشرفة على غار . كلمة « في » ساقطة من ل .

(٨) الألفاد : جمع لغد ، وهو هنا ظاهر لحم الخلق . ط : « الأكفاو » ل ،

س : « الألفاد » ، وصوابه ما أثبت موافقاً لما في ديوان أبي نواس ١٣٢ .

هاتيك أم عصماء في أعلى الشرف^(١)

تظل في الطباق والنزع الألف^(٢)

أودى جماع العلم مذ أودى خلف قليدّم من العيالم الخسف^(٣)
وقال يرثيه في كلمة [له]^(٤) :

بت أعزى الفؤاد عن خلف وبات دمعى إلا يفض يكف^(٥)

أنسى الرزايا ميت فجعت به أضحى رهينا للترب في جدف^(٦)

كان يسنى برفقه غلق السافهم في لا خرق ولا عنف^(٧)

يجوب عنك التي عشت لها حيران، حتى يشفيك في لطف^(٨)

(١) المصاء من الوعول : ما في ذراعيها أو إحداها بياض وساورها أسود أو أحمر .
والشرف : المكان المرتفع .

(٢) الطباق ، كرمان : شجر ينبت في جبال مكة . والنزع : نبت . س : « والمنزع » ل :
« والنزع » محرفان . والألف : الملتف . ل : « الألف » تحريف .

(٣) القليدّم : البئر الغزيرة الكثيرة الماء . ط : « قلندم » س : « قلندم »
صوابه في ل والديوان . والعيالم : جمع عيلم ، وهى البئر الواسعة الكثيرة الماء
عنى أنه غزير العلم . وفي الديوان ومحاضرات الراغب (١ : ٤٩ ، ٢ : ٢٣٦) :
« العيالم » . والخسف : جمع خسيقة ، وهى البئر حفرت في حجارة ، فنبعت
بماء غزير لا ينقطع .

(٤) رثاه بها قبل موته ، وكان خلف أستاذه ، فعرضها عليه فاستجودها . وأنشدها أبا عبيدة
فقال : ما أحسنها ! وطوبى لمن يرى بمثلها ! فقال : مت راشداً وعلى أن أرتيك
بغير منها .

(٥) وكف الدمع : قطر . ط ، س : « أن لا يفض » ، صوابه في ل والديوان .

(٦) الجدف : الحدث ، وهو القبر . ل : « رهين للتراب » .

(٧) يسنى : يفتح . والغلق : ما يغلّق به الباب . ط : « كما ينسى برفقه خلق »
كما البيت محرف بالديوان .

(٨) يجوب : من جاب الرجل المفازة : قطعها . عشى : لم يبصر . ل والديوان : « من
قبل » موضع « حيران » .

لَا يَهْمُ الْخَاءُ فِي الْقِرَاءَةِ بِالْخَا ء وَلَا لَامَهَا مَعَ الْأَلْفِ ^(١)
وَلَا مُضَلًّا سُبُلَ الْكَلَامِ وَلَا يَكُونُ إِسْنَادُهُ عَنِ الصُّحُفِ ^(٢)
وَكَانَ ثَمَّنَ مَضَى لَنَا خَلْفًا فَلَيْسَ إِذْ مَاتَ عَنْهُ مِنْ خَلْفٍ ^(٣)
وَقَالَ آخَرُ فِي ابْنِ شَبْرُمَةَ ^(٤) .
إِذَا سَأَلْتَ النَّاسَ أَيْنَ الْمَكْرَمَةِ وَالْعَزُّ وَالْجُرْثُومَةُ الْمَقْدَمَةُ ^(٥)
وَأَيْنَ فَارُوقُ الْأُمُورِ الْحَكَمَةُ ^(٦) تَتَابَعَ النَّاسُ عَلَى ابْنِ شَبْرُمَةَ

(شعر مختار)

وقال ابن عرفة :

لِيَهْنِكَ بُغْضُ الصَّدِيقِ وَظَنَّةُ وَتَحْدِيثُكَ الشَّيْءَ الَّذِي أَنْتَ كَاذِبُهُ ^(٧)
[وَأَنْتَ مَشْنُوءٌ إِلَى كُلِّ صَاحِبٍ بَلَاكَ ، وَمِثْلُ الشَّرِّ يَكْرَهُ جَانِبُهُ]
وَأِنَّكَ مَهْدَأُ الْخَلَا نَطْفُ النَّشَا شَدِيدُ السَّبَابِ رَافِعُ الصَّوْتِ غَالِبُهُ ^(٨)

(١) كذا، في ط ، س ، والديوان ، وأخبار أبي نواس ٢٧ : « يهـ » من الوهم ، وفي ل : « يهر » .

(٢) كانوا يقولون : « لَا تَأْخُذُوا الْعِلْمَ مِنْ صَحْفٍ » . ط ، س : « عَلَى الصُّحُفِ » ورواية الديوان وأخبار أبي نواس :

وَلَا يَعْنِي مَعْنَى الْكَلَامِ وَلَا يَكُونُ إِشْنَادُهُ عَنِ الصُّحُفِ

(٣) ط ، س : « وَكَانَ فِيمَا مَضَى لَنَا خَلْفٌ » ، وصوابه في ل والديوان والأخبار .

(٤) سبقت ترجمته في التنبيه الثاني من ص ٤٩٢ .

(٥) الجرثومة : الأصل .

(٦) الفاروق : الذي يفرق ويفصل .

(٧) ل : « لِيَهْنِكَ بَعْضُ فِي الصَّدِيقِ » . وانظر القول في الشعر وشرحه ص

١٠٢ - ١٠٣ .

(٨) ط ، س : « وَأَنْتَ مَهْدَى الْخَلَا نَطْفُ الْحِشَا » ، تحريف صوابه في ل . وانظر ١٠٣ .

وقال النّابغة الجعديّ :

أَبَى لِي الْبَلَاءُ وَأُنِّي امْرُؤٌ إِذَا مَا تَبَيَّنْتُ لَمْ أُزَيِّبْ
وليس يريد أنّه في حال تبيّنه^(١) غير مُرتاب ، وإِنَّمَا يعنى أنّ
بصيرته لا تتغيّر .

وقال ابنُ الجهم ، ذات يوم : أَنَا لَا أَشْكُ^(٢) ! قال له المكيّ : وَأَنَا
لَا أَكَادُ أَوقِنُ !

وقال طرفة :

وَكُرِّى إِذَا نَادَى الْمُضَافُ مُحَنِّبًا كَسِيدَ الْغَضَى فِي الطَّخِيَةِ الْمَتَوَرِّدِ^(٣)
وَتَقْصِيرُ يَوْمِ الدَّجْنِ وَالذَّجْنِ مَعْجِبٌ بِيَهْكَنَةٍ تَحْتَ الْخَبَاءِ الْمَمْدَدِ^(٤)
أَرَى قَبْرَ نَحَامٍ بِخَيْلٍ بِمَالِهِ كَقَبْرِ غَوِيٍّ فِي الْبَطَالَةِ مُفْسِدٍ ١٥٦
لَعَمْرُكَ إِنَّ الْمَوْتَ مَا أَخْطَأَ الْفَتَى لِكَالطَّوْلِ الْمُرْخَى وَثْنِيَاهُ بِالْيَدِ^(٥)
أَرَى الْمَوْتَ أَعْدَادَ النُّفُوسِ وَلَا أَرَى

بعيدًا غدًا ، ما أقربَ اليومَ من غد

(١) ط ، س : « بيانه » ، تحريف ما في ل .

(٢) ل : « أَنَا أَكَادُ أَشْكُ » .

(٣) المضاف : الذى أضافته الهموم . والمحنب : فرس محدودب الذراع قليلا . س :

« مجنبا » تحريف . والسيد : الذئب . والغضى : شجر . والطخية : الظلمة .

والمترود : الذى يطلب أن يرد الماء . ل : « كسيد الغضا نهته » .

(٤) البهكنة : المرأة التامة الخلق . ط ، س : « بيهكنة » ، محرف . ل :

« الخباء المعمد » أى ذى العمد .

(٥) الطول : الحبل . وثنياه : طرفاه . س : « لسكالطول المرجى » تحريف .

وظلم ذَوِي الْقَرْبَى أَشَدُّ مِضَاضَةً عَلَى الْمَرْءِ مِنْ وَقْعِ الْحَسَامِ الْمِهْنَدِ ^(١)
وَفِي كَثْرَةِ الْأَيْدِي عَنِ الظُّلْمِ زَاجِرٌ إِذَا خَطَرَتْ أَيْدِي الرِّجَالِ بِمَشْهَدِ ^(٢)

بَاب

القول في الجمelan والخنافس ^(٣)

وَسَنَقُولُ فِي هَذِهِ ^(٤) الْحَقَرَاتِ مِنْ حَشَرَاتِ الْأَرْضِ ، وَفِي الْمَذْكُورِ مِنْ
بَغَاثِ الطَّيْرِ وَخَشَاشِهِ ، مِمَّا يَقْتَاتِ الْعَذِرَةَ وَيُوصَفُ بِاللُّؤْمِ ^(٥) ، وَيُتَقَنَّرُ مِنْ
لَمْسِهِ ^(٦) وَأَكْلِ لَحْمِهِ ؛ كَالْخَنْفَسَاءِ وَالْجَلَلِ ، وَالْمُهْدَاهِدِ ^(٧) وَالرَّخَمِ ؛ فَإِنَّ هَذِهِ
الْأَجْنَاسَ أَطْلَبُ لِلْعَذِرَةِ مِنَ الْخَنَازِيرِ .

فَأَوَّلُ مَا نَذْكُرُ مِنْ أَعَاجِيْبِهَا صِدَاقَةُ مَا بَيْنَ الْخَنْفَسِ وَالْعَقَارِبِ ،
وَصِدَاقَةُ مَا بَيْنَ الْحَيَّاتِ وَالْوَزَغِ .

وَنَزْعُمُ ^(٨) الْأَعْرَابُ أَنَّ بَيْنَ ذِكُورَةِ الْخَنْفَسِ وَإِنَاثِ الْجَلَلِ تَسَافُداً ^(٩)
وَأَنَّهُمَا يَنْتِجَانِ خَلْقًا يَنْزِعُ إِلَيْهِمَا جَمِيعًا .

-
- (١) قيل إن هذا البيت لعدي بن زيد وليس لطرفة . التبريزي .
(٢) لم يروه التبريزي ولا الزوزني . ووجدته في محاضرات للراغب (١ : ١٣٣)
وحامسة البحري ١٥٤ منسوبة إلى عدي بن زيد العبادي . ط ، س :
« على الظلم » . خطرت : تحركت واهتزت . ط ، س : « حضرت »
وليس بشيء . والمشهد : محضر الناس .
(٣) ل : « القول في المحقرات من حشرات الأرض » .
(٤) ط ، س : « باب » .
(٥) ط : « يقتات » و « يوصف » .
(٦) ط ، س : « يتقنر بلمسه » .
(٧) الهداهد بالفتح : جمع هدهد . وبالضم : لغة في الهدهد . ل : « الهدهد » .
(٨) ط ، س : « وزعم » .
(٩) ط ، س : « وذكرورة الجمelan تسافد » ، وصوابه في ل .

وَأَنشُدْ خُشْنَامُ^(١) الْأَعْرَابِ [النَحْوِيُّ] عَنْ سَيِّبِيهِ النَّحْوِيُّ ، عَنْ بَعْضِ

الْأَعْرَابِ فِي هِجَاؤِهِ عَدُوًّا لَهُ كَانَ شَدِيدَ السَّوَادِ :

عَادَيْتَنَا يَا خُنْفَسَا كَامَ جَعَلُ^(٢) عِدَاوَةَ الْأَوْعَالِ حَيَّاتِ الْجَبَلِ

مِنْ كُلِّ عَوْدٍ مُرْهَفِ النَّابِ عُتْلُ^(٣) يَحْرِقُ إِنْ مَسَّ وَإِنْ شَمَّ قَتَلَ^(٤)

وَيُثَبِّتُ أَكَلَ الْأَوْعَالِ لِلْحَيَّاتِ الشَّعْرُ الْمَشْهُورِ ، الَّذِي فِي أَيْدِي

أَصْحَابِنَا ، وَهُوَ :

عَلَّ زَيْدًا أَنْ يُبْلَقَ مَرَّةً فِي التَّمَّاسِ بَعْضَ حَيَّاتِ الْجَبَلِ^(٥)

غَايِرَ الْعَيْنَيْنِ مَقْطُوحِ الْقَفَا لَيْسَ مِنْ حَيَّاتِ حُجْرٍ وَالْقَلَلِ^(٦)

يَتَوَارَى فِي صُدُوعٍ مَرَّةً رَبِذُ الْخَطْفَةِ كَالْقِدْحِ الْمُؤَلِّ^(٧)

وَتَرَى السَّمَّ عَلَى أَشْدَاقِهِ كَشِعَاعِ الشَّمْسِ لَاحَتْ فِي طَفَلٍ^(٨)

طَرْدَ الْأُرْوَى فَمَا تَهَرَّبُهُ وَنَفَى الْحَيَّاتِ عَنْ بَيْضِ الْحَجَلِ

(١) ط ، س : « حَسَام » .

(٢) كَامَهَا : سَفَدَهَا . ط ، س : « أَمَّ الْجَمَل » محرف .

(٣) للعود ، بِالْفَتْحِ ، أَصْلُهُ الْمَسْنُ مِنَ الْجَمَالِ . وَالْعَتْلُ : الشَّدِيدُ . وَعَنَى بِهِ الْحَيَّةَ .

(٤) مِثْلُهُ قَوْلُ يَحْيَى بْنِ أَبِي حَفْصَةَ فِي الْحَيَّةِ — وَالْحَيَّةُ تَذَكَّرُ وَتُؤَنَّثُ فَتَقُولُ : هِيَ الْحَيَّةُ ،

وَهُوَ الْحَيَّةُ — :

أَصَمَّ مَا شَمَّ مِنْ خَضِرَاءَ أَبِيسَهَا أَوْ مَسَّ مِنْ حَجَرٍ أَوْ هَاهُ فَانْصَدَعَا

وَانْظُرِ الْخَيَّوَانَ (٢ : ١٣٧ — ١٣٨) . ل : « يَحْرِقُ » بِالْهَاءِ .

(٥) ط ، س : « فِي التَّمَّاسِ » ، صَوَابُهُ فِي ل .

(٦) مَقْطُوحٌ : عَرِيضٌ . ط ، س : « مَقْطُوعٌ » تَحْرِيفٌ . ل : « وَالْغُلَلِ » .

(٧) الرَبِذُ : السَّرِيعُ . ل : « وَتَرَى » ط ، س : « وَبَذَى » ، وَالْوَجْهَ فِيهِمَا

مَا أَثَبَّتَ . وَالْقِدْحُ أَرَادَ بِهِ السَّهْمَ . وَالْمُؤَلُّ : أَصْلُهُ الْمُؤَلَّلُ ، وَهُوَ الْمَحْدَدُ .

(٨) ط : « وَتَرَى السَّهْمَ » ، صَوَابُهُ فِي ل ، س . وَالطُّفْلُ ، بِالتَّحْرِيكِ : الْغُرُوبُ .

ولأنما ذكر الأروى من بين جميع ما يسكن الجبال من أصناف
الوحش ، لأن الأروى من بينها تأكل الحيات ؛ للعداوة التي بينها
وبين الحيات .

(استطراد لغوى)

١٥٧ والأزوى : إناث الأوعال ، واحدها أروية . والناس يُسمون بناتهم
باسم الجماعة ، ولا يسمون البنت الواحدة باسم الواحدة منها : لا يسمون
بأروية ، ويسمون بأزوى . وقال شماخ بن صرّار :

فأزوى وإن كرمت علينا بأذى من موقفة حرّون^(١)

وأُنشد^(٢) أبو زيد في جماعة الأورية :

فمالك من أزوى ، تعاديت بالعمى ولا قيت كلاباً مطلاً ورامياً^(٣)

يقال : تعادى القوم وتفاقدوا : إذا مات بعضهم على إثر بعض .

وقالت في ذلك ضباعة بنت قُرط^(٤) ، في مرثية زوجها هشام

ابن المغيرة :

(١) الموقفة : الأروية التي في قوائمها خطوط كأنها الخلاخيل . والوقف : الخلخال .

والحرّون : التي لا تبرح أعلى الجبل . يقول : ليست هذه المرأة بأقرب مني من
هذه الأروية الصعبة المنال .

(٢) ط ، س : « وقال » ، وصوابه في ل .

(٣) ل : « تعاديت » تحريف يخالف السياق . والبيت في اللسان (عدا) . والكلاب :

الصائد بالكلاب . والمطل : من قولهم أطل فلان على فلان بالأذى ، إذا دام على
إيذائه . س : « مطلا » .

(٤) هي ضباعة بنت عامر بن قرط ، كان تزوجها عبد الله بن جعدان في الجاهلية ،

ثم طلقها وتزوجها هشام بن المغيرة ، فلما مات أسلمت وهاجرت ، وخطبها
الرسول ثم بدا له فتركها . انظر الإصابة . ٦٧٠ قسم النساء .

لِنَّ أَبَا عُمَانَ لَمْ أَنْسَهُ وَإِنْ صَمْتًا عَنْ بُكَاءِهِ لَحُوبٌ (١)
تَفَاقَدُوا مِنْ مَعَشَرٍ مَا لَهُمْ أَى ذَنْوبٍ صَوَّبُوا فِي الْقَلِيبِ (٢)

(طلب الحيات البيض)

وأما قوله :

* وَنَفَى الْحَيَّاتِ عَنْ بَيْضِ الْحَجَلِ *
فإن الحيات تطلبُ بَيْضَ كُلِّ طَائِرٍ وفِراخه . ويبضُّ كُلُّ طَائِرٍ مِمَّا
يبيض على الأرض أحبُّ إليها . فَمَا (٣) أعرفُ لذلك عِلَّةً إِلَّا سَهولةَ المَطْلَبِ .
والأَيَّائِلُ تَأْكُلُ الْحَيَّاتِ ، والخنَازِرُ تَأْكُلُ الْحَيَّاتِ وتُعَادِيهَا .

(عداوة الحمار للغراب)

وزعم صاحبُ المنطق أنَّ بَيْنَ الْحِمَارِ وَالْغُرَابِ عداوة . وأنشدني بعضُ
الْبَحْوِيِّينَ (٤) :

عَادَيْتَنَا لَا زِلْتَ فِي تَبَابٍ عَدَاوَةِ الْحِمَارِ لِلْغُرَابِ

(١) ط : « صمى » ، وأثبت ما فى ل ، س والعمدة (١ : ١٨٨) . والحبوب ،
بالضم : الإثم . وفى الكتاب : « إنه كان حوبا كبيرا » . ل :
« لوب » تحريف .

(٢) الذنوب ، بالفتح : الدلو العظيمة . والقليب : البئر . إن أطلق الروى بالتحريك كان
فى الشعر إقواء ، وإن قيد بالإسكان امتنع الإقواء .

(٣) ل : « ولا » .

(٤) كذا فى ل . وفى ط ، س : « وأنشدنى » . وانظر ما سبق فى ص ٤٥٨ .

وأنشد ابنُ أبي كريمةَ لبعض الشعراء في صريع الغواني :
فما رِيحُ السَّدَابِ أَشَدُّ بُغْضاً إلى الحَيَاتِ مِنْكَ إلى الغَوَانِي ^(١)

(أمثال)

ويقال : « ألجُ من الخنفساء » ، و « أفحشُ من فاسية » ، وهي الخنفساء
و « أفحش من فالية الأفاعي » ^(٢) .

والفساء يُوصف به ضربان من الخلق : الخنفساء ، والظَّربان .

وفي لجاج الخنفساء يقولُ خلفُ الأحمر ^(٣) :

لَنَا صَاحِبٌ مُوَلَّعٌ بِالْخِلَافِ كَثِيرُ الْخَطَايَا قَلِيلُ الصَّوَابِ ^(٤)
أَلَجٌ لِحَاجَاً ، مِنَ الْخَنْفَسَاءِ وَأَزْهَى إِذَا مَآمَشَى مِنْ غَرَابٍ ^(٥)

(طول ذماء الخنفساء)

وقال الرقاشي : ذكرت صبر الخنزير على نفوذ السهام في جنبه ^(٦) ،

فقال لي أعرابي : الخنفساء أصبر منه ، ولقد رأيت صبيّاً من صبيانكم البارحة

(١) ط ، س : « منه إلى الغواني » ، وأثبت ما في ل . وانظر ص ٤٥٩ .

(٢) فالية الأفاعي : ضرب من الخنافس رقط تألف الحيات والمقارب في جحرة الضب .

(٣) يهجو العتبي ، كما في الديمري . وللعنبي ترجمة في (١ : ٥٣ — ٥٤) . وفي معجم

الأدباء (١٦ : ١٦١) أنهما في هجاء أوى العيناء . وبعدهما هناك بيتان آخران .

(٤) الخطاء : الخطأ .

(٥) أعاد إنشاده في (٦ : ٤٦٩) .

(٦) ل : « جنبيه » .

وأخذَ شوكةً وجعل في رأسها فتيلةً ، ثمَّ أوقدَ فيها ناراً^(١) ، ثمَّ غرزها في ظهر الخنفساء ، حتَّى أنفذَ^(٢) الشُّوكةَ . فغبرَنا ليلتنا^(٣) ولأنَّها لتَجُولُ في الدَّارِ وتُصْبِحُ^(٤) لنا . و [الله] إلَّنى لأظنها كانت مُقرباً^(٥) ؛ لانتفاخ بطنها ١٥٨

(استطراد لغوى)

قال : وقال القناني^(٦) : العَوَاساء : الحامل من الخنفافس ، وأنشد :

* بَسْكَراً عَوَاساءَ تَفَاساً مُقرباً^(٧) *

(١) ط ، س : « أوقدها ناراً » .

(٢) س : « أبعد » .

(٣) غبر : مكث . ط ، س : « فغبرنا » ، ووجهه من ل .

(٤) تصبِح : تضيء . وانظر ماسياتى فى ص ٥٠٨ .

(٥) المقرب : الحامل التى دنا ولادها .

(٦) القناني هذا هو أستاذ الفراء ، كما فى معجم البلدان (قنان) . وله ذكر فى اللسان (نبل ١٦٣) ، وهو يفتح القاف بعدها نون مفتوحة . ط ، س : « العتاني » وهو كلثوم ابن عمرو العتاني المترجم فى (٢ : ٢٩٦) ، وصوابه ما أثبت من ل ؛ لمطابقته لما فى المخصص (٢ : ١٨) والمقصود ٧٨ والغريب المصنف ١٥٧ ؛ ٢٤٤ فى كل منها : « وأنشد القناني » .

(٧) العواساء ، بالفتح : الحامل من الخنفافس . تفاسا : أصلها تنفاساً ، أى تخرج ظهرها . وروى : « تفاسى » أصلها تنفاسى ، كما فى اللسان (عوس ، فس) والمقصود لابن ولاد ، أى تخرج عنها . وروى : « تباذى » أصلها تباذى ، كما فى المخصص ، أى تخرج عجيزتها . ط : « قماسا » س : « نفاسا » ، صوابهما فى ل .

(أعاجيب الجعل)

قال : ومن أعاجيب الجعل ^(١) أنه يموت من ريح الورد ، ويعيش إذا أعيد إلى الروث . ويضرب بشدة سواد لونه المثل . قال الرَّاَجَزُ وهو يعصفُ أسودَ سالخا ^(٢) :

مُهِرَّتِ الْأَشْدَاقُ عَوْدَ قَدْ كَمَلْ ^(٣) كَأَنَّمَا قُصِّصَ مِنْ لِبِطٍ جُعَلْ ^(٤)
وَالْجُعَلُ يَظَلُّ دَهْرًا لَا جَنَاحَ لَهُ ، ثُمَّ يَنْبِتُ لَهُ جَنَاحَانِ ، كَالنَّمْلِ الَّذِي يَغْبُرُ
دَهْرًا لَا جَنَاحَ لَهُ ، ثُمَّ يَنْبِتُ لَهُ جَنَاحَانِ ، وَذَلِكَ عِنْدَ هَلَكَتِهِ ^(٥) .

(الدعاميص)

وَالدَّعَامِيصُ ^(٦) قَدْ تَغْبُرُ حِينًا بَلَا أَجْنِحَةَ ، ثُمَّ تَصِيرُ فَرَاشًا وَبَعوضًا .
وَلَيْسَ كَذَلِكَ الْجَرَادُ وَالذَّبَّانُ ؛ لِأَنَّ أَجْنِحَتَهَا تَنْبِتُ عَلَى مَقْدَارِ مِنَ الْعُمْرِ وَمَرُورِ
مِنَ الْأَيَّامِ ^(٧) .

(١) ط ، س : « ومن أول أعاجيب الجعل » .

(٢) الأسود : الحية العظيمة . والسالخ : الذي يسلخ جلده ، وذلك يكون في كل عام .

(٣) مهترت الأشداق : واسمها . ط ، س : « مهترت الشدين » ، وهي رواية البيان (٣ : ٢٢٥) .

(٤) قص : ألبس قيصاً . والليط ، بالكسر : قشر الجعل . ط ، س : « قصص » صوابه في ل والبيان .

(٥) ل : « علامة هلكته » . و « زمانا » مكان « دهرًا » المتقدمة . والكلام من « كالنمل » إلى « جناحان » ساقط من س .

(٦) الدعومص : خلق يكون في الماء ثم يستحيل بعوضاً وفراشاً .

(٧) كلمة « من » ساقطة من ل .

وزعم ثمامة ، عن يحيى بن خالد : أن البرغوث^(١) قد يستحيل بعوضة .

(عادة الجعل)

والجعل يحرس النيام ، فكلما قام منهم قائم فضى لحاجته تبعه ، طمعا في أنه إنما يريد الغائط . وأنشد بعضهم قول الشاعر^(٢) :

يبيت في مجلس الأقيام يربوهم كأنه شرطى بات في حرس^(٣)

وأنشد بعضهم^(٤) لبعض الأعراب في هجائه رجلا بالفسولة ، وبكثرة الأكل ، وبِعِظَم حَجْم النَجْو :

حتى إذا أضحى تدرى واكتحل^(٥)

لجارتيه ثم ولى فنثل^(٦)

* رزق الأنوقين القرنبي والجعل^(٧) *

-
- (١) ل : « أنه زعم أن البرغوث » .
 (٢) كذا في ل . وفي ط ، س : « وأنشد لبعضهم » .
 (٣) يربوهم : يرقبهم ، أو يكون لهم ربيئة أى عينا . ط ، س : « في منزل » ، وانتهت ما في ل وما سبق في (١ : ٢٣٦) .
 (٤) ط ، س : « وأنشدوا » .
 (٥) تدرى : سرح شعره . ط : « تلدى » ، صوابه في ل ، س . وفي ط : « ثم إذا أضحى » . وسبق الرجز في (١ : ٢٣٥) .
 (٦) نثل : أصله للفرس ، يقال نثل : راث . وفي الأصل : « نثل » ، وتصحيحه من الجزء الأول .
 (٧) ل : « روق » ، صوابه في ط ، س . وقد سبق في الجزء الأول : « فزق » وما هنا صوابه .

سمى القَرْنَبِي والجُلْجُل - إذ كانا يفتاتان الزَّيْل - أَثْوَقِينَ^(١) . والأَنُوق :
للرَّخْمَة ، وهى [أحد ما] يفتات^(٢) العَدْرَة . وقال الأعشى :

يَا رَحْمًا ، قَاظَ عَلَى يَنْخُوبِ^(٣) يُعْجِلُ كَفَّ الْخَارِئِ الْمُطِيبِ
المطيب : الذى يستطيب^(٤) بالحجارة ، أَى يَتَمَسَّحُ^(٥) بها . وهم يسمُّون
بالأَنُوق كُلَّ شَيْءٍ يفتات النَّجْو والزَّيْل ، إِلَّا أَنَّ ذَلِكَ عَلَى التَّشْبِيهِ لَهَا بِالرَّخْمِ
فى هذا المعنى [وحدهُ] . وقال آخر :

يَا أَيُّهَا النَّابِجِي نَبَحَ الْقَبَلِ^(٦) يَدْعُو عَلَى كَلِمَا قَامَ يُصَلُّ
رَافِعَ كَفِّهِ كَمَا يَفْرِى الْجُلْجُلِ^(٧) وَقَدْ مَلَأْتُ بَطْنَهُ حَتَّى أَتْلُ
* غِيظًا فَأَمْسَى ضَغْنُهُ قَدْ اعْتَدَلَ *

وَالْقَبَلُ : مَا أَقْبَلَ عَلَيْكَ مِنَ الْجَبَلِ . وَقَوْلُهُ أَتْلُ ، أَى امْتَلَأُ [عَلَيْكَ] غِيظًا
فَقَصَّرَ فِى مِشِيَّتِهِ . وقال الجعدي :

مَنْعَ الْغَدَرَ فَلَمْ أَهْمَمْ بِهِ وَأَخُو الْغَدَرِ إِذَا هَمَّ فَعَلُ
خَشِيَّةُ اللَّهِ وَأَتَى رَجُلٌ إِنَّمَا ذَكَرَى كَنَارَ بَقْبَلِ^(٨)

(١) هذه ساقطة من ل .

(٢) كذا فى ل . وفى س : « وهى ما يفتات » ط : « وهى تفتات » .

(٣) قَاظَ بِالْمَكَانِ : أَقَامَ بِهِ صَيْفًا . وَيَنْخُوبُ : مَوْضِعٌ ، ذَكَرَهُ يَاقُوتٌ ، وَأَنشَدَ
الْبَيْهَقِي . وَالرَّوَايَةُ الْمَعْرُوفَةُ : « مَطْلُوبٌ » . كَمَا فِى اللِّسَانِ (طِيبٌ ، قَاظٌ) وَالذَّمِيرُ
وَأَمْثَالُ الْمِيدَانِ (٢ : ٢٥٠) ، وَهُوَ اسْمُ جَبَلٍ . ط ، س : « مَنْجُوبٌ »
تَحْرِيفٌ مَافِى ل .

(٤) ط ، س : « يَتَطِيبُ » ، صَوَابُهُ فِى ل .

(٥) ط : « يَتَطِيبُ » ، وَلَيْسَتْ صَحِيحَةً . س : « يَمَسُّحُ » ، وَأَثْبَتَ مَافِى ل .

(٦) الْقَبَلُ : الْجَبَلُ يَسْتَقْبَلُكَ . أَى كُنْ يَنْبِجُ الْجَبَلِ . ط ، س : « الْمَانِخَى نَهْجٌ »
صَوَابُهُ فِى ل ، وَاللِّسَانُ (قَبْلُ) وَنَوَادِرُ أَبِي زَيْدٍ ٤٩ .

(٧) يَفْرِى ، بِالْفَاءِ : يَصْنَعُ . ط ، س : « يَقْرِى » صَوَابُهُ فِى ل وَالنَّوَادِرُ .

(٨) ل : « نَارُ بَقْبَلِ » ، أَرَادَ أَنَّهُ مَعْرُوفٌ مَشْهُورٌ .

وقال الرَّاجز - وهو يهجو بعضهم بالفُسولة ، وبكثرة الأكل ، وعِظَم^(١) حِجْمِ النَّجْو - :

* باتَ يَعِشِي وَخَذَهُ أَلْنَى جُعَل^(٢) *

وقال عنبرة :

إذا لاقيتَ جمعَ بني أبان فأني لائمٌ للجعدِ لاجي
كسوتُ الجعدَ جعدَ بني أبان رداني بعد عُرِيِّ واقتضاح^(٣)
ثم شبهه بالجعل فقال :

كَأَنَّ مُؤَشَّرَ الْعُضْدَيْنِ جَحْلًا هُدُوجًا بَيْنَ أَقْلَبَةٍ مِلَاح^(٤)
تضمنَ نعمتي فغدا عليها بُكُورًا أَوْ تَهَجَّرَ فِي الرُّوَّاحِ
وقال الشماخ :

وإن يُلقِيَا شَاوًا بِأَرْضِ هَوَى لَهُ مُفَرَّضُ أَطْرَافِ الدَّرَاعَيْنِ أَفْلَجُ^(٥)

(١) س : « وبِظَم » .

(٢) قبله كما سبق في (١ : ٢٣٦) :

* إذا أتوه بطعام وأكل *

(٣) الرداء : هنا السيف ، وكان الرجل إذا قتل رجلاً مشهوراً وضع سيفه عليه ليعرف قاتله . فن ذلك ماسى السيف رداء ، وفي ذلك يقول متمم :

لقد كفن المَهْال تحت رداءه فتي غير مِيطانِ العِشِيَّاتِ ، أروعا

والرواية في ديوان عنبرة : « سلاحي » . وكان عنبرة أهار الجعد سلاحاً فأمسكه الجعد ولم يردده إليه . ط : « بعد عراى واقتضاحى » . وصوابه في ل : س والديوان ٥٤ . والمراد : بعد عرى الجعد واقتضاحه .

(٤) مؤشر : مرقق . والجعل بتقديم الجيم : العظيم من الجعلان . ط ، س : « والديوان ، واللسان (أثر) : « جحلا » صوابه في ل واللسان (جحل ، قلب) والمختص (١٧ : ٣٥) . والهدوج : الذى يمشى رويداً فى ضعف . ط ، س : « عروجا » صوابه ما أثبت من جميع المصادر السابقة . والأقلبة : الآبار ، جمع قليب . ملاح : جمع ملح : ذى ملحوة .

(٥) يلقيا : من الإلقاء . والضمير عائد إلى غير وأتانه . انظر ديوان الشماخ =

(استطراد لغوى)

والشأو هاهنا : الرّوث ؛ كأنّه كثر [هـ] حتّى ألحقه بالشأو الذى يخرج من البئر ؛ كما يقول أحدهم إذا أراد أن يُنقى البئر : أخرج من تلك البئر شيئاً أو شأوين ، يعنى من التراب الذى قد سقط فيها ، وهو شئٌ كهينة الزبيل ^(١) الصّغير .

والشأو : الطلق ^(٢) . والشأو : الفتوت ^(٣) .

والمفرض الأفلج ^(٤) الذى عنى ، هو الجعل ؛ لأنّ الجعل فى قوائمه تحزير ، وفيها تفريج ^(٥) .

= (١٢ - ١٦) . ط ، س : « تلفيا » صوابه فى ل والديوان . والمفرض ؛ المحرز . م : « معرض » ط : « معرف » ، صوابه فى ل والديوان واللسان (فرض) . والأفلج : البعده ما بين القوائم . ط ، س : « أفلح » بالخاء ، وهو تحريف ما فى ل والديوان . والبيت من قصيدة جيمية مطلعها :

ألا ناديا أظمان ليلي تعرج فقد هجن شوقاً ليته لم يهيج

وفى البيت كما ترى إقواء ، إذ رويا الجيم المكسورة :

(١) كذا فى ل ، س ، وفى ط : « الزنبيل » وهما صيحتان ، يقال زبيل ، وزبيل كسكين ، وزنبيل وزنبيل بكسر الزاى أو فتحها ، وهى القفة أو الجراب .

(٢) الطلق ، بالكسر وبالتحريك : الشوط ، تقول : عدا طلقاً أو طلقين .

(٣) الفتوت ، بالفتح : سبق . شأه : سبقه . ط ، س : « الفتوت » صوابه فى ل .

(٤) ط ، س : « المعرض الأفلح » ، صوابه فى ل . وانظر أوائل الفرج من هذه الصفحة .

(٥) ط ، س : « تعريج » ، تصحيحه من ل .

(معرفة في الجعل)

وللجعل جناحان لا يكادان يُرَيَانِ إِلَّا عند الطَّيْرَانِ ؛ لشدَّةِ سوادهما ،
وشبههما بجلده ، ولشدَّةِ (١) تمكُّنهما في ظهره .

قال الشاعر ، حيثُ عدَّدَ الخَوْنَةَ ، وحثَّ الأميرَ (٢) على محاسبتهم :
واشدُّ يدبك بزیدٍ إن ظفرتَ به

واشفِ الأرامِلَ من دُحروجَةِ الجعلِ

والجعل لا يدرج إِلَّا جعراً (٣) يابساً ، أو بكرة .

وقال سعد بن طريف (٤) ، يهجو بلالَ بنَ رباحٍ مولى أبي بكر (٥) :

وذاك أسودُ نوبٍ له ذفرٌ كأنَّه جعلٌ يمشى بِقِرَواحٍ (٦)

وسندكر شأنه وشأن بلالٍ في موضعه من هذا الكتاب إن شاء

الله تعالى .

(١) ط ، س : « وشدة » .

(٢) ط ، س : « الأمين » .

(٣) الجعر ، بالفتح : النجو . ط ، س : « بعرا » .

(٤) سعد بن طريف : صحابي ، ترجم له في الإصابة ٣١٦٣ . ل : « سعد بن مطر » ،
صوابه في ط ، س .

(٥) هو بلال بن رباح الحبشي ، المؤذن ، كان أبو بكر اشتراه إنقاذاً له من عذاب سيده
المشرك ، ثم اعتقه فلزم الرسول وأذن له وشهد معه جميع المشاهد . مات سنة
عشرين . ط ، س : « بنى بكر » ، صوابه في ل .

(٦) الذفر ، بالتحريك : خبث رائحة الإبط . ط : « زفر » س : « ظفر »
صوابه في ل . والقرواح ، بالكسر : الفضاء من الأرض .

(أبو الخنافس وأبو المقارب)

وكان بالكوفة رجلاً من ولد عبد الجبار بن وائل بن حُجر الحضرمي^(١)
 يكنى أبا الخنافس راضياً بذلك^(٢) ، ولم تكن الكنية لقباً ولا نَبْزاً ، وكان من
 ١٦٠ الفُقهَاء ، وله هيئة ورُواءٌ . وسألته^(٣) : هل كان في آبائه من يكنى أبا الخنافس ؟
 فإنَّ أبا المقارب^(٤) في آل سلم مولى^(٥) بني العباس كثيرٌ على أتباع أثر . وكان
 أبو الخنافس هذا اكتنى به ابتداءً .

(طول ذمَاء الخنفساء)

وقال لي [أبو] الفضل العنبري : يقولون : الضَّبُّ^(٦) أطول شيء
 ذمَاء ، والخنفساء^(٧) أطولُ منه ذمَاء ؛ وذلك أنه يُغرز في ظهرها شوكةٌ
 ثاقِبةٌ^(٨) ، وفيها ذبالةٌ تستوقدُ وتُصْبِحُ^(٩) لأهل الدَّار ، وهي تدبُّ بها

(١) عبد الجبار ، ذكره ابن حجر في الإصابة في أثناء ترجمته لوالده : (وائل بن حجر
 بضم الحاء — الحضرمي المتوفى في خلافة معاوية) ، ولم يذكره بشيء سوى أنه روى
 هو وأخوه علقمة عن أبيهما وائل . الإصابة ٩١٠١ .

(٢) ل : « وهو راض بكنيته » .

(٣) ل : « وسألته » .

(٤) ل : « أبا المقارب » ، تحريف .

(٥) س : « موالى » .

(٦) ط ، س : « الضب » .

(٧) ط ، س : « والخنفساء » .

(٨) ل : « نافذة » .

(٩) تصحيح : تنير . وانظر ص ٥٠١ .

وتجول ! وربما كانت في تضاعيف جبل قت ، أو في بعض الحشيش والعشب
والخلا ، فتصيرُ في فم الجمل فيبتلعها من غير أن يَضْغَمَ الخنفساء^(١) ، فإذا
وصلت إلى جوفه وهي حيّة جالت فيه ، فلا تموت حتى تقتله .
فأصحاب الإبل يتعاورون تلك الأوارى^(٢) والعُلوفاة^(٣) ؛ خوفاً
من الخنافس .

(هجاء جواس لحسان بن بحدل)

وقال جَوَّاس بن القَعَطَل^(٣) في حَسَّان بن بَحْدَل^(٤) :

هل يَهْلِكُنِي لا أَبالِكم دَنَسُ الثَّيَابِ كَطابِخِ التَّنْدِيرِ^(٥)
جَعَلْتُ تَمْطَى في عَمَائِتِهِ زَمِرُ المَرْوَةِ ناقِصُ الشَّبْرِ^(٦)
لِزَبَابَةٍ سَوْدَاءِ حَنْظَلَةٍ والعَاجِزِ التَّنْدِيرِ كَالْوَبْرِ^(٧)

(١) ضغم يضغم ، من باب منع : عض .

(٢) الأوارى : جمع أرى ، وهو يحبس الدابة . ل : « الأوارى » تحريف . وفيها :
« يتمهدون » مكان « يتماورون » .

(٣) هو جواس بن القعطل بن سويد بن الحارث الكلبي ، وله شعر في وقعة مرج
راهط سبق بعضه في ص ٤٢٢ . ط ، س : « حواس » ط : « ابن المتعطل »
ل ، س : « المقعطل » صوابه ما أثبت من المؤلف ٧٤ والأغاني (١٧ : ١١٢)
والقاموس في مادتي (جوس ، قعطل) . وانظر اشتقاق الاسم في شرح العبري
للحاسة (٤ : ٣٣) .

(٤) ط : « بجدل » س : « نجدل » وصوابه في ل . وكان حسان بن بجدل
أحد ولادة بني أمية على فلسطين والأردن . ولما جاءت بيعة مروان بن الحكم
سنة ٦٤ ، امتنع عنها وأراد عقدها لخالد بن يزيد بن معاوية . وكان هوى كلب
مع مروان بن الحكم .

(٥) ل : « لا أبا لأبيكم » ، تحريف يفسد الوزن . وانظر (٦ : ٣٦٩) .

(٦) العمائة ، بالفتح : الضلال والجهالة . ل : « عبايته » . زمر المروءة : ضعيفها .
والشبر ، بالفتح : القد ، والعطاء .

(٧) الزبابة : ضرب من الفأر ، يشبه بها الجاهل ، كما في اللسان والدميري . يقول : =

فأَمَّا الهجاء والمدح ، ومفاخرة السُّودان [و] الحمران ، فإنَّ ذلك كلُّه مجموعٌ (في كتاب الهجاء والصرحاء) .

و [قد] قدَّمنا في صدر هذا الكتاب جملةً في القول في الجعلان وغير ذلك من الأجناس اللثيمة والمستفدرة ، في باب النتن والطيب ، فكرهنا إعادته في هذا الموضع ^(١) .

باب

القول في الهدهد

وأما القول في الهدهد ، فإنَّ العرب والأعراب كانوا يزعمون أنَّ القنزعة التي على رأسه ثوابٌ من الله تعالى على ما كان من برِّه لأُمِّه ! لأنَّ أُمَّه لما ماتت جعل قبرَها على رأسه ، فهذه القنزعة عوضٌ عن تلك الوَهْدَة .
والهدهد طائرٌ مُنْتِن الرِّيحِ والبدن ، من جوهره وذاته ؛ فربَّ شيء يكون مُنْتِنًا من نفسه ، من غيرِ عَرَضٍ يَعْرِضُ له ^(٢) ، كالتيوس والحَيَّاتِ وغير ذلك من أجناس الحيوان .

فأَمَّا الأعراب فيجعلون ذلك النتن شيئاً خامره بسبب ^(٣) تلك الجيفة

= أمه كأنها زبابة : دويبة على قدر السنور غبراء حسنة العينين شديدة الحياة .
وقد جعل أباه كالوبر تحقيراً له . ومنه قول أبان بن سعيد بن العاص : « واعجبا لوبر تدلى علينا من قدوم ضأن ! » . قدوم ضأن : موضع . ط : « الوبر » وصوابه من ل ، س .

(١) بعد هذا في ط ، س : « والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب » .

(٢) ل : « من عرض » ، صوابه في ط ، س .

(٣) ط ، س . « لسبب » .

التي كانت مدفونة في رأسه . وقد قال في ذلك أمية أو غيره^(١) من شعرائهم :
فأما أمية فهو الذي يقول :

تَعْلَمُ بَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ كَصُنْعِهِ صَنِيعٌ وَلَا يَحْفَى عَلَى اللَّهِ مُلْحِدٌ^(٢) ١٦١
وبكلُّ منكرةٍ لَهُ مَعْرُوفَةٌ أُخْرَى عَلَى عَيْنٍ بِمَا يَتَعَمَّدُ^(٣)
جُدُّ وَتَوْشِيمٌ وَرَسْمٌ عَلَامَةٌ وَخَزَائِنٌ مَفْتُوحَةٌ لَا تَنْفَدُ^(٤)
عَمَّنْ أَرَادَ بِهَا وَجَابَ عِيَانَهُ لَا يَسْتَقِيمُ لَخَالِقٍ يَتَزَيَّدُ^(٥)
غِيَمٌ وَظُلُمَاءٌ وَغَيْثٌ سَحَابَةٌ أَزْمَانٌ كَفَنٌ وَاسْتِرَادَ الْهَلْدُهُدُ^(٦)
يَبْغِي الْقَرَارَ لِأُمِّهِ لِيُجَنِّهَا فَبْنَى عَلَيْهَا فِي قَفَاهُ يُنْمِهُدُ^(٧)
مَهْدًا وَطِينًا فَاسْتَقْلَّ بِحَمْلِهِ فِي الطَّيْرِ بِحَمْلِهَا وَلَا يَتَأَوَّذُ^(٨)
مِنْ أُمِّهِ فَجَزَى بِصَالِحِ حَمْلِهَا وَلَدًا ، وَكَلَفَ ظَهْرَهُ مَا تَفْقَدُ^(٩)
قَرَاهَ يَذْلَحُ مَا مَشَى بِجَنَازَةٍ فِيهَا وَمَا اخْتَلَفَ الْجَدِيدُ الْمَسْنَدُ^(١٠)

(١) ط ، س : « أو » ، والوجه الواو كما في ل .

(٢) ل : « عليه ملحد » ولعل في البيت تحريفا ، فإنه يخالف لما بعده في الوزن .

(٣) في الديوان : « في كل منكرة » ، ل : « بها يتعمد » .

(٤) ط ، س : « وتوسيم » . س : « لاتفقد » ، ل : « لاتقلد » صوابه من ط ، والديوان .

(٥) ل : « وحاد غياية » . الديوان : « وجاب عنانها » .

(٦) ط ، س : « وغيم سحابة » . ط : « أن مان » ، صوابه في س ، ل ونهاية الأرب (١٠ : ٢٤٧) . ط ، س : « كفر واستزاد » ل : « كفن واستزار » ، وأثبت ما في نهاية الأرب والديوان . استزاد : أصل معناها الخروج لطلب الكلأ .

(٧) ط ، س : « ييق » ، صوابه في ل والديوان ونهاية الأرب . يحنها : يضعها في الجنن ، بالتحريك ، وهو القبر . ط والديوان : « في قفاها » صوابه في ل ، س ونهاية الأرب .

(٨) يتأود : يتعطف ويتلوى . يقول : هي خفيفة الحمل .

(٩) الديوان : « فجرى لصالح حملها » . ط : « لاتمقد » : نهاية الأرب : « ما يعمد » .

(١٠) يذلح ، بالحاء : يمشي بحمله مثقلا . ط : « يضصح » أصله من ضبح الخيل . ل ، =

(معرفة الهدهد بمواضع المياه)

ويزعمون أنَّ الهدهد هو الذى كان يدلُّ سليمان عليه السلام على مواضع المياه في قعور الأرضين^(١) إذا أراد استنباط شيء منها .

(سؤال ومثل في الهدهد)

ويروون أنَّ نَجْدَةَ الحُرُورَى أو نافع بن الأزرق قال^(٢) لابن عباس :
إنَّك تقول إنَّ الهدهد إذا نقر الأرض عَرَفَ مسافة ما بينه وبين الماء ،
والهدهد لا يُبْصِرُ الفخَّ دُونَ التراب ، حتى إذا نقر التَّمْرَةَ^(٣) انضمَّ عليه

= س . ونهاية الأرب : « يدلج » ولا تصح ، صوابها من الديوان . المسند :
الدهر . والجديد : الدائم الجسدة لا يبيل أبداً . وجاءت مثل هذه العبارة في
قول الهذلي :

وقالت : لن ترى أبداً تليداً بعينك آخر الدهر الجديد
ومنه الجديدان : الليل والنهار ؛ لأنهما لا يبيلان أبداً . ط : « الجديد المنشد »
صوابه في جميع المصادر المتقدمة .

- (١) ط ، س : « الماء » . ل : « قعود الأرضين » ، وما في ل تحريف .
(٢) ط ، س : « ونافع بن الأزرق قال » . ونجدة هو ابن عامر الحرورى الحننى ،
كان من الخوارج الحرورية ، وإليه تنسب الفرقة النجدية . خرج بإيماة سنة ٦٦
في جماعة كبيرة ، فأقى البحرين وقاتل أهلها ، وقتل شاباً . ولد سنة ٣٦ وتوفى سنة
٦٨ . وأما نافع فهو ابن الأزرق الحننى ، أحد الشجعان الأبطال ، كان أمير قومه
وفقيهم . وإليه تنسب فرقة الأزارقة التى اشتبكت مع المهلب بن أبي صفرة في
حروب قاسية . قتل يوم دولاب على مقربة من الأهواز سنة ٦٥ .
(٣) في ثمار القلوب ٣٨٤ : « نقر الحبة » .

الفتح ! فقال ^(١) ابن عباس : « إذا جاء القدرُ عَمِي ^(٢) البَصْرُ » .

ومن أمثالهم : « إذا جاء الحينُ غَطَّى العين ^(٣) » .

وابن عباسٍ إن كان قال ذلك فإنَّما عني هُدهدٌ سليمان عليه السلام بعينه ؛ فإنَّ القول فيه خلافُ القول في سائر الهداهد .

وسنأتى على ذكر هذا الباب من شأنه في موضعه إن شاء الله تعالى ^(٤) .

وقد قال الناس في هُدهدِ سليمان ، وغرابِ نوح ، وحمَّارِ عَزِيز ، وذئبِ أهبان بن أوس ^(٥) ، وغير ذلك من هذا الفن ، أقاويل ^(٦) ، وسنقول في ذلك بجملةٍ من القول في موضعه [إن شاء الله] .

(بيت الهدهد)

وقد قال صاحبُ المنطق وزعمَ في كتاب الحيوان ، أن لكل طائرٍ يعششُ شكلاً يتخذُ عشه منه ، فيختلف ذلك على قدر ^(٧) اختلاف المواضع

(١) ط ، س : « فقال لها » .

(٢) كذا في ط ، س وثمار القلوب : ل : « عشي » .

(٣) الحين ، بالفتح : الهلاك . ط : « إذا جاء » صوابه في ل ، س .

(٤) انظر الحيوان (٤ : ٧٧ - ٨٠) .

(٥) أهبان هذا ، هو أحد الصحابة . زعموا أن الذئب كلمه ثم بشره بالرسول . قالوا : كان في غم له ، فعدا الذئب على شاة منها ، فصاح فيه أهبان ، فأقعى الذئب وقال له : أنتزع مني رزقا رزقنيه الله ! ! . وانظر بقية الخبر في ثمار القلوب ٣٠٩ . مات أهبان بن أوس في ولاية المغيرة بن شعبة حيث كان واليا عليها لمعاوية . وذكر ابن الكلبي وأبو عبيد والبلاذري والطبري ، أن مكلم الذئب صحابي آخر اسمه أهبان ابن الأكوخ . الإصابة ٣٠٥ .

(٦) ل : « بأقاويل » .

(٧) ل : « حسب » .

وعلى [قدر] اختلاف صور تلك القراميص والأفاحيص . وزعم أن المدهد من بينها يطلب الزبل ، حتى إذا وجده نقل منه ، كما تنقل الأرضة من التراب ، ويبني منه بيتاً ، كما تبنى الأرضة ، ويضع جزءاً على جزء^(١) ، فإذا طال مُكثه في ذلك البيت ، وفيه أيضاً ولد ، أوفى مثله^(٢) ، وتربي ريشه وبدنه^(٣) بتلك الرائحة ، فأخلق به^(٤) أيضاً أن يُورث ابنه^(٥) الدّثن الذي علّقَه ، كما أورث جدّه أباه ، وكما أورثه^(٦) أبوه . قال : ولذلك يكون منتناً .

وهذا وجه أن كان معلوماً أنّه لا يتخذ عشّه إلّا من الزّبل .
فأمّا ناسٌ كثير ، فيزعمون أن رُبّ بدنٍ يكون طيّب الرائحة ، كفأرة المسك التي ربّما كانت في البيوت . ومن ذلك ما يكون مُنّين البدن^(٧) ، كالذي يحكى عن الحيات والأفاعى والثعابين^(٨) ، ويوجد عليه الثبوس .

(١) كذا في ل . وفي س : « خرماء على خرم » ط : « خرم على خرم » .

(٢) ط ، س : « وفي مثله » ، صوابه في ل .

(٣) ط ، س : « تربى وبدنه ينمو » ، صوابه في ل .

(٤) ط ، س : « وأخلق » ؛ واللّوجه ما أثبت من ل . إذ هو جواب « إذا » .

(٥) ل : « يرث أباه » ، صوابه في ط ، س .

(٦) هذه الجملة ساقطة من ل .

(٧) « ما يكون » سقط من ل .

(٨) ل : كالذي يحكى عن الحيات « فقط » .

(اغتيولس)

وذكر صاحب المنطق أنَّ الطير الكبير ، الذي يسمى باليونانية اغتيولس^(١) ، يحكم عشه ويتقنه ، ويجعله مستديرًا مُدَاخِلًا كأنَّهُ كَرَّةٌ معمولة^(٢) . وروى^(٣) أنَّهم يزعمون أنَّ هذا الطائرَ يجلبُ الدَّارَصِينِيَّ من موضعه ، فيفرشُ به عشه ، ولا يعيش إلا في أعلى الشَّجَرِ^(٤) المرتفعةِ الموضع . قال : وربَّما عمدَ الناسُ إلى سهامٍ يشدُّونَ عليها^(٥) رَصَاصًا ، ثمَّ يرمون بها أعشها ، فيسقط عليهم الدَّارَصِينِيُّ ، فيلتقطونه^(٦) ويأخذونه .

(من زعم البحرين في الطير)

ويزعمُ البحريُّونَ أنَّ طائرَيْنِ يكونان ببلاد السُّفَالَةِ^(٧) ، أحدهما يظهر قبلَ قدوم السفن إليهم ، وقبل أن يُمكنَ البحرُ من نفسه ، لخروجهم في متاجرهم^(٨) فيقول الطائرُ : قُرب آمَدٌ^(٩) ، فيعلمون بذلك أنَّ الوقتَ قد دنا ، وأنَّ الإمكانَ قد قرب .

(١) ط ، س : « اغتيولس » .

(٢) هذه الكلمة ساقطة من ل .

(٣) ط ، س : « ورووا » وصوابه في ل .

(٤) ل : « الشجرة » .

(٥) ط ، س : « فيشدون بها » .

(٦) ل : « فليقتطونه » .

(٧) السفالة ، بالضم : آخر مدينة تعرف بأرض الزنج . ياقوت . ط ، س : « الصقالبة » ل : « السفالة » . والصواب ما أثبت .

(٨) ط ، س : « ومتاجرهم » صوابه في ل .

(٩) قرب : بالفارسية ، هي كلفظها العربي وبمعناها العربي . وآمد بالفارسية : بفتح الميم بمعنى الوصول والقُدوم . ل : « أرت آمَد » . وانظر مثيل هذا في كامل ابن الأثير (٩ : ١٧) في حوادث ٣٧٥ .

قالوا : ويحيى به طائر آخر ، وشكل آخر ، فيقول : سمارو^(١) . وذلك في وقت رجوع من قد غاب منهم ، فيسمون هذين الجنسين من الطير : قرب^(٢) ، وسمارو ، كأنهم سموهما بقولهما ، وتقطع أصواتهما ، كما سمّت للعرب ضرباً من الطير القطا ؛ لأن القطا كذلك تصيح^(٣) ، وتقطع أصواتها^(٤) قطعاً ، وكما سمو البيغاء بتقطع الصوت الذي ظهر منه^(٥) .
فيزعم أهل البحر أن ذينك الطائرين لا يطير أحدهما أبداً^(٦) إلا في إناث ، وأن الآخر لا يطير أبداً إلا في ذكورة .

(وفاء الشفنين)

وزعم لي بعض الأطباء ممن أصدق خبره ، أن الشفنين إذا هلك أنثاه^(٧) لم يتزوج وإن طال عليه التعزب . وإن هاج سفد^(٨) ولم يطلب الزواج .

(١) ط ، س : « سماروا » .

(٢) ل : فسموا هذين الجنسين من الطير بأرت » .

(٣) ل : « لأن ذلك الطائر كذلك يصيح » .

(٤) ل : « صوته » .

(٥) كذا جاءت بضمير المذكر . والبيغاء مؤنثة .

(٦) ل : « أن أحد ذينك الطائرين لا يطير أبداً » .

(٧) ط ، س : « امرأته » .

(٨) ط : « تسفد » تحريف ماق ل ، س .

(من عجائب الطير)

وحكوا أنَّ عندهم طائرَين ، أحدهما وافي الجناحين وهو لم يطِر قطّ ،
والآخر وافي الجناحين ، ولكنه من لدُنْ ينهض للطيران فلا يزال يطيرُ ويقتات
[من ^(١)] الفراش وأشباه الفراش ، وأنّه لا يسقط إلّا ميّتاً . إلّا أنّهم ذكروا
أنّه قصير العمر .

(كلام في قول أرسطو)

ولست أدفع خبرَ صاحب المنطق عن صاحب الدارصيني ^(٢) ، وإن
كنت لا أعرف الوجهَ في أنّ طائراً ينهض من وكرة في الجبال ^(٣) ، أو بفارسَ
أو باليمن ، فيؤمُّ ويعمد نحوَ بلاد الدارصيني ^(٤) ، وهو لم يجاوز موضعه ولا
قربَ منه . وليس يخلو هذا الطائرُ من أن يكون من الأوابد [أو من
القواطع ^(٥)] . وإن كان من القواطع فكيف يقطع الصّحّصانَ الأملس ^(٦)

(١) من ل ، س . وانظر ما سبق من الكلام على هذا الطير ص ٢٣٤ .

(٢) ط ، س : « عن خبر صاحب الدارصيني » ، وكلمة « خبر » مقحمة .

(٣) الجبال : اسم للإقليم الذي يمتد ما بين أصبهان إلى زنجان وقزوین وهمدان والدينور
وقرميسين والرى . عن ياقوت .

(٤) هو شجر هندي يكون بتخوم الصين ينتفع بقرشه ذى الرائحة العطرية . ولفظه
معرب من « دارجيني » الفارسية .

(٥) ليست بالأصل .

(٦) الصّحّصان : البرية الواسعة .

١٦٣ وبطون الأودية ، وأهضام الجبال ^(١) بالتدويم في الأجواء ، وبالمضى على السمّت ، لطلب ما لم يره ولم يشمه ولم يذقه . وأخرى فإنه لا يجلب منه بمنقاره ورجليه ^(٢) ، ما يصير فراشاً له ومهاداً ، إلا باختلاف الطويل ^(٣) . و [بعد فإنه] ليس بالوطىء الوثير ^(٤) ، ولا هو له بطعام .
فأنا وإن كنت لا أعرفُ العلةَ [بعينها] فلست أنكر الأمورَ من هذه الجهة . فاذكرُ هذا ^(٥) .

(قول أبي الشيص في المهدد)

وقال أبو الشيص في المهدد ^(٦) :

لا تأمننَّ على سرِّي وسرِّكمْ غبرى وغيرك أوطى القراطيس ^(٧)
أو طائرٍ ساحليهِ وأنعته مازال صاحب تنقير وتدسيس ^(٨)

- (١) أهضام الجبال : ما دنا إلى السهل من أصلها . في الأصل : « أهضاب » ، ولا تصح . والكلام من « ولا قرب » إلى هنا ساقط من ل .
- (٢) ل : « وبعده فهو لا يجلب بمنقاره ورجليه » .
- (٣) ل : « باختلاف طويل » .
- (٤) هذه الكلمة ساقطة من ل .
- (٥) ط ، س : « فأنكر هذا » صوابه في ل .
- (٦) الأبيات في نهاية الأرب (١٠ : ٢٤٨) والدميرى وعيون الأخبار (١ : ٤١) والمختار من شعر بشار ١٥٧ .
- (٧) أى وغير طى القراطيس .
- (٨) في الأصل وعيون الأخبار : « أو طائر » ؛ وبها يفسد إعراب البيت الآتى . وأثبت ما في نهاية الأرب والدميرى . ساحليه ، بالخاء : سأنعته . وهذه الرواية أوفق من رواية ل والدميرى ونهاية الأرب : « ساجليه » . والتدسيس : الدس والإدخال ، يدخل بمنقاره في الأرض بحثاً عن قوته . في الأصل : « تأسيس » ، وصوابه في النهاية . وفي الدميرى : « تدريس » !

سودٍ برائنه ، ميلٍ ذوائبه صُفر حمالقه ، في الحسنِ مغمُوس^(١)
قد كانَ همَّ سليمانَ ليدبَّحه لولا سِعايته في ملك بلقيس^(٢)
وقد قدَّمنا في هذا الكتاب في تضاعيفه^(٣) ، عدَّة مقطَّعات في أخبار
الهدهد^(٤) .

باب

القول في الرخم

[و] يقال : إنَّ لثامَ الطير ثلاثة : الغريبان ، والبوم ، والرَّخَم .

(أسطورة الرخم)

ويقال : إنَّه قيل للرَّخمة : ما أحملك ! قالت : وما حُمتي ، وأنا أقطُّعُ
في أوَّلِ القواطع ، وأزجِع في أوَّلِ الرُّواجِع ، ولا أطيِر في التَّحسير^(٥) ،

(١) برائنه : أظفاره . ذوائبه : ريش تاجه . حمالقه : جفونه .

(٢) ل : « لولا سياسته » .

(٣) في ط ، س : « تضاعفه » .

(٤) الكلام من « وقد قدَّمنا » ساقط من ل . وانظر ما سبق في (١ : ٢٤٨) .

(٥) س : « ولا أطيِر إلا في التَّخيير » ، وصوابه في ط والجزء السابع ١٩ ولشال
الميداني . والتَّحسير : سقوط ريش الطائر .

ولا أغتر بالشكير^(١) ، ولا أسقط على الجفير^(٢) .

وقد ذكرنا تفسير هذا^(٣) : وقال الكميت :

إِذْ قِيلَ يَا رَحِمَ انطقي في الطير ، إِنَّكَ شَرُّ طَائِرٍ^(٤)

(بعض ملوك المعجم والجُلندى الأزدي)

وقال أبو الحسن المدائني : أَمَر بعضُ ملوك المعجمِ الجُلندى بنَ

عبد العزيز الأزدي ، وكان يقال له في الجاهلية عرجدة^(٥) ، فقال له :

صَيْدَ لِي شَرَّ الطير ، واشوهِ بشرَّ الخطب ، وأطعمهُ شَرَّ الناس . فصَادَ رَحْمَةً

وشوَاهَا بَيْعَر ، وقرَّبَهَا إلى خوزي^(٦) . فقال له الخوزي^(٧) : أَخْطَأْتُ

(١) الشكير : أول ما ينبت من الريش . أى لا يفرها الشكير فتطير حين ظهوره ، بل تنتظر حتى يصير قصبا . ط : « بالتكبير » س : « بالتكبير » صوابه في الجزء السابع ونهاية الأرب (١٠ : ٢٠٨) وأمثال الميداني (١ : ٢٠٦) .

(٢) الجفير : جمعة السهام . ط : « الحقير » صوابه في ل ، والجزء السابع وأمثال الميداني . وهى لا تسقط على الجمعة لعلها أن فيها سهاما .

(٣) انظر الجزء السابع ١٩ — ٢٠ . والكلام من أول الفقرة إلى هنا ساقط من ل .

(٤) ط ، س : « إن قيل » . والبيت يشير إلى المثل : « أنطق يارحيم فإنك من طير الله » ، يضرب للرجل الذى لا يلتفت إليه ولا يسمع منه . أصله أن الطير صاحت فصاحت الرحمة ، فقيل لها هزأ بها : إنك من طير الله فانطق ! انظر الديميرى .

(٥) ل : « عجدة » . وفي الإصابة ١٢٩٢ : « عبد جل » . والجُلندى بضم أوله وفتح اللام وسكون النون وفتح الدال ، كان ملك عمان . وأرسل إليه الرسول عمرو بن العاص ليدعوه إلى الدين فأسلم .

(٦) الخوزى : نسبة إلى خوزستان ، وهى بلاد بين فارس والبصرة وواسط وجبال اللور المجاورة لأصبهان ، كما فى معجم البلدان . قال ياقوت : « والخوز الأئمة الناس وأسقطهم نفعا » . ط ، س : « خوزى » ل : « حوفى » وصوابه ما أثبت .

(٧) ط ، س : « الخوزى » ، ل : « الخوزى » . وانظر التنبيه السابق وصفحة ١٦٤ .

في كلِّ شيء أمرك به الملك : ليس الرِّخمةُ شرَّ الطير ، وليس البعرةُ شرَّ الحطَب ، وليس الخوزيُّ شرَّ الناس . ولكن اذهب فصيد بومة^(١) ، واشوها بدفلى^(٢) ، وأطعمها نبطياً ولدَ زنى . ففعل ، وأتى الملك فأخبره ، فقال : ليس يُحتَاجُ إلى ولدِ زنى ! يكفيه أن يكون نبطياً^(٣) !

(الغراب والرخمة)

والغراب يقوى على الرِّخمة ، والرخمة أعظم من الغراب وأشدُّ . والرِّخمة نلتمس لبيضها المواضع البعيدة ، والأماكن الوحشية ، والجبال الشاخنة ، وصدوع الصَّخر . فلذلك يقال في بيض الأنوق ما يقال .

(ما قيل في بيض الأنوق)

وقال عتبة بن شماس^(٤) :

إِنَّ أَوْلَى بِالْحَقِّ فِي كُلِّ حَقٍّ ثُمَّ أَوْلَى بَأْنُ يَكُونُ حَقِيقاً^(٥) ١٦٤

(١) ط ، س : « ولكن صد له بومة » .

(٢) الدفلى - كذا كرى : ثبت مر قتال . *

(٣) جاءت هذه القصة على الوضع الآتي في معجم البلدان : « روى أن كسرى كتب إلى بعض عماله : ابعث لى بشر طعام على شر الدواب مع شر الناس . فبعث إليه برأس سمكة مألحة على حمار مع خوزى » .

(٤) كذا في س والكامل ٣٩٩ ليسك والعقد (٣ : ٣٩٣) . وفي ل : « عبيثة بن أسماء » وكتب

بعدها بخط صغير « أخرى : عتيبة بن شماس » . ط : « عتيبة بن شماس » .

(٥) وكذا في سيرة عمر بن عبد العزيز ٨ . ورواية الكامل والعقد : « ثم أخرى » .

مَنْ أَبَوْهُ عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنُ مَرْوَانَ وَمَنْ كَانَ جَدُّهُ الْفَارُوقَ^(١)
 رَدَّ أَمْوَالَنَا عَلَيْنَا وَكَانَتْ فِي ذُرَى شَاهِقٍ تَفُوتُ الْأَنْوَقَ^(٢)
 وَطَلَبَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ الْفَرِيضَةَ مِنْ مَعَاوِيَةَ فَجَادَ لَهُ بِهَا^(٣) ، فَسَأَلَ^(٤)
 ثَوْلَدِيهِ ، فَأَبَى ، فَسَأَلَ لَعَشِيرَتِهِ ، فَقَالَ مَعَاوِيَةُ :
 حَلَبَ الْأَبْلَقَ الْعَقُوقَ ، فَلَمَّا لَمْ يَجِدْهُ أَرَادَ بَيْضَ الْأَنْوَقِ^(٥)
 وَلَيْسَ يَكُونُ الْعَقُوقُ إِلَّا مِنَ الْإِنَاثِ ، فَإِذَا كَانَتْ مِنَ الْبُلُقِ كَانَتْ
 بِلِقَاءِ . وَ [إِنَّمَا^(٦)] هَذَا كَقَوْلِهِمْ : « زَلٌّ فِي سَلَى جَمَلٍ^(٧) » ، وَالْجَمَلُ لَا يَكُونُ
 لَهُ سَلَى^(٨) .

- (١) يقول هذا الشعر في عمر بن عبد العزيز بن مروان . ووالدة عمر هي أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب . وهذا البيت مع أبيات أخرى من القصيدة وبدون نسبة في كتاب البغال ٢٨٦ من رسائل الجاحظ .
- (٢) ط ، س : « رد أموالنا إلينا » . وفي ل ، س : « تفوق الأنوق » . ويروي : « يفوت » التأنيث للذرى ، والتذكير للشاهق .
- (٣) « فجاد له بها » ساقط من ل . والخبر برواية أخرى في الإصابة ١٠٩٨ .
- (٤) ط : « فقال » تحريف . س : « فسأله » ، وأثبت ما في ل .
- (٥) ط ، والكامل والشرطي (٢ : ٢٠٤) : « لم ينله » . وقد وضع البيت في ط وضع النثر خطأ . والأبلى من صفات ذكور الخيل ، وهو ما ارتفع التحجيل فيه إلى فخذيه . والمعقوق : من صفات إناثها ، وهي الحامل التي امتلأ بطنها . والأنوق : هي الرخة . وانظر ما سبق من الكلام على الأنوق في (١ : ٢٣٥) .
- (٦) من ل ، س .
- (٧) السلى : ما تلقى الناقة إذا وضعت : وهي جليلة رقيقة يكون فيها الولد . والمثل يضرب في بلوغ الشدة منتهى غايتها ، أي وقع في شر لا مثيل له . زل : زلق . ولفظ المفل في الميداني واللسان : « وقع القوم في سلى جمل » . ويقال : « وقع في سلى جمل » . وفي القاموس : « وقعوا في سلى جمل » .
- (٨) كتبت هذه الكلمة في الأصل في الموضوعين بالألف . وصواب كتابتها بالياء .

وقد يرون بيض الأنوق ، ولكن ذلك قليلاً^(١) ما يكون ، وأقل من القليل ؛ لأن بيضها في المواضع الممتعة ، وليست فيها منافع فيتعرض في طلبها^(٢) للمكرورة .

وأنا أظن أن معاوية لم يقل كما قالوا ، ولكنه قدم في اللفظ بيض الأنوق ، فقال : « طلب بيض الأنوق ، فلما لم يجده طلب الأبلق العقوق » .

(ما يسمى بالهدهد)

وأما قول ابن أحر :

يمشى بأوظفةٍ شديدةٍ أسرها شم السنايك لا تقى بالجدجد^(٣)
إذ صبَّحتَه طاوياً ذا شرةٍ وفؤاده زجل كعزف الهدهد^(٤)

(١) ط : « قليل » .

(٢) ط ، س : « طلبه » ، صوابه في ل .

(٣) ط ، س واللسان (وق) : « تمشى » صوابه في ل . الأوظفة : جمع وظيف ، وهو ما فوق الرسغ إلى مفصل السلق . شم : عاليات . والسنايك : طرف الحافر وجانباه من قدام . ويقال : وق الحافر يق وقياً ، من باب رمى : حنى ورق من غلظ الأرض . وقيل : لائق بالجدجد : لا تتوقاه ولا تنبيهه . والجدجد ، بفتح الجيمين : الأرض الصلبة . ط : « رثم السنايك » صوابه في ل ، س واللسان (وق) . وروى : « صم » كما في اللسان (جدد) . ط : « لا ينى » س : « لا تنى » ، صوابه في ل واللسان في موضعيه .

(٤) ط : « قد أصحبتَه طائراً » س : « قد صبحته طائراً » ، وأثبت ما في ل . وفي اللسان : « ثم اقتحمت مناجدا ولزمته » . زجل : له صوت . ط : « رجل » محرف . والعزف : الصوت . ط ، س : « كعزف » ل : « كعرق » محرفتان عما أثبت من الحيوان (٧ : ٢٦٠) واللسان (هدد) .

فقد يكون ألا يكون غنى بهذا الهدهد^(١) ، لأنَّ ذكورة الحمام وكلَّ شيء غنى^(٢) من الطير وهدر ودعا ، فهو هُدْهُد . ومن روى « كَعَزَفِ الْهَدْهِدِ » فليس من هذا في شيء^(٣) .

وقد قال الشاعر في صفة الحمام :

وإذا استَشَرْنَ أَرْنَ فيها هدهدٌ مثلُ المداكِ خضبتَه بِجَسَادِ^(٤)

(قصة في ميل بعض النساء إلى المال)

وخطب رجلٌ جميلٌ امرأةً ، وخطبها [معه] رجلٌ ذميمٌ^(٥) فتزوَّجت الدَّمِيمُ^(٦) لِماله ، وتركته ، فقال^(٧) :

(١) كذا على الصواب في ل . ط : « فقد يكون ألا أن يكون عنا هذا الهدهد » ، س : « فقد يكون إلا غنا إلا يكون غنا هذا الهدهد » .

(٢) ط ، س : « غنا » ، صوابه في ل .

(٣) الكلام من مبدل : « ومن روى » ساقط من ل . والعبارة في أصلها : « ومن أراد كمر ف » . الخ . والصواب فيها ما أثبت . وهذه الرواية مثبتة في اللسان (هدد) . قال في تفسيرها : « والهدهد قيل في تفسيره : أصوات الجن . ولا واحد له »

وفي القاموس عند الكلام على الهدهد : « وبفتحتين : أصوات الجن ، بلا واحد » .

(٤) استشارت : لبست حسنا وسمنا . والمداك ، بالفتح : حجر يسحق به الطيب . ط ، س : « المداك » صوابه في ل . والجساد ، بالكسر : الزعفران . جملة كالمداك في ملاسته وصلابته .

(٥) الدميم : القبيح . ط : « ذميم » صوابه في ل ، س .

(٦) ط : « الدميم » صوابه في ل ، س .

(٧) الشعر منسوب في حياة الحيوان ، إلى الأخطل يصف جارية وبعلمها . والبيتان في الكامل ٢٧٢ ليساك .

أَلَا يَا عِبَادَ اللَّهِ مَا تَأْمُرُونَنِي بِأَحْسَنِ مَنْ صَلَّى وَأَقْبَحِهِمْ بَعْلًا
يَدِبُّ عَلَى أَحْشَائِهَا كُلِّ لَيْلَةٍ دَبِيبَ الْقَرْنَبِيِّ بَاتَ يَقْرُو نَقًّا سَهْلًا^(١)

(ما يطلب العذرة)

والأجناس التي تريد العذرة وتطلبها كثيرة ، كالخنازير ، والدجاج
والكلاب ، والجراد ، وغير ذلك . ولكنها لا تبلغ مبلغ^(٢) الجعل والرحمة .

(بعض ما يأكل الأعراب من الحيوان)

وقال ابن أبي كريمة : كنتُ عند أبي مالك عمرو بن كِرْكِرَةَ^(٣) ،
وعنده أعرابيٌّ ، فجرى ذكر القَرْنَبِيِّ . قال : فقلت له : أتعرف القَرْنَبِيَّ ؟

(١) القَرْنَبِي : دويبة على هيئة الخنفس منقطة الظهر ، وفي قوائمها طول على الخنفس . وهو
مذكر ، ألفه للإلحاق لا للتأنيث . يَقْرُو : يسير متبعاً . ط ، س ، والدميري :
« يعملو » .

(٢) ل : « بلغ » ، صوابه في ط ، س .

(٣) كذا على الصواب في ل . وفي ط ، س : « عمر » . وقد ترجم له ياقوت
في معجم الأدباء (١٦ : ١٣١ ، ١٣٢) ونقل عنه السيوطي في بغية الوعاة
قال : كان يعلم في البادية ، وورق في الحضرة . ويقال : إنه كان يحفظ لغة العرب
قال أبو الطيب اللغوي : كان ابن منذر يقول : كان الأصمعي يجيب في ثلث اللغة ،
وأبو عبيدة في نصفها ، وأبو زيد في ثلثها ، وأبو مالك فيها كلها . وإنما عني
توسيعهم في الرواية والفتيا ؛ لأن الأصمعي كان يضيق ولا يجوز إلا أصح اللغات .
وقد جلس إليه الجاحظ كما في البيان (٤ : ٢٣) . ط ، س : « عمر
ابن كركرة » ، صوابه في ل والقاموس والمراجع المتقدمة .

قال : وما لي لا أعرف القرنبي ؟ ! فوالله لربما لم يكن غَدائِي (١) إلا القرنبي يُحْسَحَسُ لِي (٢) . قال : فقلت [له] : إنها دويبة تأكل العذرة . قال : ودجاجكم تأكل (٣) العذرة !

١٦٥ [وقال] : قال بعض المدنيين لبعض الأعراب : [أ] تأكلون الحيات والعقارب والجعلان والخنافس (٤) ؟ فقال : نأكل كلَّ شيءٍ إلا أمَّ حُبِين . [قال] : فقال المدني : « لتَهْنِ أمَّ الحُبِينِ العافية (٥) » .

قال : وحدثنا ابن جريج (٦) ، عن ابن شهاب (٧) ، عن عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة ، عن ابن عباس ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من الدوابِّ أربعٌ لا يُقتلن : النملة ، والنحلة ، والضرد ، والهدهد » .

القول في الخفاش

فأول ذلك أن الخفاش طائر ، وهو مع أنه طائرٌ من عَرَضِ الطير فإنه شديد الطيران ، كثير التكفّي في الهواء ، سريع التقلب فيه ، ولا

(١) الغداء ، بالفتح : الأكل أول النهار . ط ، ل : « غَدائي » وأثبت ما في س .

(٢) يحسحس : يوضع على الجمر . ط : « يحشش » محرف يحشش التي هي بمعنى : « يحسحس » . س : « تحشش في في » ، وله وجه .

(٣) ط : « يأكل » ، وهما صحيحتان .

(٤) كذا على الوجه في ل . وفي ط ، س : « الخنفساء » .

(٥) أم حبين : دويبة على قدر الكف تشبه الضب . وانظر (١٤٣ : ٥) .

(٦) ط : « وأخبرنا ابن جريج » . وابن جريج هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج القرشي ، قالوا : أول من صنف الكتب في الإسلام . ولد سنة ٨٠ وتوفي سنة ١٥٠ . في قول الجاحظ نظر .

(٧) هو محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب الزهري ، المتوفى سنة ١٢٥ .

يجوز أن يكون طعمه إلا من البعوض ، وقوته إلا من الفراش^(١) [وأشباه
الفراش] ، ثم لا يصيده إلا في وقت طيرانه في الهواء ، وفي وقت سلطانه ،
لأن البعوض إنما يتسلط بالليل . ولا^(٢) يجوز أن يباغ ذلك إلا بسرعة
اختطاف واختلاس ، وشدة طيران ، ولين أعطاف وشدة متن ، وحسن
تأنت ، ورفق في الصيد^(٣) . وهو مع ذلك كله^(٤) ليس بذى ريش ، [و] إنما
هو لحم وجلد . فطيرانه بلا ريش عجب ، وكلما كان أشد كان أعجب .

(من أعاجيب الخفاش)

ومن أعاجيبه أنه لا يطير في ضوء ولا في ظلمة . وهو طائر ضعيف
قوى البصر ، قليل شعاع العين الفاصل^(٥) من الناظر . ولذلك لا يظهر
في الظلمة ؛ لأنها تكون غامرة لضياء بصره ، غالبية لمقدار [قوى] شعاع
ناظره . ولا يظهر نهاراً ؛ لأن بصره ليضعف ناظره يلتمع في شدة بياض
النهار^(٦) . ولأن الشيء المتلائي ضار لعيون^(٧) الموصوفين بمحنة البصر ،

(١) ل : « وطعمه من البعوض وقوته من الفراش » .

(٢) ل : « فلا » .

(٣) التأني : الترفق . س : « تأني » ط : « تأني » ل : « التأني » ، ووجهه

ما أثبت . ل : « إلا بسرعة الاختطاف والاختلاس ، وشدة الطيران ، ولين
الأعطاف ، وشدة المتن ، وحسن التأني والرفق في الصيد » .

(٤) ل : « وهو في ذلك » .

(٥) ل : « الفاضل » ، تحريف .

(٦) ط ، س : « يضعف ناظره ويلتمع في شدة ضوء النهار » ، وصوابه من ل .

(٧) ط ، س : « بعيون » ، وما أثبت من ل أوجه ؛ تفاديا من تكرار الباء .

ولأنَّ شعاعَ الشمسِ بمخالفة^(١) مخرج أصوله وذهابه ، يكون رادعاً لشعاع
ناظره ، ومفرقاً^(٢) له . فهو لا يبصر ليلاً ولا نهاراً . فلما علم ذلك واحتاج
إلى الكسْب والطَّعم ، التمس الوقتَ الذى لا يكون فيه من الظلام ما يكون
غامراً قاهراً ، وعالياً غالباً . ولا من الضياء ما يكون مُعْشياً^(٣) رادعاً ، ومفرقاً
قامعاً^(٤) . فالتمسَ ذلك فى وقت غروب القرص ، وبقيّة الشَّفَق ؛ لأنَّه
وقت^(٥) هَيْجِ البعوضِ وأشباهِ البعوض ، وارتفاعها^(٦) فى الهواء ، ووقت
انتشارها فى طلبِ أرزاقها^(٧) . فالبَّعوض يخرج للطَّعم ، وطعمه دماء الحيوان ؛
وتخرج الخفافيش^(٨) لطلب الطَّعم ، فيقعُ طالبُ رزق على طالب رزق ،
فيصير ذلك هو رزقه^(٩) . وهذا أيضاً ممَّا جعل الله فى الخفافيش^(١٠)
من الأعاجيب .

(١) ل : « مخالفة » .

(٢) ط : « ومفرقا » س : « ومفرقة » ، صوابه من ل .

(٣) ل : « ولأن من الضياء » ، محرف . ط : « ما يكون مغشياً » ، صوابه
فى ل ، س .

(٤) ط : « ومفرقا » ، صوابه فى ل ، س . و « قامعا » هى فى ط ، س :
« مانعا » ، والأشبه ما أثبت من ل .

(٥) ط ، س : « لأنه فى وقت » ، صوابه فى ل .

(٦) ط ، س ، « وهو وقت ارتفاعها » .

(٧) ط ، س : « وطلب أرزاقها » .

(٨) ط ، س : « الخفافيش » ، صوابه فى ل .

(٩) ل : « مرزقه » .

(١٠) ط ، س : « الخفاش » .

(علاقة الأذن بنتاج الحيوان)

ويزعمون أن السك^(١) الآذان والمسوحة ، من جميع الحيوان ، ١٦٦
أنها تبيضُ ببيضاً ، وأنَّ كلَّ أشرف [الآذان] فهو يلد ولا يبيض .
ولا ندرى لِمَ [كان] الحيوان إذا كان أشرفُ الآذان^(٢) [ولَد] ، وإذا
كان ممسوحاً باض .

ولآذان الخفافيش حجْمُ ظاهر ، وشخوص^(٣) بين . و [هى و] إن
كانت من الطير فإنَّ هذا لها ، وهى^(٤) تحبل وتلد ، وتمحض ، وترضع .

(ما يحيض من الحيوان)

والناس يتقززون^(٥) من الأرنب والضباع ؛ لمكان الحيض .
وقد زعم صاحب المنطق أنَّ ذوات الأربع كلها تحيضُ ، على اختلاف
في القلَّة والكثرة^(٦) .

(١) السك : جمع أسك : وهو الذى صغرت أذنه ولصقت برأسه .

(٢) الأشرف الآذان : الطويلة . ل : « الأذن » .

(٣) شخوص : ارتفاع . ط ، س : « شخص » .

(٤) ط : « فهى » ، صوابه فى ل ، س .

(٥) ط : « يتقزرون » . والتقذر : أن يرى الشيء قدراً ، يقال تقذره لا تقذر منه .

فالصواب « يتقززون » . كما أثبت من ل ، س .

(٦) ط ، س : « على اختلاف أجناسها » .

[والزَّمان] ، والحمرة والصفرة ، والرقَّة والغلظ . قال : ويبلغ من ضنِّ أنثى الخفافيش بولدها ومن خوفها عليه ، أنها تحمله تحت جناحها ، وربَّما قبضت عليه بفيها ، وربَّما أرضعته وهي تطير ، وتقوى من ذلك ، ويقوى ولدها على مالا يقوى عليه الحمام والشَّاهمُرك^(١) ، وسباع الطير .

(معارف في الخفافش)

وقال معمرٌ أبو الأشعث : ربَّما أتامت الخفافيش^(٢) فتحمل معها الولدين جميعاً ، فإنَّ عظمًا عاقبت بينهما .

والخفَّاش من الطَّير ، وليس له منقار مخروط^(٣) ، وله فمٌ فيما بين مناسر السِّباع^(٤) وأفواه البوم . وفيه أسنانٌ حديد صلاب [مرصوفة^(٥)] من أطراف الحنك ، إلى أصول الفك ، إلا ما كان في نفس الخطم^(٦) .

وإذا قبضت على الفرخ وعَضَّتْ عليه لتطير به ، عرفت ذرَب^(٧) أسنانها ، فعرفت أيَّ نوعٍ ينبغي أن يكون ذلك العض ، فتجعله أزمًا ،

(١) الشاهمرك سبق تفسيره في ص ٣٣٦ .

(٢) أتامت : ولدت اثنين في بطن واحد . ط ، س : « أرتمات » ، صوابه في ل .

(٣) ط : « مخروطة » ، تصحيحه من ل ، س .

(٤) المراد : سباع الطير . والمناسر : جمع منسر ، كمجلس ومنبر ، وهو المنقار .

(٥) في الأصل ، وهو هنا ل : « موصوفة » ، ولعل صوابه ما أثبت .

(٦) ط ، س : « إلا ما كان من نفس الفك الخطم » .

(٧) الذرب : الحدة . ط ، س : « درب » ، صوابه في ل .

ولا تجعله عضاً ولا تنيباً ولا ضغماً^(١) ، كما تفعل الهرة بولدها ؛ فإنها مع ذرب أنيابها ، وحدة أظفارها ودققتها^(٢) ، لا تحدش^(٣) لها جلداً ؛ إلا أنها تمسكها ضرباً من الإمساك ، وتأزم عليها^(٤) ضرباً من الأزم قد عرفتته .
ولكل شئ حد به يصلح ، وبمجاوزته والتقصير دونه يفسد .

وقد نرى الطائر يغوص في الماء نهاره ، ثم يخرج منه كالشعرة سللتها من العجين ، غير مبتل الریش ، ولا لثقي الجناحين . ولو أن أرقق الناس رفقاً ، رهن على أن يغمس طائراً منها في الماء غمسة واحدة ثم خلى سربه^(٥) ليكون هو الخارج منه ، لخرج وهو متعجن^(٦) الریش ، مفسد النظم^(٧) ، منقوص^(٨) التأليف . ولكان أجود ما يكون طيراناً أن يكون كالجادف^(٩) . فهنا أيضاً من أعاجيب الخفاش .

(١) الأزم : القبض بجميع القم . والتنيب : العض بالناب . والضغم : العض الشديد . ط ، س : « ولا نشباً ضغطياً » س : « ولا نشباً ضغطاً » ، ووجه ما أثبت من ل .

(٢) ل : « وحدة أطرافها » ، صوابه في ط ، س . ط ، س : « ورقتها » صوابه في ل .

(٣) ط : « تندش » ، صوابه في ل ، س .

(٤) عليها : أى على ولدها . والمراد بالولد هنا الجمع . في المصباح : « والولد بفتحيتين كل ما ولده شئ » . ويطلق على الذكر والأنثى ، والمنثى والمجموع . ط ، س : « عليه » ، صوابه في ل . ط ، س : « لأنها تمسكها » الخ ، صوابه في ل .

(٥) السرب : الطريق . ط : « حلى سرتها » س : « خلى سربها » ، صوابه في ل .

(٦) ط ، س : « متعجن » .

(٧) ط ، س : « النظر » ، صوابه في ل .

(٨) ط : « منقوص » محرف .

(٩) الجادف : الذى يطير وهو مقصوص الجناحين . ط ، س : « كالجادف » ، محرف .

(من أعاجيب الخفافيش)

ومن أعاجيبها تركها ذرى الجبال وبسيط الفياق^(١) ، وأقلاب النخل ،
وأعلى الأغصان ، ودغل^(٢) [الغياض و] الرياض ، وصُدوع^(٣) الصخر ،
وجزائر البحر ، ومجيئها تطلب مساكن الناس وقربهم ، ثم إذا صارت^(٤) إلى
بيوتهم وقربهم ، قصدت إلى أرفع مكان وأحصنه ، وإلى أبعد المواضع من
مواضع الاجتياز^(٥) ، وأعراض الحوائج .

(طول عمر الخفاش)

ثمَّ الخفَّاشُ بعد ذلك من الحيوان الموصوف بطول العمر ، حتى يجوز
١٦٧ في ذلك^(٦) العقاب والورشان إلى النسر ، ويجوز^(٧) حد الفيلة والأسد وحمير
الوحش ، إلى أعمار الحيات .

(١) ط ، س : « ومن أعاجيبها تركه ذروة الجبال » ، ل : « ومن أعاجيبه تركه
ذرى الجبال » ، كلاهما محرف ، ووجهته بما ترى . والبسيط : المنبسط الفسيح . ط :
« وتبسط » صوابه في ل ، س .

(٢) الدغل ، بالتحريك : الشجر الملتف . س : « ودخل » ، وهى صحيحة بضبط
الأولى ومعناها .

(٣) ط : « وصدع » ، وتصحيحه من ل ، س .

(٤) ط : « أصات » ، صوابه في ل ، س .

(٥) ط ، س : « أاختبار » ، صوابه في ل .

(٦) ل : « حتى تجوز حد » .

(٧) ل : « ويجوز » .

ومن أعاجيب الخفافيش ^(١) أن أبصارها تصلح على طول العمر ، ولها صبر ^(٢) على [طول] فقد الطعم . فيقال ^(٣) إن اللواتي يظهرن في القمر ^(٤) من الخفافيش المسنآت المعمرات ، وإن أولادهن إذا بلغن لم تقو أبصارهن على ضياء القمر .

ومن أعاجيبها أنها تضخم وتجسم وتقبل الشحم ^(٥) على الكبر وعلى السن .

(القدرة التناسلية لدى بعض الحيوان)

وقد زعم صاحب المنطق أن الكلاب السلوقية كلما دخلت في السن كان أقوى لها على المعاظلة .

وهذا غريب جدا ، وقد علمنا أن الغلام أحد ما يكون وأشبق وأنكح وأحرص ، عند أول بلوغه . ثم لا يزال كذلك حتى يقطعه الكبر [أو إصفاء] أو تعرض له آفة ^(٦) .

ولا تزال الجارية من لدن إدراكها وبلوغها وحركة ^(٧) شهوتها على شبيه بمقدار واحد من ضعف الإرادة . وكذلك عامتهن ^(٨) . فإذا اكتهلن

(١) ط ، س : « الخفاش » .

(٢) ط ، س : « والصبر » .

(٣) ط : « فتقول » س : « فنقول » ، صوابه في ل .

(٤) ل : « العمر » ، صوابه في ط ، س .

(٥) ل : « اللحم » .

(٦) ل : « حتى يعطفه الكبر » . والإصفاء : نفاد الماء . وكلمة « له » ساقطة من ل .

(٧) ط ، س : « وحدة » صوابه في ل .

(٨) ل : « علامتهن » ، وتصحيحه من ط ، س .

وبلغت المرأة حَدَّ النَّصْفِ^(١) فعند ذلك يقوى عليها سلطان الشهوة والحرص على الباه ؛ فإِثْمًا تهيج الكهلة عند سُكُونِ هَيْجِ الكهل^(٢) وعند إِدْبَارِ شهوته ، وكلالِ حَدِّه .

(قول النساء وأشباههنَّ في الخفافيش)

وأما قول النساء وأشباه النساء في الخفافيش ، فإنهم يزعمون أن الخفاش إذا عضَّ الصبيَّ لم ينزع سنُّه من لحمه حتى يسمع نقيقَ حمارٍ وحشيٍّ^(٣) . فما أنسى فزعى من سنٍّ^(٤) الخفاش ، ووَحْشَتِي من قربه ! إيماناً بذلك القول ، إلى أن بلغت .

وللنساء وأشباه النساء في هذا وشبهه خرافاتٌ ، عسى أن نذكر منها شيئاً إذا بلغنا إلى موضعه [إن شاء الله] .

(ضيف البصر لدى بعض الحيوان)

ومن الطير [و] ذوات الأربع ما يكون فاقد^(٥) البصر بالليل ، ومنها ما يكون سيئ البصر . فأما [قولهم] : إِنَّ النَّارَةَ وَالسَّنَّوْرَ وَأَشْيَاءَ آخَرَ أَبْصُرُ بِاللَّيْلِ ، فهذا باطل^(٦) .

(١) النصف ، بالتحريك : ما بين الشابة والكهلة ، ويقدر عمرها بخمس وأربعين سنة .

(٢) الكهلة ، هي في ط ، س : « الشهوة » ، والوجه ما أثبت من ل . « هيج » هي في ط : « تهيج » .

(٣) ل : « حمار وحش » ، وهما وجهان صحيحان .

(٤) ل : « من مس » ، وأثبت ما في ط ، س .

(٥) كذا على الصواب في س . وفي ط : « ناقد » وفي ل : « نافذ » . وانظر سياق الكلام .

(٦) ليس يناقض هذا القول ما سبق في ٢٣٧ من ١٣ .

والإنسان ردى البصر بالليل ، والذي لا يبصر منهم ^(١) بالليل تسميه الفرس
شَبْ كُور ^(٢) وتأويله أنه أعمى ليل ^(٣) ، وليس له في لغة العرب اسم
أكثر من أنه يقال لمن لا يبصر بالليل [بعينه] : هَدِيد ^(٤) . ما سمعت
إلا بهذا ؛ فأما الأغطش ^(٥) فإنه للشيء البصر بالليل والنهار جميعاً .

وإذا كانت المرأة مُغْرَبَةً الْعَيْنِ ^(٦) فكانت رديّة البصر ، قيل لها : جَهْرَاءُ .
وأنشد الأصمعي في الشاء ^(٧) :

جَهْرَاءُ لَا تَأَلُو إِذَا هِيَ أَظْهَرَتْ بَصَرًا وَلَا مِنْ عَيْلَةٍ تُغْنِي ^(٨)

(١) هذه ساقطة من ل .

(٢) هذه الكلمة مكونة من مقطعين « أوطما » « شَب » بفتح الشين ومعناه الليل .
والآخر : « كور » بضم الكاف ، ومعناه الأعمى . عن معجم Palmer ،
والألفاظ الفارسية ٩٨ . ط : « بشكور » س : « سيكون » محرفتان صوابهما في ل
وقد زيد في ل ألف بعد الراء ، مع أن المراد حكاية قول الفرس . وكتبت
كذلك متصلة « شبكورا » والوجه فصلها كما ذكرت ، وكذا في القاموس المحيط
والمعجم السابق . وقد اشتق العرب منها مصدراً فقالوا : « الشبكرة » أرادوا بها العشاء .
وفي اللسان : « المفضل : الهديد : الشبكرة . وهو العشاء يكون في العين » .

(٣) ط ، س : « أعمى بالليل » .

(٤) ط ، س : « هديد » صوابه في ل . وهم يسمون الداء نفسه أيضاً « الهديد »
وكانوا إذا أصاب أحدهم ذلك عمد إلى سنام فقطع منه قطعة ، ومن السكيد قطعة
وقلاهما ، وقال عند كل لقمة يأكلها ، بعد أن يمسح جفنه الأعلى بسبابته :

فيا سناما وكيد ألا اذهبا بالهديد

ليس شفاء الهديد إلا السنام والسكيد

ويزعمون أنه يذهب العشاء بذلك . انظر بلوغ الأرب (٢ : ٣٤٠) .

(٥) س : « الأعكش » ، صوابه في ل ، ط .

(٦) مغربة ، بفتح الراء : بيضاء . ط ، م : « مقربة » ، وصوابه في ل .

و « العين » هي في ط : « العتق » محرفة .

(٧) ط ، س : « في غير النساء » وأثبت ما في ل . والبيت الآتي قاله أبو العيال

الهللي ، يصف منيحة منحه إياها بدر بن عمار الهللي . انظر بقية أشعار الهذليين ١٣٠ .

(٨) كلمة « هي » ساقطة من ط ، س . « بصرا » هي في ط ، س :
« نظراً » .

وذكروا أَنَّ الأَجْهَرَ الَّذِي لَا يَبْصُرُ فِي الشَّمْسِ ^(١) . وَقَوْلُهُ لَا تَأْلُوْا أَيُّ
لَا تَسْتَطِيعُ . وَقَوْلُهُ أَظْهَرْتُ : صَارَتْ فِي الظَّهِيْرَةِ . وَالْعَيْلَةُ : الْفَقْرُ . قَالَ :
يَعْنِي بِهِ شَاةٌ ^(٢) .

وَقَالَ يَحْيَى بْنُ مَنْصُورٍ ، فِي هَجَاءِ بَعْضِ [آ ل] الصَّعِقِ :
يَا لَيْتَنِي ، وَالْمَنَى لَيْسَتْ بِمَغْنِيَةٍ ، كَيْفَ اقْتِصَاصُكَ مِنْ ثَارِ الْأَحَابِيْشِ ^(٣)
١٦٨ أَتَسْكُحُونَ مَوَالِيَهُمْ كَمَا فَعَلُوا أُمَّ تَغْمِضُونَ كَأَغْمَاضِ الْخَفَافِيشِ ^(٤)
وَقَالَ أَبُو الشَّمَقْمَقِ ، وَهُوَ مَرْوَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ ^(٥) :

أَنَا بِالْأَهْوَازِ مُحْزَوٌ وَبِالْبَصْرَةِ دَارِي ^(٦)
فِي بَنِي سَعْدٍ وَسَعْدٍ حَيْثُ أَهْلِي وَقَرَارِي
صَرْتُ كَالْخَفَاشِ لَا أَبْصِرُ فِي ضَوْءِ النَّهَارِ ^(٧)
وَقَالَ الْأَخْطَلُ التَّغْلِبِيُّ :

وَقَدْ غَبَرَ الْعَجَلَانِ حِينًا إِذَا بَكَى عَلَى الزَّادِ أَلْقَتْهُ الْوَلِيدَةُ فِي الْكِسْرِ ^(٨)

-
- (١) ل : « أَنْ الْجَهْرَاءُ الَّتِي لَا تَبْصُرُ فِي الشَّمْسِ » .
(٢) ط ، س : « نَسَاءَهُ » ، صَوَابُهُ فِي لِم .
(٣) ط ، س : « مِنْ نَارٍ » ، صَوَابُهُ فِي ل . وَالْأَحَابِيْشُ : طَائِفَةٌ مِنْ قُرَيْشٍ ، هُمُ
بَنُو الْمَصْطَلِقِ وَبَنُو الْهَوْنِ بْنِ خَزِيمَةَ .
(٤) ل : « تَغْمِضُونَ كَأَغْمَاضِ » ، صَوَابُهُ فِي ط ، س .
(٥) تَقْلَمْتُ تَرْجُمَتَهُ فِي (١ : ٢٢٥) . ل : « وَقَالَ مَرْوَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ هَذَا أَبُو الشَّمَقْمَقِ
الْفَتْ الْبَارِدِ » .
(٦) ل : « مُحْزَوْنٌ » .
(٧) كَذَا عَلَى الصَّوَابِ فِي ل . ط : « إِلَّا فِي النَّهَارِ » ، س : « إِلَّا فِي نَهَارِي »
(٨) أَلْقَتْهُ : أَيُّ الزَّادِ . وَالْكِسْرُ ، بِالْكَسْرِ : جَانِبُ الْبَيْتِ . وَفِي شَرْحِ الدِّيَوَانِ ١٠٢٩ :
« الْهَاءُ فِي أَلْقَتْهُ عَائِدَةٌ إِلَى الْعَجَلَانِ » ، وَلَعَلَّ وَجْهَ التَّفْسِيرِ مَا ذَكَرْتُ .

فيصبح كالحفّاش يدلك عينه فقَبَّحَ من وجه لئيم ومن حَجَرٍ^(١)
وقالوا : السحاة مقصورة : اسم الحفّاش^(٢) ، والجمع سحاً^(٣) كما ترى .

(لغز في الحفّاش)

وقالوا في اللغز ، وهم يعنون الحفّاش :
أبى شعراء الناس لا يُخبروننى وقد ذهبوا في الشعر في كلّ مذهب^(٤)
بجلدة إنسان وصورة طائر وأظفار يربوع وأنياب ثعلب^(٥)

(النهي عن قتل الضفادع والحفّافيش)

هشام الدستوائى^(٦) قال : حدّثنا قتادة ، عن زرارة بن أوفى ، عن
عبد الله بن عمر أنّه قال : « لا تقتلوا الضفادع فإنّ نقيقهنّ تسبيح . ولا تقتلوا
الحفّاش فإنّه إذا خرب بيت المقدس قال : يارب سلّطنى على البحر حتّى أغرقهم » .

(١) الحجر بالفتح ، قال ابن الأعرابي : « أراد بحجر العين » . وبحجر العين : مآدار
بها من العظم . ط : « من وجهه » محرفة . ل : « لعين » بدل « لئيم »
وما أثبت من ط ، س واللسان (مادة حجر) .

(٢) ط ، س : « اسمع الحفّافيش » صوابه في ل . ل : « وقال : السحاة » الخ .
(٣) سحا ، بفتح السين ، ويقال سحاء بكسرهما مع المد . اللسان ، والمقصور والممدود .
(٤) ط ، س : « أيا » ل : « أبا » ، صوابه في نهاية الأرب (١٠ : ٢٨٤) .
وفيها أيضاً : « علماء » مكان « شعراء » ط ، س : « تخبروننى » ، صوابه
في ل . وفي نهاية الأرب : « أن تخبروننى » وما هنا أجود . وفيها أيضاً :
« وقد ذهبوا في العلم » .

(٥) اليربوع : حيوان طويل الرجلين قصير اليدين ، على العكس من الزرافة ، له ذنب
كذنب الجرذ يرفعه صعوداً ، في طرفه شبه النواة ، لونه كلون الغزال .

(٦) هو أبو بكر هشام بن أبي عبد الله سنبر — كجعفر — الدستوائى البصرى البكرى .
وكان يرمى بالقدر . روى عن قتادة ، وروى عنه يحيى القطان . ونسبته إلى بيع =

حماد بن سلمة^(١) قال : حَدَّثَنَا قَتَادَةُ ، عَنْ زُرَّارَةَ بْنِ أَوْفَى ، قَالَ :
 قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ : « لَا تَقْتُلُوا الْخُنْفَاشَ ؛ فَإِنَّهُ اسْتَأْذَنَ فِي الْبَحْرِ »^(٢) :
 أَنْ يَأْخُذَ مِنْ مَائِهِ فَيَطْفِئُ نَارَ بَيْتِ الْمَقْدِسِ حَيْثُ حُرِّقَ . وَلَا تَقْتُلُوا الضَّفَادِعَ
 فَإِنَّ نَقِيْقَهَا تَسْبِيْحٌ » .

[قَالَ] : وَ [حَدَّثَنَا] عُمَانُ بْنُ سَعِيدٍ الْقُرَشِيُّ^(٣) قَالَ : سَمِعْتُ الْحَسَنَ
 يَقُولُ : « نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ قَتْلِ الْوَطْوَاطِ ، وَأَمَرَ بِقَتْلِ
 الْأَوْزَاغِ » .

قال : والخنفاش يأتي الرُّمَّانة وهي على شجرتها ، فينقب عنها^(٤) ،
 فيأكل كلَّ شيءٍ فيها حتى^(٥) لا يدع إلا القشر وحده . وهم يحفظون
 الرُّمَّانَ من الخنفايش بكلِّ حيلة .

= الثياب الدستوائية ، التي كانت تجلب من دستوا ، بفتح الدال والتاء بينهما سين
 ساكنة ، وهي من بلاد فارس . مات سنة ١٥٢ أو ١٥٤ وله ثمان وسبعون
 سنة . ط : « صاحب الدستواي » . والكلمة الأولى صحيحة ، يقال :
 الدستواي ، وصاحب الدستواي ، كما في تذكرة الحفاظ للذهبي (١ : ١٥٥) . وأما
 الكلمة الثانية فهي تحريف ما أثبت من ل ، س والمعجم والمعارف ٢٢٣ والتهذيب
 وتذكرة الحفاظ . وانظر الخبر في (٥ : ٥٣٦) .

(١) حماد ، هذا ، هو ابن سلمة بن دينار البصري ، كان من ثقات رواة الحديث .
 ويقال : إنه كان عالماً بالبحر والعربية ، وإن سيبويه استمل عليه . ثم في سنة
 ١٦٤ أو ١٦٧ . ط ، ش : « حماد عن سلمة » صوابه في ل وتقريب
 التهذيب والمعارف ٢٢٠ . ل : « قال وحدَّثنا حماد بن سلمة » . وفي
 العبارة نظر .

(٢) ل : « استأذن البحر » .

(٣) ط : « عثمان بن سعد القرشي » ، صوابه في ل ، س وتقريب التهذيب .

(٤) ل : « فينقب عليها » .

(٥) إلى هنا ينتهي الجزء الثالث من نسخة كوبريل ، المشار إليها برمز « ل » .

قال : ولحوم الخفافيش موافقةً للشواهيـن والصُّمقورة والـبوازى^(١) ،
ولـكثير من جوارح الطير ، وهى تـسمن عنها ، وتصحّ أـبدانُها عليها .
ولها فى ذلك عملٌ محمودٌ نافعٌ عظيمُ النفع ، بيّنُ الأثر . والله سبحانه
وتعالى أعلم .

تمّ المصحف الثالث من كتاب الحيوان

ويليه المصحف الرابع

[وأوله^(٢)] فى الذرّ

(١) ط ، س : « قال والـبازى » . وصوابه من نهاية الأرب (١٠ : ٢٨٤) .

(٢) ليست بالأصل .



تذييل واستدراك

- | صفحة | سطر | |
|------|-----|---|
| ٢٠ | ٤ | « كَسِيرٌ وَعَوِيرٌ » . هو مثل عربي قديم . وهو بتمامه : « كَسِيرٌ وَعَوِيرٌ وكلُّ غيرٍ خيرٍ » . أصله أن امرأة منهم تزوجها أعور فولدت منه خمسة ، ثم طلقها فتزوجت آخرَ ظهر أنه أعرج . فقالت المثل المذکور . يُضْرَبُ في الشيء يكره ويذمُّ من وجهين . كذا في أمثال الميداني ، ولكن المناسب هنا ما قال العسكريُّ في جهرة الأمثال ١٦٥ : « يُضْرَبُ مثلاً في الخَلَّتَيْنِ المسكروهتين ، والرَّجُلَيْنِ الرَّدِّيَّيْنِ » . ونصُّ المثل عنده كما عند الميداني . وصاحب معجم البلدان رواه : « كَسِيرٌ وعوير وثالثٌ ليس فيه خيرٌ » ، ورأى أن كَسِيراً وعويراً جبلاً في البحر ، بين البصرة وعمَّان يشفقون على المراكبِ منهما . انظر فيه « كسير » و « عوير » |
| ٩١ | ٤ | معنى هذا البيت مأخوذ من قول أحد الحكماء اليونانيين ، حين وقف يؤبن الاسكندر ، أو الموبذ حين كان يرثى قباذ الملك : « كان أمس أنطقَ منه اليوم ، وهو اليوم أوعظَ منه أمس »
انظر المراجع التي أشرنا إليها في التعليق ، وكذا مروج الذهب (٢ : ٣٦٨) والمستطرف (٢ : ٢٩٤) |
| ١٠١ | ٢ | « بجوع » هي كذلك في ط، س . وفي ل : « بجوخي » ، وهما موضعان ، أحدهما « جوخاء » بالفتح والمد : موضع بالبادية في ديار بني عجل كان يسلكه حاجٌّ واسط ، وقد قصره بعض الشعراء . |

والثاني جُوخى بالضم والقصر : اسم نهر عليه كورة واسعة في سواد بغداد . انظر معجم البلدان

١٧٠ ١ سألت حضرة المحقق الكبير الأب أنستاس مارى الكرملى

عن « أبى ريانوس » فكتب إلى : « هو على الحقيقة :

(أبيرْيُونيسِدس) أى منسوب إلى : Hyperion

المسمّى أيضاً : Helios ، أى الشمس ، وتلفظ « عاليوس » .

وما « عاليوس » إلا « على » أو « عالٍ » كسعت بعلامة الإعراب

فى كلام اليونان . ويطلق هذا اللفظ على كل ما يراد وصفه بالعلو

أو الطول أو الارتفاع . فالدجاج « أبى ريانوس » أو « أبيرْيُونوس »

هو ما يسمّيه اليوم العراقيون بالدجاج الهَرَائى بمعنى الهَرَوى ؛

لأن ديكتها جلبت من هراة ، المشهورة بحسن دجاجها وعلوها

وكبرها . فالكلمة إذن يونانية وقد صحفها النساخ لجهلهم إياها .

١٨٧ ٩ « الطبرزين » قال العلامة الأب أنستاس : ليس فى العربية طائر

باسم طبرزين . والاسم الصحيح هو « طبرادران » وأصح منها

بالدال ، أى « دُبَرَادران » أو « دُبَرَادران » ومعناها الأخوان ؛

لأن « دو » بـلفارسية معناها اثنان ، و « بَرَادر » الأخ ،

و « ان » للجمع أو للثنائية ؛ إذ لافرق عند الفرس بين المثنى والجمع .

والحمام لا يخاف الدبرادران ولا الكركى ، كما هو مقرر فى علم

الطير . واسم الدبرادران العربى هو الزمَّج ، وسمّاه الفرس ما معناه

الأخوان ؛ لأنّه إذا عجز عن صيده أعانه أخوه على أخذه ، واسمه

بلسان الغريين من الإنجليز : Goshawk وبالفرنسية : Autour :

٣٧٠ ٤،٣ كنت قد كتبت إلى المحقق الأب أنستاس مارى الكرملى لتحقيق هذه الكلمات الواردة فى عوالم الجوس ، فكتب إلى فى ٢٧/٨/٣٩ ما نصه : « وعندى أن هذا الجوسى استعمل ألفاظاً يونانية فى كلامه ، تعميةً للأبصار ، وغشاوةً للأفكار ، وتبياناً للباحثين ، أنه على صلة دائمة بعلوم اليونانيين ، ووقوفه وقوفاً تاماً على مصطلحاتهم وأوضاعهم ، مع أنك لو تدبّرت أحسن تدبّر هذه الأوضاع التى نفثها صدره ، أو سمعها سماعاً من أحد أبناء مذهبه من أهل التلفيق والتويه ، لشفّت لك عن كذبها وزورها وزيفها ، وبانت لك الحقيقة بثوبها الذى ألبسته .

ونحن نؤيد لك صادق كلامنا هذا ، بنقل تلك الحروف على ما هى فى اليونانية ، مع دقة ضبطها العربى والغربى وشرح معانيها ، فنقول :

١ - أبُو سَالَس : hyposalos أى تحت البحر، وهو أقرب عالم إلى أرضنا .

٢ - أبَرَمَا كِس : hyhermakéc أى العالم الممتد امتداداً فاحشاً .

٣ - أبَرِيدُس : hyperèdus أى الطيب فى النهاية ، أو الطيب غاية الطيب .

٤ - كَارِس : kherès أى السبيء الممقوت .

٥ - حَرِيرَة آمِنِس : arèra amenès أى المناسب الخوار .
وزاد بعض علمائهم من فرقة أخرى أَسِرْس asyrès أى النجس .
ومنهم من زاد على هذه العوالم الستة عالماً سابعاً ليقابل
بهذه العوالم السبعة سبعة عوالم السماء المعروفة بالسيارات السبعة
أو الأفلاك السبعة ، وسمّوه : أَبُوجَايُوس : hypogaios
أى العالم الذى تحت الأرض .

الأب أنستاس مارى الكرملى

القاهرة فى ٢٧/٨/٣٩ .

٣٧٤ ٩ قال البيرونى فى كتاب (الجماهر) عند الكلام على الألباس :

« وشبهه الكندى بالزجاج الفرعونى » انظره ص ٩٣ .
وكلمة « الألباس » هى الوجه فى « الماس » . وللمحقق الكبير
الأب أنستاس بحث ممتع فى تحقيق هذه الكلمة . انظر نخب
الذخائر ص ٢٠ . ويظهر لى أن المراد بالزجاج الفرعونى
هو الألباس الصناعى . وانظر التبصر بالتجارة للجاحظ ص ١٦ .

٤١٤ ٤ كلمة « ميسر » جاءت فى الأصل هكذا ، والمعنى مستقيم بها .

ومثلها فى (٤ : ٨٥ س ٩) . وهى تنظر إلى الحديث المشهور :

« اعملوا فكل ميسر لما خلق له » . انظر الجامع الصغير ١٢٠٢ .

ولا موجب للقول بأنها « مسير » .

٤٥٢ ٤ « فقلت لبَقَّار » كلمة « بقار » ذات مغزى خاص في التشاؤم
وتجند في نهاية الأرب (٣: ١٣٦) هذه العبارة : « وإن خرج فلقى
بقرا فليرجع » ، يريد أن البقر مما يتشاءم به ، وهذا النص نقله
النويري عن الجاحظ . انظر باب الزجر في نهاية الأرب (٣ :
١٣٤-١٤٣) .

٤٥٨ ٢ الأترُجُ : ضرب من الفاكهة يكثر بأرض العرب ، وهو مما
يغرس غرسا ولا يكون برياً ، وقد تبقى شجرته عشرين سنة ،
وهو صنفان : تفه وحامض ، وهو أبيض الجوف أصفر القشرة ،
فيه يقول أبو القاسم الزاهي :

وذات جسم من الكافور في ذهب

دارت عليه خواشيه بمقدار

كانها وهي قُدَّامى ممثلة في رأس دوحها تاج من النار
ويقول آخر :

يا حبذا أترجة تحدث للنفس الطرب

كانها كافورة لها غشاء من ذهب

ويسمى أيضاً « تفاح ماهى » وتفتح مائى . واسمه العلمى :

Citrus medica Risso . ورواية البيت الثانى فى حلبة

الكيمت ٢٦٤ ونهاية الأرب (١١ : ١٨٣) تشبه رواية العقد :

خاف التلون إذ آتته لأنها لوانان باطنها خلاف الظاهر

ويشبه هذين البيتين ما قيل في التطير من السفرجل (حلبة
الكيميت ٢٥٨) :

أهدى إليه سفرجلا فتطيراً منه فظلّ نهاره متحيراً
خاف الفراق لأن شطرها جائه سَفَرٌ وحُقَّ له بأن يتطيراً

٤٧٤ ١١ « حتّى إذا طعنوا » هكذا جاءت الرواية في ط، ش، ل، وكذا

العمدة (٢: ٢٠) والوساطة ٤٤. والأجود من هذه الرواية رواية
الديوان ص ٤١ وعيون الأخبار (١: ١٩٠) والعمدة (٢: ٢٢٠)
ونقد النثر ص ٩٠: « حتّى إذا طعنوا ». قال الشنمري في تأويل
البيت: « يقول: إذا ارتدى الناس في الحرب بالنبل دخل هو
تحت الرمي فجعل يطاعنهم، فإذا تطاعنوا ضارب بالسيف، فإذا
تضاربوا بالسيف اعتنق قِرنه والتزمه ».

٤٧٦ ٤ ش تاء الافتعال إذا وردت بعد التاء المثلثة، كان لك فيها أوجه

ثلاثة: أولها البيان، وهو الأصل. وثانيها تحويلها مع التاء
إلى تاء مشناة مدغمة. وثالثها تحويلها إلى تاء مثلثة مدغمة.
وتقول في الافتعال من « ثار » : اثار، واثار، واثار.
وفي مفتعل من « ثرد » : مثرّد، ومثرّد، ومترّد. انظر شرح
المفصل لابن يعيش (١٠: ١٨٤ س ٢٦-٣٠).

٤٨٧ ٣ « خيزران ريحها عبى » هذه رواية ط، ش وكذا ديوان الفرزدق

من خمسة دواوين العرب ١٩٩ وعيون الأخبار (١: ٢٩٤).

وأنت الخيزران لتقدير : « عصا خيزران » . والرواية المعروفة
« ريحه عبق » وهى رواية ل . وانظر ص ١٣٣ .

٤٩١ ٦ « نواكس » : جمع ناكس ، وهو من الجمع الشاذ . وقد أسهب
البغدادى فى الحديث عن نحو هذا الجمع فى الخزانة (١ : ١٩٠ -
١٩٥ سلفية) . وفى مجلة الرسالة العدد ٣١٥ ص ١٣٩٤ بحث قيم ،
واستدراك طيب لهذا الشذوذ الصرفى .

٤٩٣ ١٠ ش « فاستجودها » كذا جاءت العبارة فى كلام حمزة بن الحسن
الأصبهاني فى ديوان أبى نواس ١٣٢ ، والقياس والمعروف :
« استجادها » ، كما أن المسموع من الشاذ « أجوده » أى وجده
جيداً . انظر شرح الشافية للرضى ١٩١ .

٥٣٧ ٤ ش وجاء أيضاً فى تهذيب الكمال ج ١١ من مخطوطة دار الكتب
المصرية (٢٥ مصطلح) فى ترجمة هشام الدستوائى : « ودستوا :
كورة من كور الأهواز ، كان يبيع الثياب التى تجلب منها
فنسب إليها . ويقال له صاحب الدستوائى أيضاً » .

كتبه

مصر الجديدة فى { ٢٠ من رمضان من سنة ١٣٨٥
١٢ من يناير من سنة ١٩٦٦ } محمد السيد محمد هارون

أبواب الكتاب

صفحة	
٥	باب ذكر الحمام
٥٩	» في صدق الظن وجودة الفراسة
٩١	» من المديح بالجمال وغيره
١٠٥	» آخر في مثل ذلك من الغضب وفي ذكر الجنون في المواضع التي يكون ذكره فيها محموداً
١٢٢	» من القطن وفهم الرطانات والكنايات والفهم والإفهام
١٣٩	» ذكر خصال الحرم
١٤٤	» ذكر الحمام
٢٢٧	» ومن كرم الحمام
٢٤٤	» ليس في الأرض جنسٌ يعتريه الأوضاح
٢٥٣	» الحمام طائر لئيم
٢٩٨	» القول في أجناس الذبّان
٣٨٠	» رجع القول إلى ذكر الذبّان
٤٠٩	» القول في الغربان
٤٨١	» فيمن يهجي ويذكر بالشؤم
٤٩١	» في مديح الصالحين والفقهاء
٤٩٦	» القول في الجعلان والحنافس
٥١٠	» القول في الهدهد
٥١٩	» القول في الرّخم
٥٢٦	» القول في الخفّاش